الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك

كلية القانون والعلوم السياسية

الدراسات العليا

انهيار الإتحاد السوفيتي وانعكاساته على المنطقة العربية

أطروحة تقدمت بها

رسمية محمد

إلى مجلس كلية القانون والعلوم السياسية بالأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك
للحصول على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية

بإشراف

الدكتور سويم العزي

٢٠١٣

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالـــة الموســـــــومة

(انْهيار الإتحاد السوفيتي وانعكاساته على المنطقة العربية)

التي تقدمت بها الطالبة (رسمية محمد) قد جرت بإشرافي في الأكاديمية العربية في الدنمارك، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في العلوم السياسية .

إشراف الدكتور

سويم العزي

بناءً على التوصيات أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيـع: .....
رئيس قسم ..... **د.** **.....**
التأريـخ: ..... /..... /

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك

كلية الإدارة والإقتصاد

قسم المحاسبة

إقرار الخبير اللغوي:

الأستاذ الدكتور وليد الحيالي المحترم

أعضاء لجنة المناقشة الأكارم

أقرّ بأني قد قمت بالمراجعة اللغوية لأطروحة الدكتوراه الموسومة " انهيار الإتحاد السوفيتي وانعكاساته على المنطقة العربية " والمقدمة من الطالبة رسمية محمد .

فتمّ تصحيح ما وجد من أخطاء تتعلق بلغة الطالبة الباحثة وأسلوبها وبعض التقنيات الفنية. وبهذا فالأطروحة تعد الآن جاهزة بمعاييرالضبط اللغوي .

ولأجله وقعت أناه

إخلاص كاظم / بكالوريوس آداب لغة عربية

مقوّم لغويّ معتمد في الجامعة العربية المفتوحة في الدنمارك

التوقيع: .....

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

تـخويـــــــل

إني الطالبة القائمة بإعداد هذا البحث بإشراف الأستاذ الدكتور سويم العزي . أخوّل بهذا مجلس كلية القانون والعلوم السياسية في الأكاديمية العربية بالدنمارك بالتصرف العلمي التام بالرسالة ومنها الطباعة والإهداء لدى المكتبات والأفراد دون أيْ التزام أو حقوق قانونية تترتب على ذلك.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة الموسومة بـ (انهيار الإتحاد السوفيتي وانعكاساته على المنطقة العربية)

وأجيزت بتأريخ .....

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
١. الدكتور	رئيساً	
٢. الدكتور	عضواً	
٣. الدكتور	عضواً	
٤. الدكتور	عضواً ومشرفاً	

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مصادقـة مجلـس الكليـة

صدقت من قبل مجلس الكلية " كلية القانون والعلوم السياسية" في الأكاديميـة العربيـة المفتـوحـة في الدانمارك.

التوقيع:	**.....**
الاسـم :	**.....**
عميـد كليـة القانون والعلوم السياسية في الأكـاديميـة العربيـة المفتـوحـة في الدانمـارك.	
التاريـخ:	

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

لايسعني وأنا أنهي إعداد رسالتي هذه إلّا أن أتقدم بجزيل الشكر والإمتنان لإدارة الأكاديمية العربية في الدنمارك الموقرة. وأخصّ بالشكر والإمتنان رئيسها الأستاذ الدكتور الفاضل وليد ناجي الحيالي لما له من شرف المبادرة في إنشاء هذا الصرح العلمي الكبير ولما بذله من جهد كبير في تذليل صعوبات عملية دراستي وما شملني به من اهتمام منذ لحظة قراري الأول الإنتماء للأكاديمية، فله منّي بالغ الإحترام والتقدير.

كما أتقدم بجزيل الشكر والإمتنان والعرفان بالجميل لأستاذي المشرف الدكتور الفاضل سويم العزي لما بذله من جهود كبيرة في مساعدتي على إتمام هذه الدراسة، فكان عونا دائما لي بعلمه وتوجيهاته طيلة فترة دراستي وكذا له مني بالغ الإحترام والتقدير .

واتقدم بجزيل الشكروالامتنان أيضا لعميد الكلية الأستاذ الدكتورالفاضل لطفي حاتم لما بذله من جهد المتابعة طيلة فترة دراستي وله أيضا مني بالغ الإحترام والتقدير .

كما أوّد أن أقدم جزيل شكري وامتناني لرئيس قسم العلوم السياسية الأستاذ الفاضل الدكتور فاخر جاسم، ومن خلاله لجميع أساتذتي في قسم العلوم السياسية خصوصا والأكاديمية العربية في الدنمارك عموما.

وأتقدم أيضا بجزيل الشكر والإمتنان للأستاذ الدكتور الفاضل عصام عبد الشافي لما بذله من جهود كبيرة لمساعدتي في الحصول على المصادر أثناء فترة وجودي بالقاهرة، رغم انشغالاته المتعددة وبعده عن القاهرة أيضا!

كما أعبر عن شكري من خلاله لجميع الأساتذة الذين كلفّهم بمساعدتي وأخص بالذكر الأساتذة العاملين في مؤسسة الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية فلهم مني جميعا خالص الشكر والتقدير.

ولا أنسى أن أقدم شكر وامتناني لإبني الوحيد رافد، حيث حرص دوما على مساعدتي في تذليل الصعوبات الفنية طيلة فترة دراستي، كما وأعبر عن جزيل شكري وامتناني لزوجته الدكتوره لبنى الورد التي حرصت على تهيئة الأجواء المناسبة للعملية الدراسية فلهم مني كل الإعتزاز والتقدير .

وأقدم جزيل شكري وتقديري للسيدة رفاه الصباح وعائلتها على كل ماقدموه من عون لي طيلة المرحلة الدراسية .

الباحثة

رسمية محمد

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الإهداء

إلى كلّ المتطلعين لغد أفضل وأجمل ... للبشرية جمعاء !

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرست المحتويات

المقدمة ١٠

الفصل الاول ٦

المبحث الأول ٧

المبحث الثاني ٢٦

الفصل الثاني ٥١

المبحث الثاني ٨٣

المطلب الثاني – النزاعات السياسية ٩٠

المبحث الثالث ٩٤

المطلب الثاني - التوجهات العملية للسياسة الخارجية الجديدة ٩٦

الفصل الثالث ١١٠

المبحث الأول أثر الإنهيار على منطقة الشرق الأوسط..... ١١٠

المطلب الأول - الشرق الأوسط وتعدد المفاهيم ١١٠

المبحث الثاني ١٦١

الخاتمة والإستخلاصات ١٨٧

المصادر ١٩٢

المصادر الأجنبية..... ٢٠٧

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المقدمة

على نقيض الرأسمالية تقوم الماركسية على مسلّمات أساسية، أهمها أن المجتمع في صورته الحديثة يتكون أساسا من طبقات اجتماعية، وفيه تمارس الطبقة العليا الإستغلال الطبقي من خلال آلية استلاب الفائض الإقتصادي على باقي الطبقات. والحلّ يكمن في إعادة الصياغة الجذرية لبنية المجتمع من خلال قيادة الطبقة البروليتارية التي يقع على عاتقها تأريخيا تحويل المجتمع الرأسمالي إلى مجتمع اشتراكيّ تختفي فيه الطبقات ويحقق كلّ فرد إمكانياته الفعلية، وهكذا نرى أن اهم مافي المشروع الإشتراكي هو وعوده وأحلامه إن لم نقل أساطيره ذات الطابع الإنساني الشامل وإفقه العدالي الصارم، وهناك ايضا الحلم الساكن في الفلسفة والخطاب السياسي بنهايات موعودة للصراعات الإجتماعية. ولم تكن التجربة الإشتراكية السوفيتية التي افتتحتها ثورة اكتوبر ١٩١٧ في روسيا إلا محاولة لتجسيد ذلك الحلم الإنساني النبيل على أرض الواقع .

وتأتي أهمية ثورة اكتوبر في إنها ولأول مرة مكّنت الجماهير المستثمرة من الإمساك بزمام الأمور بقوة وسعت لشقّ الطريق المؤدية لإنشاء حضارة من نمط جديد ينتفي فيها استغلال الإنسان للإنسان وتخلو من اللا مساواة السياسية والإجتماعية والقومية ومن الحروب والإرهاب وظواهر العنف الأخرى. لكن الفجوة بين الحلم والواقع كانت تتسع باستمرار، تاركة احساسا مريرا بتبدد الأحلام والإلهام بتغيير البشر والمجتمع، وينفي الإستلاب في نظام وعلاقات الإنتاج الإشتراكية ، ويتكرس هذا الإحساس ليغدو نظام حياة ويتكرس الإستلاب والتشويه ويصبح قانون الحياة السوفيتية . فالمتتبع لدراسة الوقائع التأريخية المتتالية في أثناء الحرب الباردة بين الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة يرى أن ذلك الصراع بين القطبين كان قد اتخذ تارة شكلا سياسيا متمثلا بسعي كلا الطرفين للهيمنة العالمية ، وتارة ثانية اتخذ شكلا عسكريا عن طريق ماحدث من حروب بالوكالة بين الطرفين وأزمات نووية كادت تؤدي بالعالم للهاوية، كما حصل في أزمة الصواريخ الكوبية في العام ١٩٦٢، وتارة ثالثة اتخذ شكلا آيديولوجيا متمثلا بالصراع بين العقيدتين الشيوعية والراسمالية، وتارة رابعة اتخذ شكلا عسكريا تسليحيا بين الحلفين العالميين (حلف وارشو وحلف الأطلسي)، الأمر الذي دفع دول العالم الى أن تكون تابعة لإحدى الكتلتين أو أن تكون محايدة .

وقد أدّت مؤثرات ذلك الصراع بالتزامن مع عوامل داخلية أخرى إلى قدوم ميخائيل غورباتشوف للسلطة في الإتحاد السوفيتي ومباشرته بعملية البيريسترويكا بطريقة مباشرة لاتقوم على أي أساس من التخطيط المسبق بل أتخذت بعض الإجراءات العفوية- كالعلنية والسماح بحرية الصحافة دفعة واحدة وإلغاء الرقابة، ومن ثم أخفقت سياسات الإصلاح الداخلية لعدم قدرتها على مواجهة التراكمات السلبية للسياسات السوفيتية السابقة التي كانت تحتاج لإعادة بناء استراتيجية جديدة للسياسة العامة في الإتحاد السوفيتي السابق، مما أدّى في نهاية المطاف إلى تفكك الإتحاد السوفيتي كدولة فيدرالية مترامية الأطراف عبر قارتي آسيا واوربا. وبهذا قد اختفى اسم الإتحاد السوفيتي تاركا وراءه اثنتي عشرة جمهورية إتحادية مستقلة.

إنّ دراسة هذه التجربة التأريخية المهمة، التي انتهت الى نقيضها فحان أجلها، هي مسألة بالغة الأهمية للذين واكبوها واسهموا فيها وتتلمذوا عليها، ولكل الحالمين بغد أفضل للبشرية. ويتفق الكثير من الباحثين أن كلّ مقاربة لتلك التجربة التي انهارت بفعل تناقضاتها الداخلية دون أدنى شك لايمكن أن تستوي اذا لم تأخذ في الإعتبار أثرها في تطور البشرية وهي ضرورية لتؤكد ان ما أنهار ليس هي المُثل والقيّم التي قامت بأسمها بل كان بناؤها المشوه العائب ، في الأصل ، والارادوية التي اعتقدت أن بمقدورها وقد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نجحت في اقتناص السلطة في ظروف أزمة حادة وانهيار كبير، أن تلوي التأريخ وتتحكم به وتقيم منظومة فكرية كاملة عن طريق قراءة مجزوءة لأعمال ماركس وافكاره باسم تطويرها بما عرف بالماركسية اللينينية. لكن الإقرار بتشويه أفكار ماركس لا يعفي هذه الافكار من اخضاعها كسائر الأفكار التي يصوغها بشر للمراجعة والنقد فالعصمة لايملكها إلا الله ولا عصمة لسواه من البشر .

وفي الحقيقة واجهت الباحثة بعض الإسهامات النظرية والتي تميزت بالتنوع الكبير والتناقض الصريح، في مقاربة الإشكالات الفكرية التي افرزتها نهاية القرن الماضي على امتداد الكرة الأرضية وأعني بها انهيار التجربة الإشتراكية وعند عدد من كتابها ميل واضح لإمتلاك الحقيقة كلها في اتجاهين متضادين، إتجاه محافظ يجهد بتبرئة الماركسية، وحتى اللينينية من أية مسؤولية في التسبب في الخلل البنيوي الذي حوّل الثورة إلى نقيضها وسرّع في انهيار التجربة التي قامت على أساسها . واتجاه آخر وضع القضية في مجملها في فكر ما كان يوصل إلى ما أوصل اليه .

الباحثة ترفض الموقفين المتضادين ، وتقتفي آثار الفريق من الباحثين الذين حاولوا قراءة الماركسية قراءة جديدة على ضوء ماحصل، ناقدين لها مدافعين عنها ومحاولين استكشاف كيف قرأها مفجرو ثورة أكتوبر الروسية وأهم العناصر التي استوحوها منها وبنوا عليها تجربتهم، إضافة لمقدار الدقة في هذه القراءة. وما الجوانب المشوّهة بحجة التطوير .

هذه الدراسة تحاول أن تدرس بالبيان والتحليل تجربة البناء الإشتراكي في الإتحاد السوفيتي وتتوصل إلى أن لنجاح عملية التحول الإشتراكي ينبغي توفر فيها ثلاثة عناصر جوهرية وهي متساوية من حيث أهميتها ومرتبطة جدليا وتعتمد الواحدة على الأخرى. إنها الديمقراطية والمساواة وتشريك الجزء الأكبر من الإقتصاد، والديمقراطية تعني توفر حضور المؤسسات السياسية وتعزيزها وتفعيل دورها العامل كبح الإنفراد والإستبداد السياسي والدكتاتورية .

إن قروناً من الإستبداد القيصري في روسيا دلّت على غياب الحرية بكل أبعادها السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية الأمر الذي كان يتطلب ضرورة إزالة التركة الثقيلة للإستبداد القيصري وبناء وصياغة التعددية السوفيتية على أسس الحرية والإعتراف بالآخر المختلف وهذا لا يكفل إلا بقيام نظام عقلاني يتأسس على سيادة القانون والتكامل الأجتماعي والتداول السلمي للسلطة عبر الانتخابات التشريعية وتنشيط دور المجتمع المدني وحرية الرأي والتعبير بمعنى بناء النظام السياسي الديمقراطي.

ترتبط المساواة ارتباطا عضويا بالديمقراطية بوصفها ثاني العناصر الأساسية لتعريف الإشتراكية. العنصر الثالث الذي أثار الكثير من الجدل هي أن الإشتراكية تستلزم تشريك الإقتصاد بأخضاع الجزء الأكبر من وسائل النشاط الإقتصادي وخاصة القمم المهيمنة فيه لأشكال شتّى من الملكية والرقابة والإدارة الإجتماعية أو العامة.

على أساس ما تقدم جاء الفصل الأول من هذه الدراسة بتحليل طبيعة النظام السياسي السوفيتي فتوزع على مبحثين، الأول في مفهوم النظام السياسي والعناصر المكونة للنظام السياسي السوفيتي ثم الآيدولوجية وكيفية فهم النظام للعلاقات الدولية من خلال معطيات آيديولوجية. وفي المبحث الثاني دراسة لتأثير الآيدلوجية على العلاقات الدولية في الفترة الستالينة وما تلاها. وتناول الفصل الثاني أسباب انهيار النظام السياسي السوفيتي الذي توزع على ثلاثة مباحث، الأول الأسباب الإقتصادية والسياسية والآيدلوجية والثاني ، الأسباب الخارجية ويقف في مقدمتها سباق التسلح وغزو أفغانستان . ومعاهدة هلسنكي إضافة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى الإنقسامات في الحركة الشيوعية العالمية. أما المبحث الثالث فقد تناول إعادة بناء السياسة الخارجية وانعكاساتها على الوضع الدولي والعربي ولم نكتف بالبحث في العوامل الظرفية التي رافقت محاولات التجديد وأدّت إلى الإنهيار وحسب بل بدراسة أشمل وأعمق للتجربة من منظور ماركسي يكشف عن العوامل البنيوية والتناقضات الداخلية التي قادت في النهاية عبر تطوّرها وتفاعلها مع الضغوط الخارجية الى اخفاق أول تجربة تأريخية في العصر الحديث لبناء الإشتراكية .

أما الفصل الثالث فألتفت إلى تأثيرات الإنهيار على منطقة الشرق الأوسط والدول العربية . في المبحث الأول تناولنا تأثيرات الإنهيار على منطقة الشرق الأوسط والتي تجسدت في تغيير التوازن الإستراتيجي في المنطقة لصالح الولايات المتحدة والدول الإقليمية غير العربية كما تناولنا المتغيرات السياسية والإقتصادية والعسكرية. وفي المبحث الثاني تناولنا تأثيرات الإنهيارعلى المنطقة العربية وأهمها تجسد في انطلاق عملية التسوية للقضية الفلسطينية في صالح الطرف الإسرائيلي نتيجة لإختلال التوازن الإستراتيجي في المنطقة لصالح الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل .

أهمية الموضوع

يكتسب موضوع الدراسة أهميته في جوانب عدة: أهمها، انهيار وتفكك الإتحاد السوفيتي قد قضى على النظام الدولي القديم الذي قام على التوازن بين قوتين عظيمتين تتزعمان معسكرين متضادين حكمتهما قواعد الحرب الباردة ، ليحل محله نظام تسود فيه القوة الأعظم (الولايات المتحدة)، كما تكمن أهمية الموضوع في أن الإنهيار لم ياتِ نتيجة هزيمة عسكرية، وإنّما كمحصلة للأزمات الإجتماعية والإقتصادية التي عصفت بالإتحاد السوفيتي نتيجة لطبيعة النظام السياسي والإقتصادي البيروقراطي ، مع عجز النخبة السياسية عن بلورة برنامج سياسي شامل للتعامل مع تلك الأزمات . وتكمن أهمية الدراسة أيضا في توضيح أن خطورة هذا الحدث لاتكمن فقط في تفكك دولة عظمى إلى عدد من الدول المستقلة ذات السيادة بكل مايكتنف عملية التفكك وإعادة التشكيل من مصاعب وعواقب وحسب، بل تكمن قبل ذلك كلّه في انهيار الآيديولوجية اللاحمة لذلك البناء، أي الآيدلوجية الماركسية اللينينية. وليس المقصود هنا اختفاء الفكر الإشتراكي عموما او الماركسي خصوصا، فهذا الفكر هو جزء من تراث الإنسانية كان ولايزال له اسهامه المميز في دفع وترقية الفكر الإنساني كلّه ، ولكن ما انهار هو تلك الصيغة الآيديولوجية المحددة التي صُب فيها هذا الفكر وانطوت ليس فقط على نقد المجتمع الرأسمالي وحسب بل أيضا على تصور مثل أعلى بديل له. كما تحاول هذه الدراسة استكشاف تأثير هذه التطورات على وضع العرب في النسق الدولي وفي تحديد المخاطر والفرص الناشئة عن هذا الإنهيار. من جانب آخر تكمن أهمية هذه الدراسة في تقصي تأثيرات الإنهيار على التوازن الإستراتيجي في منطقة الشرق الأوسط فضلا عن التداعيات الأخرى، وبالتأكيد لاتستقيم دراسةٌ من هذا النوع بدون تقصي الأسباب الحقيقية للإنهيار بكل ابعادها الفكرية والسياسية والإقتصادية ، الداخلية والخارجية عموما .

إشكالية الدراسة

تتلخص إشكالية الدراسة في أنها المرة الأولى تنتكس فيها تجربة تشكيلة جديدة ، كان يؤمل لها أن تشمل العالم. وأعني بها التجربة الإشتراكية. وهذا مما ساعد في تنشيط مُنظري الآيديولوجيا الرأسمالية وازدياد أوهامهم الى درجة اعتبار أن النظام الرأسمالي ، هو نهاية التأريخ . كما ساعد في احباط عزيمة أنصار التجربة الإشتراكية ، إلى درجة تخلّى بعضهم عنها . ومبعث الإحباط هو أن النجاح الذي تحقق خلال نصف قرن من قيام ثورة اكتوبر ١٩١٧ في روسيا وفي ظل النظام السوفيتي كان مبهرا حتى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالنسبة للغرب الرأسمالي . وزاد من تأثير التجربة السوفيتية دور الإتحاد السوفيتي في هزيمة النازية، واعتماد حركات التحرر والدول الوطنية حديثة الإستقلال على السلاح والتأييد السوفيتي في مواجهة القوى المناهضة للتحرر . ولكن الصورة سرعان ماتغيّرت بل وانقلبت الى النقيض مع سقوط وانهيار الإتحاد السوفيتي عام ١٩٩١.

كما تكمن المشكلة في أن سقوط الإتحاد السوفيتي قد أدّى الى تغيير ميزان القوى على الصعيد العالمي بشكل عام وعلى صعيد منطقة الشرق الأوسط والدول العربية بشكل خاص لصالح القوى المناهضة للحرية والتقدم والسلام .

هدف الدراسة

يكمن هدف الدراسة أولا في تعميق معرفة الباحثة بهذا الموضوع بكل اشكالياته وتأثيراته على عملية التطور الإجتماعي وفي تلمس الدروس النظرية والعملية من هذه التجربة بما يعينها في بلورة رؤية نقدية تستند عليها في مسارها المستقبلي . ثانيا الرغبة في وضع دراسة متكاملة في هذا الموضوع فالملاحظ أن معظم الدراسات الفكرية قد انصبت على تقصي بعض اسباب الإنهيار بشكل مقتضب جدا أما الجوانب الأخرى فقد كان نصيبها في البحث والدراسة شحيحا بشكل ملفت للإهتمام .

فرضيات الدراسة

لماذا فشل الإتحاد السوفيتي في تحقيق أهدافه. هل لأسباب داخلية تتعلق بطبيعة النظام أم يعود الفشل لعدم توافق المعطيات الآيديولوجية مع معطيات العالم العربي أم أن فشله يعود إلى سياسته مع هذا العالم. بمعنى آخر لا تعود أسباب الفشل إلى المعطيات الآيديولوجية وإنما إلى ترجيح تحقيق المصالح الإستراتيجية والإقتصادية في الصراع مع الغرب على حساب المعطيات الآيديولوجية أن صحت هذه الفرضيات فهل يعني انهيار النظام العربي– كتعبيرعن تحرك تقدمي- له علاقة مع انهيار الإتحاد السوفيتي؟

منهجية الدراسة

لأغراض التحقيق من فرضية الدراسة فقد اعتمدنا عدة مناهج علمية رئيسية في دراستنا نبدؤها بالمنهج العلمي الجدلي من خلال متابعة المشكلة من جذورها ومراحل تطورها والعوامل التي أثرت بها وساهمت في خلقها ثم الخروج باستنتاجات متواضعة، قد تسهم في معالجة الموضوع. كما استخدمنا المنهج الإحصائي لتوثيق بعض المعطيات الإقتصادية والإجتماعية. ولانخفي أهمية المنهج المقارن الذي يقرب بالبحث والإستنتاج خلال مراحل الدراسة وصولا الى الخاتمة عن طريق توضيح التغيير الحاصل في الظروف المادية وانعكاساتها على الآيديولوجية والتطبيق.

صعوبات الدراسة

ولابد أن نسلم منذ البداية بأن هناك صعوبات تواجه البحث في هذا الموضوع .

الصعوبة الأولى : هي عدم وجود دراسة بحثية متكاملة في موضوع الدراسة يمكن ان تشكل أنموذجا يحتذى به ، فرغم رحلة البحث المضنية في البحث عن المصادر وتعدد الأماكن العلمية التي زارتها الباحثة فلم تتوصل إلى أنموذج في هذا الموضوع .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصعوبة الثانية: هي اختلاف آراء الباحثين بخصوص تقييم نتائج الإنهيار، فما يعتبره البعض ربحا قد يعتبره الآخرون خسارة. وعلى سبيل المثال فبينما يعتبر بعض الدارسين أن التوازن الدولي الذي حققه وجود الإتحاد السوفيتي كان مكسبا للعرب لأنه اتاح لهم هامشا من حرية الحركة، يرى آخرون أن الصراع بين الدولتين قد زاد من حدة الإستقطاب وبذلك عطل تسوية القضايا العربية، إضافة الى صعوبات أخرى سبقتني الى تشخيصها بعض الباحثين ولا أرى ضرورة لتكرارها.

وقبل ان نبدأ في هذه الدراسة نود تثبيت نقطتين:

الأولى التركيز على دراسة الأثر المباشر لتفكك الإتحاد السوفيتي واستقلال جمهورياته.

النقطة الثانية هي التركيز على دراسة النتائج المترتبة فقط على تفكك الإتحاد السوفيتي ، وليس على النتائج المترتبة على مجمل التطورات الدولية. بعد هذا يمكننا الدخول في موضوع الدراسة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الاول

طبيعة النظام السياسي

بدأ التطور التأريخي لعلم السياسة في صورته المنهجية لدى فلاسفة اليونان القدماء من الإغريقيين . وينسب لأرسطو (٣٢٢- ٣٨٤) ق.م المقولة الشهيرة " الإنسان حيوان اجتماعي" . ورأى أن طبيعة التطور البشري تحتم نوعا من المجتمع المنظم في ظل نظام حكومي . وأن غياب الحكومة يعني الفوضى وسيادة قانون الغاب . ونفس المعنى تقريبا، قال الزعيم الصيني ماوتسي تونغ ، أن الواقع يفرض دائما وجود رؤساء. يقال أن لكل رابطة انسانية وجها معينا ففي أحاديثنا نتكلم عن السلطة في نادٍ أو منشأة. وغالبا مانسمع بشأن سياسة معينة في هذه المنظمات. من هنا لايوجد في الواقع من لايتعامل مع شكل من اشكال النظام السياسي سواء كان حبا أم كرها ويرتبط بذلك أن السياسة حقيقة من حقائق الحياة التي لايمكن تجنبها(١). ونوعا النظام السياسي هما الداخلي والدوّلي والنظام السياسي الداخلي يتضمن قواعد قانونية وضعت من قبل دولة واحدة لتنظيم النشاطات مثل استخدام الموارد – ضمن النطاق الدولي القانوني، أما النظام الدولي فأنه يشتمل على مجموعة من القواعد المتفق عليها بين عدد من الدول لتنظيم الأمور المتعلقة بالمصلحة العامة ويمكن أن يتخذ عدة أشكال (٢) ..الخ وموضوع بحثنا هو النظام السياسي الداخلي وبالتحديد النظام السياسي السوفيتي .

في هذا الفصل سوف نتناول أحد الأنظمة السياسية وهو النظام السياسي السوفيتي .

المبحث الأول : نتناول الآيديولوجية وتأثيرها على نظرة النظام السياسي للعلاقات الدولية

المطلب الأول : الأسس التي قام عليها النظام السياسي .

المطلب الثاني : الستالينية ظاهرة آيديولوجية أم واقع لتطور النظام

المبحث الثاني : تأثير فكر النخبة الحاكمة في تطور العلاقات الدولية .

المطلب الأول - مراحل تطور مفهوم النظام السياسي للعلاقات الدولية .

المطلب الثاني - الإستراتيجية الروسية تجاه المنطقة العربية .

١- حميد رشيد عبد الوهاب ، العراق المعاصر ، دار المدى للثقافة والنشر ، سوريه دمشق ،٢٠٠٢،ص ٢١ ,

٢-توفيق سعد حقي ، مبادئ العلاقات الدولية ، الاكاديمية العربية في الدانمارك ، ص٤٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الآيديولوجية وتأثيرها على نظرة النظام السياسي للعلاقات الدولية.

لكل نظام سياسي آيديولوجية معينة يسير وفقها والنظام السياسي السوفيتي قام على أساس الآيديولوجية الماركسية في هذا المبحث سوف نتناول في المطلب الأول الأسس التي قام عليها النظام السوفيتي كما سنتناول في المطلب الثاني دراسة تحليلية للستالينية كأيديولوجية وكنظام حكم.

المطلب الاول : - الأسس التي قام عليها النظام السوفيتي

الفرع الاول - معنى النظام السياسي وخصائصه

النظام السياسي مجموعة عناصر مهمتها الإبقاء على المجتمع من حيث هو كيان حي قائم بذاته، تديره سلطة سياسية . وهو واحد من أنظمة المجتمع الاخرى، كالنظام الإقتصادي والنظام القانوني والنظام الثقافي .

والعناصر التي يتالف منها النظام السياسي هي التنظيمات السياسية ، والقواعد السياسية والعلاقات السياسية والوعي السياسي . ويؤثر كل من هذه العناصر مع الآخر ويعتمد عليه ، وتفاعل هذه العناصر هو الذي يجعل منها نظاما لامجرد عدد من الأشياء تجمعها المصادفة ولاتصل بعضها ببعض أية علائق. وفي الوقت نفسه ، يؤلف كل عنصر من هذه العناصر نظاما فرعيا من النظام السياسي . كما يمكن أن تعد من عناصر النظام السياسي مؤسسات الحياة الإجتماعية والجماعات والقواعد والوظائف والأدوار التي تتفاعل والإدارة السياسية تفاعلا وثيقا (٣)

ويعرف ابراهيم درويش النظام السياسي بأنه مجموعة الأنماط المتداخلة والمتشابكة والمتعلقة بعمليات صنع القرارات والتي تترجم أهداف وخلافات ومنازعات المجتمع من خلال الجسم العقائدي الذي اضفى صفة الشرعية على القوة السياسية فحوّلها الى سلطات مقبولة من الجماعة السياسية تمثلت في المؤسسات السياسية(٤). ومن الكتاب الامريكيين يعرفه داهل بأنه نمط دائم من العلاقات الإسانية ، ينطوي ، إلى حد مهم ، على قوة أو حكم او سلطة (٥) أما موريس دوفرجيه ، فقد عرف النظام السياسي بانه حكم وتنسيق (٦).

٣--كاظم جواد صالح و العاني علي غالب ، الانظمة السياسية ، جامعة بغداد ، ١٩٠-١٩١، ص ٥,

٤-درويش ابراهيم ، النظام السياسي ، الجزء الاول ، ١٩٦٩،ص ٢٢.

٥-- Robert Dahl,modern politixal anallyses new jersey 1964 p11نقلا عن حسان العاني ، الانظمة السياسية والدستورية المقارنة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٦،ص ١٣

١maurice Duverger ; systemes et Regimes politigues. Laftontct 1976p

٦- نقلا عن حسان العاني ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعرفه الموند كولمن بأنه النظام الذي يتضمن التفاعلات المتواجدة في المجتمع المستقل والتي يقدم (المجتمع) من خلالها الوظائف المتعلقة بالتكامل والتكيف (داخله وخارجه) بواسطة استخدام القوة الشرعية اوالتهديد باستخدامها (٧). ويرى شمران حمادي ان تعريف دوفرجيه لايخصص ذاتية موضوع النظام سياسيا عند القول بأن النظام السياسي (هو مجموع الحلول اللازمة لمواجهة المشاكل التي يثيرها قيام الهيئات الحاكمة وتنظيمها في هيئة اجتماعية معينة) .

ويعرف النظام السياسي بأنه مجموعة الحلول اللازمة لمواجهة المشاكل السياسية التي يثيرها قيام الهيئات الحاكمة وتنظيمها في هيئة اجتماعية معينة (٨) ويشخص الباحثان صالح جواد الكاظم وعلي غالب العاني بعض السمات المميزة التي تميز النظام السياسي عن أنظمة المجتمع الأخرى وهي : –

١ – إنّ النظام السياسي يتمتع باعلوية وهذا يعود الى امتلاكه السلطة العليا في المجتمع ، وبذلك تلزم قراراته المجتمع كله ، كما تلزم انظمته الاخرى.

٢ – إن النظام السياسي يتمتع باستقلال نسبي ، اذ تحكم العلاقات الواقعة ضمنه قواعد خاصة، قانونية وسياسية .

٣- إنّ تأثير النظام السياسي في المجتمع كله أكثر فاعلية من تأثير أيّ نظام آخر. ومصدر هذا التأثير امتلاك النظام السياسي السلطة العليا ومن ثم القدرة على تنظيم طاقات المجتمع .

٤ – إن النظام السياسي يتفاعل مع الأنظمة الأخرى في المجتمع، ومع ممارسته السلطة العليا فيه. ولاتعني هذه السلطة بذاتها انفصال النظام السياسي عن البيئة الإقتصادية – الإجتماعية التي يتحرك فيها ، ذلك انه في المال الأخير وليدها ، فهي اساسه وهو البناء الذي يقوم عليها (٩) . وقد استخدمت معايير عديدة لتحديد طبيعة الأنظمة السياسية ، منها المعيار الذي يحدد طبيعة النظام السياسي على أساس عدد الأحزاب المشاركة فيه. وبقدر مايتعلق بالنظام السياسي السوفيتي فقد سميّ بنظام الحزب الواحد . إن المقصود بنظام الحزب الواحد هو ان يكون الحزب مسؤولا عن كل النشاطات السياسية في المجتمع وهذا التصور لم يولد بشكل اعتباطي وإنما جاء كنتيجة لتفكير الحزب .

حسب النظرية الماركسية الثورة يجب ان تكون من صنع البروليتاريا، وإن الثورة يجب ان تكون بواسطة حزب البروليتاريا. وحزب البروليتاريا يتالف من الثوريين الذين ينظمون الجماهير. فالثوريون هم الطليعة الطبقية الواعية للهدف والوسائل الموصلة للهدف . فالدور الموجه للثورين انعكس حسب متطلبات الظرف السياسي (عام ١٩١٧ عند الثورة) في الإتحاد مع الفلاحين والمثقفين والبرجوازيين الصغار. بالنسبة الى لينين فدوْر الحزب هو شرط أساسي لقيادة الثورة، والطبقة العاملة حسب اعتقاده لاتمتلك الوعي السياسي الطبقي إلا من خلال الحزب الذي يسلحها بالنظرية الثورية فتتحول من طبقة في ذاتها الى طبقة لذاتها، أي أن يتبلور وعيها الطبقي فتصبح قادرة على النهوض بدورها التأريخي النضالي حتى النفس الاخير. حسب لينين فقط الحزب المسلح بالنظرية الماركسية اللينينية للطليعة يستطيع باقتدار

---

٧ - almond colmen نقلا عن حسان العاني مصدر سابق ص ١٣

٨- حمادي شمران ، النظم السياسية ، مطبعة الارشاد ، ١٩٧٠، ص٩ ، نقلا عن حسان العاني ، مصدر سابق ،ص ١٤.

٩- الكاظم صالح جواد و العاني علي غالب ، الانظمة السياسية ، جامعة بغداد ، ١٩٩٠ ص ٦-٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إعطاء الحل العادل للمشاكل . وفي كلّ مؤتمرات الحزب الشيوعي السوفيتي يجري التاكيد على دور الحزب الطليعي في القول بأن للحزب الدور الايديولوجي والدور القيادي في كل المجالات المتعلقة بنشاطات المجتمع السوفيتي والذي يتلخص في قيادة المجتمع والدولة (١٠)

وقد عرف الدستور السوفيتي في المادة ١٢٦ الدور القيادي للحزب عندما ذكر بأن الحزب هو النواة القائدة لكل المنظمات العمالية والإجتماعية ومنظمات الدولة . أي أن الحزب هو الموجه لكل نشاطات الدولة . وكل مؤسسات الدولة تتبع الحزب وليس هناك اي سؤال سياسي او تنظيمي يتعلق بمؤسسات الدولة يمكن أن يقرر ويحل بدون التوجيهات المعطاة من قبل اللجنة المركزية للحزب(١١).

ويفسر بعض الباحثين أن وجود الحزب الواحد يعود إلى خلفية نظرية تتلخص في أن الماركسية ترى أن الأحزاب تمثل طبقات اجتماعية مختلفة . ومن ثم فهي تتبنى مصالح مختلفة وآيديولوجيات متباينة. وعليه ينشأ تعدد الأحزاب واختلافها نتيجة تعدد الطبقات واختلافها، فإذا أزيل التعدد والإختلاف الطبقي أي اذا أُزيل المجتمع الطبقي نفسه زالت الحاجة إلى تعدد الأحزاب. وإذا أصبح المجتمع طبقة واحدة ، انتفت الحاجة لوجود أكثر من حزب يمثل هذه الطبقة أوالمجتمع. ولمّا كانت الطبقات الإستغلالية قد قضى عليها، وبقيت طبقة واحدة مكوّنة من العمال والفلاحين والمثقفين، انتفت الحاجة إلى تعدد الأحزاب، ويبقى الحزب الواحد هو طليعة هذه الطبقة اوالمجتمع. وعلى أساس هذه التفسيرات جرى التوصل الى بعض الإستنتاجات وهو أن وجود حزب وحيد هو شرط لبناء الإشتراكية، وأن الحزب الشيوعي لابدّ أن يمارس ماسمّي بدكتاتورية البروليتاريا ضد بقايا الطبقات السابقة وتاثيراتها السلبية، والثورة الإشتراكية تعني حتما تقييد الحقوق السياسية لهذه الطبقات بما فيها حرية ممارسة الحياة الحزبية وحق الإنتخاب والترشيح(١٢). في حين أن الأدبيات السوفيتية والوقائع التأريخية تؤكد أن وجود الحزب الواحد يعود لظروف تأريخية محددة وليس لموقف نظري معين. كما أن البعض قد عزى وجود الحزب الواحد في الإتحاد السوفيتي إلى الخوف من ارتداد النظام السياسي للنظام الرأسمالي والخوف من عدوى الثقافة البرجوازية. ويرى هؤلاء أن الخوف غير مبرر بعد أن قطعت مسيرة الإشتراكية حقبة طويلة وتوطدت أركان النظام الإشتراكي . والجدير بالذكر أن دستور عام ١٩٣٦ هو أول دستور سوفياتي يؤكد وحدانية الحزب ودوره الشمولي . وجاء الدستور الرابع عام ١٩٧٧ ليعبر تعبيرا صريحا في المادة (٦) منه عن الدور الشمولي الذي يؤديه الحزب. فهو بموجب هذه المادة ، ليس مجرد الطليعة والقائد لجميع المنظمات، كما وصفه دستور عام ١٩٣٦ ، بل القوة القائدة والموجهة للمجتمع السوفيتي ونواة نظامه السياسي ومؤسسات الدولة، وهو الذي يحدد الأفق العام لتطور المجتمع وخط السياسة الداخلية والخارجية معا(١٣) . والنظام السياسي السوفيتي منذ عام ١٩٢٢ قام على أساس اتحاديّ فدراليّ، ففي المؤتمرالأول لسوفيتات عموم الإتحاد أقرّ تأسيس (اتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفيتية) حيث انتخب لينين رئيسا له (١٤).

١٠- العاني حسان محمد شفيق ، مصدر سابق ، ص ٢٧

١١- العاني حسان ، مصدر سابق ، ص ١٢٧-,١٢٨

١٢-الكاظم جواد صالح والعاني علي غالب، مصدر سبق ذكره ،ص ١٢٦-١٢٧.

١٣- نفس المصدر ،ص ١٢٧-١٢٨.

١٤- غوسيموف ونعيموف ، الإحاد السوفيتي ، لمحه تأريخية موجزة ، دار التقدم ،موسكو ، ١٩٧٧، ص ١٩٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي تموز من نفس العام تم توقيع معاهدة انشاء الجمهوريات السوفيتية الإشتراكية بين اربع دول هي (جمهورية روسيا السوفيتية الإشتراكية وروسيا البيضاء ، اوكرانيا ، اتحاد جمهوريات القوقاز وفي سنة ١٩٢٤انضمت اوزبكستان . وقد ازداد عدد الجمهوريات الإتحادية بعد انضمام طاجيكستان عام ١٩٢٩ والتي كانت جمهورية ذات حكم ذاتي ضمن جمهورية اوزبكستان الإتحادية ، وانضمام كازاخستان عام ١٩٣٦بعد أن كانت جمهورية ذات حكم ذاتي منذ عام ١٩٢١ وكذلك انضمام قرغيزيا عام ١٩٣٦ايضا والتي كانت جمهورية ذات حكم ذاتي ضمن روسيا الاتحادية .

وفي الفترة ١٩٣٩-١٩٤٠ بعد التوسع الروسي أصبح الإتحاد يضم ١٦ جمهورية بعد انضمام ليتوانيا ومولدافيا ولاتفيا واستونيا وكاريليا الفنلندية(١٥).

إن العلاقة القانونية بين الجمهوريات والإتحاد حددتها الدساتير الصادرة في الإتحاد السوفيتي فما دام الإتحاد طوعيا حسب ما أُعلن فهو مبني على حق تقرير المصيروقد ضمنت هذه الدساتير حرية الخروج منه . وأكدت المادة (٧٢)من دستور الإتحاد السوفيتي لعام ١٩٧٧(حق الخروج بحرية من إتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفيتية محفوظ لكل جمهورية متحدة (م٧٦) وتكون هذه السيادة محمية من قبل الإتحاد (م٨١) . كذلك يبيح الدستور للجمهوريات المتحدة حق إقامة علاقات خارجية مع الدول الأجنبية والمنظمات الدولية وعقد معاهدات دولية (م٨٠).

هذا على الصعيد القانوني أما على صعيد الواقع فالأمريكاد على النقيض. فتشير العديد من الأدبيات والوقائع أن الإتحاد لم يكن طوعيا فلم ينظم اي استفتاء شعبي بشأن ذلك وعملية الإتحاد قد تمت بقرار من قيادة الحزب الشيوعي وقد نفذته الملاكات الحزبية انذاك ، أما بقية البنود القانونية فقد ظلت حبرا على ورق في ظل سياسة الترويس التي استخدمها ستالين تجاه القوميات الأخرى كما سنرى لاحقا .

هذا على مستوى التقسيم السياسي للإتحاد السوفيتي اما بالنسبة للتقسيم الاداري فيتكون من الجمهوريات الإتحادية والجمهوريات ذات الحكم الذاتي وتكون تابعة للأولى وكذلك الأقاليم والمقاطعات ذات الحكم الذاتي والدوائر ذات الحكم الذاتي والنواحي والأحياء والمدن وكل هذه التقسيمات بأنواعها هي داخل الجمهوريات الإتحادية . وقوميا يعدّ الإتحاد السوفيتي دولة متعددة القوميات فهو يضم اكثر من مئة قومية ، العدد الأكبر هم الروس ثم ياتي بعدهم الأوكرانيون ، الأوزبك ، الروس البيض ، الكازاخ ثم التتار وهكذا (١٦). والحقيقة أن النظام السياسي السوفيتي لم يكن مستقرا منذ نشأته حتى زواله بل خضع لمتغيرات عديدة كما سنرى لاحقا.

الفرع الثاني - عناصر النظام السياسي السوفيتي

يلاحظ أنه في كل دولة يسير نظامها السياسي بلا معارضة. توجد عادة ثمانية أجهزة، هي الحزب، الجيش، إدارة الدولة، البوليس السياسي، البيروقراطية، تنظيمات الشباب، لجنة الخطة، النقابات، وكلّ جهاز مركزي يفرض نفسه باعتباره الجهاز الرئيسي محولا الأجهزة الأخرى لأجهزة ثانوية تعمل تحت سيطرته وهذا الجهاز الرئيسي يختلف من دولة لأخرى فسابقا هو الحزب الشيوعي السوفيتي.

١٥- البطريق عبد الحميد ، التيارات السياسية المعاصرة ، دار النهضة العربية ،بيروت ، ١٩٧٤،ص٢٣٨،

١٦– بيرغسيف ، الاتحاد السوفيتي ،الطبيعة الارض السكان ،دار التقدم ،موسكو ، ١٩٨٢، ص ٦٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١ - الحزب الشيوعي

من الناحية الآيديولوجية يستند الحزب الشيوعي السوفيتي على الآيديولوجية الماركسية وباضافات لينين عليها ، فقد جاء في النظام الداخلي للحزب أن الحزب الشيوعي السوفيتي يسترشد في نشاطه كلّه بالتعاليم الماركسية اللينينية ومواصلة سير المجتمع السوفيتي نحو الشيوعية(١٧) . أما عمل الحزب فانه يقوم على أساس مبدأ المركزية الديمقراطية والذي يعني خضوع الأقلية إلى الأغلبية والزامية قرارات الهيئات العليا للدنيا وانتخاب جميع هيئات الحزب من القاعدة الى القمة ومايتبغي الإشارة اليه أن مبدا المركزية الديمقراطية قد أثار اهتمام الكثير من الباحثين المهتمين بالشأن الديمقراطي .

يقول ميشال لوساج ان المركزية تقتضي واجبات الزامية دائمة . فالعضو في الحزب لايستطيع أن يبدي احساسا بانه يعارض برنامج الحزب او توجهاته الأساسية . وعلى هذا فالمناقشات في القضايا الأساسية تدور بلغة مزخرفة وكثيرا ماتكون باطنية ، والذين يدافعون عن افكار مخالفة للعقيدة معرضون دوما لخطر اقصائهم عن المجتمع ، ويشتد هذا الخطر اذا كان النزاع خطير الشأن وكان الفرد المخالف وحيدا في الميدان .

وكذلك فان انتخاب جميع أجهزة الحزب من القاعدة الى القمة يعاني قيودا مردّها إلى مركزية النظام ، فرغبة هذا النظام بالحفاظ على وحدته يؤدي به الى استخدام التعيينات او على الأقل التوصيات. ويضيف لوساج أن مفهوم المركزية الديمقراطية يخفي حقائق مختلفة جدا داخل التظام . إن لفظة المركزية الديمقراطية غامضة لأنها كثيرا ماتستعمل لوصف وضعين غير متماثلين قيادة مركز واحد لمجموعة من المنظمات من جهة وتركيز السلطة في هذا المركز من جهة أخرى(١٨). والملاحظ أن القاعدة العامة هي تغليب المركزية على الديمقراطية في الأحزاب الشيوعية الحاكمة خصوصا في أوقات اشتداد النشاط الجماهيري المطلبي، بهدف الحد من هذا النشاط وتحجيمه. والجدير بالذكرأن مبدأ المركزية الديمقراطية هو مبدأ شامل ليس للحزب فحسب بل لكل مؤسسات الدولة بما فيها المنظمات الإجتماعية. أما هيكلة الحزب فتعد الخلايا او التنظيمات الأولية هي نواة البناءالتنظيمي للحزب الشيوعي، وهناك اربعة اجهزة او مستويات تنظيمية رئيسية وهي :

أ- مؤتمر الحزب

ويعد رسميا أعلى سلطة في الحزب وهو يعين خط الحزب في السياسة الداخلية والخارجية،فنصت لائحة الحزب الصادرة عام ١٩٥٩ على أن يعقد المؤتمر سنويا، وفي فترة حكم ستالين عام ١٩٤٣ جعل فترة انعقاده كل ثلاث سنوات مع أن تلك الفترة لم تشهد التزاما بذلك، ثم عدّل ذلك عام ١٩٥٢ فجعل انعقاده كل اربع سنوات. غير ان المؤتمر السابع عشر عقد في عام ١٩٣٤والمؤتمر الثامن عشر عقد في عام ١٩٣٩ بينما عقد المؤتمر التاسع عشر في عام ١٩٥٢(١٩).

١٧- النظام الداخلي للحزب الشيوعي السوفيتي – اقره المؤتمر السابع والعشرين للحزب في ١١ اذار١٩٨٦ ، دار وكالة نوفوستي ، موسكو ، ١٩٨٦، ص ٤.

١٨-- لوساج ميشال ، النظام السياسي والاداري في الاتحاد السوفيتي ، منشورات عويدات ، بيروت –باريس ، ١٩٨٣ ،ص ٢٤.

١٩- غطاس اسكندر ، المصدر نفسه ص ٤٩٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإذا علمنا أن المؤتمرات في مقدمة مهماتها مراجعة عمل اللجنة المركزية بين مؤتمرين لأتضح لنا ان استبعاد المؤتمرات هو بهدف تغييب الإرادة العامة للحزب واحتكار سلطة اتخاذ القرار في شؤون الحزب والدولة من قبل النخبة القيادية . كما أن إرادة النخبة القيادية تختزل إلى المكتب السياسي وإرادة المكتب السياسي تختزل الى سكرتير الحزب .

ب : - - اللجنة المركزية

وتقود الحزب بين مؤتمرين وتعقد اجتماعها الكامل مرة واحدة على الأقل كل ستة اشهر، وبلغ عدد اعضاء اللجنة المركزية من قبل المؤتمر السابع والعشرين للحزب في فبراير ١٩٨٦ حوالي (٣٠٧)اعضاء ممن لهم حق التصويت على القرارات ، وقد يؤدى طول الفترة الزمنية بين اجتماعين الى الحد من فاعلية اللجنة المركزية ويقلص صلاحياتها، وهذا ماحصل في الفترة الستالينية بشكل خاص فلم تعقد اللجنة المركزية منذ سنة ١٩١٩ حتى ١٩٥٢ سوى خمسة اجتماعات فقط في حين كان ينبغي ان تعقد اربعين اجتماعا .

ج : - المكتب السياسي

وتنتخبه اللجنة المركزية، وهو الذي يقود الحزب بين اجتماعين كاملين لها (اللجنة المركزية) وعمليا فإن المكتب السياسي هو الذي يختار اعضاءه وتصادق عليهم اللجنة المركزية، وقد اختلف عدد اعضائه من فترة لأخرى، ففي تشكيله الناتج عن اجتماع الهيئة العامة للجنة المركزية في ٢٦ و٢٧ نيسان ١٩٧٣ فيه ١٦ عضوا ،٨ منهم يمثلون جهاز الحزب و٦ منهم يمثلون جهاز الدولة وواحد فقط منهم لمجالس السوفيات وواحد آخر للنقابات ،و١٣ يمثلون أجهزة مركزية و٣ يمثلون أجهزة جمهورية ومحلية . فالملاحظ هنا هو عملية جمع سلطات الحزب والدولة بيد بعض الأشخاص.

د : - السكرتارية

ومهمتها قيادة العمل اليومي وانتقاء الملاكات والرقابة على التنفيذ، ويختلف عدد اعضائها من مرحلة لأخرى ولكنها عادة ماتتكون من عشرة اعضاء. السكرتير العام وعدد من السكرتاريين تنتخبهم اللجنة المركزية . وهم أعضاء المكتب السياسي، وسكرتارية الحزب هي الجهاز الدائم الذي يقوم بمتابعة تنفيذ مايصدره المكتب السياسي من قرارات وتجتمع اسبوعيا ولكن نشاطاتها غير معلنة بشكل عام السكرتير العام وهو أعلى منصب في الدولة من الناحية الفعلية والمصدر الحقيقي للسلطة .

وتقوم اللجنة المركزية بانتخابه وذلك بناءً على توصية من المكتب السياسي، وعليه فإن عملية الإنتخاب لاتعدو كونها سوى عملية شكلية، فليس هناك من يتجرأ على مخالفة توصية المكتب السياسي. وللسكرتير العام دور محوريّ في عملية صنع السياسة الداخلية والخارجية والقضايا المتعلقة بالأمن القومي كما يلعب معاونوه دورا هاما في هذا المضمار(٢٠). والجدير بالذكر فأن عملية تحديد السلطة هي عملية معقدة، نظرا لسرية العمل في القيادات العليا وهناك العديد من الوقائع اثبتت ان السلطة قد تركزت في المكتب السياسي لفترة طويلة، وبعض الفترات شهدت تعاظما لدور الأمين العام خاصة في فترة ستالين وخروتشوف وغرباتشوف ،ففي احدى تصريحات غورباتشوف ذكر أنه ليس هناك شخصية في العالم

٢٠- الشيخ نور هان ، دور النخبة الحاكمة في هيكلة السياسة الخارجية ، القاهرة، ٢٠٠٠. ص٦٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمتلك السلطات التي يمتلكها.

٢ : ـ الدولة

تعد الدولة أكبر وأبرز مؤسسة من مؤسسات النظام السياسي، وهذا لايعني أن النظام السياسي يمكن ان يكون هو الدولة فالنظام السياسي مفهوم اوسع من الدولة حيث يضم مؤسسات أخرى ويقف في مقدمتها الحزب فعلاقة الدولة بالنظام السياسي هي علاقة الجزء بالكل . وهيئات الدولة هي كما يلي:

أ : ـ السلطة التشريعية ..

إذا كانت السلطة التشريعية هي الأساس في ايّ نظام سياسي فإننا نستطيع أن نقول بأنها ورغم عدم وجود فصل بين السلطات فقد كانت تتمثل منذ قيام السلطة السوفيتية في أكتوبر ١٩١٧ بسوفيتات العمال والفلاحين والجنود طبقا للشعار الذي رفعه الشيوعيون آنذاك (كل السلطة للسوفيتات). وعندما جاء دستور ١٩٣٦ اكّد ايضا على أن السلطة ترجع للسوفيتات نواب (شغيلة المدن والقرى)(٢١). ولكن عندما جاء دستور ١٩٧٧ فأنه لم يحصر السلطة بسوفيتيات نواب (شغيلة المدن والقرى) وإنما أكد على أن كل السلطة في الإتحاد السوفيتي ترجع للشعب الذي يمارسها عن طريق (سوفيتات نواب الشعب) (٢٢)،

فقد ادخل الدستور (المثقفين) بالإضافة للعمال والفلاحين كعنصر جديد في تركيب البروليتاريا (م١). وهكذا نجد أن السلطة التشريعية بقيت بيد نواب السوفيتات التي مثل مجلس السوفيت الأعلى قمتها .

لقد اشار دستور ١٩٣٦ صراحة إلى أن ((السلطة التشريعية في الإتحاد السوفيتي تمارس من قبل مجلس السوفيت الأعلى وحده))، لكن دستور عام ١٩٧٧ لم يشر الى ذلك صراحة وإنما أكد على أن ((السوفيت الأعلى في الإتحاد السوفيتي هو الهيئة العليا لسلطة الدولة....)) اما فيما يخصّ التشريع فأنه ربط حق المبادرة التشريعية بالإضافة الى مجلس السوفيت الأعلى بالمؤسسات التشريعية والتنفيذية ومنظمات اجتماعية متمثلة بهيئاتها العليا. ويتميز نطاق عمل السوفيت الأعلى في الاتحاد بانه واسع جدا ، فهو يقر ويعدل دستور الإحاد السوفيتي ويقرّ قوانين الإتحاد ويشكل هيئات الإتحاد التي ستكون مسؤولة أمامه ويضع الميزانية ويقرّ قبول وتأسيس جمهوريات في الإتحاد. ويتألف مجلس السوفيت الاعلى (١٥١٧عضوا) من مجلسين هما، مجلس الإتحاد (٧٦٧عضوا) ومجلس القوميات (٧٥٠عضو) الأول ينتخب على أساس دوائر انتخابية متساوية العدد من السكان أما الثاني تنتخب على اساس ٣٢ نائبا عن كل جمهورية متحدة و١١ نائبا عن كل جمهورية ذات حكم ذاتي و ٥نواب عن كل مقاطعة ذات حكم ذاتي ونائب واحد عن كل دائرة ذات حكم ذاتي .ويكون انتخاب النواب في مجلس السوفيت الاعلى وبقية سوفيتات نواب الشعب على اساس الإنتخاب العام المباشر وبالإقتراع السري أما الذين يعود لهم حق الترشيح للنيابة فيجب أن يكونوا داخل إطار تنظيمي وليس فردي مثل الحزب الشيوعي وإتحاد الشبيبة اللينيني والمنظات التعاونية والعسكريين حسب وحداتهم وسائر المنظمات الإجتماعية والعمالية. وينتخب السوفيت الأعلى في الإتحاد والجمهوريا ت الإتحادية والجمهوريات ذات الحكم الذاتي لمدة ٥ سنوات وقد

---

٢١ ـ الدستور – القانون الاساسي لاتحاد جمهوريات السوفيت الاشتراكية ،دار اسعد ،بغداد ، ١٩٥٩

٢٢ـ دستور اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية (القانون الاساسي) اقره السوفيت الاعلى في الاتحاد السوفيتي في ٧ تشرين الاول ١٩٧٧ ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حدد الدستور دورات انعقاد مجلس السوفيت الأعلى فقط بمرتين في العام مع وجود دورات استثنائية وهي مدة لاتكفي لإنجاز عمله بكفاءة واقتدار .

هيئة رئاسة مجلس السوفيت الأعلى (البرزيديوم): -

وتعد بمثابة الهيئة العليا لسلطة الدولة وقد وجدت لتحل محل السوفيت الأعلى بين دورات انعقاده. وينتخب مجلس السوفيت الأعلى من بين النواب رئيسا لهذه الهيئة ونائبا اول للرئيس و١٥ نائبا له على أساس نائب واحد لكل جمهورية متحدة ، وامين سر هيئة الرئاسة و٢١ عضوا ،اما صلاحيات هذه الهيئة فقد حددتها من الدستور بـ ١٨موضوعا تتوزع بين تنسيق نشاط لجان الدولة والرقابة على التقيد بالدستوروتفسيرالقوانين وتحديد موعد انتخابات السوفيت الأعلى وإبرام وفسخ المعاهدات الدولية وإعلان حالة الحرب (بين دورتي المجلس)ومواضيع أخرى نصت عليها. وهكذا يبدوأن صلاحيات هذه الهيئة هي أشبه ماتكون بصلاحيات رئيس الجمهورية، ولكن مايختلف هنا هو أن هذه (الرئاسة) هي رئاسة جماعية ومع ذلك فإن رئيس هيئة رئاسة السوفيت الأعلى هو بمثابة رئيس الدولة. وكامتداد للسلطة التشريعية في بقية انحاء الإتحاد السوفيتي هنالك مجالس للسوفيت الأعلى في الجمهوريات المتحدة وذات الحكم الذاتي (وهي أعلى سلطة فيها) تقر دستور جمهوريات وتتخذ القوانين، لكن ضمن نطاق الجمهوريات واستنادا الى اللوائح التشريعية الصادرة من سلطة الإتحاد. وينتخب السوفيت الأعلى في هذه الجمهوريات (هيئة رئاسة السوفيت الأعلى) وكذلك مجلس وزراء الجمهورية. وهناك بالإضافة إلى ذلك (سوفيتات نواب الشعب المحلية) في المدن والأحياء وماشاكل وتكون مدة انتخابها سنتين ونصف. وبالنسبة للأقاليم والمقاطعات ذات الحكم الذاتي والنواحي والمدن والأحياء والبلدات والقرى فإن (سوفيتات نواب الشعب) هي الهيئات العليا للسلطة في تلك المناطق وتبت في المسائل المحلية التابعة لمصالح الدولة في مناطقها وتمارس الإشراف على مؤسسات المواطنين المتواجدين في مناطقها. وتنتخب لجانا تنفيذية تكون مسؤولة أمامها.

ب : -السلطة التنفيذية

إن هيئات إدارة الدولة التنفيذية هي بالدرجة الأولى مجلس وزراء الإتحاد السوفيتي ومجالس وزراء الجمهوريات المتحدة وذات الحكم الذاتي والوزارات ولجان الدولة وغيرها من الادارات .وكذلك اللجان التنفيذية للسوفيتات المحلية واقسام وإدارات اللجان التنفيذية. وكل ذلك هو شبكة موحدة لهيئات إدارة الدولة يترأسها مجلس وزراء الإتحاد السوفيتي(٢٣). (وفي ١٤مارس ١٩٩٠ حصل تعديل دستوري استحدث فيه منصب رئيس الإتحاد السوفيتي ومنحه سلطات واسعة النطاق فهو الذي يمثل الإتحاد على الصعيد الدولي ويقوم بالتفاوض وتوقيع المعاهدات كما أنّ له سلطاتٍ تشريعية وتنفيذية واسعة على الصعيد الداخلي، منها تعيين رئيس مجلس الوزراء والتصديق على القوانين وإصدار مراسيم لها قوة القانون وفي سبتمبر ١٩٩٠ منح الرئيس صلاحيات إضافية في المجالين الإجتماعي والإقتصادي بهدف الإسراع للتحول لإقتصاد السوق واحفاظ على النظام والقانون.(٢٤)

٢٣-غريغويانل ، مبادئ الدستور السوفيتي ، ت خيري الضامن ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٠،ص ٧٤.

٢٤- الشيخ نورهان ، مصدر سابق ، ص ٦٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلس الوزراء: -

نصت المادة (١٥٨)من دستور ١٩٧٧ على أنه (حكومة الإتحاد السوفيتي، هي الهيئة التنفيذية والإدارية العليا لسلطة الدولة في الإتحاد السوفيتي) ويُشكّل هذا المجلس عن طريق مجلس السوفيت الأعلى بجلسة مشتركة من رئيس ونواب اوائل ونواب ووزراء الإتحاد ورؤساء للجان الدولة كما أنه يضم رؤساء مجالس وزراء الجمهوريات المتحدة بحكم-مناصبهم. ويكون هذا المجلس مسؤولا امام مجلس السوفيت الأعلى في الإتحاد السوفيتي وهيئة رئاسته. وقد منح الدستور هذا المجلس صلاحيات اتخاذ اجراءات تأمين مصالح الدولة داخليا وخارجيا وكما هوالحال في مجلس السوفيت الأعلى وينتخب

مجلس الوزراء (هيئة رئاسة مجلس وزراء الإتحاد السوفيتي) والتي تتكون من رئيس ونواب أوائل ونواب وتعدّ جهازا دائما لمجلس الوزراء. ولمجلس وزراء الإتحاد السوفيتي سلطة واسعة على مجالس وزراء الجمهوريات المتحدة. وكامتداد للسلطة التنفيذية في بقية أنحاء الإتحاد هنالك مجالس للوزراء في الجمهوريات الإتحادية والجمهوريات ذات الحكم الذاتي تعتبر بمثابة حكومات لها. لكن الدستور اولى أهميته فقط إلى مجالس وزراء الجمهوريات المتحدة حيث أشار إلى أنّها تكون مسؤولة أمام السوفيت الأعلى في الجمهورية المتحدة وكذلك امام هيئة رئاسة السوفيت الأعلى فيها (بين دورتي انعقاد). وقد كفل الدستور لمجلس الوزراء في الجمهورية المتحدة سيطرته على مجلس وزراء الجمهوريات ذات الحكم الذاتي واللجان التنفيذية لسوفيات نواب الشعب في التقسيمات الإدارية الأخرى من خلال اعطائه الحق بوقف تنفيذ قراراتها وأوامرها.

ج : - السلطة القضائية*

تعتبر المحكمة العليا في الإتحاد السوفيتي هي الهيئة القضائية العليا وهي تمارس مراقبة النشاط القضائي في عمومه، والى ذلك أشارت المادة (١٥٣)التي حدّدت اشخاص هذه المحكمة برؤساء المحاكم العليا في الجمهوريات المتحدة بحكم مناصبهم. والقضاء في الإتحاد السوفيتي كما أشارت المادة (١٥١) تتولاه المحكمة والمحاكم في الإتحاد السوفيتي متنوعة تتشكل عن طريق الإنتخاب_لاالتعيين_لقضاتها لمدة (٥سنوات)ولمحلفيها (لمدة سنتين ونصف) وهي (المحكمة العليا في الإتحاد السوفيتي) وينتجها مجلس السوفيت الأعلى في الإتحاد السوفيتي، و(المحاكم العليا) في الجمهوريات المتحدة والجمهوريات ذات الحكم الذاتي وينتخبها مجلس السوفيت الأعلى فيها ومحاكم الاقاليم والمدن والمقاطعات ومحاكم المقاطعات ذات الحكم الذاتي وتنتخبها سوفيتات نواب الشعب في تلك المناطق. وفي اسفل الهرم الإداري توجد (المحاكم الشعبية) التي ينتخبها ايضا سوفيتات نواب الشعب في النواحي والمدن، وهناك ايضا (المحاكم العسكرية) وهذه المحاكم يُنتخب قضاتها من قبل مجلس السوفيت الأعلى في الإتحاد السوفيتي مباشرة، أما محلفيها فتنتخبهم المجالس العسكرية وبالنسبة للإدعاء العام فقد اناطت به المادة (١٦٤) وبالمدعين العامين الخاضعين لسلطته مهمة المراقبة العليا لتنفيذ القوانين في الوزارات ومؤسسات الدولة ومنظماتها ومواطنيها، والمدعي العام في الإتحاد السوفيتي يكون معينا من قبل السوفيت الأعلى ويكون مسؤولا امامه. وقد أشارت المادة (١٦٨) إلى أن هيئات الإدعاء العام ((تقوم بصلاحيتها بصورة مستقلة عن اية هيئة محلية ولاتخضع إلا للمدعي العام في الإتحاد السوفيتي)). ومن خلال دراستنا لأهم

*** صحيح ان الدستور ثبت استقلالية القضاء الا ان الواقع غير ذلك فالقضاء مسؤول امام السوفيت الاعلى ، كما تفرض عليه رقابة حزبية . انظر لوساج مصدر سابق ص ٢٨٤.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عناصر النظام السياسي يتضح لنا أن مركز الثقل في هذا النظام يتمثل بالحزب الشيوعي الذي يهيمن على كلّ أجهزة الدولة والمجتمع فهو يتولى بنفسه عملية الترشيح لعضوية مجلس السوفيت الأعلى

بالتشاور مع الإتحادات العمالية والتعاونيات ومنظمات الشباب وهي مؤسسات تابعة للحزب. فالعملية الإنتخابية لاتعدو كونها عملية شكلية يفرض بها الحزب مرشحيه على الجماهير، ومن خلال هيمنة الحزب على عملية الترشيح والتعيين للمناصب العليا وعلى كافة أجهزة الدولة (وتتركز السلطة في شخص السكرتيرالعام الذي يقود السكرتارية والمكتب السياسي الممثل لمحور العملية السياسية (٢٥).

هذا من جانب ومن جانب آخر فليس هناك عملية فصل بين السلطات. ففي هذا الوضع نجد تجاوزا على مبدأ أساسي من مبادئ النظام الديمقراطي وهو مبدأ الفصل بين السلطات الذي ارتبط باسم مونتسكيو منذ القرن الثامن عشر .

الفرع الثالث : ـ مفهوم العلاقات الدولية

قبل الحديث عن مفهوم النظام للعلاقات الدولية لابدّ من التعرف على معنى العلاقات الدولية بشكل عام. بداية نشيرالى أن الملاحظة التي توصلنا اليها خلال عملية البحث هي عدم اتفاق الباحثين والمختصين على تعريف شامل وجامع للعلاقات الدولية .

فتعددت التعاريف بشان العلاقات الدولية وتنوعت بتعدد المدارس والإتجاهات الفكرية والزاوية التي ينظر من خلالها كلّ مفكر لهذه العلاقات. فأنصار المدرسة الواقعية مثلا يعرّفون العلاقات الدولية من خلال المتغير الرئيسي الذي يعتمدون عليه في تحليلهم للعلاقات الدولية ألا وهو متغير القوة . فهم يعرفون العلاقات الدولية على أنها علاقات صراع قوة ومن اجل القوة. أما أنصار نظرية التكامل الدولي فانهم يعرّفون العلاقات الدولية من خلال الموضوع للنظرية والمتمثل في التكامل الدولي، حيث ينظرون إلى هذه العلاقات على أنها علاقات سيطرة وتبعية سيطرة دول المركز على دول المحيط وتبعية هذه الأخيرة لدول المركز. ويعرف جون بورتون العلاقات الدولية بأنها علم يهتم بالملاحظة والتحليل والتنظير من أجل التفسير والتنبؤ. ماكيلاند يعرفها بأنها دراسة التفاعلات بين أنواع معينة من الكيانات الإجتماعية. ويعرفها هارتمان بأنها كل ما يتعلق بالإتصالات فيما بين الدول، وكل حركات الشعوب والسلع والأفكارعبر الحدود الوطنية(٢٦). أما سيمون دريفوس فتعريفه ينص على أنها العلاقات التي تتجاوز حدود الدولة الواحدة في إطار مجموعة دولية لاتخضع لسيطرة دولة واحدة(٢٧). لكن العلاقات الدولية بمفهومها الواسع هي علاقات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وآيديولوجية وعسكرية على مستوى الدول ومجموعات الدول والمنظمات الدولية والمنظمات البين حكومية والمنظمات غير الحكومية والشعوب التي تناضل من أجل الحرية(٢٨). .

٢٥ـالشيخ نورهان ، مصدر سابق ،ص ٦٥.

٢٦ـتوفيق سعد حقي ـ مبادئ العلاقات الدولية، الأكاديمية العربية في الدانمارك السنة بلا ص١٢

٢٧ـ علاء ابو عامر ـ العلاقات الدولية ــ دار الشروق ، الأردن عمان ، دار ٠٠٤ ص٢٣

٢٨ـ المصدر نفسه، ص ٢٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما كويسي رايت فقد قدم تعريفا واسعا للعلاقات الدولية ، ينبع من نظرته إلى العلاقات الدولية، بأنها علاقات شاملة تشمل مختلف االعلاقات الدولية سواء كانت علاقات رسمية أم غير رسمية (٢٩) . ويعرفها مارسيل ميرل بأنها كلّ التدفقات التي تعبر الحدود، أو حتى تتطلع نحوعبورها، وهذه التدفقات يمكن وصفها بالعلاقات الدولية، وتشتمل على العلاقات بين حكومات هذه الدول وعلى العلاقات بين الأفراد والمجموعات العامة والخاصة الواقعة على جانبي الحدود، كما تشتمل على جميع الأنشطة التقليدية للحكومات – الدبلوماسية ، الحرب ...الخ. ولكنها تشتمل أيضا وفي الوقت نفسه على تدفقات من طبيعة أخرى- اقتصادية ، آيديولوجية ، سكّانية ، رياضية ، ثقافية ، سياحية ...الخ (٣٠).

وهكذا فالعلاقات الدولية لاتشمل العلاقات بين الدول فقط وإنما تشمل الكيانات الأخرى مثل المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية والإتصالات والنقل والتجارة والمال والزراعة والعمل والصحة والعلوم والفلسفة والثقافة مما قد أرسى العديد من العلاقات الإجتماعية الدولية وساعد ذلك على ظهور مصطلح الدولية لإضفاء النشاط الواسع على العلاقات بين الدول (٣١) .

والعلاقات الدولية حسب تحديد باحث أخر هي تفاعلات ثنائية الأوجه أو تفاعلات ذات نمطين ، النمط الأول هو نمط تعاونيّ والنمط الثاني هو نمط صراعيّ ، إلّا أن النمط الصراعيّ هو النمط الغالب على التفاعلات الدولية برغم محاولة الدول إخفاء او إنكار تلك الحقيقة، بل اننا يمكننا القول بأن النمط التعاوني الذي قد تبدو فيه بعض الدول هو نمط موجه لخدمة صراع آخر قد تديره الدولة او تلك الدول مع دولة أو مجموعة دول أخرى. فعلى سبيل المثال نجد أنّ الأحلاف والروابط السياسية بين مجموعة من الدول هي في صورتها الظاهرية قد تأخذ النمط التعاوني بين تلك الدول ، برغم حقيقة قيامها لخدمة صراع تلك المجموعة من الدول ضد مجموعة اخرى. أكثر من ذلك فإن النمط التعاوني للعلاقات بين دولتين (مثل تقديم العون والمساعدات الإقتصادية والعسكرية)، قد يحمل في طياته محاربة من إحداهما للتأثير على قرار الأخرى وتوجيه سياستها بما يخدم مصالحها أو تكتيكها ، بمجموعة من القيود التي تتراكم كنتاج للتأثير والنفوذ . لذلك نجد أن التحليلات والنظريات في العلاقات الدولية ترتكز كلّها على النمط الصراعيّ منها، انطلاقا من دوافع ومحددات مثل القوة والنفوذ والمصلحة فضلا عن الدوافع الشخصية . ويعد الصراع بمثابة نمط تحليلي خصب من أنماط العلاقات السياسية الدولية فهو مليئ بتفاعلات متعددة الأبعاد . بل أنه يجمع في طياته النمط التعاوني نفسه والذي يعاد توظيفه في معظم الأحيان لخدمة النمط اوالبعد الصراعي للتفاعلات الدولية. أمّا إذا تناولنا العلاقات الدولية كعلم فنجد أنّه نتيجة لزيادة الإهتمام بالعلاقات الدولية ظهرت رغبة جديّة من قبل الهيئات العلمية والدولية المعنية بها لتحديد معالمها كفرع من فروع السياسة. وتجسيدا لهذه الرغبة اجتمع نخبة من علماء اليونسكو في باريس عام ١٩٤٨ وتوصلوا في اجتماعهم الى تحديد المواضيع التي تدخل ضمن العلاقات الدولية وهي السياسة الدولية، المنظمات الدولية والقانون الدولي، بعدها أقرّت هيئة اليونسك في اجتماعها المنعقد عام ١٩٥٢ أن العلاقات الدولية هي جزء من علم السياسة للإعتبارات التالية: – (٣٢)

٢٩- توفيق سعد حقي ، مصدر سابق ، ص ١٣.

٣٠- ميرل مارسيل ، سوسيولوجيا العلاقات الدولية ، ت حسن نافعة ، دار المستقبل العربي ،القاهرة ١٩٨٦، ٩٨-,٩٩

٣١- توفيق سعد حقي ، مصدر سابق ، ص١٤

٣٢- حسن صعب – علم السياسة دار العلم للملايين ، السنة بلا ، ص

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا- أن هدف كل العلاقات الدولية وعلم السياسة واحد وهو دراسة السلطة والجماعة سواء كانت محلية أو قومية أو دولية .

ثانيا- وسائل البحث وأسس الدراسة في كل من العلاقات وعلم السياسة واحدة.

ثالثا - علم السياسة يدور حول دراسة الدولة ولايمكن أن تقوم علاقات دولية بغير وجود دولة ، فمادة العلاقات الدولية هي جزء من العلوم السياسية.

رابعا - دراسة السياسة الخارجية هي جزء أساسي من مادة العلاقات ، وهذه السياسة الخارجية مرتبطة بنظام الحكم داخل الدولة، كما أن نظام الحكم هو جزء من مادة سياسية.

خامسا - دراسة السياسة الخارجية، هي جزء من دراسة العلاقات الدولية فهناك علاقة عضوية تربطهما. وعلى هذا فعلم العلاقات الدولية مرتبط بعلم السياسة . وإن هدف العلاقات الدولية هو السعي للحصول على معرفة عامة حول سلوك الجماعات السياسية وسلوك الأفراد والمساعدة على فهم الأحداث أو القضايا الدولية، وتشتمل العلاقات الدولية على وسائل وطرائق تحليل الإفتراضات والوقائع السياسية وتفسير الأحداث في العلاقات بين الدول، بما يسهم في الوصول الى حلّ المشكلات الدولية والمساهمة في تطوير العلاقات بين الدول وتحقيق أفضل النتائج.

ويرى الفرنسي ريمون أرون ان علم العلاقات الدولية هو علم يهتم بعلاقات غير اجتماعية الا جزئيا، لأنها تجري في وسط يتميز بالفوضى (أي لايخضع لسلطة مركزية) وبحق لكل دولة (فعليا) في اللجوء إلى القوة عند الاقتضاء ، وهو يعني مايعني أنه يفصل علم العلاقات الدولية (بالمعنى المعرفي) عن حقول العلوم الأخرى المهتمة بالعلاقات الإجتماعية داخل المجتمع المنظم(٣٣) .

لذا جاء تحديد موضوع العلاقات الدولية لدى ستانلي هوفمان جامعا بين المفهومين فهذه الأخيرة بحسب تعريفه (تعنى بالعوامل والأعمال التي تؤثر في السياسات الخارجية والقوة للوحدات السياسية التي ينقسم اليها العالم). وفي حين كانت هذه هي النظرة الغربية الى علم العلاقات الدولية، المدرسة الماركسية تختلف كل الإختلاف اذ ينطلق الأخيران من نظرية تقول (أن السياسة الخارجية مرتبطة ارتباطا وثيقا لا انفصام فيه بالسياسة الداخلية وتعكس طابع النظام السياسي والإجتماعي للدولة).ومن هنا فأن الماركسيين لايقبلون التركيز على الصراع والقوة ، وحصر الموضوع في الدبلوماسية والحرب وفصل السياسة الدولية عن السياسة الداخلية والتشديد على الإنقسام الدولي وهزالة الإعتماد المتبادل والمؤسسات والقانون، وإهمال الإقتصاد وتعقيداته، وغياب النظرة الشمولية بل يتعاملون مع العلاقات الدولية بمفهومها الشامل الواسع (٣٤).

الفرع الرابع - مفهوم النظام السياسي السوفيتي للعلاقات الدولية

لعبت الآيديولوجية دورا كبيرا في صياغة بنية الفكر الإستراتيجي للإتحاد السوفيتي، وعلى مدىً زمني تجاوز أكثر من سبعين عاما من القرن العشرين ، لتحدد طبيعة التعامل ليس مع دول المعسكر الرأسمالي

٣٣- ابو عامر علاء ، مصدرسابق ، ص ٢٤,

٣٤- ابو عامر علاء ، مصدر سابق ، ص ٢٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فحسب، بل مع بقية دول العالم ايضا، وإلى الحد الذي انقسم فيه العالم فعلاً بين : دول تدين بالآيدلوجية الماركسية، وأخرى تذهب بولائها إلى الفكر الرأسمالي – الليبرالي، إذ صورت الماركسية ـ اللينينية صراعها مع القوى الرأسمالية على أنه صراع بين قوى الخير والشر ، صراع بين قوى مستغِلة واخرى مستغَلة، وإن المجتمع الدولي ما هو إلا مجتمع طبقي تحكمه اقلية من الدول الغنية الى جانب اكثرية من الدول الفقيرة المستغلة، وعلى هذا تعد المناطق التي تكون فيها القوى من الفئة الأولى أي الدول الإستعمارية والإمبريالية هي مناطق صراع وسوح مجابهة، وحتمية هذا الصراع ستقود إلى انتصار القوى الاشتراكية ـ الشيوعية [٣٥] . كما أنه من الحقائق المعروفة إن الفكر الإستراتيجي في الحقبة السوفيتية كانت قد تمت صياغته على ضوء الآراء الحزبية للنظرية الماركسية ـ اللينينية واسهامات المفكرين السياسيين والعسكريين السوفيت، وخبرة الحروب السابقة في الحربيين العالميتين : الأولى والثانية، أي أنه كان فكرا استراتيجيا مؤدلجا من ناحية ،وواقعيا من ناحية أخرى، وقد تلخصت هذه العقيدة في الآتي.

١ _عدّ الحرب ظاهرة اجتماعية تأريخية تحدث في مرحلة معينة من مراحل تطور المجتمع الطبقي ، فهي أحد الأشكال السياسية للصراع بين الطبقات بل أن جميع الحروب هي حروب طبقية بما في ذلك الحروب الإستعمارية والحروب الثورية وحروب التحرر الوطني والقومي.

٢ _ستلجأ القوى الرأسمالية الى إشعال الحروب في أي مكان من العالم من أجل السيطرة وتحقيق مصالحها العالمية، الأمر الذي يفرض على السوفيت تبني مفهوم عالمي للأمن يمتد خارج الحدود الاقليمية للاتحاد السوفيتي ليشمل الأعضاء في حلف وارسو والاصدقاء والحلفاء في المنطقة العربية واسيا وأمريكا اللاتينية (٣٦). لقد إعتنقت هذه الثورة عقيدة عالمية تنكر كلّ النظم الإجتماعية والسياسية الأخرى القائمة. لقد آمنت بحتمية صيرورة العالم بأكمله الى الشيوعية نتيجة لمراحل التأريخ الحتمية. فآمنت بالصراع الطبقي وبحتمية اصطدام مصالح الطبقة الرأسمالية التي تستمد دخلها من الملكية الخاصة بمصالح الطبقة البروليتارية التي تعتمد في حياتها اساسا على بيع قوتها العمالية، لتصبح الحرب حتمية بينها، وبها ينهار النظام الرأسمالي وتنتصر الشيوعية على انقاضه المتداعية . والثورة لابدّ أن تأتي دائما عن طريق العنف. يقول لينين ((حينما يقوى ساعدنا لدرجة تكفي الحاق الهزيمة بالرأسمالية كلها، لن نتوانى لحظة عن تحقيق ذلك، وطالما تعيش الرأسمالية إلى جوار الإشتراكية فلن يطيب لنا مقام ولابدّ أن تكون النهاية لأحداهما، فإما أن يعزف اللحن الجنائزي على روح الجمهورية السوفياتية، أو على روح العالم الرأسمالي))[٣٧] . بتعبير آخر رأى لينين أن الإستعمار يرجع الى المنافسة بين الإحتكارات العالمية في سبيل أكبر قدر ممكن من الأرباح عن طريق السيطرة المباشرة على الأسواق والمواد الخام، وكلما نمت الرأسمالية كلّما زادت حاجتها إلى المستعمرات ، ومن هنا سوف تنشأ ظاهرة الإستعمار كدليل على نمو الراسمالية الاحتكارية. يترتب على ذلك أن كيفية القضاء على الرأسمالية وإنتصار الثورة البروليتارية العالمية يتطلب أولا تجفيف مصادرالحياة للنظام الرأسمالي في المستعمرات مما يتطلب تشجيع الحركات الوطنية

٣٥ـ محمد فهمي عبد القادر ، المدخل لدراسة الاستراتيجية ، بغداد ٢٠٠٤، ص ٣١٠

٣٦ـ عبد العزيز محمد اسامه ، السياسة الدفاعية الروسية في بداية القرن الواحد والعشرين ، مجلة السياسة الدولية ، العدد (١٤٢) ، ٢٠٠٠، ص ٢٤٧,

٣٧ـ ابادوراي أ ، ت عبد الله حسين ، استخدام القوة في العلاقات الدولية ، الدار القومية ، القاهرة ، ص

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإستقلالية فيها حتى يفقد النظام الرأسمالي مصادرقوته، وهذا يعني أن تاييد هذه الحركات لايتم إلا بوصفها كحركات تحرر وطني من شأنها إضعاف النظام الإستعماري مما يستتبع التحفظ إزاء الحركات التي لاتؤدي الى تلك النتيجة .

والجدير بالذكرفللمرة الأولى وجد نظام دولة تقوم على الملكية العامة إلى جانب الدول القائمة على الملكية الخاصة للأراضي والصناعة والمال والتجارة. ولهذا قوبل ظهور روسيا السوفياتية في حلبة السياسة الدولية بخوف وعداء شديدين، على إعتبار أنها شوهت التعايش الذي كان قائما قبل ظهورها. فقامت الدول الغربية بمحاولة التدخل عسكريا في الشؤون السوفياتية، لمنع أو تشويه التعايش . وحينما فشل هذا التدخل في التغلب على الحكومة البلشفية في قلبها أو زعزعة نفوذها وأجبرت الجيوش الأجنبية على الإنسحاب من اراضيها. ولمّا لم تتبدل الأوضاع في الدول الأخرى الراسمالية وبقيت ذات إقتصاد رأسمالي قائم على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج واستثمار خاص في البلاد المستعمرة ، ولم تصل بعد الحركات الثورية داخلها الى مستوى فرض تغيير في نظمها القائمة . طرح التساؤل عن الحد الذي يجب أن تصل اليه العلاقات بين روسيا الإشتراكية والدول الراسمالية؟ فهل من المحتم أنْ يستحكم العداء الدائم بينهما؟

إن صمود الإتحاد السوفياتي في وجه القوى المضادة للثورة الإشتراكية ، خلق انواعا من المصالح عند الجانب الرأسمالي والتقت هذه المصالح عند الحاجة لإيجاد طريقة للتعايش مع السوفيات في نفس العالم ولو لمدة محدودة. وهكذا تكون الظروف قد اوجدت لأول مرة فكرة التعايش السلمي بين الأنظمة الإجتماعية المختلفة، وانطلقت، بعدعام ١٩٢٠ عن نظرة واقعية من كلا الجانبين لحاجاته وإمكانياته، بل إن الفكرة لم تنشأ إلا لإتفاق مصالح الدولة الاشتراكية مدة محددة مع مصالح القسم الكبير من الدول في العالم الرأسمالي [٣٨].بالإضافة إلى ما تقدم باستطاعتنا أن نستنتج أن فكرة التعايش السلمي لم تطرح إلا كبديل لحرب لم يكن باستطاعة عدوَين التغلب أحدهما على الاخر. ولابد لهما من ان يتعايشا معا وقبول أحدهما الآخر برغم التناقض الظاهر بينهما. فكيف تطورت فكرة التعايش لدى السوفيات ؟

في الحقيقة أن الماركسية كنظرية متغيرة لا ثابتة، تسمح لنفسها بالتطور مع الحياة. وماركس نفسه كان قد عبّر عن إمكانية التغيير في هذه النظرية عن تلك التي قدمها في ((البيان الشيوعي عام ١٨٤٨))، حينما تحدّث عن الوسائل الاخرى، غير العنف التي تؤدي الى التغييرالإجتماعي .) كما أن مؤسس الدولة السوفياتية ((لينين)) أضاف شيئاً جديداً إلى الماركسية حين قام بتوسيع مضامينها . وذلك حين لم يجد شيئاً من التنافر في قيام هذه الدولة السوفياتية جنبا إلى جنب مع الدول الرأسمالية . إن اتخاذ هذا القرار يمثل انفصالا عن الأفكار التي تبناها ((لينين)) خلال الفترة المبكرة للثورة التي أكد خلالها أنه لا يمكن العيش بسلام إلى النهاية طالما أن الراسمالية والإشتراكية قائمتان إلا أن احداهما يجب أن تنتصر. إن الغرض من قيام هذه العلاقات السلمية مع الدول الرأسمالية هو التفرغ للبناء الداخلي في الجمهورية الإشتراكية الفتية ، لأن قوتها تكون ضمانا للثورة العالمية. وبعد أن حققت الدولة السوفياتية وجودها، بدأت مسألة التعايش السلمي تحتل مكان الصدارة في فكر وكتابات لينين. وبدأ يشيربخطابه إلى سياسة ((التعايش السلمي مع الشعوب؛ مع العمال والفلاحين في كلّ الأمم)) ، وعن العلاقات السلمية مع الدول الرأسمالية، مؤكداً على ضرورة التعاون بين النظامين الرأسمالي والإشتراكي حيث يملك مكاسب واضحة لكليهما ، وموضحا أن

٣٨- روستاين اندرو ، ت سعديه غنيم ، العالم الثالث والتعايش السلمي ، الدار القومية القاهرة ، ص٣٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجانب السوفياتي لن يقيم أية عقبات أمام قيام مثل هذه العلاقات فالدولة الإشتراكية اذا عاشت في سلام مع العالم الرأسمالي ، أمكنها الإنتفاع نفعا كبيرا بتبادل منتجاتها مع الدول الأخرى، واقتباس طرقها المتقدمة في الصناعة وغيرها.) عقب هذا الموقف اللينيني بدأ الإتحاد السوفياتي في مفاوضاته التجارية مع بريطانيا، فتوصل الى قيام علاقات تجارية وإقتصادية معها خلال عام ١٩٢٢ وكذلك الحال مع ألمانيا فأقام علاقات تجارية معها عام ١٩٢١ لذلك كان عليه تدعيم أركان الدولة الإشتراكية الأولى الموجودة ضمن عالم معادٍ لها تماماً في الخارج ، قبل التطلع نحو تعميم النظام الإشتراكي على دول أخرى.

وكان ستالين قد حدد الهدف من السياسة الخارجية السوفيتية مع الدول البرجوازية هو المحافظة على السلام، من أجل النهوض ببناء الإشتراكية في ظروف السلم كما أن المؤتمر الخامس عشر للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي المنعقد في موسكو في كانون الاول ١٩٢٧ ، عاد وتبنى هذه السياسة السلمية بإعلانه أن ((المحافظة على العلاقات السلمية بيننا وبين الدول الرأسمالية فرض واجب علينا، فعلاقتنا مع هذه الدول تقوم على افتراض أن التعايش السلمي ممكن بين نظامين متعارضين)) (٣٩). إنطلاقا من هذه السياسة السلمية ، بدأ الاتحاد السوفياتي يقطف ثمارها فوقّع ما بين ١٩٢٥ و١٩٣٢ على تسع معاهدات عدم اعتداء مع عدد من الدول المجاورة، أمّا مدى الأخذ بهذه الاتفاقات السلمية فيبقى مؤقتا، لأن العلاقة التي تفرضها مثل هذه الإتفاقات لا تتوقف فقط على العروض التي يقدمها الإتحاد السوفياتي وحده، بل على مدى استجابة الفريق الآخر وعلى شروط الإتفاق، فقيام حرب قد ينقض كل الإتفاقات ، ويؤكد ستالين على أن هذه الاتفاقات تقوم على أساس موافقة الطرفين بعيدا عن أية شروط تستعبد أحدهما الآخر بل أن يتم التعاون على أساس الند للند .

المطلب الثاني - الستالينية آيديولوجية أم نظام حكم

في هذا المطلب سوف نتناول جوهر الستالينية كما سوف نناقش مفهوم الستالينية للعلاقات الدولية

الفرع الأول – جوهر الستالينية قبل الدخول في الحديث عن الرؤية الستالينية للعلاقات الدولية لابدّ من التعرف أولا على جوهر الستالينية. عرّف الباحث الروسي غريغوري فودولازوف الآيديولوجية الستالينية (بأنها ايديولوجية نخبة بيروقراطية معادية للإنسان وارادوية تقوم على امتداح العنف المطلق والطليق بجميع أشكاله.

أما بوصفها منظومة من العلاقات الإجتماعية السياسية، فيحددها بأنها ديكتاتورية البيروقراطية فضلا عن أنها الديكتاتورية البيروقراطية بأكثر أشكالها همجية وإرهابا (٤٠). ويعرفها الشفيع خضر بأنها(نظام متكامل من الرؤى والمفاهيم والمناهج والأساليب، نظام يستند الى فهم مبتذل ومدّمر. وهو وهو نظام لم ينته بموت ستالين وانقضاء عهده وإنّما استمر بعد ذلك متضخما ومتمددا ليواصل تفريخ افرازاته الكابحة سواء بالنسبة لتطور الفكر الماركسي أو لتطور التجربة الإشتراكية وتطور الحركة الشيوعية العالمية بما فيها الأحزاب الشيوعية في المنطقة العربية). وقد شكّل هذا النظام المتكامل من الرؤى والمفاهيم ومناهج العمل أساسا فكريا تسلحت به البيرقراطية التي ظلت مسيطرة في المعسكر الإشتراكي

٣٩- روستناين اندرو ، مصدر سابق ، ص ٥١-٥٢

٤٠- فودولازوف غريغوري ، مجلة النهج ،(العدد ٣٥-٣٦)، ص ٤٥-٤٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وممسكة بتلابيب التجربة حتى سقطت بها في الهاوية (٤١).

ويورد الان مايير أربعة تبريرات للستالينية (نقلا عن سويم العزي) توضح جوهر الستالينية وهي : -

أولا - إن الستالينية عارضة تأريخية أو هي طاريء تأريخي. ويؤكد هذا التبرير على وضع الإتحاد السوفيتي الإجتماعي والإقتصادي في بداية مرحلة الثورة البلشفية حيث تميزت بعوامل التأخر الإقتصادي والإجتماعي واستمرارية التقاليد البيروقراطية القيصرية وغياب المجتمع المدني . إضافة إلى عامل اخر أُثاره ستالين بتأكيده على تطبيق الإشتراكية في بلد واحد، حيث عمّق من المشكلة. لأنه أجبر على القيام بعملية التصنيع السريع التي قادت إلى تفكيك القواعد الإجتماعية والإقتصادية ومن بين نتائج هذه السياسة خلق جيل جديد من العمال ذي جذور فلاحية حلّ محل الجيل البروليتاري القديم . الأمر الذي قاد الى منافسة غير صحية داخل المجتمع، ومن بين نتائج هذا التنافس القلق والتوتر الذي عمّ كلّ أوساط المجتمع وأخذ صورة عنف مؤسسي. حتى السلطة السياسية لم تفلت هي الأخرى منه، فالهدف وراء هذا التنافس كان هو الوصول إلى السلطة السياسية أو التقرب منها (٤٢).

ثانيا - الستالينية هي مرحلة انحطاط البيروقراطية في إطار دولة أساسها عمالي ويقف وراء هذا التحليل تروتسكي حيث يرى بأن الرأسمالية في المجتمع السوفيتي قد انتهت بالغاء الملكية الخاصة وإحلال الملكية العامة الجماعية لوسائل الإنتاج محلها حيث أصبحت القاعدة الاساسية للدولة البروليتارية. ولكن قيادة هذه الدولة هي بيد البيروقراطية كطبقة . إن السبب وراء عدم تحول الدولة في الإتحاد السوفيتي الى دولة عمالية قيادة وقاعدة هو أن الإتحاد السوفيتي وحسب تحليل تروتسكي لم يسمح للطبقة البروليتارية بالتصرف بشكل عفوي. وقد قام بتحجيم قوتها كعنصر قيادي. وهذه الوضعية ماهي إلاّ نتيجة للسلوكية التي فرضت على الطبقة العاملة واجبرتها بالإلتزام بها. وهذا الأسلوب يتنافى مع المبدأ الديمقراطي الداعي الى إدارة وسائل الإنتاج خلال الإدارة الذاتية العمالية. وينتقد الان مابير فكرة تروتسكي القائلة بأن الدولة في الإتحاد السوفيتي دولة عمالية الجذور بقوله أن العمال في هذا البلد قد (منعوا من كل الحقوق الأساسية التي حصلوا عليها أثناء نضالهم الإجتماعي . بما فيها الحق في رقابة وتسيير الانتاج. وبهذا فأن الإنحطاط الذي ظهر قد تم الوصول اليه في مرحلة النضج التام.

ثالثا: - الستالينية هي رحلة تراجع بعد طور من الثور. هذا التفسير هو الآخر له جذور تروتسكية، وهناك اتجاهان يتقاسمانه. الإتجاه الأول يحاول القيام بمقارنة بين واقع الثورة الفرنسية وصعود البونبارتية كإتجاه محافظ يستند على الأجهزة القمعية للدولة من أجل المحافظة على بعض الإنجازات الثورية. وبين الستالينية التي ظهرت بعد طور ثوري داخل المجتمع الروسي، يتشابه مع مرحلة البونبارتية في نفس الأسلوب القمعي. وقد دفعت وضعية التشابه هذه بالبعض إلى وصف الشيوعية كحركة محافظة، وهذا مايذهب اليه جان فرنسوا روفيل بقوله (بأن الشيوعية هي الحركة الوحيدة ذات الإتجاه المحافظ في الداخل والثوري في الخارج). أما الإتجاه الثاني فيركز على الجانب الإقتصادي حيث يرى في الستالينية ونظامها القائم تعبيرا عن تراجع نحو رأسمالية الدولة.

٤١- الشفيع خضر سعيد ،الفكر العربي وتحولات العصر ، دار الفارابي ، بيروت ٢٠٠٦،ص٢٦١

٤٢- - العزي سويم ، الدكتاتورية الاستبدادية والديمقراطية والعالم الثالث ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٨٧، ص ٢٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعا ـ الستالينية تعبّرعن طبقة اجتماعية جديدة ومجتمع توتاليتاري، وينطلق هذا التفسير من التركيبة الإجتماعية للمجموعة القائمة بالسلطة والمؤلفة من مدراء وإداريين يملكون سلطة القرار وتكوين هذه المجموعة يختلف عن تكوين الطبقة البورجوازية التي تخلق من خلال علاقتها بالرأسمال. وتختلف ايضا عن الطبقة البروليتارية التي تخلق هي الأخرى من خلال خضوعها واستغلالها من قبل رأسمال (٤٣). أما عن كيفية تبلورها في ظل نظام يرفع راية الماركسية، فيوضح غريغوري ضرورة التمييز بين جذور الستالينية وبين طبيعتها الناضجة . فالستالينية قد خرجت من منابع شعبية بالفعل، ولكنها لم تمثل مصالح الشعب السوفيتي بل مثلت وعيّ الجزء الأقل تحضرا وتعليما من السكان ومثل هذه المواقف والنفسيات، كانت متناقضة مع المصالح الحقيقية للكادحين من السكان . وخلافا للينينية لم تسع الستالينية إلى تثقيف الجماهير وتبصيرها حول طبيعة التناقض القائم بين أهدافها من جهة وأساليبها من جهة ثانية ، بل قامت الستالينية بإستغلال جهل الناس وتكريس حالة اللاوعي لديهم . لذلك لايمكن ان تمثل الستالينية المصالح والتطلعات الفعلية لأي قطاع من قطاعات الكادحين .ومن حيث الجوهر فالستالينية كانت آيديولوجية ونظاما معاديا للشعب. أمّا القاعدة الإجتماعية الحقيقية التي دأبت على تغذية الأشكال الناضجة من الستالينية فقد كانت تختلف تماما، وباتت مكشوفة أكثر فأكثر مع مرور الزمن . بعدها صارت البيروقراطية هي القاعدة الإجتماعية الرئيسية للستالينية. فكان من الضروري التنبيه إلى أن هذه التجربة كما تبلورت في الثلاثينات على الخصوص قد مثلت ثمرة القراءة الستالينية لفكر لينين ، ولا ينازع أحد في أن الستالينية هي القراءة الأكثر فقرا والأشد ضيقا فكريا، إضافة الى مالحقت بانطلاقة التجربة السوفيتية عموما مع ثورة ١٩١٧ من ملابسات تأريخية وليدة الواقع الروسي المتخلف آنذاك على مختلف الأصعدة (٤٤). وقد اكّد ماركس في نقده لبرنامج جوته (إن وضع اي نظام إجتماعي ناشئ لايمكن أن يكون أبدا أرقى من الوضع الإقتصادي ودرجة الحضارة المرافقيْن له). وهناك آراء تشير إلى (أن ظهور الستالينية لايمكن أن تفسر من خلال الظروف الداخلية والخارجية للإتحاد السوفيتي آنذاك بل ينبغي ان تستجلى الأسس الفكرية لنشوء واستمرارية هذه الظاهرة، حيث أن هذه الأسس مرتبطة بسيادة مفهوم المرجعية الفكرية، فكلّ فكر جديد أو رأي مغاير يقيم ويحاكم على أساس مقارنته أو ابتعاده من هذه المرجعية الفكرية وفي حالة الإبتعاد فيُعد خيانة أوانحرافا، وفي أحسن ألحوال يعدّ ضعفا فكريا يستوجب إعادة التربية الفكرية والنظرية على أساس تعاليم المرجعية الفكرية . إن تظرة من هذا النوع تغلق منابع الإبداع الفكري وتشيع جوّا من الرهبة والطغيان الفكري داخل التنظيم الحزبي (٤٥).

ونحن نعتقد أن التفسير الأرجح لظاهرة الستالينية والتداعيات التي رافقتها يمكن إدراجها تحت عنوان واحد هوالتخلف الإجتماعي، فلو كانت روسيا بلدا متحضرا لما حصلت تلك التداعيات. إنّ واقع روسيا لم يكن مهيئا لثورة اشتراكية. فالطموحات المتعالية على الواقع تقود المعاداة الديمقراطية. وهناك دراسات تؤكد أن هتلر لم يكن هدفه معاداة الديمقراطية بل طموحه القومي هو الذي قاده لمعاداة الديمقراطية. كما أن الكثير من التجارب الديمقراطية التي اخفقت في تحقيق مهماتها تؤكد هذه الأمر فالتخلف الإجتماعي يعيق الأحزاب السياسية عن تبني الديمقراطية الحقيقية رغم ادعائاتها بذلك.

٤٣ـ العزي سويم ، نفس المصدر ، ٣٠ـ ٣١.

٤٤ ـ فودولازوف غريغوري ، مجلة النهج ،(العدد ٣٥ـ٣٦) ، ص

٤٥ـ الشفيع خضر سعيد ، الفكر العربي وتحولات العصر ، مصدر سابق ، ص٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرع الثاني منظور ستالين للعلاقات الدولية

بدايةً لابدّ من التأكيد بأن افكار ستالين قد انصبت على التطبيق الداخلي. ولعل مافي تكريس الأطروحة التي مهّد لها لينين ((الإشتراكية في بلد واحد)) مايدل على ذلك. فقد تمّ إقرارها كآيدليوجية للحزب في المؤتمر ال ١٤ للحزب المنعقد في نيسان ١٩٢٥(٤٦). والجديد في أفكار ستالين في هذا المجال هو أنّه فصل بين نوعين من التناقضات الأولى تناقضات داخلية وهي القائمة بين البروليايا والفلاحين، والثانية تخص التناقضات الخارجية بين الإتحاد السوفيتي بلد الإشتراكية والبلدان الرأسمالية الأخرى. ويرى ستالين أن التناقضات الأولى يمكن التغلب عليها بجهود بلد واحد (الإشتراكية في بلد واحد)، أما التناقضات الخارجية (وهي موضوع بحثنا) فيمكن التغلب عليها بجهود بروليتاريي عدة بلدان (الإنتصار النهائي للإشتراكية) ،ولايجوزعند ستالين الخلط بين المجموعتين. ويمكن أن نميز بين خطين في فكر ستالين على صعيد التناقضات الخارجية أولهما يخصّ الصراع مع الرأسمالية والآخر يخص المسألة القومية على الصعيد الدولي. بالنسبة للصراع مع الرأسمالية، وكما هو معلوم أن صراع الطبقات حسب ماركس هو اممي ،ولكن بسبب تجميده في دول الغرب وجدت الماركسية السوفيتية أن الصراع هذا اصبح يتعلق بمعسكرين دوليين، وهكذا كان لينين كما مرّ بنا يرى حتمية الحرب مع الرأسمالية. لكّن ستالين لم يكن يرى مثل هذه الحتمية خصوصا بعد تطورات الأوضاع الدولية _كالحرب العالمية الثانية ومابعدها فقد كان يرى أن تطاحن البلدان الرأسمالية على امتلاك الأسواق، أقوى عمليا من التناقضات بين المعسكر الرأسمالي ومعسكر الإشتراكية(٤٧). وهكذا راهن ستالين على انهيار النظام الرأسمالي عن طريق تفاقم أزماته الداخلية وليس عن طريق حتمية الحرب مع النظام الإشتراكي.

اجتهد ستالين لتدعيم أركان الدولة الإشتراكية الأولى الموجودة ضمن عالم معاد لها تماماً في الخارج، قبل التطلع نحو تعميم النظام الإشتراكي على دول أخرى. فكان عليه مواصلة سياسة السلام اللينينية، وتأخير الحرب مع الرأسماليين، في سبيل تقوية الدولة السوفياتية والحفاظ عليها واتمام عمليات البناء الداخلي فيها كما اسلفنا. أما فيما يخص المسألة القومية على الصعيد الدولي ، ففي فترة زعامة ستالين للإتحاد السوفيتي حصلت الحرب العالمية الثانية ومانتج عنها من ضعف القوى الإستعمارية القديمة (بريطانيا _فرنسا)،واشتداد حدة الحركات الإستقلالية في العالم الثالث الأمرالذي طرح أمام المنظرين السوفيت مسألة القومية والوطنية وضرورة إتخاذ الموقف تجاهها. ولقد عبّر ستالين عن هذا الموقف من جانبين الأول : ـ هو أن الثورات القومية في دول العالم الثالث تخفف من عبء الضغط الرأسمالي الغربي على الإتحاد السوفيتي(٤٨).أما الثاني فهو يخص وظيفة او مهمة الطبقة العاملة في الوضع الراهن آنذاك. فأمام الطبقة العاملة مهمة أساسية هي الدفاع عن الحقوق والحريات الديمقراطية وعن الإستقلال والسلم (٤٩). وهنا يبدو ستالين مخالفا لما درجت عليه الماركسية من رفض مسألة مشاركة الطبقة العاملة في الدفاع عن برجوازيتها تحت اسم الإستقلال.ومن الجدير بالذكر ان الإتحاد السوفيتي

٤٦ـ الشفيع خصر ، مصدر سابق ، ص ٢٢٣.

٤٧ـ ستالين جوزيف ، القضايا الاقتصادية للاشتراكية في الاتحاد السوفيتي ، ١٩٦٦، ص٥٩ ـ ٦٠.

٤٨ـ البراوي راشد ، المذاهب الإشتراكية المعاصرة، دراسة مقارنة ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠، ص ١٤٨ ـ ١٤٩,

٤٩ـ ستالين جوزيف ، النظرية الماركسية اللينينية ، دار الفارابي ، بغداد ، ١٩٥٩، ص ٤٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان يضم عدة قوميات، وقد انتهج ستالين في البداية سياسة استرضاء لها من اجل كسبها للثورة الإشتراكية(٥٠). ولكّنه بعد ذلك شنّ هجوما على القوميات داخل الإتحاد السوفيتي في إطار سياسته لحل التناقضات الداخلية كما سنرى لاحقا.

٥٠– سويزي بيير ، الماركسية بعد ماركس ، ترجمة جورج طرابيشي ، سلسلة الثقافة المعاصرة ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٥، ٣٧-٣٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

– تأثير فكر النخبة الحاكمة في تطور العلاقات الدولية

في هذا المبحث سوف نتناول مطلبين الأول نتحدث فيه عن مراحل تطور مفهوم النظام السياسي للعلاقات الدولية . أما المطلب الثاني فستناول فيه الإستراتيجية الروسية والتغيرات التي طرأت عليها .

المطلب الأول - مراحل تطور مفهوم النظام السياسي للعلاقات الدولية

ظهر للوجود بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ، نظام عالمي جديد تمثل في القطبية الثنائية معتمدا على وجود قطبين متفوقين في مراكز القوى المؤثرة في الساحة الدولية . ويحيط بكل قطب قوى عدد من الدول التابعة التي تدور في فلكه، فكانت للإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الإمريكية دول قسمت العالم الى قسمين وفقا لمصالح كل دولة. هذه الدول قبلت طواعية أن يكون لهذين القطبين حق توجيه ورسم السياسات والإستراتيجيات وإتخاذ القرارات العامة . وقد حكم الصراع بين القوتين توازن للقوى في إطار عقائدي شديد التصلب والتشدد بما خلقه في ظروف كثيرة من مواقف سياسات متعارضة. فالرأسمالية والتي تبّناها الغرب بزعامة الولايات المتحدة الامريكية ترى أن هذه الآيديولوجية يجب أن تحكم العالم ، والشيوعية التي كانت تخطو خطوات واسعة في نشر آيديولوجيتها في العالم تنادي بتحرر دول العالم الثالث من السيطرة الرأسمالية .

وفي ظل هذا الصراع. أصبحت هناك ضرورة لبناء قوة عسكرية فاعلة تؤثر في نجاح السياسات والإستراتيجيات المتعارضة. وتبعا لعدم الثقة المتبادلة بين الدولتين فلم تؤدِّ المؤتمرات التي شاركتا فيها سواء قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية أو بعدها مباشرة، ولاسيما مؤتمرا يالطا في شباط ١٩٤٥م وبوتسدام في تموز ١٩٤٥م ، إلى الإتفاق على صورة عالم مابعد الحرب العالمية الثانية. فالخلافات كانت قد اصبحت اعمق واشمل ولاسيما بعد ان انتهى تأثير السبب الذي دفع بالحلفاء الى التعاون. وبهذا فهي لم تؤدِّ إلى أن يكون مؤتمر بوتسدام آخر مؤتمر جمع بين قادة دول الحلفاء لفترة طويلة قادمة فحسب بل أيضا الى الإنهيار العملي للتحالف الغريب). إن انهيار هذا التحالف اسس لنقطة النهاية لدور اوروبا في السياسة الدولية ونقطة البداية لصراع علني بين دولتين تمركزت فيهما القوة وعلى نحو غير مسبوق منذ انهيار الإمبراطورية الرومانية . وبذلك تأكدت تنبؤات عالم الإجتماع الفرنسي توكفيل وكذلك تنبؤات ادولف هتلر، فالأول ذكر في عام ١٨٣٥م أنه (يوجد في العالم حاليا امتان عظيمتان بدأتا من نقطتين مختلفتين..أنني أشير الى الروس والأمريكيين. حيث ينموان دون ملاحظة أحد. إن كلا منهما قد خطّ له القدر أن يسيطر على مصائر نصف العالم)(٥١). أما الثاني فقد أكد انه (بهزيمة الرايخ ستظل في العالم قوتان عظيمتان قادرتان على مواجهة بعضهما بعضا وهما الولايات المتحدة وروسيا السوفيتية. وسوف ترغم قوانين التاريخ والجغرافية هاتين القوتين الكبيرتين على اختبار قوتهما.) (٥٢) إن ماتقدم يؤشر الى حقيقة هي أن كل مبدأ من المبادىء التي سارت عليها العلاقات الدولية يتميز بخصائص وفرضيات مغايرة للمبادىء الأخرى وكل نظام دولي سيكوّن حكما مميزا بخصائصه ومخالفا بمعطياته عن النظام الذي سبقه وعن الذي يليه. إنما من الملاحظ أن هناك جامعا مشتركا بين جميع تلك المبادىء والأنظمة ويوحد بينها وهو أنه لم يتم استبدال مبدأ بمبدأ آخر والإنتقال من نظام لآخر إلا تحت عامل القوة أو بتأثير منها

٥١– عبد الحي وليد ، الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية ، الجزائر شركة شهاب ، ١٩٩١، ص١٥-١٦.

٥٢- باون كولن وموني بيتر ، من الحرب الباردة حتى الوفاق ، ١٩٤٥-١٩٨٠،تعريب صادق ابراهيم عوده ، دار الشروق للنشر ،والتوزيع ١٩٩٥ ، ض ١٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالحرب العالمية الأولى وضعت حدا لمبدأ ونظام وكذلك فعلت الحرب العالمية الثانية . حتى أن العلاقات الدولية ضمن نظام دولي كنظام الثنائية القطبية لم تتطور وتستمر إلا من خلال محطات أساسية كان أحد عناصرها وأهمها هو عامل القوة .

الفرع الأول - التعريف بالحرب الباردة ودوافعها

يقوم مصطلح الحرب الباردة على نقيضين هما الحرب والباردة . تعد الحرب أكثر انواع القوة توليدا للكراهية والإزعاج وهما الوسيلة الوحيدة التي تسوى فيها التناقضات بالدم والعنف المسلح . ونقيضها الباردة التي تعمل للتخفيف من حدّة النقيض الأول. ليصبح مضمون هذا المصطلح عبارة عن حالة وسطية بين الحرب والسلم أو لتقوم العلاقات الدولية على وضع لاحرب لا سلم. يفهم من وضع لاحرب عدم نشوب القتال لتلتقي مع وضع لا سلم الذي لايعني أكثر من عدم نشوب القتال ليشكلا معا حالة الحرب الباردة(٥٣) ومن هنا جاءت تسميتها بالحرب الباردة .

ويمكننا أن نعرف الحرب الباردة بأنها الحرب التي تستخدم فيها الأطراف المتعادية كل أنواع القوة المستطاعة عدا القوة المسلحة بقصد إرغام العدو على التسليم لإرادة الطرف المنتصر وتسود خلال فترة الحرب حالة من التوتر الشديد في العلاقات بين الأطراف المتنازعة بحيث يشعر كل طرف بأنّه مهدد بمخاطر احتمال العدوان المسلح الامر الذي يقضي توطيد المجهود الحربي .

اتسمت هذه الحرب بسباق التسلح النووي وبتأسيس القواعد العسكرية المحاطة بالإتحاد السوفيتي وباستخدام القوة في العلاقات الدولية ورفض كل المحاولات الجادة لحل النزاعات الدولية عن طريق المفاوضات. وعلى الرغم من عدم إستطاعة أغلبية الباحثين والعلماء في العلاقات الدولية اعطاء مدة زمنية محددة لبداية هذه الحرب إلا أن الغالبية من الباحثين يتفقون على أن تأريخ ٥-٣-١٩٤٦ كان البداية، فدعا تشرشل في خطاب له الى تأسيس وتشكيل الإتحاد العسكري الإنجلو- امريكي لمواجهة خطرالشيوعية القادم من الشرق وبهذا فمن الصعوبة وضع تأريخ محدد لهذه الحرب. وهناك من يعد ان الحرب الباردة بدأت تلوح في مؤتمرسان فرانسيسكو وآخر يرى أن الحرب الباردة بدأت منذ انتصار ثورة أكتوبر وانقسام العالم إلى معسكرين متضادين. وبالنسبة الحرب الباردة فمنهم يرى أنها بدأت بنهاية الحرب العالمية الثانية وآخرون يرون أن مبدا ترومان هو الذي يعد أساسا لهذه الحرب. ومهما اختلف الباحثون بهذا الصدد فالحرب الباردة أو الساخنة هي استمرار للسياسة بوسائل أخرى أكثر عنفا وتدميرا وبالتالي لابد من التوقف الجدي والعلمي لدراسة هذه الظاهرة (٥٤).

دوافع الحرب الباردة

لقد تعددت النظريات والآراء التي تناولت دوافع الحرب الباردة وأصولها. ومن تلك النظريات والآراء ماتنسب إلى عدد من الأسباب، أبرزها يكمن في التناقض الآيديولوجي وتباين المصالح وسوء الإدراك المتبادل . وكالآتي بإختصار: ١ - التناقض الآيديولوجي لقد كانت الحرب الباردة صراعا آيديولوجيا حادا بين نظامين اجتماعيين قوامهما آيديولوجيتان متناقضتان في مضمونهما وغاياتهما

---

٥٣ منذر محمد مبادئ في العلاقات الدولية مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت ٢٠٠٢ ص ١٥٣

٥٤- العقابي علي ، العلاقات الدولية ، دار الرواد ،بغداد ٢٠١٠، ص ٧٠،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعيدة المدى وهما الإشتراكية السوفيتية والرأسمالية الأمريكية. ولسنا بصدد تناول تفاصيل هاتين الآيديولوجيتين واختلافهما الجذري لإبتعاد ذلك عن موضوعنا. ومع ذلك يعد مفيدا الإشارة إلى أن جذور هذا التناقض تعود إلى تأريخ طويل سبق انضمام روسيا الى جبهة دول الحلفاء عام١٩٤١م، فضلا عن تطوره وتبلوره في المرحلة الإنتقالية التي لحقت بانتهاء الحرب العالمية الثانية. على أن الذي دفع الى انفجار هذا التناقض هو سعي الولايات المتحدة الامريكية والإتحاد السوفيتي الى توظيف قدراتهما الذاتية فكانت عظيمة بالمقارنة مع سواهما لتطويق حركة بعضهما للبعض الآخر سواء في اوروبا اواسيا أوعالم الجنوب وأضعافها سبيلا لتأمين الإنفراد بالعالم.

٢ ـ تباين المصالح على اختلاف الحرب العالمية الإولى التي انتهت بعودة الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي الى الإنكفاء على الداخل وتبنى سياسة العزلة النسبية في الخارج، شهدت السياسات الخارجية لكل منهما بعد عام ١٩٤٧م نزوعا نحو الإنغماس المكّثف في التفاعلات السياسية الدولية الملائمة التي تؤمن تحقيق الغاية النهائية لمشاريعهما الكونية .

٣ : ـ سوء الإدراك- يعد الإدراك الذاتي للواقع الموضوعي مدخلا أساسيا في عملية اتخاذ القرار فعلى ضوء نوعيته تتحدد مخرجات هذه العملية سلبا أو أيجابا . وقد كان لهذا المتغيّر النفسي المهم دور مهم في الدفع بإتجاه اندلاع الحرب الباردة وتصعيدها فطرفاها عمدا الى تفسير حركتهما حيال بعض تفسيرا قوامه عدم الثقة بنوايا الطرف الآخر. ومما جعلهما أسرى له فانتهى بأنماط تفاعلاتهما إلى ان تأخذ نسقا من ردود الأفعال المعادية.

الفرع الثاني ـ خصائص الحرب الباردة

لقد اقترنت الحرب الباردة بخصائص متعددة، أبرزها على سبيل المثال الاتي: ـ

١ ـ .الصراع

خلال الحرب الباردة تميزت العلاقة الأمريكية _السوفيتية بخاصية الصراع ولكن بمستويات من الحدّة تباينت طبيعتها تبعا لمضامين المراحل التي مرت بها هذه الحرب. وقدكانت هذه الخاصية محصلة لتأثير عاملين مهمين ، أولهما هو انطلاق كل من الدولتين الأمريكية والسوفيتية من منطوق اللعبة الصفرية في تفاعلهما مع بعض وتفيد هذه اللعبة أن الربح الذي يحققه أحد الأطراف لذاته يعد في الوقت ذاته خسارة صافية للطرف الآخر. وغني عن البيان أن الإصرار على تحقيق الربح على حساب الطرف الآخر لم يكن بمعزل عن التأثر بتلك الدوافع التي أدت لإندلاع الحرب الباردة والتي سبقت الإشارة اليها. أما العامل الثاني فقوامه توافرهما على قدرة تأثيرية كان لها مفعول حاسم وخصوصا على صعيد رفضهما للقواعد التي كانت العلاقات الدولية قبل الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩م تدار بموجبها فكلّ منهما رأي في ديمومتها تدميرا لمشروعه العالمي الشامل، لذا عمل على تغييرها على نحو يتوافق مع تفسيره الذاتي لحركة التأريخ. وتبعا لذلك لم يتوافرالإستعداد الذاتي لدى كل منهما لإجراء تعديل عليه لذا، دخل كل منهما في صراع شمل كل العالم تقريبا مع بعض وبكلفة كانت باهظة ومما ادّى إلى قناعة كلّ من الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي بسلامة تفسيره لحركة التأريخ، وإن المستقبل لابدّ أن يكون لصالحه. وتبعا لذلك عمدا للإنطلاق من أنماط حركة استراتيجية محددة. ويلخص ليرش ذلك بقوله أن الولايات المتحدة استراتيجية اختارت استغلال الفرصة فيمااختار السوفيت العمل النهائي (٥٥).

٥٥- ليرش او تشارلس ، الحرب الباردة ومابعدها ، تعريب فاضل زكي محمد ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٦، ٣١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالأولى كانت تسعى الى تحقيق الربح الآني مقابل نزوع الثاني الى الربح الإستراتيجي .

٢ ـ .تجنب المواجهة العسكرية المباشرة

لقد اقترنت السياسة الدولية عبرالتأريخ بتنافس القوى الكبرى أو العظمى وصراعاتها. ومع أن صراعات القرن العشرين تتماثل مع سواها، بيّد أنها اقترنت ببعد تدميري خطير بعد الحرب العالمية الثانية. فبعد تمكن الإتحاد السوفيتي من كسر الإحتكار النووي الأمريكي جراء تفجيره لقنبلته النووية الأولى عام ١٩٤٩م دخل الطرفان الأمريكي والسوفيتي خصوصا في سباق تسلح يستوي والحلقة المفرغة. ولم يؤد هذا السباق إلى تعاظم مخزونهما من السلاح النووي حسب، بل كذلك قدرتهما التدميرية، وهذه ارتقت الى مستوى يتيح تدمير العالم كله(٥٦). لذا وعلى خلاف القرن التاسع عشر والقرن العشرين حتى عام ١٩٣٩ حالت الخشية من التدمير الشامل المتبادل والمؤكد دون اندلاع الحرب بين الدول النووية. وتبعا لذلك قال المؤرخ الأمريكي جون لويس كادوس أن سنوات الحرب الباردة كانت بالمقارنة مع سنوات قبلها أكثر استقرارا وأمنا وجسدت بالتالي ما أسماه بالسلام الطويل (٥٧).

٣ ـ الحروب بالنيابة: ـ

وبها نقصد تلك الحروب الأهلية أو الإقليمية التي يؤدي كل من أطرافها أو بعضهم دورا بالنيابة عن غيرها خدمة لمصالحها في منطقة الحرب. وتؤشر تجربة الحرب الباردة أن الحروب بالنيابة أُريد بها أن تؤدي وظائف محددة قوام بعضها أما إسقاط النظام السياسي لإحدى الدول المناهضة لهذه الدولة العظمى او تلك وإبداله بنظام آخر موال لها أو زعزعة استقراره الداخلي سبيلا للتأثير في اتجاهاته السياسية الداخلية أو الخارجية خدمة لمصالحها. وتبعا لدور الدول العظمى في اندلاعها، عدّت الحروب بالنيابة أحد الأشكال غير المباشرة للصراع الأمريكي_السوفيتي، خصوصا وأنها جسدت نزوع طرفي هذا الصراع نحواستقطاب تلك الدول ذات التأثير في تفاعلات مناطق جغرافية لاتدخل بشكل صريح ضمن حصص أي منهما دعما لإستراتيجيتهما في إدارة الصراع. على أن هذا النمط من الحروب لم يكن اضافة الى ماتقدم بمعزل عن متغيرين مهمين، أولهما يكمن في الإستعداد الذاتي لأطرافها المباشرة لإداء الدور بالنيابة عن سواها، ونرى أن هذا الإستعداد له علاقة بالموقف الفكري أو الآيديولوجي أو السياسي لهذا الطرف من إحدى الدولتين العظميتين . فالدول التي ناهضت الولايات المتحدة الأمريكية كانت في العموم أكثر استعدادا للقيام بأدوار محددة ضدها. والشيء ذاته ينسحب على الدول التي وقفت بالضد من الإتحاد السوفيتي. وتبعا لذلك أشّرت تجربة الحرب الباردة أن كلا الدولتين العظميتين لم تجد صعوبة في توظيف الدول المناهضة لخصمها لصالحها حتى وإن كانت ذات نظم سياسية لاتتماثل مع نظمها السياسية وتوجهاتها، فطبيعة بعض النظم السياسية في أمريكا اللاتينية وآسيا لم تحل دون دعمها امريكيا كما أن الإتحاد السوفيتي لم يتوان هو الآخرعن دعم الدول المعادية للإمبريالية في عالم الجنوب على الرغم من معاداتها للإمبريالية كانت توازي معارضتها للشيوعية (٥٨).

٥٥ـ ليرش او تشارلس ، الحرب الباردة ومابعدها ، تعريب فاضل زكي محمد ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٦، ٣١.

٥٦- john cox ,overkill. The story of modern weapons Middlesex: penguin books,1998

57- History of the Cold War New York-Oxford university press,1987p.245

٥٨ـ باون كولن و موني بيتر، من الحرب الباردة حتى الوفاق ١٩٤٥ـ١٩٨٠، ت صادق ابراهيم عودة ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ١٩٩٥،ص ١٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتنطوي هذه التجربة على مايفيد أن الدولتين العظميين لم تتوان عن تغليب المصلحة على الآيديولوجية عندما كانت متطلبات السياسية الواقعية تقتضيها. اما المتغير الثاني فيكمن في توضيف هذه الحروب لأغراض بيع السلاح فكانت لدولتان قد عمدتا الى بيع حلفائها واصدقائها في عالم الجنوب أسلحة تجاوزت قدرتها الذاتية على استيعابها واستخدامها وذلك لتعقيدها ولغايتين الأولى دعم اقتصادياتها جراء بيع مخزونها من السلاح ولاسيّما الذي يكون قد تجاوزه التطور التكنولوجي ، أما الثاني فقوامه توظيفها لأغراض التأثير السياسي الخارجي سلبا او ايجابا .

٤ : ـ عدم المساس بمناطق النفوذ المباشرة

لقد أفرزت تجربة الحرب الباردة أن المساس بمناطق النفوذ الاساسية للدولتين العظميين عد فعلا ينطوي على الاخلال بتوازن القوة العالمي ،ويهدد بخطر المواجهة المباشرة .ولهذا لم تتوان كل منهما عن بث رساله ردع الى الاخرى عندما عاشت بعض مناطق نفوذها أحداثا داخلية اقترنت بتهديد مباشر لوجودها ومصالحها فيها. فزرع الصواريخ السوفيتية متوسطة المدى في كوبا بعد اكتشافها في ١٥ تشرين الاول عام ١٩٦٢م أدّى بالولايات المتحدة أن ترى فيها تهديدا مباشرا لأمنها القومي. لذا دعت الإحاد السوفيتي إلى سحبها عبر التهديد الضمني بالحرب. والشيء ذاته أي عدم المساس بمناطق النفوذ المباشرة ينسحب على التدخل السوفيتي في جيكوسلوفاكيا بعد عام ١٩٦٨م .فهذا وإن عبّر عن تطبيق ما يسمى بمبدأ بريجنيف في السيادة الناقصة لدول أوروبا الشرقية كان كما يقول أنور عبد الملك رسالة للولايات المتحدة الأمريكية افادت أن موسكو لن تسمح للغرب مهما كان الثمن، بسلخ أي جزء من المنظومة الإشتراكية في اوروبا(٥٩). بيد أن الحرص على عدم المساس بمناطق النفوذ المباشرة لايفيد. أن كلا الدولتين لم تعمد الى توظيف الأحداث الداخلية المناوئة لأحدهما في منطقة نفوذها المباشر للتشهير السياسي بالآخر ولصالحها.

الفرع الثالث ـ مراحل الحرب الباردة

لقد اقترنت الحرب الباردة طيلة المرحلة التي مرت بها بأنماط من التفاعلات بين الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي وتباينت مضامينها في الزمان تبعا لتباين درجة حدة العداء المتبادل صعودا او تراجعا. وجرّاء ذلك اختلفت المعاييرالمستخدمة لقياس هذا التباين تبعا لإختلاف رؤى الباحثين وتبعا لمعيارنا نرى أن الحرب الباردة مرت بخمس مراحل تميزت بسمات محددة و خصائصها كالآتي: –

أولا ـ مرحلة المواجهة (١٩٤٧ـ ١٩٥٣)

تعد هذه المرحلة من أخطر المراحل التي مرّت بها الحرب الباردة في عموم تأريخها، لأنها اقترنت بأحداث تراكمت آثارها مع ما سبقها على نحو أدّى لإندلاع صراع حادٍ بين الدولتين العظمتين وثم ليشمل العالم ويجعل غياب الشعور بالأمن سمته الأساسية،وهذا كان محصلة لأثر أحداث آسيوية أهمها :

١_ نجاح الثورة الصينية عام ١٩٤٩م إن النجاح الذي أدركته الولايات المتحدة على نحو يستوي والخسارة الوطنية، تفاعل مع عقد معاهدة التحالف الصينية السوفيتية عام ١٩٥٠م، وبمحصلة جعلت

٥٩ـ ـ عبد الملك انور ، تغير العالم ، سلسلة علم المعرفة ، الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٨٥ص ١٧٦ـ١٧٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصين أحد ألّد أعداء الولايات المتحدة ولعقدين من الزمن تقريبا .

٢– انسحاب فرنسا عام ١٩٥٤ من الهند الصينية أثر هزيمتها العسكرية مع حركة التمرد الفيتنامية، وبدأ الإنغماس الأمريكي يتصاعد لاحقا الى مستوى (٥٣٧٠٠٠) جندي بعد أن كان عددهم ٦٨٥ جنديا (٦٠) . ولينتهي في عام ١٩٧٥م الى خسائر عسكرية مذلّة في فيتنام.

٣– الحرب الكورية في عام ١٩٥٠ م إثر خسارة اليابان في الحرب العالمية الثانية عمدت الدولتان العظميتان الى تجزئة كوريا التي كانت تحت سيطرتهما، الى دولتين تتبنى كلّ منهما نظاما اجتماعيا مختلفا عن الآخر وتتبع سياسيا أما هذه الدولة او تلك. ولإعادة توحيد الأمة الكورية ذهبت كوريا الشمالية إلى توظيف الحرب سبيلا لذلك. وفي جلسة طارئة لمجلس الأمن في ٢٥ حزيران ١٩٥٠ م وبغياب المندوب السوفيتي، اتخذ قرارا يقضي بغتخاذ اجراءات عسكرية فورية ضد كوريا الشمالية وخوّل الولايات المتحدة الأمريكية تنفيذ هذا القرار. ومع أن شبح حرب عالمية كان قد خيّم آنذاك على الأجواء إلّا أن الحرب الكورية سرعان ماتحوّلت الى حرب بالنيابة . كمّا أن تفاعلاتها دفعت الى طرح فكرة استخدام السلاح النووي ضد الحشود الصينية حسما لها.

إن مصالح الدول العظمى وإن افضت الى أن تنتهي هذه الحرب وباستمرار كوريا مجزئة لحد الآن، بيد أنها افرزت إتجاها مهما سيتبلور لاحقا نحوأكثروضوحا. هو اتجاه الدول العظمى والكبرى نحو فض الحروب المحلية والإقليمية على وفق مصالحها). ولنوعية أحداث القارة الآسيوية في عقد الخمسينات، فهي لم تنعم تبعا لذلك بحالة تتماثل والحالة الأوروبية آنذاك. فأوروبا وإن عاشت حالة القلق الأمني جرّاء الخشية من تصاعد الصراع الأمريكي السوفيتي إلى مستوى الحرب إلّا أن امتلاك أطرافه للسلاح النووي وإدراكها لآثار استخدامه على مصالحها جعلها تنعم بخصائص حالة انعدام الحرب.

وخلافه إنعكس على آسيا، فكما في أوروبا عمدت الولايات المتحدة الأمريكية الى إحتواء الحركة السوفيتية في آسيا عبر سلسلة من الأحلاق، كحلف جنوب شرق آسيا عام ١٩٤٥م والإتفاقيات العسكرية الثنائية أو متعددة الاطراف . كما أقامت العديد من المشاريع الإستعمارية كمشروع ترومان ،مشروع مارشال نمشروع دالاس، مبدا ايزنهاور، مشروع روجرز، مذهب نيكسون، مبدا كارتر ومشروع ريغان و.. إلخ من المشاريع الإستعمارية. وقد شمل هذا الجهد خسا وأربعين دولة من شتّى أنحاء العالم. كما أنه تعزز بنشاط مماثل آخر قامت به دول حليفة للولايات المتحدة الأمريكية كالمملكة المتحدة. ومثاله دورها في إنشاء حلف بغداد عام ١٩٥٤م أو الحلف المركزي كما سمّي بعد ثورة تموز ١٩٥٨م.

ولايستطيع المرء القول أن هذا النشاط الغربي بمعزل عن إندلاع الحروب، وبضمنها الحروب بالنيابة في عالم الجنوب. ويؤشر تأريخ الحروب الدولية منذ عام ١٩٤٥ م أنّه كان موطنها. ومما ساعد على ذلك بدء تشابك معطيات الصراع مابين الشرق والغرب مع صراع جديد آنذاك بين الشمال والجنوب . إنطلاقا من العلاقة الوثيقة بين الإقتصاد والسياسة الخارجية، انطوى سلوك الدول الأوروبية حيال مستعمراتها الآسيوية على تباين واضح. فعمدت مثلا المملكة المتحدة للتخلص من كلفة الإستعمار المباشرعبرمنح بعض مستعمراتها السابقة الإستقلال السياسي وربطها اقتصاديا،استمر البعض الآخركفرنسا متمسكا بها ولهذا عاشت آسيا في الخمسينات حروبا لأجل التحرر والإستقلال الوطني. ولدعم هذا النزوع سياسيا،

---

٦٠ - باون كولن وموني بيتر ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

توّلت الهند في الخمسينات عملية نقله إلى منظمة الأمم المتحدة. وبذلك تأسست النواة الأولى لمجموعة الدول الآسيوية في الجمعية العامة للأمم المتحدة ولعالم تمت تسميته آنذاك بالعالم الثالث تمييزا له عن العالم الأول الغرب والعالم الثاني الشرق. وبهذه المجموعة أُريد ان تكون اداة سياسية للدفاع عن قضايا هذا العالم وطموحاته. على أن تجنيد الولايات المتحدة الأمريكية لقدراتها التاثيرية داخل المنظمة الدولية ولصالحها ومناهضة الإتحاد السوفيتي لهاعبراستخدامه المكثف لحق النقض أدّى إلى ان يتأثر أداء المنظمة العالمية لوظائفها بتناقض المصالح والمواقف بين الدولتين العظميتين. فهذا جعلها عاجزة عن الحركة التي تلبي الأهداف المتوخاة من تأسيسها. ولهذا كان على قضايا العالم الثالث ان تنتظر الحل حتى تحسن العلاقة بين الدولتين بعد منتصف الخمسينات صعودا. حيث حصلت آنذاك جملة من المتغيرات التي بدات الدولتان العظميتان الخضوع لتاثيراتها، دفعت باتجاه مرحلة جديدة من مراحل الحرب الباردة هي مرحلة التعايش السلمي.

الجوانب العملية في سياسة الحرب الباردة

ظهرت لدى الغرب نظريات سياسية بعد الحرب العالمية الثانية، كانت تهدف للحيلولة دون إنتشارالفكر الشيوعي في العالم. وأولى هذه النظريات (نظرية الإحتواء) التي صاغ وبلوّرإطارها العام الدبلوماسي الأمريكي جورج كينان وتمّ دعم وتنفيذ هذه النظرية من قبل حكومة الرئيس الأمريكي ترومان المبنية على تحليل أهداف الإستراتيجية السوفيتية وتعيين الطريقة التي كان ينظر بها السوفيت إلى الغرب الرأسمالي. وقد بلغت الحرارة الباردة ذروتها بإعلان الرئيس الأمريكي ترومان تنفيذه والتزامه بسياسة الإحتواء لتكون حجر الزاوية للسياسة الخارجية الأمريكية وتعاملها مع السوفيت، وكان ذلك على إثر خطاب إلقاء الزعيم السوفيتي آنذاك ستالين أكّد فيه حتمية الصراع مع القوى الراسمالية ونبّه الشعب السوفيتي على اليقظة وعدم الإستكانة بأن انتهاء الحرب لا يعني استرخاء الأمة (٦١).

أوّل إجراء عملي اتخذته القيادة الأمريكية تطبيقا لسياسة الإحتواء هو مواجهة الإضطرابات الداخلية في تركيا والحرب الأهلية في اليونان عام١٩٤٧م على أنها بتدبير شيوعي. الأمر الذي أدّى بالرئيس الأمريكي ترومان أن يطلب من مجلس الكونغرس الأمريكي الموافقة على مدّ اليونان وتركيا بمساعدة قدرها ٤٠٠ مليون دولار. وأشار في هذا الصدد قائلا (أعتقد أن سياسة الولايات المتحدة يجب أن تتجه لمساعدة الشعوب الحرّة المكافحة للخضوع للأقليات المزوّدة بالسلاح أو بالضغوط الخارجية (٦٢)

وهذا يعني أن مبدأ ترومان يكاد أن يكون إغلاق الباب ضد أية ثورة، الأمر الذي يعني أنّه من الممكن مساندة أيّ نظام حتى لو كان دكتاتوريا مادام يدّعي أن القوى المضادة له هي قوة شيوعية. وبهذا الإعلان الأمريكي تكّرست القطيعة بين السوفيت والأمريكان. بعد أشهر قليلة أُعلن في الولايات المتحدة الأمريكية عن مشروع مارشال الذي يتلخص في وجوب مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية لأوروبا الغربية قبل انهيار اقتصادها، ولم يستثن من الدعوة لهذا المشروع حتى دول أووربا الشرقية الأمر الذي ادّى الى استياء حكومة الإتحاد السوفيتي حيث أكّدت أن هذا المشروع لايمكن أن يكون إلا نوعا من الإستعمار الجديد، أيْ استعمار الدولار الأمريكي وبموجب هذا المشروع انفقت الولايات المتحدة ١٢ مليون دولار في سبيل إعادة بناء اقتصاديات أوروبا الغربية. إن الاهداف الرئيسية لمشروع مارشال تتلخص بما يلي :

٦١ــ العقابي علي ، العلاقات الدولية ،دار الرواد ، بغداد ٢٠١٠، ص ٧٤ ــ

٦٢ـ العقابي علي ، نفس المصدر ، ص٧٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١ - القضاء على الأوضاع الإقتصادية والمعيشية المتدهورة في أوروبا.

٢- إحتواء الحركات الراديكالية والثورية الساعية لإقامة حكومات اشتراكية متعاطفة مع الإتحاد السوفيتي.

٣–ربط أوروبا الغربية بالإقتصاد الأمريكي وتمهيد تغلغل الشركات الأمريكية الإقتصادية في الأسواق الأوروبية (٦٣)

وهكذا اتسع الخلاف بين الشرق والغرب. وفي خريف عام ١٩٤٧ أعلن الإتحاد السوفيتي عن تأسيس منظمة أطلق عليها الكومنفورم أيْ (مكتب الإعلام الشيوعي) وكان هدفها يتجسد في توثيق الروابط بين دول شرقي أوروبا وإستقلالها إستقلالا تاما عن الغرب. لقد كانت الحرب الباردة على أشّدها في منتصف عام ١٩٤٩ حيث اتخذت الدول الغربية أول خطوة لها لتنظيم الدفاع ضد الشيوعية هوتاسيس منظمة شمال الأطلنطي، انضّم لهذا الحلف العسكري كلّ من الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندة ولكسمبورغ والنرويج والدانمارك وايسلندة وايطاليا والبرتغال . ويختلف هذا الحلف عن الأحلاف السابقة فكان موجها بوضوح ضد الإتحاد السوفيتي . وبتأسيس هذا الحلف العسكري لم تقتصر الحرب الباردة على أوروبا وحدها بل تسربت إلى جميع أرجاء العالم، وبالأخص في اسيا حيث انتصر الشيوعيون في الحرب الأهلية الصينية في العام نفسه ١٩٤٩م وظهرت الصين الشيوعية في آسيا كمارِدٍ يهدد الإستعمار الغربي في الشرق الأقصى .

ومنذ عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٦٠ أخذت الحرب الباردة منحىً جديدا، فانتقل الصراع إلى الشرق الأقصى ومنذ عام ١٩٦٠ أصبحت الحرب الباردة متمثلة في بقية القارات. حيث ظهرت أزمات عديدة ومتنوعة كأزمة الكونغو وكوبا والهند الصينية*. ومع ذلك فقد كانت تظهر بين الحين والآخر محاولات جدية وخاصة من جانب الإتحاد السوفيتي لإقامة التعايش السلمي بين المعسكرين .

٦٣- العقابي ، نفس المصدر ، ص ٧٦.

***أزمة الكونغو: هي أزمة وقعت من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٦ بين (جيش الحركة الوطنية الكونغولية وقوات الثورة الكوبية وقوات اليونيفيل التابعة للكونغو) ضد (القوات البلجيكية والقوات الأمريكية وجيش يوبولدفيل ومجموعات كاسيا الجنوبية ومجموعات كاتانغا)، إبتدأت على شكل اضطرابات لكن عندما قمع جيش يوبولدفيل الناس وأعلن حالة الطوائ قامت قوات الحركة الوطنية وقوات الثورة الكوبية بمهاجمة جيش يوبولدفيل والقوات البلجيكية، وكان جيفاراعلى رأس قوات الثورة الكوبية التي كان لها دور قوي في تلك الأزمة التي إنتهت بأستقلال الكونغو بعدها خرج جيفارا مع قواته لأن الكونغوليين قاموا بمطاردته لإعتقادهم أنه سيحكمهم.**

أزمة الصواريخ الكوبية – هي الأزمة التي حدثت بين الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة في عام ١٩٦٢ عندما اكتشف الأمريكان قواعد صواريخ سوفيتية في كوبا. وقد انتهت الأزمة بعد ان رضخ السوفيت لتهديدات الرئيس الأمريكي كنيدي فقاموا بسحب هذه القواعد وإرجاع الصواريخ المعدة لها . للمزيد حول هذه الازمة. انظر: - – اسماعيل صبري مقلد و الاستراتيجية والسياسة الدولية ،ص ٦٦٤-٦٦٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي أواخرعام ١٩٥٤ عندما ظهر اتجاه واضح لدى الدول الغربية مفاده تكريس سيادة المانيا وضمها إلى حلف الاطلسي** . وبانضمام المانيا الى الحلف والإعلان عنه ادّى إلى إثارة حفيظة السوفيات الذيندعوا لمؤتمر عام في ديسمبر ١٩٥٤ بقصد حلِّ المسألة الألمانية إلا أن هذا المؤتمر قد فشل، مما أدّى لصدور تحذير علني عن - الإتحاد السوفيتي والدول الإشتراكية الأخرى مفاده أنّ دول شرقي أوروبا ستضطر لإتخاذ تدابير دفاعية جماعية خاصة لمواجهة تهديد العسكرية الألمانية التي أحياها الغرب فيما إذا اصرت الدول الغربية على خطواتها بالتعاون المتكافئ مع المانيا الغربية في ظل حلف الاطلسي. وأمام هذه التطورات لابدّ وان يكون هناك ردّ سوفيتي وجماعي من قبل دول أوربا الشرقية، ويتمثل هذا الردّ في تأسيس منظمة حلف وارشو التي يعدها البعض ردة فعل سوفيتية مباشرة لحلف الأطلسي هذا لايتسق مع الواقع من وجهة نظرنا لأن هناك فاصلا زمنيا طويلا بين إنشاء الحلفين . ثم عادت الحرب الباردة لمنطقة الشرق الأوسط عام ١٩٥٥، فتجسدت بأزمة السويس عام ١٩٥٦. هذه التطورات والأحداث في مختلف المناطق أدّت الى توتر العلاقات الدولية بين المعسكرين. وبمقدم عام ١٩٦٠ انتقلت الحرب الباردة لأفريقيا وأمريكا اللاتينية. في أفريقيا ظهرت دول حديثة الإستقلا ل بقيادة زعماء قد قاسوا مرارة الإستعمار وشاركوا في استقلال بلدانهم. وبطبيعتهم فكانوا يكرهون الغرب ويتطلعون للمساعدة السوفياتية ، من أشهرهم كوامي نكروما رئيس جمهورية غانا السابق، وأحمد سيكوتوري رئيس جمهورية غينيا السابق وباتريس لوموبا رئيس وزراء الكونغو السابق وغيرهم. وظهرت نتيجة لذلك أنواع جديدة من التوازنات، فبدا ظهور مصطلح توازن المصالح إلى جانب توازن القوى التي بنيت على أسس ونظريات استنبطت من الخبرات المكتسبة ، وبعضها كان وليد أفكار لأشخاص ذوي ثقلٍ في المجال السياسي والإقتصادي والعسكري، إلى أن وصل الوضع الدوليّ الى حافة الهاوية لينذر بحرب عالمية ثالثة . وهنا تنبه العالم الى الكارثة التي يمكن أن تحدث إذا لم يبطيء الخطى في هذه النظرة الخطيرة لإستخدام القوة. وهنا توقف العالم لفترة ليلتقط أنفاسه وليعقد سلسلة من الإتفاقيات والتعهدات لعدم استخدام القوة، سواء التقليدية منها أوالنووية تجنبا للدمار الشامل، ثم تقدم خطوة أخرى للسعي لتخفيض قواته وأسلحته خاصة أسلحة الدمار الشامل. وبدا واضحا الإرتباط بين توازن المصالح وتوازن القوى. حيث تمثّل توازن المصالح للكتلتين في مناطق معينة على أن تسعى كلّ من الكتلتين لتحقيق أشكال توازن القوى في تلك المنطقة، باستخدام قدراتها العسكرية والإقتصادية لتحقيق مصالحها. وفي هذا المناخ المشحون بالتفاعلات المتناقضة فقد العالم نظام الأمن الجماعي الذي تحملت الأمم المتحدة مسؤولية تطبيقية (٦٤). ولكن في ظل سوء استخدام حق الفيتو حدث شلل واضح في سلطة مجلس الأمن وتكرست حدّة إنقسام العالم بين القطبين الثنائيين.

إن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكتف بهذا التحالف وحسب بل عقدت تحالفات عدة أخرى . كميثاق

****تمتد أزمة برلين بأصولها إلى زمن الرايخ الالماني، منذ أن دخل السوفيات عاصمته برلين في أيار ١٩٤٥. كان قد تمّ التفاهم بين الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية على وجوب تقسيم المانيا الى مناطق إحتلال موزعة بين الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا والإتحاد السوفيتي . وقسمت برلين بدورها الى أربع مناطق تشرف عليها الدول الأربع عمليا بإقتراح اللجنة الإستشارية الأوربية عام ١٩٤٤. وفي مؤتمر لندن عام ١٩٤٨ بين الدول الغربية تقرر دمج مناطق احتلالها الثلاث في كيان واحد وبمنحها حرية الدعوة لإجراء انتخابات عامة فيها. وهذه الإجراءات أثارت السوفيت وأدّت الى تأزّم العلاقات مع حلفاء الأمس .**

٦٤- نظرية توازن القوى والمصالح ، تقرير موقع مقاتل من الصحراء www.mogatel.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ريو عام ١٩٤٧ مع دول امريكا اللاتينية وضم ٢٢ دولة وميثاق الأمن المتبادل مع اليابان عام ١٩٥١ثم الحلف الثلاثي مع استراليا ونيوزليندا عام ١٩٥١ والمعاهدة الدفاعية مع الفيليبيين عام ١٩٥١ ومعاهدة الدفاع المتبادل مع كوريا الجنوبية عام ١٩٥٣ ، وحلف جنوب شرقي اسيا عام ١٩٥٤ ومعاهدة الدفاع المتبادل مع فرموزا عام ١٩٥٤. وقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية تهدف بذلك لإثبات أنها قوة أعظم لها مكانتها الدولية في نظام القطبية الثنائية. وكانت المحصلة لهذه التحالفات هي تنظيم استخدام القواعد العسكرية، بموجب تواجد قوات امريكية على أعلى مستوى في الموانيء والمطارات والقواعد الجوية لهذه الدول ، بما يحقق الفتح الإستراتيجي المبكر لقواتها المسلحة لحماية مصالحها في مناطق التحالف . إضافة الى التواجد في البحار والمحيطات تأكيدا لنفوذها في مناطق قريبة من مصالحها الإستراتيجية في اماكن متفرقة في العالم . وعلى الجانب الآخر فقد حول الإتحاد السوفيتي اتفاقياته الثنائية الى شكل موحد من أشكال التحالف ، ممثلا في حلف وارسو إضافة لتحالفها السابق مع الصين عام ١٩٥٠ .

لكن التقارب العسكري بينهما أدّى بهما الى بلوغ حالة من الإسترخاء. وقد جاء هذا التغيير بعد أن شهدت العلاقات ذروة التردي في الأزمة الكوبية والحرب الفيتنامية والكورية، الأمر الذي كان حافزا لدخول العلاقات بينهما مرحلة جديدة بتعبير آخر، الإنتقال من مرحلة المواجهة إلى مرحلة التعايش السلمي ...

ثانيا ـ مرحلة بداية التعايش السلمي ١٩٥٣ـ ١٩٦٣

لقد استمر ستالين بدعوته للتعايش السلمي بعد الحرب وحدّد الأسس التي يجب أن يقوم عليها هذا التعايش، بإعلانه أن التعايش السلمي بين الشيوعية والرأسمالية ممكن تماما مادام هناك..

- رغبة متبادلة في التعاون .

- استعداد للوفاء بالإلتزامات السابقة .

- مراعاة لمبدأ المساواة .

- امتناع عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى .

وبعد وفاة ستالين عام ١٩٥٣ أعلن مالينكوف بصفته رئيسا لمجلس وزراء الإتحاد السوفيتي أن الاتحاد السوفيتي متمسك بمبدأ لينين وستالين في إمكانية تعايش طويل الأمد وتنافس سلمي بين نظامين مختلفين الرأسمالية والشيوعية. وبوصول خروتشوف إلى زعامة الإتحاد السوفيتي في منتصف الخمسينيات، تبلوّر التصور السوفيتي أنه اذا مانشبت حرب نووية بين القوتين، فأنها ستنتهي بتدميرها نهائيا تدميرا شاملا وهو يعني للعالم كارثة محققة. وكانت هذه النظرة الجديدة هي الأساس في التحول إلى نظرية التعايش السلمي بحيث تتجنب المواجهة المسلحة بالحرب نتيجة التناقضات والإختلافات بين الأنظمة السياسية والإجتماعية المختلفة . واعتبر المراقبون خطابه الذي القاه في المؤتمر العشرين أهم بيان شيوعي صدر بعد الحرب العالمية الثانية لطرحه شعار التعايش السلمي بين الدول ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة كمبدأ أساس في السياسة الخارجية للإتحاد السوفيتي وبإعلان تخليه نهائيا عن الأساليب الستالينية المتسمة بالتعصب الحزبي والتشدد في السياستين الداخلية والخارجية. وكان هذا المؤتمر قد سجّل علامة بارزة في طرحه لمبدأ التعايش السلمي كبديل لحتمية الحرب بين الأشتراكية والراسمالية وإمكانية الإنتقال السلمي إلى الإشتراكية مع تعدد الطرق في سبيل تحقيقها دون أن يلغي الصراع الآيديولوجي بين النظامين. كما أوضح خروتشوف في خطابه المتغيرات السياسية التي دعت الحزب لرسم هذه التوجهات . فتقرير

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المؤتمر العشرين يقول (معلوم أن ثمة الفكرة الماركسية اللينينية القائلة بأن الحرب لابدّ منها طالما الإستعمار العالمي موجود . إن هذه الفكرة قد ظهرت في مرحلة كان الإستعمار فيها نظاما عالميا ووحيدا،هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت القوى الإجتماعية والسياسية التي لامصلحة لها في الحرب ضعيفة قليلة التنظيم و لاتستطيع إرغام الإستعماريين على العدول عن الحرب. أما اليوم فيضيف التقرير أن الوضع تبدلا جوهريا وظهر معسكرالإشتراكية العالمي وبات قوة خارقة. وقوى السلام لاتجد في هذا المعسكر الوسائل المعنوية وحسب بل الوسائل المادية أيضا. وهناك بالإضافة الى ذلك طائفة عديدة من الدول الأخرى يعدّ سكانها بمئات الملايين وهي دول تناضل بنشاط ضد الحرب)(٦٥). بذلك يكون تقرير المؤتمر العشرين قدأعطى مفهومه لطبيعة المرحلة بعدم حتمية الحرب لابسبب ضعف قوة المعسكر الإشتراكي بل لسبب القوة التي يمتلكها . وفي مناسبة أخرى يعرّف خروتشوف التعايش السلمي بأنه استمرار للصراع بين نظامين مختلفين ولكنه صراع بوسائل سلمية. إننا نعتبره صراعا إقتصاديا وسياسيا وآيدلوجيا ولكنه ليس صراعا عسكريا). كما أن صياغة هذه المبادئ لايعني قبول الطرف الآخر بها عن طيب خاطر بل أن قبوله حسب السوفيت لايتم إلاعبر نضال دؤوب و صراع شاق بين قوىالسلم والتقدم الإجتماعي من جهة، وقوى الحرب والرجعية من جهة أخرى، كما أن التعايش السلمي لايعني نبذ الصراع الطبقي أوالتوفيق بين الآيديولوجيتين، ولايعني الحفاظ على الحالة السياسية والإجتماعية الراهنة في تخفيف الصراع الآيديولوجي بل يساعد في تطوير النضال الطبقي ضد الإمبريالية. رأى خروتشوف أن جعل اسلوب الحياة السوفيتية أكثرجاذبية على الصعيد الخارجي يقتضي أولا تأمين التفوق الإقتصادي والإرتقاء الثقافي والإجتماعي لبلاده الى ذلك المستوى الغربي في الاقل . فقد صرح خروتشوف لبعض الزوار الامريكيين قائلا (ما أعنيه بالمنافسة السلمية هو اننا سنتغلب عليكم في لعبتكم. وسوف نتفوق عليكم في إنتاج البضائع الإستهلاكية وسوف نوفر لشعبنا حياة أفضل من الحياة في بلادكم وعندما يرى العمال في العالم كيف يعيش الشعب السوفيتي منعما في ظل الشيوعية فسينضمون الى جانبنا دون حاجة الى إقناع ودون إرغامهم على ذلك)(٦٦) . ومن هنا أولى الصناعة المدنية اهتماما خاصا مع الإهتمام المكّثف بالصناعة العسكرية. ورأى خروتشوف جدوى الإنفتاح على العالم الثالث ودعمه إقتصاديا وعسكريا وسياسيا، وتوظيف محصلة ذلك أداة لدعم الحركة السوفيتية العالمية بعناصر داعمة مضافة. ولهذا حظي العالم الثالث في عهده بدعم سوفيتي فريد على أن إتجاه كلا الدولتين العظميتين للإقتراب من بعض لم يكن ممكنا لأن الإستجابة الأمريكية كانت سلبية المضمون. فمتغيرات أمريكية كادت تتماثل من حيث المضمون مع مثيلاتها السوفيتية دفعت عمليا بالإدارة الأمريكية آنذاك للتفاعل إيجابيا مع التوجه السوفيتي الجديد، أي إدارة جون. أف. كينيدي. ولخضوع الطرفين لتأثير ذات المتغيرات (تقريبا) التي دفعت إلى انفتاحهما على بعض، تأسس نسق جديد من العلاقة المتبادلة وتصاعدلاحقا، وحقق لهما فوائد جمة قوامها التعاون الذي تجسّد بأربعة صعد أساسية، أولها العودة الى عقد مؤتمرات القمة بعد انقطاع طويل، كمؤتمر جنيف عام ١٩٥٥م ويعدّ أول مؤتمر بعد مؤتمر قمة بوتسدام عام ١٩٤٦. أما ثانيهما فقوامه عقد اتفاقات

٦٥- خروتشوف ن ، تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي وعن نشاطها امام المؤتمر العشرين ، مكتبة المطبوعات الشعبية ، دمشق ، بيروت ، ١٩٥٦، ص ٥٦-٥٧

٦٦- دويتشر ابزاك – ترجمة محمد خليل مصطفى، الصراع الكبير بين روسيا والغرب الدار القومية القاهرة ص ٧٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

متعددة لتطويرالعلاقات الإقتصادية والفنية والتكنولوجية ، إضافة للحدّ من سباق التسلح(٦٧)، وثالثهما تجنب التدخل العملي في مناطق النفوذ المباشرة خشية أن يؤدي ذلك الى للإخلال بتوازن قوى الدول الكبرى وبالتالي العودة بعلاقاتهما الجديدة الى سابق عهدها بالنتائج المترتبة على ذلك (٦٨). وأخيرا يكمن الصعيد الرابع في نزوع الدولتين العظميتين نحو تسوية أزماتهما سلميا كأزمة كوبا عام ١٩٦٢ والحرب العربية الإسرائيلية في عام ١٩٦٧تجنبا للمواجهة العسكرية المباشرة بينهما .

وهذه السياسة الجديدة لم تؤدِّ لتخفيف الضغط الأمريكي على دول العالم الثالث واتجاه بعضها لتوظيف التناقضات الأمريكية_السوفيتية لصالحها وحسب، ب مهّدت كذلك الظروف المواتية لتأسيس حركة عدم الإنحيازرسميا في مؤتمر بلغراد عام ١٩٦١م. والتي ستؤدي لاحقا دورا سياسيا دوليا مهما. على أن اتجاه الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي في هذه المرحلة من تطورالحرب الباردة للتعاون لم يفد ، فالأفعال وردود الافعال الامريكية والسوفيتية في أوروبا وآسيا انطوت على آثار حدت من أن تأخذ المدخلات الايجابية التي دفعت الى التعايش الامريكي السوفيتي مداها في الارتقاء بالتعايش الأمريكي _السوفيتي الى آفاق أرحب لذا كان على العالم البقاء متوترا ويعاني من أثاره. على أن إقتران العلاقة الامريكية _السوفيتية خلال هذه المرحلة بأستمرار الصراع لم يلغ الخصائص الأساسية لها.

فهذه انطوت على تأثير مهم في هيكلية القطبية الثنائية ذاتها .فبعد أن تميزت بالصرامة في المرحلة السابقة أضحت بعد ازمة كوبا خصوصا مقترنة بقدر من المرونة. وتلك المرونة مهدّت السبيل لبروز متغيرات دولية عدّت جديدة في وقتها فأخذت الزعامتان الامريكية والسوفيتية للعالم تجابه بالتحدي، فرنسا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية والصين بالنسبة للإتحاد السوفيتي. ومرّد ذلك ليس نزوعهما نحو الإستقلالية بفعل أسباب قومية وإستراتيجية حسب بل كذلك امتلاكهما للسلاح النووي كفرنسا في عام ١٩٦٠م والصين في عام ١٩٦٣م. ونرى :

١- أن هذا الإتجاه لم يؤدِّ لبداية زعزعة هيكة النظام الدولي الذي تمحوربعد الحرب العالمية الثانية على قطبين أساسيين حسب بل إلى أن يشكل النواة لإتجاه سينمو وينتشر لاحقا عالميا بصعيد قوامه التعددية.

٢- بدء انفتاح أوروبا على الإتحاد السوفيتي والصين على الولايات المتحدة الأمريكية خصوصا والغرب عموما.

٣ـ حصول العديد من المناطق المستعمرة في العالم الثالث على استقلالها السياسي، فمثلا قفز عدد الدول المستقلة في افريقيا خلال عقد من الزمان (١٩٥٧_١٩٦٧)من (٨) دول الى (٤٠) دولة (٦٩) وبغض النظر عن كيفية حصول هذه الدول على استقلالها السياسي، فعدّ عقد الستينيات عمليا وسياسيا عقد الإستقلال بالنسبة لدول العالم الثالث. وهذا التطور وإن أدّى إلى دعم حركة عدم الانحياز في الستينيات بعدد مضاف من الدول الاعضاء إلا أنه أسس في الوقت ذاته بداية تاكل دورها لاحقا . فانتماء دول جديدة ذات علاقة وطيدة بالغرب أوالشرق اليها قد أدّى إلى أن تكون هذ ه الدول ممرا لإبعاد

٦٧- Alexander l . George.et al .us + soviet. Security cooperation.new Yor -oxford unversity .press1988

٦٨-عبد الملك انور ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٧

٦٩- دوللو لويس ، التاريخ الدبلوماسي ، ت سموحي فوق العادة ، بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٨٢،ص ١٤٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه الحركة عن المباديء الأصلية التي تأسست من أجلها خصوصا فبعض هذه الدول لم تتوان عن تأدية وظائف بالنيابة لصالح هذه الدولة العظمى أو تلك. ومثالها الحروب بالوكالة التي اندلعت في هذه المرحلة .

٤- تنشيط دور منظمة الأمم المتحدة فعلى العكس من المرحلة السابقة التي أدّت من خلالها التناقضات الأمريكية_السوفيتية إلى أن تتآكل وتتعطل فاعلية هذه المنظمة، انعكس التفاهم بين الدولتين العظميين على حركتهما حيالها. فانتفاء الحاجة الى استخدام حق النقض من قبلهما معا أو أحداهما بالحدة السابقة جعل المنظمة أكثر فاعلية (٧٠) نسبيا. وتبعا لأثر هذه المتغيرات ،فإنه دفع بالعلاقة الأمريكية_السوفيتية إلى نسق من التعاون أعمق تشعبا وأكثر تطورا من أي وقت مضى.

و من الجدير بالإشارة أن إصلاحات خروتشوف قد تخللها الكثير من السلبيات والأخطاء ليس فقط على صعيد الوضع الداخلي بل امتدت الى الخارج وتجلّت في مواقفه من أحداث المجر وبولونيا والمانيا الديمقراطية، واسفر هذا النهج عن حصول أكبر انقسام في الحركة الشيوعية بخروج الصين والبانيا عن التحالف مع الإتحاد السوفيتي بسبب اختلافهما مع التقييمات التي جاء بها المؤتمر العشرون حول فترة ستالين ونهجه وغيرها وسنتناول تفاصيل ذلك في موقع آخر من هذه الدراسة .

ثالثا- مرحلة التعايش بالإنفراج ١٩٦٣-١٩٦٩

إن عبارة الإنفراج تعني تخفيف حدّة المواجهة بين العملاقين، والبحث عن آفاق للتعاون بينهما. طالما أن الإنفراج الدولي يطال العلاقات الأمريكية السوفيتية فلنتعرف كيف فهمته كلّ من واشنطن وموسكو؟ حدّد الرئيس الأمريكي جونسون عام ١٩٦٦ طابع السياسة الخارجية الأمريكية الذي سيتبعه مع الإتحاد السوفيتي بقوله (حقيقة أن الاسلحة النووية قد ردعت الحرب وساعدت على وقف انتشار الشيوعية .... إلا أن السلام الذي يرتدي تاجا نوويا هو سلام غير مستقر...). ويعود ويضيف الرئيس الأمريكي (.....إننا في الولايات المتحدة نعتزم تخفيض إنتاج المواد الإنشطارية ونامل أن يفعل السوفيات الشيء نفسه(٧١). أمامفهوم الإنفراج الدولي للسوفيات فحدّده الزعيم ليونيد بريجنيف باللاءات التالية، (إن الإنفراج لايعني لا التخلي عن الصراع الطبقي أو الصراع الفكري ولا نهاية النزاع السياسي بين النظامين ولا التحرر الداخلي للأنظمة الإشتراكية، فهو بداية إعادة بناء العلاقات الدولية على أسس متينة من مبادئ التعايش السلمي بين البلدان ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة. وقد جاءت الحرب

٧٠- كولار دانيال ، العلاقات الدولية ، ت خضر ، بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٨٥،ص ١١٧.

٧١- شلبي السيد امين ، الوفاق الامريكي السوفيتي ، ١٩٦٣-١٩٧٦،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١،ص ٧٢-٧٣

*** درس الازمة الكوبية التي وضعت العالم على شفا حرب نووية عالمية من اهم دوافع الانفراج الدولي.**

*** دخول الصين حلبة التسلح النووي**

*** القرار التاريخي الذي اتخذته فرنسا عام ١٩٦٦ باعلان انسحابها من القيادة العسكرية المشتركة لحلف الاطلسي ، بعد امتلاكها للسلاح النووي انطلاقا من قناعتها ان الولايات المتحدة تعمل لتطمين مصالحها القومية وان الاسلحة النووية التي يفترض انها تحت تصرف الحلف تخضع لرقابتها وحدها وتقع خارج الاراضي الاوربية .كان من نتائج هذه السياسة ان باشر الكبيران بالتوقيع على معاهدة الفضاء الخارجي عام ١٩٦٧، ثم معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية عام ١٩٦٨**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العربية الإسرائيلية عام ١٩٦٧ لتبرهن على أهمية المبادئ وصحتها التي اتفق عليها الكبيران.

فلكي لاتحصل مواجهة مباشرة بينهما بسبب هذه الحرب ، فكان لقاء غلاسبورو في حزيران ١٩٦٧بين الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي بهدف تنسيق جهودهما المشتركة والتفاهم حول كيفية احتواء الازمة. وفي عام ١٩٦٨ عندما أعلن الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي برنامجه المتضمن الطريق التشيكوسلوفاكية للإشتراكية لتحصل من خلاله على إستقلال محدود تدخل الإتحاد السوفيتي وحلف وارسو في هذا البلد لقمع الإنتفاضة فنجح في ذلك .

وبهذا وقف الغرب والولايات المتحدة الأمريكية منددين بغزو حلف وارسو لتشيكوسلوفاكيا، ولكنه لم يفعل شيئا، متفهما الدوافع السوفيتية التي أدّت لهذا التدخل. ليلتقي الغرب بموقفه هذا مع ماأعلن عنه بريجنيف منطلقا من النظرية الأمريكية التي ساقها جونسون عام ١٩٦٥، مبررا تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في الدومنيكان وهي (أن الأمم الامريكية لاتستطيع ولن تسمح بإقامة حكومة شيوعية في نصف الكرة الغربي. ذلك أن الخطر خطر مشترك والمبادئ مبادئ مشتركة (٧٢).

رابعا ـ مرحلة الوفاق(١٩٦٩_١٩٧٦)

تعد هذه المرحلة من أهم المراحل في نظام ثنائي القطبية، ولايكمن ذلك في أنها دعمت مخرجات المرحلة السابقة عليها وحسب بل كذلك لأن مخرجاتها رفدت تسارع تطور دولي بدأ بالعداء، ومرّ بالتعاون، وانتهى لاحقا بانهيار دولة عظمى دون حرب، وببدء دورة سياسية دولية جديدة.

اولا_اسباب التحول الى الوفاق بين أمريكا والإتحاد السوفيتي وهي :-

١- الرغبة في أن تلعب مرحلة الوفاق دورا اكبر من مرحلة الإنفراج في تقليص الفوارق الآيديولوجية بين المعسكرين والتوجه بهما نحو سياسة أكثر انفتاحا وأكثر تفهما للواقع الدولي .

٢- قناعة كل من الولايات المتحدة الامريكية والإتحاد السوفيتي بامكانية حدوث حرب ذرية بنوع الخطأ ويجب تجنبها وقد كانت هناك دراسات عدة في هذا المجال : ـ

أ : ـ احتمال وقوع خطأ فني كحدوث إنفجار في أحد مخازن الذخيرة النووية بنوع الخطأ وتسجله أجهزة النظم الدفاعية للجانب الآخر على أنه هجوم نووي يرد عليه بهجوم مضاد وهنا تحدث الكارثة .

ب : ـ قد تحدث هذه الحرب بسبب تدخل قوة ثالثة تسعى للهيمنة على العالم بعد احداث وقيعة بين القوتين العظيمتين لتدمر كل منها الأخرى (٧٣).

الإدراك الامريكي والسوفيتي للوفاق في السبعينات

توزعت رؤى النخب المؤثرة في صناعة السياسة الخارجية الأمريكية حيال الإتحاد السوفيتي على رؤيتين متقاطعتين. الأولى وتعد امتدادا لرؤية ترددت في خلال مرحلة اشتداد حدّة الحرب الباردة قوامها

٧٢- شلبي ، الوفاق ، مصدر سابق ،ص ١٣٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧٣- التوازنات الدولية ، موقع مقاتل من الصحراء. www.mogatel .com

أن أهداف السياسة الخارجية السوفيتية غير قابلة للتعديل أوالتغيير، هذا لإقترانها بآيديولوجية تسعى لتحقيق مشروع عالمي. لذا فأن الإحتواء والتصلب هو السياسة التي ينبغي أن يتم الإنطلاق منها حيال الإتحاد السوفيتي. أما الثانية فقد أدركت أن المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي في عام ١٩٥٦م انطوى على تغيير حقيقي في السياسة الخارجية السوفيتية، وإن ذلك يستدعى مقابلته بسياسة مرنة تشجع الأولى على المضي بانفتاحها على الغرب عموما خدمة للأهداف الأمريكية. بيد أن ماتقدم لايفيد، فكامل مرحلة الوفاق كانت تطبيقا لهذا الخيار، فعلى العكس من إدارة نيكسون وإدارة كارتر، ذهبت إدارة ريغان. وكما سنرى في أدناه تبني آراء دعاة الإحتواء والتصلب. وبالمقابل انطلق الإتحاد السوفيتي من رؤية للوفاق لم تختلف في عمومها عن رؤية الإدارات الأمريكية في السبعينات. فبريجنيف أدرك أن الوفاق حالة تتعارض مع تلك التي اقترنت بها مرحلة اشتداد حدّة الحرب الباردة . وتبعا لذلك فعمد لتوظيفه لأجل توطيد التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية .على أن الوفاق عنده لم ينطو التخلي عن الصراع الطبقي (أو) عن الصراع الفكري(أو) نهاية النزاع السياسي بين النظامين (أو) التحرر الداخلي للأنظمة الإشتراكية. وإنّما يعني بالنسبة للسوفيت بداية إعادة بناء العلاقات الدولية على أسس متينة بترسيخ مبدأ التعايش السلمي (بالتدرج) بين البلدان ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة. إن الإعتراف بمبدأ التعايش السلمي، برغم أهميته لا يكفي كأساس محتمل وحيد للعلاقات بين الدول الاشتراكية والراسمالية . إن مجرد الإعتراف بهذا المبدا بدون املائه بمضمون عملي وبدون ترجمته للغة التدابيرالفعلية ليس غير إعلان. والتدابيرالفعلية تاتي عن طريق عملية الإنفراج التي هي من حيث الجوهرعملية التحقيق العملي لمبدأ التعايش السلمي، وهذه تتجسد في مجموعة من المعاهدات والإتفاقيات التي تتخطّى حدود الإتصالات الثنائية، ومن خلال المعاهدات يتجسد الإنفراج وترسى الأسس لعلاقات دولية سلمية وبنّاءة بين البلدان الإشتراكية والبلدان الراسمالية لتمتد وتطال كامل نظام العلاقات الدولية، ليتطور الإنفراج ويمس مصائر العالم باجمعه.

فالإنفراج يمهّد الطريق لإيجاد حلول للقضايا العالمية الملِّحة في ظروف طبيعية وعن طريق المباحثات. والإنفراج يعني للسوفيت أيضا التطورات الإيجابية في الوضع الدولي بشكل يخلق المناخ السياسي الملائم للتعاون بين الدول ذات الأنظمة السياسية المختلفة على أساس متين من التعايش السلمي ولمعالجة القضايا الصعبة والمعقدة في العالم المعاصر، وإضافة للإنفراج السياسي هناك انفراج آخر عسكري من شأنه وقف سباق التسلح وصولا الى نزع السلاح . بتعبير آخر أن الانفراج يعني توفير المناخ الملائم للتعايش السلمي بين الأنظمة الإجتماعيةالمختلفة (٧٤).

الحاجة المتبادلة للوفاق

تتعدد وتتنوّع مضامين هذه الحاجة، وتتوزع على حاجات مشتركة واخرى خاصة. فأماعن الحاجات المشتركة فقوامها أساسا الخشية المتبادلة من الحرب النووية، حيث لم تحد منها أن عقد الستينات شهد توقيع عدد مهم من الإتفاقيات العسكرية بين المعسكرين الشرقي والغربي. عبّرعنها خروتشوف في مذكراته (إن الحرب العالمية الثالثة ممكنة وثمة عدد من المجانين يرغبون في بدء حرب نووية (٧٥).

٧٤- ساتاكويف و كابتشنكو ، السياسة الخارجية الاشتراكية في النظرية والتطبيق ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧٥، ص ١٥٧-١٧١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧٥- باون كولن وموني بيتر ، مصدر سبق ذكره ص ٢٤٣

هذه الخشية لم تكن سوى محصلة لسباق نووي كان مفتوح النهايات دفعت مخرجاته إلى دخول كلا الدولتين العظميتين عقد السبعينات وهما في حالة من التعادل النسبي في القدرة النووية. ولنوعيتهما انطوت قدرة كل منهما على تجريد الآخرمن فاعليته النووية بضربة أولى ناجحة أو تدميره تدميرا شبه شامل ومؤكد في الأقل. ولهذا فرضت الخشية من إحتمال إندلاع حرب نووية، وبغض النظر عن الأسباب فعلى الدولتين التفكير بوسيلة تسمح بتعايشهما وتعاونهما في ضوء نظام دوليّ يقوم على التوازن الإستراتيجي والمنافسة السياسية، وبحسب نيكسون، أنها أسست نظرة مشتركة ونوعا من الإعتماد المتبادل من أجل الوفاق (٧٦).

إلا أن الوفاق وإن عبّر عن مسار تطور مهم في العلاقة الأمريكية السوفيتية فالدول الكبرى كالصين وفرنسا عمدت إلى التنديد به. الصينيون اعتبروا الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة أكبرا دولتين ظالمتين ومستغلتين في العالم اليوم. أما الفرنسيون فقد تحدّثوا عن الهيمنة المزدوجة. على أن هذا التنديد وإن كان انعكاسا لنوعية العلاقة آنذاك بين الصين والإتحاد السوفيتي وبين فرنسا والولايات المتحدة كان في الوقت ذاته تعبيرا عن نمو الإتجاه الإستقلالي في أوروبا وآسيا وبقية العالم الثالث يتحدى ضمنا أو صراحة لتطلعات الزعامة الأحادية أوالثنائية للعالم. ففي أوروبا عمدت المانيا الى الإنفتاح على الإتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية. كما أن اليونان ذهبت في عام ١٩٧٤م الى الإنسحاب من القيادة العسكرية المشتركة لحلف شمال الأطلسي مكررة بذلك التجربة الفرنسية في وقت سابق خلال الستينات، وفضلا عن ذلك ارتفعت المطالبة في تركيا بالغاء القواعد العسكرية الأمريكية في أراضيها جراء الأزمة بينها وبين الولايات المتحدة عام ١٩٧٤م، كما أن ايطاليا شهدت تطورات لم تكن في الصالح الامريكي. أما في اسيا فبدأت اليابان تتصرف على وفق مصالحها القومية العليا فبدأت بالتقرب الى الصين كما وأدّت صدمة الحظر النفطي العربي عام ١٩٧٤م الى اعتمادها لسياسة اقتربت من الرؤية العربية لحل الصراع العربي الإسرائيلي. وللحالة التي عاشها المعسكر الغربي في السبعينات بدا واضحا أن الإنسياق الأوروبي والآسيوي المطلق وراء الولايات المتحدة اخذ يتزعزع تدريجيا. ولم تكن حالة المعسكر الشرقي افضل فالزعامة السوفيتية له اخذت تجابه بتحديات حقيقية. فأضافة الى استمرار نزوع بعض دول أوروبا الشرقية للإستقلال كرومانيا عاشت الحركة الشيوعية جرّاء تفاقم الصراع الصيني_السوفيتي (٧٧) انقساما واضحا. فهذا الصراع لم يؤدِّ لقطيعة شبه شاملة بين الدولتين وبالتالي لأفعال عدائية متبادلة لم تستمر حتى عقد التسعينات حسب بل انعكست آثاره على مواقف الأحزاب الشيوعية في العالم حيالهما. أما مع هذا الطرف أوبالضد منه. ولم يقتصر التغيير في السبعينيات على تحدي الزعامتين الأمريكية والسوفيتية في مناطق نفوذهما المباشرة حسب وإنما امتد كذلك الى العالم الثالث. فعقد السبعينات وإن شهد استمرارالصراع الامريكي السوفيتي على هذا العالم، لأهميته الإقتصادية والإستراتيجية، بيد أنه في الوقت ذاته شهد تصاعد وعيّ دول هذا العالم بقدرتها على أداء دور دوليّ أكثر تأثيرا داخل منظمة الأمم المتحدة وخارجها لصالح بناء عالم جديد. وتبعا لذلك تأسست مثلا (٧٧) مجموعة داخل الجمعية العامة للأمم المتحدة والتي توسعت عضويتها لاحقا جرّاء إزدياد عدد الدول النامية الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة . وإضافة الى ذلك أخذت دول العالم الثالث.

---

٧٦ - باون كولن وموني بيتر ، مصدر سبق ذكره ص ٢٤٣

٧٧– مقلد اسماعيل صبري ، تحركات العملاقين على طريق الوفاق ، السياسة الدولية ، مركز الدراسات الإستراتيجية والسياسية ،ص ٨٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تدعو الى نظام اقتصادي دولي جديد يؤمن لها مصالحها كما أن الدول العربية ذهبت في عام ١٩٧٤م الى توظيف النفط ولوعلى مستوىً محدود لإحداث تغيير في المواقف الدولية من الصراع العربي – الإسرائيلي وعليه نرى أن المخرجات التي أفرزها الوفاق خارج إطار العلاقة المباشرة بين الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي قد أسّست بدايات تلك الملامح الدولية للعالم الذي سيأخذ بالتكوّن على نحو جديد مع بداية عقد التسعينات كما سنرى.

خامسا مرحلة انتكاسة الوفاق (١٩٧٦_١٩٨٥)

بعد منتصف السبعينات تقريبا أخذت العلاقة الامريكية ـ السوفيتية تقترن تدريجيا بحالة من التوتر الشديد، وجرّاء ذلك ذُكرت آراء أنها عادت مجددا الى ذات الخصائص التي تميزت بها في خلال مرحلة اشتداد حدة الحرب الباردة ولهذا أطلق عليها تسمية الحرب الباردة الجديدة أو الحرب الباردة الثانية، فلا نرى تلك التسمية كانت دقيقة. فالعلاقات الامريكية_السوفيتية اتجهت ومنذ مرحلة التعايش السلمي إلى التبلور على وفق قواعد محددة ومنظمة للسلوك المتبادل. وتبعا للحرص على التمسك بها، فمضامينها لم تسمح للطرفين بالعودة لحالة تأكد كلاهما من خطورة نتائجها المباشرة عليهما، وهي حالة الصراع الذي يمكن أن يتصاعد لمستوى الإستخدام المتبادل للقوة النووية، وبالتالي التدمير الشامل شبه المؤكد، على أن حرص كلا الطرفين على تجنب هذه الحالة لايفيد، فعلاقتهما قد استقرت على نمط تلك علاقة الحلفاء فيما بينهما. فتأثير عدد من المتغيرات جعلها ومنذ عام ١٩٤٧م وحتى عام ١٩٨٥م تقترن مرة بغلبة خصائص الصراع ضمن إطار التعاون وبغلبة خصائص التعاون ضمن إطار الصراع (٧٨). مرحلة الوفاق لم تكن استثناءً، فعلى خلاف سنواتها الأولى (١٩٦٩_١٩٧٦م) التي تميزت بخصائص التعاون ضمن إطارالصراع،عبّرت سنواتها اللاحقة (١٩٧٦(١٩٨٥م) عن تغلّب الصراع على التعاون. ويعد الوفاق في مرحلته الثانية محصلة لمتغيرات أبرزها التباين الفكري بين صناع القرار الأمريكي والسوفيتي حول مفهومه وانعكاسات ذلك على سياساتهم حيال بعض وحيال العالم عموما . فاقصى ماوصلت اليه العلاقات الدولية الوفاقية كانت أثناء إنعقاد مؤتمر الأمن والتعاون الأوربي. فنشأت على إثر انعقاد هذا المؤتمر والقرارات التي خرج بها علاقة ترابط بينه وبين الوفاق بالتعايش السلمي، حيث كان كل منهما يقوى بالآخر بصورة مباشرة أو غير مباشرة . وأفضل من عبّر عن تلك الحال، التعليق الذي أبداه الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف أثناء انعقاد المؤتمر حيث قال (الجميع فائزون، بلدان الغرب والشرق وشعوب البلدان الاشتراكية والرأسمالية ، المشتركون في أحلاف والمحايدون الصغار والكبار، وهذا مكسب لجميع الذين يعتزون بالسلام والأمن في عالمنا(٧٩) . (ولكن الجدير بالذكر أن هذا المؤتمر وكما تشير بعض الدراسات قد وضع الحجر الأساس لإنهيار الإتحاد السوفيتي كما سنرى لاحقا). فكيف تطورت عملية الوفاق بعد هذا المؤتمر ؟ ما إن انعقد المؤتمر الثاني للأمن والتعاون الأوروبي في بلغراد عام ١٩٧٧ حتى بدأت معه التبدلات في سياسات الدول نحو الوفاق. فبدات الإدارة الأمريكية الجديدة بعد تبدلها من جمهورية إلى ديمقراطية، التركيز على حقوق الإنسان حتى وصل الأمر ببريجنسكي مستشار الرئيس كارتر لشؤون الأمن القومى الى الإدعاء بأن الإنفراج كان مكسبا أحادي الجانب للإتحاد السوفيتي (معلنا

٧٨-عبدالله عبد الخالق ، العالم المعاصر والصراعات الدولية ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، ١٩٨٩، ،ص ٨٥.

٧٩ ـ اندرياس فانتيس، الامن الاوربي واعداء قبرص ، دراسات اشتراكية ، القاهرة ، دار الهلال ، عدد ٥ ايار ١٩٧٨،ص ٣١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بذلك انتكاس سياسة الوفاق ليعود الرئيس الأمريكي كارتر ويخط فصلا جديدا في السياسة الخارجية الأمريكية معتمدا الأسلوب (الأخلاقي) كاسلوب في التعامل مع الدول الأخرى. حيث كان يؤكد على الحقيقة القائلة بأن علاقات الولايات المتحدة مع أية دولة أخرى ستقوم إلى حدما بما يتناسب مع تناول تلك الدولة لقضية الحقوق الأساسية لمواطنيها كحرية الإنتخابات وحرية الكلام والإجتماع والتحرك ووجود نظام تشريعي عادل ومنصف). فما كان من الإتحاد السوفيتي إلا أن اعتبر محاولة كارتر لربط العلاقات الدولية بمعاملة النظام السوفيتي لمواطنيه تدخلا سافرا في الشؤون الداخلية السوفيتية . بهذا الموقف السوفياتي يكون تاثير سياسة كارتر في إعطاء المزيد من الصيغة الليبرالية أو التحررية للنظام السوفياتي قد ولدت ميتة . ففرض عليه استبدالها بسياسة أخرى اكثر تعقيدا تجاهه، فاتجه نحو سباق التسلح واتخذ سلسلة من الإجراءات في هذا الصعيد، وهكذا ساهمت الولايات المتحدة في تقويض سياسة الوفاق .على أنّ ماقام به الإتحاد السوفيتي ليس بالقليل بهذا الخصوص فكان يجني ثمار أكثر من عقد من السنوات رفع فيها مصروفه الدفاعي بين ٣ بالمئة و٥ بالمئة سنويا بصورة حقيقية وكان يتمتع بالقدرة على ضربة نووية بعيدة المدى تكاد تفوق مثيلتها الأمريكية.

فرئيسا الإدارة الأمريكية نيكسون وكارتر تبنيا مفهوما للوفاق على أساسي التفاهم والإحتواء في آن واحد. وعلى العكس أدرك رونالد ريغان وفاق السبعينات انتهى إلى أن يكون طريقا من ممر واحد يسمح للإتحاد السوفيتي بمواصلة سياسته نحو أهدافه. خصوصا وأنه راى فيه بؤرة الشر في العالم المعاصر. وتبعا لذلك عمد إلى تبني سياسة الإحتواء المكشوف للإتحاد السوفيتي ولغاية قوامها إستعادة الولايات المتحدة لما سمّاه بعظمتها*. وتعدّ هذه السياسة نتاجا لتأثير متغيرين أساسيين ، أولهما اثر خصائص شخصية ريغن في نوعية مدركاته للإتحاد السوفيتي وبالتالي في كيفية رسم سياساته حيالها. بإختصار ينتمي ريغن لنمط من الشخصيات ما يسمى بالصقور، أيْ أولئك الذين يتجهون نفسيا إلى تفضيل استخدام العنف على سواه، وجرّاء ذلك فهو لم يتوان عن تبني منطلقات التيار السياسي والثقافي والفكري المحافظ الذي استمر يدعو فيه ضمن أمور أخرى للتصلب حيال الإتحاد السوفيتي لردعه. لذا لم يخطئ مكنمارا عندما أفاد أن السياسات المتصلبة التي تبناها ريغن كانت امتدادا لتأثير تلك المدركات التي أدّت الى الحرب الباردة في مرحلة اشتدادها(٨٠) . أما المتغير الثاني فقوامه أثر مخرجات سياسات رئيسي الإدارة نيكسون وكارتر في صناعة الواقع الذي عاشته الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر السبعينيات . فالهزيمة في فيتنام (١٩٧٥م) وفضيحة الووترغيت واستقالة نيكسون في آب ١٩٧٤ تبعا لها ومزاجية كارتر وفشل إطلاق سراح الرهائن الأمريكيين في ايران(١٩٨٠) إضافة الى التخلي عن الحلفاء في تايوان وايران ونيكاراغوا أو التردد عن دعم عدد آخر منهم في نصف الكرة الشرقي والغربي كلّها وغيرها أفرزت نتائج داخلية اقترنت بتفكك الدعم الداخلي في الأقل للسياسة الخارجية الأمريكية وأخرى خارجية تجسدت في تميز هذه السياسة بالشلل والتراجع شبه العالمي. وتبعا لتأثير محصلة تفاعل هذين المتغيرين فلقد تعامل ريغن خلال معظم ولايته الأولى مع الإتحاد السوفيتي إنطلاقا من سياسة الترهيب كإستنزافه إقتصاديا، عبر ايقاع العقوبات الإيقاعات الإقتصادية وفرض القيود التجارية والمالية عليه ودفعه للدخول في سباق تسلح نوعي باهض التكاليف قوامه عسكرة الفضاء (أو ماسمي بحرب النجوم). هذا إضافة الى محاولة تعطيل نمو العلاقات السوفيتية الأوروبية التي كانت قد بلغت من المتانة مدى مهما، وإسقاط النظم السياسية الصديقة

***لقد دعا لذلك اثناء حملاته الانتخابية .**

٨٠- مكنمارا رويرت ، مابعد الحرب الباردة ، ت محمد حسين يونس ، دار الشروق للنشر١٩٩١،ص ٣٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للإتحاد السوفيتي في العالم الثالث سواء عبر التدخل المباشر (كغرينادا عام ١٩٨٣م) أو بالنيابة (في انغولا عام ١٩٧٥ مثلا). وقد انطوت هذه السياسات على تأثير في الوضع الداخلي والخارجي للإتحاد السوفيتي، فداخليا استمر تدهور الأداء الإقتصادي، وحينما خصص الإتحاد السوفيتي بعضا من موارده لغرض الإنفاق على التسلح فهو بذلك قد أضعف الكثير من قدرته على تلبية حاجات مجتمعه. أما خارجيا فشهد نفوذه تراجعا في العالم الثالث كما حصل مثلا في مصرعام ١٩٧٢م وتشيلي عام ١٩٧٣م. وتبعا لإدراكه لغايات السياسات الأمريكية حيال إضعافه داخليا والحد من تأثيره خارجيا، لم يتردد الإتحاد السوفيتي هو الآخرعن استخدام الخطاب السياسي السهل بتصعِّد التوتر العالمي مما ساعد على ذلك الواقع الداخلي والخارجي للولايات المتحدة الامريكية وتوظيفه لصالح دعم سياساته في العالم الثالث خصوصا.ويعد التدخل العسكري في افغانستان (٢٧كانون الاول ١٩٧٩م)ذروة هذا التوظيف .اذ كان أول تدخل سوفيتي من نوعه خارج منطقة نفوذه المباشر في أوربا الشرقية .ولانه أسس معطيات جديدة انذاك ،فان مسيرة الوفاق قد تأثرت سلبا به . ان انتكاسة الوفاق انطوت على انعكاسات لم تقتصر على العلاقات الامريكية_السوفيتية التي جعلتها أكثر توترا حسب ،وانما امتدت كذلك الى العالم الثالث وأوربا. ففي العالم الثالث كانت هذه الانتكاسات مأساوية .اذ أدت بهذا العالم الى أن يستمر موطنا للاستخدام المنظم للقوة العسكرية .فتبعا لاحدى الاحصائيات عاش هذا العالم ،ومنذ عام ١٩٥٤م،(٢٥٠)استخداما لهذه القوة .وقد كان ٩٢% منها حروبا بين دول هذا العالم.

إن الصراع على العالم الثالث لم يؤد بعموم دول هذا العالم الى أن تفتقر الشعور بالأمن، واتجاهها بالتالي للتسلح المكثف بتشجيع من الدول المنتجة للسلاح حسب، بل كذلك للحد من عملية التنمية فيها وتعطيلها. وبقدر مايتعلق بالإتحاد السوفيتي فقد (عبّرت المفاهيم النظرية المعتمدة في هذه المرحلة عن مأزق التنظير حيث اعتمدت صيغة (الإشتراكية الواقعية) وجرى تفسيرها كمرحلة تقترب من الشيوعية تدريجيا. ومن جهة أخرى فتحليل الأوضاع على الصعيد الدولي كان قاصرا، ولاينم عن قراءة دقيقة مستدة لتحليل ماديّ وجدليّ وتأريخي في آن، خصوصا في مايتعلق (بالإستنتاج الذي توصلت له الأحزاب الحاكمة في البلدان الإشتراكية ولم تزكه الحياة والقائل (بقرب انهيار الإمبريالية تحت وطأة تناقضاتها الداخلية المتفاقمة وعجزها عن مواجهة مصاعبها وعدم قدرتها على التكيّف مع منجزات الثورة العلمية التقنية) وكان هذا التحليل سطحيا ولايعبر عن قراءة تدخل في عمق المشكلات بما يتيح رؤية الحقائق الموضوعية وتتلمس جوهر عمليات التطور وتناقضاتها الفعلية وقواها المحركة(٨١) . وقد شرع لاحقا اندربوف بمحاولة الإصلاح إلا أن المحاولة لم يكتب لها النجاح لمعالجة المشكلات التي كانت تطال كل مجالات الحياة من بينها، - استعادة هيبة الإتحاد السوفيتي التي اضعفتها مرحلة الركود البريجينيفية (لكن اندربوف أدركه الموت مبكرا ولم يوفق في مسعاه) (٨٢).

٨١- الوثيقة الفكرية إحدى وثائق المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي العراقي ، الصفحة بلا .

- الإصلاح في النظام السياسي وفي عملية البناء الإقتصادي - الإجتماعي .

- ملاحقة مظاهر الفساد والبيروقراطية

٨٢- الوثيقة الفكرية، المصدر نفسه ، الصفحة بلا..

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادسا ـ مرحلة البيريسترويكا (١٩٨٥ـ ١٩٩١)

لقد وصل غورباتشوف في آذار ١٩٨٥ إلى قمة الهرم السياسي في بلاده، بعد أن تم اختياره بفارق صوت واحد لصالحه، كما ذهبت إحدى الدراسات ليتولى قيادة القوة العظمى الثانية في العالم آنذاك. ولإحتواء معضلة بلادهن فإنه طرح سياسة عبّر عن تفاصيلها كتابه (إعادة البناء والتفكير الجديد، لنا وللعالم والذي يراه البعض فريدا فب الآثار التي أفرزها. فكان كتابه عبارة عن مشروع إصلاحي شامل لكل جوانب الحياة بما في ذلك إعادة هيكلة السياسة الخارجية من خلال ما سمّاه التفكير السياسي الجديد الذي اتخذ كغطاء آيدلوجي لخيار جديد قوامه الإنهزام أمام الولايات المتحدة الأمريكية من خلال التخلي عن الآيدلوجية الماركسية نظريا وعمليا، والإنتقال لمواقع الغرب. وفي المحصلة النهائية قادت عملية إعادة البناء إلى التعجيل بإنهيار الإتحاد السوفيتي في نهاية عام ١٩٩١م. على أن هذا السقوط عبّر عن عملية ممتدة لم تبدأ بعهد ميخائيل غورباتشوف (١٩٨٥-١٩٩١)، على الرغم من الأثرالحاسم لسياسته، وإنما عن عملية تعود إلى مدة سابقة (سنتناول تفتصيل هذا الموضوع في موقع آخر تجنبا للتكرار). إعلان نهاية الحرب الباردة وضع حدا لسياسة التعايش السلمي بين العملاقين وما تفرع عنها من انفراج ووفاق، وقضى على القطبية الثنائية التي كانت إحدى نتائج الحرب العالمية الثانية، لنعود إلى نوع من الصراع الذي كان سائدا من قبل وهو صراع المصالح ، صراع في سبيل الهيمنة العالمية.

المطلب الثاني ـ الإستراتيجية الروسية تجاه المنطقة العربية في الظروف الراهنة

الفرع الأول – الإستراتيجية الروسية تجاه المنطقة العربية

لقد برهنت التجربة العملية للقيادة الروسية خطأ الإعتماد الكلي على العلاقة بالغرب وتجاهل العلاقات مع بقية دول العالم. وعلى أساس ذلك سعت القيادة الروسية عام ١٩٩٣ لوضع خطة متكاملة لسياسة روسيا في المنطقة العربية والشرق الأوسط من وزارة الخارجية ولجنة الشؤون الخارجية في البرلمان الروسي اشتملت على ثلاثة مبادئ رئيسية تمثلت بما يلي : ـ (٨٣)

ـ ضمان المصالح الروسية في منطقة الشرق الأوسط عموما، والمنطقة العربية على وجه الخصوص وعلى مختلف المستويات .

ـ منع امتداد الصراعات الإقليمية من هذه المنطقة للمناطق الجنوبية من كومنولث الدول المستقلة الذي انشئ بعد تفكك الاتحاد السوفيتي . فمنطقة الشرق الاوسط تعد في إعتبارات الإتحاد السوفيتي من المناطق المتاخمة للبيئة الأقليمية – الروسية وهي الأراضي التي تحيط بالأراضي الروسية وتعد المجال الحيوي والمفتاح الرئيسي للأمن القومي الروسي .فالقيادة الروسية تخشى من إمكانية ان تتحول مثل هذه الصراعات إلى نطاق عالمي محدود ، مثلما حدث في حرب الخليج الثانية .

ـ العمل على الإسفادة من القدرات الإقتصادية للعالم العربي . ترى روسيا أن منطقة الشرق الأوسط تحظى بأهمية متزايدة في الترتيب الإستراتيجي العالمي ، بالإضافة الى أن روابط إقتصادية هامة بين روسيا ودول المنطقة مما يمثل ضرورة حيوية لإنعاش الإقتصاد الروسي الذي يعاني من الأزمات) .

٨٣ـ توفيق سعد حقي ، علاقات العرب الدولية في مطلع القرن الحاديوالعشرين ،عمان دار وائل للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣،ص٨٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يرى بعض القادة الروس أن مصالح روسيا الوطنية تتطلب من روسيا السعي لتقديم نفسها كبديل من الغرب في المنطقة في صيغة منافسة سلمية بعيدة عن المجابهة التي امتازت بها مرحلة الحرب الباردة ويعد هذا شرطا ضروريا في وقت لازال فيه وجود الغرب في المنطقة يتمتع بالنفوذ السياسي والإقتصادي. أما الشرط الآخر فهو ضرورة أن تقوم العلاقات مع منطقة الشرق الأوسط على أساس المصالح الروسية وإنطلاقا من المميزات التي تتمع بها هذه الدول. والجدير بالذكر فهناك عدة إعتبارات قامت عليها الإستراتيجية الروسية في المنطقة منها(٨٤) .

- السعي الروسي لتحقيق الأمن للحدود الجنوبية في وجه التهديدات التي تقع نتيجة فشل روسيا والدول المستقلة في إيجاد مؤسسات ذات كفاءة ورقابة على استخدام القوة. وذلك من خلال العمل على وضع حد للنزاعات والصراعات المنتشرة على مقربة من حدودها كالنزاعات ذات المشاعر الإسلامية، فالقيادة الروسية تشعر أن جيرانها المسلمين مازالوا غير قادرين على خلق دولة قابلة للحياة وينبغي لروسيا أن تنهض بهذا الدور لأجل ترتيب الأوضاع السياسية في المناطق المحاذية لها بشك يحفظ امنها.

- دخول روسيا المنطقة من جديد هو سياسة وقائية لمنع الإندفاع الإسلامي أو مواجهة مايوصف بالتهديد الإسلامي الشامل الذي تتحدث بشأنه نظرية الدومينو، فهي تسعى لإستقرار نظام الإقليمي قرب حدودها. وترى روسيا أن إعادة تاكيد مصلحتها الوطنية في إيجاد نظام اقليمي مستقر اصبحت ضرورة ملحة اكثر من أي وقت مضى لمجابهة التحديات الخارجية .

- السعي الروسي لإيجاد حزام أو كتلة من الدول تقف في وجه القطبية الأحادية ، وتساهم في ممارسة الضغط على الولايات المتحدة كي تتاح لروسيا فرصة الدخول في عملية السلام، واثبات قدرتها ومكانتها على الساحة الدولية، وهو مايفسر السعي لإقامة علاقات مع الدول المناهضة للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة كمصر، إيران،سوريا ،العراق من أجل خلق توازن ستراتيجي في المنطقة تستطيع من خلاله مواجهة الهيمنة الأمريكية.

- إعادة تأكيد الوجود النسبي الروسي في منطقة الشرق الاوسط ، إذ ترى روسا أن تطوير علاقتها بإيران يحفظ لها هيمنها على آسيا الوسطى، وهكذا أصبح بالنسبة لها نقل التكنولوجيا النووية لإيران تعد حاجة حيوية مزدوجة . فهذه العلاقة من شأنها أن تضمن عدم تحوط ايران في المنطقة بما يخالف مصالح روسيا وكذلك يضمن لروسيا توظيف الأيدي العاملة الروسية.

- حاجة روسيا لإيجاد شركاء إقتصاد ، أسواق تجارية وسوق للسلاح . اذ تسعى روسيا للحصول على المكاسب الإقتصادية ، ولاسيما على فرص للإستثمار ويايضا للحصول على العملات الصعبة) .

والجدير بالذكر فالولايات المتحدة الأمريكية تسعى لتطويق روسيا، أيْ مايسمى بسياسة الخنق الإستراتيجي. لذلك سعت روسيا لفتح ثغرة في وجه الطوق المريمي من خلال العلاقة مع سوريا، لتكون منفذا وبوابة وحليفا. إن تصريح بوتين حول نقاط الضعف التي أظهرتها روسيا، ولا بدّ من إظهار نقاط القوة ما هو إلّا إشارة لوجود إستراتيجية جديدة بشان التعامل مع الغرب. ويعني ذلك بأن العلاقات الروسية الأمريكية مهما بلغت درجة تطورها فإنها لم تكن على النحو الذي يعطي للولايات المتحدة الأمريكية تأثيرا مطلقا في عملية صنع القرار السياسي في روسيا، فما زالت روسيا تبدي الإستقلالية في صنع قراراتها،

٨٤- توفيق سعد حقي ، مصدر سابق ، ص ٩٣-٩٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وخاصة إذا تعلق الأمر بتأمين مصالحها الإقتصادية أو أمنها القومي، هذا ما أكّده أحد مسؤولي وزارة الخارجية الروسية عندما أعلن (إذا ماتعارضت مصالح روسيا مع مصالح الولايات المتحدة الأمريكية فعلينا أن نسعى للتوصل لقرار مشترك، أما في المجالات الأخرى فيجب ألّا تشغلنا مصالح الولايات المتحدة عن تحقيق مصالحنا(٨٥).

حققت السياسة الروسية نجاحا ملحوظا لأن تستعيد قدرا من عناصر قوتها دوليا مستفيدة في ذلك بم تملك من موارد الطاقة، الموقع الإستراتيجي والقدرات العسكرية النووية ، إضافة لما شهده الواقع الدولي المعاصر من تراجع نسبي واضح للقدرات الإستراتيجية الامريكية. وقد أشارت دراسة نشرت في مجلة الشؤون الخارجية (عدد شتاء ٢٠١١) أن السياسة الخارجية الروسية في عهدي بوتين وميديف قد تمحورت حولت ثلاثة أهداف رئيسية هي (٨٦) :

- تعزيز النمو الإقتصادي .

- تعزيز النظم الصديقة الحاكمة في دول الإتحاد السوفيتي السابق .

- منع الإرهاب في الأراضي الروسية. ومن أجل معرفة مدى طبيعة الإستراتيجية الروسية تجاه المنطقة العربية سنركزعلى قضية مهمة هي موقف روسيا من الأزمة السورية .

تطورت العلاقات بين روسيا وسوريا بعد فتور محدود حيث لازالت سوريا تشكل أحد المداخل الاساسية لروسيا في الشرق الأوسط ، وهي دولة مستوردة بشكل رئيسي للسلاح الروسي في المنطقة فهناك عدة إعتبارات تؤثر على العلاقات الثنائية بينهما، كالمتعلقة بالوضع الدولي او الرعاية المريكية – الروسية المشتركة والتي تقّدر بين(١٠-١٢) مليارددولار تشكل عقبة أساسية في العلاقات بين الدولتين بسبب عجز سوريا عن تسديدها(٨٧)، ولرغبة روسيا في الحفاظ على علاقاتها مع سورية قد أبدت استعدادها لجدولة الديون على مدى ثلاثين عاما، وفي رسالة نقلها السفير الروسي لدى سوريا أكد فيها على استعداد روسيا لجدولة هذه الديون بدون فوائد إذا ماتمّ التفاهم على تحريك الوضع في المنطقة في غير مصلحة الولايات المتحدة(٨٨). والملاحظ أن روسيا بدأت بعد احتلال العراق تبحث عن دولة أخرى مناهضة أو معادية للولايات المتحدة من اجل ان تستمر في لعبة المساومات التي كانت تتبعها حيال الولايات المتحدة في إطار معادلة العلاقات الروسية –العراقية الروسية –الامريكية. لذا يلاحظ أنها اتجهت إلى سوريا بعد خسارتها للعراق، وقيامها بعقد صفقة بيع الأسلحة لسوريا خير دليل على ذلك. فعلى الرغم من معارضة كل من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل لبيع أسلحة لسوريا غير أن روسيا أصرت على إتمام الصفقة.

٨٥- مجموعة من الباحثين ، حال الامة العربية ٢٠١٠-٢٠١١ رياح التغيير ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ٢٠١١، ص ٤٥.

٨٦- جودمان ملفين ، موسكو والشرق الاوسط خلال السبعينات ،ت عبد الله جمعه الحاج ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ابو ظبي ١٩٩٦، ص ٤٦,

٨٧ الشيخ نورهان ، السياسة الروسية في الشرق الاوسط ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٥,

٨٨- مجلة الوطن العربي ، العدد ١١٥٦ في ٣٠-٤-١٩٩٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن هذا التوجه يجري ضمن حسابات دقيقة. فمن جهة تريد الحصول على عوائد بيع الاسلحة ومن جهة أخرى ترغب ببعث رسالة قوية للولايات المتحدة المريكية حول إمكانية روسيا الخروج من محاولات التطويق والحصار المفروضة عليها. فمن الأجدى للولايات المتحدة أن تعيد النظر في سياسية الخنق الإستراتيجي التي إزدادت وضوحا بعد تمرد قوى المعارضة الأوكرانية على مرشح موسكو،ونجاحهم في ذلك. وكذلك بعد تهديد أوكرانيا بطرد أسطول البحر الأسود الروسي من قاعدته في سباستوبول المسار الوحيد للبحرية الروسية الى البحر المتوسط ، وذلك بعد حرب جورجيا ، وتزايد انشطة السفن التابعة لحلف شمالي الاطلسي ، ،بدأت روسيا بالإتجاه نحو خيارات بديلة كان من ضمنها سورية .

الفرع الثاني – الأزمة السورية والمقاومة الروسية

بداية لابدّ من الإشارة إلى أنه لايمكن قراءة مايجري على الساحة السورية بعيدا عما يحدث في منطقة الشرق الأوسط ، أي ما أصطلح على تسميته بالربيع العربي . فما يحدث في الشرق الأوسط هو جزء من عملية عالمية من التدمير الخلّاق على مستوى النظام الجيوسياسي بغض النظرعن نوعية الأدوات والآليات المستخدة لإنجازه. فنعتقد أن أيّ فعل سياسي وعلى المستويين الرسمي والشعبي ينبغي النظر إليه من خلال النتائج المتمخضة عنه، بعيدا عن التبسيط والعاطفية. القراء المتأنية للدوريات الأكاديمية العالمية توضح النتائج الخطيرة التي ستترتب على الأحداث في منطقة الشرق الأوسط . فحسب تعبير المحلل المتخصص بالشؤون الدولية بريمر(نقلا عن كارن ابو الخير) أن مفهوم التدمير الخلّاق يتصل أساسا بتطور النظام الراسمالي، حيث تختفي شركات أو ممارسات أو طرق انتاج حين لاتستطيع الصمود أمام ممارسات وفاعلين جدد ينافسونها في السوق، وتلك العملية نادرا ما تحدث في البيئة الجيوسياسية. وآخر تجلياتها التأريخية حسب بريمر، نشأة النظام الدولي بمؤسساته المختلفة – مجلس الامن، البنك الدولي، الصندوق الدولي ...الخ تحت القيادة والهيمنة الأمريكية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. فالأزمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨ تعد الضربة القاصمة في تشقق النظام، وكأن العالم بلا أقطاب. الأمرالذي يتطلب جهودا دولية لمواجهة حالة عدم الإستقرار والمخاطر الناتجة من هذا التحول.

ويورد الكاتب أبو الخير قراءة أخرى للمحلل الأمريكي توم فريدمان بعنوان (عالمان يتصدعان) تتناول تداعيات الوضع العالمي الجديد على نظامين أقليميين هما أور،با والشرق الأوسط ويستنتج الكاتب أن مشروع الدولة القومية التي خرجت للوجود بعد الحرب العالمية الثانية في منطقة الشرق الأوسط ، ينهار لفشل النخب الحاكمة في بناء دول قومية ناجحة ولذلك فان العديد من هذه الدول في خطر التفكك وفق تقسيمات قبلية أوعقائدية .. كما يورد أبو الخير أيضا قراءة لهنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي الأسبق الذي يركّز فيها على ضعف بنيان الدولة أصلا في الشرق الأوسط حيث يشير إلى أن تركيا ومصر وايران هي فقط الدول ذات القاعدة التاريخية في المنطقة . فقد تم ترسيم حدود دولها في إطار تقاسم الغنائم بين الدول الغربية بعد الحرب العالمية الأولى وتلك التقسيمات لم تراع التوزيع الطائفي أوالإثني. ولذلك فتلك الدول معرضة للإنهيار تحت ضغط الإحتجاجات الشعبية المتواصلة والتي تبلغ حد الحرب الأهلية في سوريا. ويحذر كيسنجر من عواقب ذلك على النظام الإقليمي حيث تتعدد مايسميه بالثقوب السوداء في اليمن والصومال وشمال مالي وليبيا وربما في سوريا حيث تنهار الدولة ولاينشأ لها بديل. (٨٩).

٨٩- ابو الخير كارن ، السياسة الدولية ، العدد التاسع والثمانون بعد المائة ،يوليو ٢٠١٢ ص ١٥٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبخصوص الأزمة السورية وموقف روسيا بالتحديد منها فاختلفت آراء الباحثين والمحللين في الشأن السياسي بهذا الخصوص. والملاحظ أن هناك مواقف وتقييمات لاتخلو من بعد عاطفي ونظرة أحادية الجانب، وهناك أيضا تحليلات قد اتسمت بالرؤية العلمية والموضوعية. من جانبنا نعتقد أن المنهج العلمي الجدلي يقتضي في النظر لموقف روسيا من الأزمة السورية بأبعاده الدولية والإقليمية والمحلية، بتعبيرأوضح يفترض أن لانحلل موقف روسيا بعيدا عن الإرتقاء إلى مصاف الرؤية الإستراتيجية لطبيعة الصراع الحالي والصعود الروسي الروسي (والصيني) المنافس لفكرة القطب الواحد والهيمنة الأمريكية، وظاهرة الإستفراد الأطلسي بالقوة. وفي الوقت نفسه عدم عزل كل ذلك عن طبيعة المجريات الراديكالية والدرامية والعنيفة التي لفت وما تزال تلف الحالة العربية العامة وآثار الثورات الشعبية، بوصفها حدثا كونيا. وليس الإشتراك والمسابقة والمنافسة والمغامرة التي تميز مختلف أشكال ومستويات التدخل والتأثير المباشر وغير المباشر من قبل مختلف القوى الإقليمية والعالمية على مجرياتها (عبر ما يسمى بمساعدات ودعم وتأييد الثورة والثوار وما يعارضها أيضا) سوى الصيغة الجلية لذلك، من هنا يمكن النظر إلى تسابق القوى العالمية من أجل التحكم بها أو حرفها عن مسارها التأريخي الطبيعي، فهي الصيغة المعبرة عن إدراك المصالح. وهذه بدورها تعكس الرؤية الإستراتيجية للدول، أيْ لمصالحها الكبرى. وروسيا دولة كبرى. ومن ثم لها مصالحها الإستراتيجية. وتلك المصالح ظاهرة معقدة ومتداخلة ومتناقضة ومتبدلة ومتغيرة. فالموقف الروسي يخدم في نهاية المطاف لا مصالح السلطة الحالية، ولا يعد موجها ضد المعارضة بلا تحديد، بقدر ما أنه يسعى لتجنيب سوريا الإنزلاق صوب الهاوية وتكالب القوى الأجنبية للإيقاع بها(٩٠). وبالتالي فان حقيقة الموقف الروسي تخدم إستراتيجية الفكرة والممارسة الداعمة لديمومة ووحدة الدولة السورية والوطن والقومية العربية. وهذا ما اشارت له تصريحات المحلل السياسي فياتشيسلاف ماتوزوف في لقاء مع قناة "روسيا اليوم" إن انهيار النظام السوري الحالي قد يؤدي إلى انهيار الإستقرار في منطقة الشرق الأوسط بأكملها.

وحول الموقف الروسي إزاء ما يجري في سورية، أكد ماتوزوف أن وزير الخارجية ا لروسي سيرغي لافروف " سياسي ماهر ولا يلعب دور محام لأية دولة عربية أو زعيم عربي". ولفت الى أن روسيا تملك مصالح ليست إقليمية فقط بل ودولية وأولويات في السياسة الخارجية ومنها العلاقات مع الولايات المتحدة، وأضاف أنه "عندما تقول روسيا لا لمجلس الأمن فهذا يعني أن مصالح الأمن القومي تتأثر بهذا القرار. وأخطاء القرارات الصادرة بخصوص ليبيا أصبحت واضحة الآن للجميع".

من جانبها أشارت الباحثة المتخصصة بشؤون روسيا نورهان الشيخ (٩١)، إن تتبع السياسة الروسية في المنطقة على مدي العقد الماضي يكشف عن تغير ملحوظ ليس فقط مقارنة بما كانت عليه خلال فترة الإتحاد السوفيتي السابق، وإنما مقارنة أيضا بحقبة التسعينيات في ظل قيادة الرئيس الروسي الأسبق بوريس يلتسين. فقد عادت روسيا لتلعب دورا فاعلا، وتتخذ مواقف واضحة في العديد من القضايا الدولية والإقليمية، ساعدها في ذلك وجود قيادة واعية ذات رؤية للأولويات الوطنية، ولديها القدرة على تنفيذها وإدارة تبعاتها بكفاءة وانتعاشة إقتصادية مكنتها من تحقيق درجات متزايدة من الإستقلالية في سياستها الخارجية. ولكن ما أن استطاعت روسيا ترتيب أوضاعها في المنطقة بجهد كبير وزيارات متتالية ومكثفة

٩٠- الجنابي ميثم ، الفيتو الروسي والقضية السورية ،الحوار المتمدن ، العدد ٣٦٣٤، ١٠-٢-٢٠١٢ ،موقع على الانترنيت

٩١- الشيخ نورهان ،السياسة الروسية تجاه المنطقة بعد الثورات العربية ، السياسة الدولية ، مؤسسة الاهرام .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قامت بها القيادة الروسية على مدى السنوات الست الماضية، حتى هبت رياح التغيير لتعصف بكل الأوراق وتطرح ضرورة إعادة ترتيبها من جديد .فثورات الربيع العربي التي بدأت بتونس في ديسمبر ٢٠١٠ ، ولا تزال تتطور في العديد من الدول العربية، توفر فرصا وتفرض تحديات علي روسيا. فالثورات نجحت في فك الإرتباط التقليدي بين النخب الحاكمة والولايات المتحدة في بعض البلدان، إلا أنها قد تنجح أيضا في إنهاء العداء التقليدي بين البعض الآخر والولايات المتحدة، وفي مقدمتها ليبيا وسوريا.

الواقع يشير بأن تطلعات روسيا وتوجهاتِها أصبحت تسير وفق خطٍ وهيكلٍ استراتيجي جديد يعتمد على المبررات السياسية والإقتصادية لتحقيق مصالحها وإعادة تعزيز وجودها في الساحة الدولية؛ مما يتيح لها فرص التوغل وبسط النفوذ لاسيما في منطقة الشرق الأوسط.. ولعل الدور الروسي الذي برز مؤخراً في أروقة الأمم المتحدة تجاه النظام السوري كان بمثابة نقطة التحول في جوهر سياسة موسكو الخارجية وتعاطيها مع الأزمات الدولية الراهنة. هذا إلى جانب الحضورالبارز والقوي للصين وصعودها كقوة عالمية منافسة بعد أن كانت منكفِئة ضمن حدودٍ محدودة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

أزمة النظام السياسي وأسباب تعطل صيرورته

بعد الإنهيار الذي أصاب التجربة الإشتراكية التي ظهرت في القرن العشرين، كثرت التساؤلات حول مستقبل الإشتراكية. ما الذي أنهار؟ و لماذا ؟ فكان من الطبيعي أن يثير إنهيار التجربة طائفة كثيرة ومفتوحة من من الأسئلة، فلذا بقيت الإجابات بحاجة للمزيد من البحث والتدقيق والتأصيل. وقد سبق ان اشارالمؤتمرالسادس للحزب الشيوعي العراقي بصواب حين قال " تبقى عملية البحث قائمة للوصول لقراءة صحيحة لما انتهت إليه التجارب السابقة لبناء الإشتراكية في الإتحاد السوفيتي وبلدان أوروبا الشرقية، لإستخلاص نتائج سليمة ومعللة لما أدى إليه غياب الديمقراطية السياسية، وإعتماد آليات بعيدة عن أفكارنا ومثلنا من قبيل عبادة الفرد والبيروقراطية، إضافة إلى القفز على المراحل والتنكر للفعل الموضوعي للقوانين الإقتصادية والإجتماعية، وغيرها من الممارسات المدمرة لبناء الإشتراكية، كي تتمكن أحزابنا من النهوض ومعاودة المسير نحو بناء الإشتراكية كبديل موضوعي للرأسمالية وشرورها (١)". لقد كانت هناك جملة من المشكلات والعوامل الأساسية والاسباب للإنهيار الذي حصل، والمنهج العلمي الجدلي يقتضي أن نبحث في الأساس العوامل والأسباب الداخلية الكامنة في البنية المنهارة ذاتها أولا دون إهمال العوامل الخارجية التي لعبت دورا مساعدا في عملية الإنهيار.

سوف نتناول في المبحث الأول الأسباب الداخلية الإقتصادية والسياسية والآيديولوجية لإنهيار النظام السوفيتي ، كما سوف نتناول في المبحث الثاني الأسباب الخارجية لإنهيار النظام، أما في المبحث الثالث فسوف نتناول انعكاسات اعادة البناء على سياسة النظام دوليا وعربيا.

المبحث الاول – الأسباب الداخلية – الإقتصادية السياسية الآيديولوجية ؟

سعت دراسات متعددة ومن زوايا متعددة، صياغة إجابات وتصورات متعددة لهذا السؤال الصعب، فهناك دراسات ركّزت على عامل أو أكثر من العوامل الظرفية، في حين ركّزت دراسات أخرى على العوامل البنيوية للتجربة من منظور ماركس نفسه . من جانبنا ارتأينا دراسة العوامل البنيوية والظرفية في آن واحد معا. في هذا المبحث سوف نتناول الأسباب الإقتصادية والسياسية والآيديولوجية التي كانت تقف خلف انهيارالنظام السياسي السوفيتي.

المطلب الأول – الأسباب الإقتصادية والسياسية

الفرع الأول – الأسباب الإقتصادية

في البدء لابد أن نذكر بأن التجربة الإشتراكية قد برهنت على أن القاعدة المعرفية – النظرية للتجربة الأولى كانت ضعيفة وهذا للتجربة الأولى كانت ضعيفة وهذا أمر ليس بمستغرب. فالماركسية اللينينية التي استندت اليها هذه التجارب بمجموعها كونت في حينها علم تحطيم الرأسمالية. لكن ماركس وإنجلز ولينين كانو غير قادرين على صياغة الإشتراكية، لأنه ببساطة لا توضع أية نظرية من فراغ. فقبل أن يتمكن ماركس من وضع نظرية تحطيم الرأسمالية قام بدراستها وتعميم نتائجها ثم خرج بإستخلاصات

١- وثائق المؤتمر السادس للحزب الشيوعي العراقي ، تموز ١٩٩٧، ص ٤١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نظرية منها فلا يمكن أ ن تكون نظرية بناء اشتراكية كاملة في ظروف لم تكن توجد فيها خبرة تأريخية في هذا المجال. لذلك اكتفى ماركس وانجلز بوضع الأسس العامة لما تسمى بمرحلة الإنتقال ومايجب أن يكون عليه الإقتصاد في ظل نظام اشتراكي. وعليه فمن الأجدى أن لاتحاكم السياسة الإقتصادية السوفيتية على اساس تلك التعميمات وإنما على مجمل الإلتزامات النظرية وكذلك على مدى جدوى هذه السياسة. حاول لينين بناء الإقتصاد وفق أسس سليمة ولكن ظروف الحرب الأهلية أجبرته على اتباع سياسة (شيوعية الثكنات* والتي بموجبها قامت السلطة السوفيتية بتأميم معظم المشاريع الفردية وفرضت سيطرتها الكاملة على اقتصاد البلاد، الّا أنفشل هذه السياسة وإقرار لينين بالهزيمة (ولأجل إعادة بناء الإتصاد الوطني اعتماداً على القوى الذاتية، وتوسيع قاعدة التأييد للثورة الفتية في الريف، حيث أبعدت سياسة " شيوعية الحرب " عنها أوساطاً واسعة من الفلاحين الصغار والمتوسطين، صاغ المؤتمر العاشر للحزب (آذار/نيسان ١٩٢١) بإقتراح من لينين، إشارة الإنطلاق لبلورة " السياسة الإقتصادية الجديدة (النيب). إدراكاً منه لأهمية الحوافز المادية في رفع مستوى الإنتاج الزراعي والتوقف عن مصادرة الفائض الإقتصادي في الريف كما كانت تفعل السلطة السوفيتية في ظل نظام شيوعية الحرب. كانت (النيب) في الواقع تراجعا استراتيجيا لصالح الفلاحين ورأس المال الصغير والمتوسط، ولاحقا أيضا لصالح رأسمالية الدولة. ولكن ينبغي التأكيد هنا على أن هذا التراجع أملته الحاجة، إجتماعيا وسياسيا، الى رأب الصدع الخطير في العلاقة مع الفلاحين وصغار " الملاك المنتجين " هذا من جهة. ومن جهة أخرى أملته الحاجة اقتصاديا لنهضة الاقتصاد الفلاحي، وتنشيط التبادل السلعي العادي بين الريف والمدينة(٢).

فماذا عنت السياسة الإقتصادية الجديدة ؟.

- إعادة العلاقات التجارية بين المدينة والريف. فكان من الظروري ايقاف اجراءات مصادرة الحبوب من الفلاحين التي اتخذت اثناء الحرب. اقترح لينين بالمقابل الضريبة في النوع أي الضريبة العينية) وتبنت السلطة السوفيتية هذا المبدأ. لم يعد على الفلاحين التخلي عن كل فائض منتجات الحبوب بل نسبة مئوية معينة من إجمالي الإنتاج . وبالتالي فقد كان ذلك حافزا ماديا لزيادة المنتجات الغذائية وبقي لدى الفلاحين قسم كبير من المنتوج يجري تبادله في السوق حسب قواعد معينة مع المنتجات الصناعية

***- لقد كان مرسوم الارض الذي صدر في اليوم الثاني من ايام اكتوبر احد تلك الاجراءات . وفي العديد من احاديثه اكد لينين ان ذلك ادى الى تحول الفلاح الفقير الى مرتبة الفلاحين المتوسطين -اي برجوازيين صغار - فازداد عدد متوسطي الفلاحين زيادة كبيرة بفعل ظاهرة تبادل المنتجات والتبادل كما هو معلوم في منطق الاقتصاد السياسي يولد الراسمالية . وهذا امر طبيعي في المرحلة الانتقالية حيث تتعايش انماط عديدة . ويتحدث لنين عن احتدام الصراع في هذا الوسط الانتاجي ويحدد ان البرجوازية الصغيرة والراسمالية هما اللتان تخوضان النضال معا ضد راسمالية الدولة وضد الاشتراكية في ان واحد . وفي ظل هذه اللوحة من تصارع الارادات ، بدات حرب التدخل وقام التمرد الرجعي الذي قاده كولتشاك ودينيكين وقد وصل التمرد من السعة حد التهديد باحتلال العاصمة واسقاط السلطة السوفيتية والسيطرة على اهم المناطق الزراعية اضافة الى قيام الكولاك بالمضاربة بالحبوب . وعلى ضوء تلك الاوضاع الماساوية اقر المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الشوفيتي سياسة (شيوعية الحرب). حيث تم اللجوء الى مصادرة فائض الحبوب من منتجات الفلاحين ويشير لينين الى ان المصادرة شملت في بعض المناطق والاحيان حتى ماهو ضروري لتغذية الفلاح .**

٢- الوثيقة الفكرية إحدى وثائق المؤتمر الوطني الثامن للحزب الشيوعي العراقي ، الصفحة بلا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- السماح بتجارة المفرق مع حفاظ السلطة السوفيتية على إحتكارها لتجارة الحبوب بالجملة. وإبقاء هيمنتها على معظم عمليات المبيع بالجملة لأكثر المنتجات الناتجة عن المشاريع الكبيرة. أما التبادل التجاري الخاص وتجارة الجملة المحدود في المقاطعات وضمن المحليات صرح به من جديد وشجع التجارة بذلك على النشاط الخاص.

- إعادة تشغيل المصانع الصغيرة والمتوسطة الخاصة على أسس راسمالية وتحت مراقبة غير مشددة للدولة .

- إتباع سياسة انفتاح محدود للإقتصاد السوفيتي لجذب الإستثمارات الأجنبية . خاصة في فروع التنقيب عن مصادر الخام وذلك بإعطائها ارباحا مغرية .

-إعادة تنظيم سوق عامة شاملة لصناعات المؤسسات المؤممة، والتي وضعت كذلك أسسا رأسمالية ولكن تحت مراقبة الدولة البروليتارية وإرشاداتها المباشرة ...الخ (٣).

(ترتبت على (النيب) طائفة من النتائج المتناقضة من بينها :

أدّت وظيفتها في إعادة إنهاض القوى المنتجة والتغلب على الدمار الذي أحدثته سنوات الحرب السبعة. غير أن نتائج ذلك كانت متفاوتة بالنسبة للقطاعات والقوى الإجتماعية، الأمر الذي انعكس مجددا في صيغة تأزم في العلاقة بين الطبقة العاملة والفلاحين، مما سيترك آثاره على التجربة لاحقا.

شكّلت الظروف الجديدة حافزا لتحول البيروقراطية الجديدة من سلوك فردي مبعثر، لشريحة إجتماعية متميزة بفعل امساكها بالجانب التنفيذي للسلطة. ونظرا إلى أن نمو القوى المنتجة أدى الى نمو ملحوظ في حجم الفائض الاقتصادي، فقد طرح هذا الواقع الجديد مسألة من هي القوة (أو القوى) الاجتماعية التي ستحكم بعملية توزيع الفائض بين القوى الإجتماعية المختلفة. وهنا بدأت هذه الشريحة تلعب دورا متناميا سيؤثر على اتجاهات التطور اللاحق. وفي سياق هذا التحول في البنية الإجتماعية- الطبقية شهد الحزب تحولات مناظرة في تكوينه الآيدلوجي ونمط علاقاته الداخلية. وسيلقى هذا الواقع بثقله على آفاق الوضع لاحقا، حيث شقّت هذه التحولات طريقها عبر الصراع بين مراكز القوى المتنافسة، الذي بدأ فور وفاة لينين، وتولي ستالين قيادة الحزب والدولة. (٤)

وفي مرحلة ستالين عند تسلمه السلطة، بدأ بتنفيذ سياسته الجديدة المتعلقة بالتعاونيات والمزارع الجماعية وسياسة الخطط الخمسية ، أي أن ستالين عمد لسلسة حرق المراحل التأريخية، فقرر التعجيل بعملية تركز وتمركز الإنتاج الصناعي والزراعي ، وذلك برفع وتائرالتصنيع والإسراع بتكوين المزارع الجماعية ومزارع الدولة الإنتاجية (السوفخوزات) بإستخدام الوسائل القسرية لنزع ملكية الفلاحين المتوسطين وإرغامهم للإنضمام للتعاونيات الزراعية ومصادرة فائض الإنتاج الزراعي في الريف. ولم تؤد تلك السياسة، التي تشكل ارتدادا عن السياسة اللينينية المتمثلة ب(النيب)، الى إنتهاكات واسعة لحقوق ملايين من الفلاحين وحسب، بل الحقت أضرارا هيكلية بالغة في الزراعة السوفيتية لم يتم تجاوزها حتى فترات متأخرة، كما أنها أثارت عداء فئات واسعة من فلّاحي الطبقة الغنية أو الطبقة

---

٣ - نيكولاس مارتن ، اعادة الرأسمالية في الاتحاد السوفيتي ، ت احمد سليم ،حركة العمال الاشتراكية ، بيروت ١٩٧٧، ص ٢٠-٢١. ٤- الوثيقة الفكرية ، مصدر سابق. الصفحة بلا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المتوسطة. كان يمكن لدورها الإقتصادي أن يستمر لآماد طويلة ضمن مرحلة الإنتقال للإشتراكية واقترنت عملية تعجيل التصنيع بنشوء نظام التخطيط المركزي ذي الطبيعة الإدارية والأوامرية وتوطّد دوره في حياة البلاد الإقتصادية والإجتماعية وتحوله الى عامل معرقل للتطور الديمقراطي في النظام الإشتراكي. برز ذلك بأن سياسة النيب قد استنفذت أغراضها ولذلك لابد من السير قدما في تسريع مرحلة الانتقال للإشتراكية التي أعلن فيما بعد بأنه قد تم الوصول اليها في عام ١٩٣٦.

في أواخر العشرينات عندما بدأت الخطوات الثابتة الأولى نحو الإشتراكية المزعومة كانت رأسمالية الريف في أوج إزدهارها. في الوقت الذي تدهورت فيه أوضاع العمال الزراعيين وفقراء الفلاحين وأُجبر الفلاحون المتوسطون على التساقط اجتماعيا ، بينما كان اغنياء المزارعين الراسماليين – الكولاكيخزنون الحبوب وينظمون قواهم . تظهر سلبية وتمرد الكولاك من خلال حكاية يسردها الكاتب مارتن نيكولاس سبق أن أوردها ستالين في تقرير نيسان ١٩٢٩ أمام اللجنة المركزية . قال أنه في كازاخستان الغنية بالحبوب أمضى أحد مندوبينا مدة ساعتين محاولا إقناع أصحاب المخازن (كجس نبض) بإمداد المدينة بالحبوب، فانتصب أحد الكولاكيين قائلا وغليونه بين أسنانه (هيا أيها الفتى أرقص لنا قليلا فنعطيك كيلين من الحبوب). في ظل حالة الطوارئ هذه وبعد تصفية المعارضة الحزبية الداخلية لخط ستالين ، أصدرت اللجنة المركزية تحت قيادة ستالين قرارا بالهجوم الشامل ضد آخر أكبر معاقل الرأسمالية في الإتحاد السوفيتي – الرأسمالية الزراعية . تمثلت هذه الحملة بسياسة التحول الى التعاونيات الزراعية(٥)

.

إن عملية جمعنة الإقتصاد الزراعي هي عملية جماهيرية تعبرعن مصالح فئات الفلاحين الفقيرة والمتوسطة وتتوجه نحو الأشكال التعاونية في الزراعة وهذا أهم مافي الأمر ولكن هذه العملية جرت بوتائر مسرعة لامبرر لها ودون مراعاة الإستعداد الواقعي المحدد لجماهيرالفلاحين كما أسلفنا، وترافقت بتجاوزات إرادوية كان لابدّ من استدراكها وتلافيها ولهذا تطلب الأمر فيما بعد نحو عشر سنين لتعويض الخسائر التي مني بها الإقتصاد. فقد انخفضت على سبيل المثال مستويات المعيشة خلال الفترة من ١٩٢٩ -١٩٣١ بسبب إنخفاض الإنتاج الزراعي لعدم وجود الحافز الإنتاجي للفلاحين . وكذلك الأمر بالنسبة لإنتاج اللحوم بسبب ذبح المواشي من قبل الفلاحين احتجاجا على سياسة ستالين تلك. (٦)

من الواضح أن السمات الأسوء في النموذج السوفيتي يمكن أن تنسب الى ما أُصطلح على تسميته (الثورة الثانية) عندما تمخض التصنيع والتجميع القسري من فوق وبسرعة تقصم الظهر عن بناء اقتصاد ثقيل، شديد المركزية ودولة بوليسية. إضافة إلى أن الطريقة التي انجز بها التصنيع والتحولات الأخرى قد سببت في تفاقم العواقب الدكتاتورية، وبخاصة للفلاحين الذين أعيدوا للإقطاع في الواقع . لقد نجح ستالين في بناء صناعة ثقيلة ولكن على حساب الملايين من العمال والعاملات والأطفال الذين كانو ا يقضون أوقاتهم في معسكرات عمل اجبارية وفي ظل ظروف قاسية غير إنسانية حيث يجري تشغيل حتى الأطفال والنساء الحوامل ساعات تصل الى خمسة عشر ساعة في اليوم وفي أعمال شاقة سبق أن منعت السلطة السوفيتية في بداية تشكيلها تشغيل النساء والأطفال فيها، إضافة لحرمان كل من العمال والعاملات من حقوقهم القانونية.

٥- نيكولاس مارتن ، مصدر سابق ، ص ٢٤ ,

٦- اكسنفلدت الفرد ، النظم الاقتصادية عند التطبيق ، ت شكران العبد، الدار القومية لللللطباعة والنشر مصر ، السنة بلا ص ١٢٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد جاءت الحرب العالمية الثانية لتوجه ضربة شديدة للإقتصاد السوفيتي . ثم بعد سنوات قليلة من نهاية الحرب استطاع أن يعيد أنفاسه من خلال حملة (إعادة الاعمار). أما فيما يتعلق بالقطاع النقدي، فبعد التضخم الذي حصل من جرّاء الحرب العالمية الثانية، اتبعت الحكومة برنامجا لإصلاحه لأجل الحد من حالة التضخم. وبهذا قد ظهرت نتائج ذلك عام ١٩٥٠.

لقد سار الإقتصاد في زمن ستالين على أساس تكون فيه الدولة مسؤولة عن مجمل العملية الإقتصادية . فبدلا من ان تتبع الدولة اسلوب العلاقات السلعية النقدية ، اتبعت اسلوب (إعادة التوزيع الذي كان يتخذ شكلا عينيا، وهو تبادل غير متساو للسلعة يفرض عن طريق السلطة إداريا، عندما تقوم الأخيرة بسحب النتاج الفائض ، ومن ثمّ تعيد توزيع عينيا(٧). وهذا أدّى لضعف الإنتاجية بسبب إنعدام حوافز العمل. ويرد ستالين على ذلك في كتابه (القضايا الإقتصادية للإشتراكية في الإتحاد السوفيتي). مانصّه (أن ريع مؤسسات الإنتاج وفروعه لايمكن بشكل من الأشكال أن يقاس بالريع العالي الذي يعطيه الإنتاج الإشتراكي . فهو يقينا أزمات فرط الإنتاج ويكفل لنا زيادة في الإنتاج لها). (٨)

لقد شكل كلّ ذلك تركة ثقيلة على خلفاء ستالين ، بالإضافة لتركات الأخرى، ولعل أهم مايشار اليه في مجال الإصلاح الإقتصادي بعد ستالين هو عهد خروتشوف حيث لم يشهد عهد سلفه مالنكوف كثيرا من الإصلاح الإقتصادي – وكانت نتائج هذه الإصلاحات واضحة خلال الفترة ١٩٥٤- ١٩٥٨ فقد شهد الإقتصاد السوفيتي نموا بنسبة ١١-١٢بالمئة ، وكان أبرزه وضوحا في القطاع الزراعي ،حيث أصبح الإتحاد السوفيتي خلال تلك الفترة ينتج بين ١٣٠٠-١٤٠٠ طن متري من القمح سنويا، قياسا الى عام ١٩٥٣ (٨٠مليون طن متري. ولكن بعد عام ١٩٥٨ بدأت نتائج الإصلاحات بالتراجع، فالإدعاءات فيما يخص اللحاق بالغرب، وسوء تقدير جسيم لواقع وإمكانات تطورالنظام الإشتراكي في الإتحاد السوفيتي، ولحجم الهوة الإقتصادية والتكنلوجية التي تفصله عن البلدان الرأسمالية المتطورة، ولعامل الزمن، هو ما أنعكس في طرح خروتشوف أمام المؤتمر الحادي والعشرين للحزب عام ١٩٥٩ برنامجا لتحقيق الشيوعية في الإتحاد السوفيتي مطلع عام ١٩٨٠!

والفشل في تحقيق إنجاز من خلال خطة السبع سنوات. وامتدت ممارسات خروتشوف السلبية الى الخارج وتجلت في مواقفه من أحداث المجر وبولونيا والمانيا الديمقراطية. وأسفر ذلك النهج عن حدوث أكبر انقسام في الحركة الشيوعية العالمية بخروج الصين والبانيا، وماتبعه من إرهاق في الميزانية بسبب الإنفاق الدفاعي، أدّت لإزاحة خروتشوف من السلطة. وقد شهد عهد خليفته بريجنيف إصلاحا هو الأهم منذ لينين، وهوالإصلاح الإقتصادي عام ١٩٦٥، فقد أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي في ٢٦ ايلول من العام نفسه قرارا بشأن تحسين إدارة الصناعة وتطور التخطيط وتعزيز الحوافز الاقتصادية في الإنتاج الصناعي .

مع حلول العام ١٩٧٠، بدأ الإقتصاد السوفيتي بالصعود إلى قمة جعلته يتجاوز نصف حجم إقتصاد الولايات المتحدة، وكان ما يزال ينمو بوتائر متصاعدة بعض الشيء. حيث كان الإقتصاد السوفيتي يشكل (١٥,٣%) من الدخل القومي العالمي، في حين كان الإقتصاد الأمريكي يساوي(٢٧,٧%) منه. ولكن معدلات النمو السوفيتية بعدها فقدت زخمها خلال السبعينات فضمرالإقتصاد حيث كانت نسبة

٧- ستاريكوف يفغيني ، الهامشيون ، تأملات في موضوع قديم ، دار التقدم موسكو ، السنة بلا ، ص,٨٧

٨- ستالين ، القضايا الاقتصادية للاشتراكية في الاتحاد السوفيتي ، سلسلة المكتبة الاشتراكية ، دار دمشق ١٩٦٦ص٩١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإتحاد السوفيتي من الدخل العالمي (١٤,٧%) في العام ١٩٨٥ ، في حين زادت نسبة الولايات المتحدة الى (٢٨,٥%) في العام ذاته (٩). وفي تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي المقدم الى المؤتمر الرابع والعشرين للحزب (٣٠مارس_٩أبريل ١٩٧١)أعلن ليونيد بريجينيف (أن عوامل نمو الإقتصاد الوطني المسماة بالعوامل التوسعية قد أصبحت محدودة أكثر من ذي قبل، وأكد على ضرورة زيادة إنتاجية العمل الإجتماعي (وأولوية) تعجيل التقدم العلمي والتكنيكي وأهمية تخفيض استهلاك المواد والتوفير في الخامات، والإستفادة المثلى من موارد اليد العاملة. وشدّد على وجوب (تحسين نظام إدارة الإقتصاد) وذلك بتحسين نظرية وممارسة تخطيط الإقتصاد الوطني وتقوية الحوافز الإقتصادية سواء للمؤسسات أو العاملين الى جانب (مشاركة الجماهير)في بحث أهم الخطط والقرارات) (١٠)ز وهكذا وهكذا أوضح بريجينيف لمأزق الإقتصاد، بيد أن جوهر الحل المطروح في التقرير المذكور لم يتعد تحسين الأساليب الإدارية- المركزية المستخدمة في تسيير الإقتصاد، والتأكيد على قيادة الحزب الشيوعي والدولة السوفيتية لإقتصاد الأوامر. والأسوء من ذلك هو أن الإتحاد السوفيتي مع حلول عقد الثمانينات من القرن المنصرم لم يعد يحتل المرتبة الثانية المضمونة في الهرم لاقتصادي العالمي.

وتعد مرحلة ما بعد وفاة الزعيم السوفيتي الأبرز (ليونيد بريجنيف) في العاشر من تشرين الأول/أكتوبر العام ١٩٨٢ بداية لكشف الغطاء عن أوضاع مأساوية يعيشها الإتحاد السوفيتي، وعلى جميع المستويات الإقتصادية والإجتماعية والسياسة، ويعتقد البعض أن من بين العوامل التي عطّلت دينامية النظام السوفيتي وشلّت قدراته على التطور هو قيادته المسِّنة أيْ طبقة (الكهول) التي فرضت نفسها على الحزب بحكم أقدميتها. ففي ظل نظام حزبي يقوم على الطاعة المطلقة أتيح للمسنين أن يتوارثوا السلطة دون استحقاق، فخلال المدة (١٩٦٤) _ (١٩٨٥) حكم (ليونيد بريجنيف) ثمانية عشر عاماً، وتعاقب بعده رئيسان مسنّان هما يوري اندروبوف، وكونستانتين تشيرنينكو. وترى الباحثة ان التأبد في المراكز يعود في الأساس لإنعدام الديمقراطية الحقيقية التي لاتتيح الظروف للجميع لإظهار كفاءتهم وبالوقت نفسه تهيئ الأجواء للعناصر الوصولية والمتملقة لتبؤ مواقع المسؤولية بعيدا عن إعتبارت الكفاءة والخبرة والمصداقية والنزاهة بدليل، أن بعض العناصر القيادية أثبتت عدم اخلاصها للإشتراكية وعلى رأسهم يلتسين وحتى غورباتشوف قد أعلن في الاجتماع الأخير للجنة المركزية أن الاشتراكية فرضها عليهم ستالين إضافة الى ماتقدم هناك مجموعة كبيره من الأسباب الإقتصادية تقف وراء فشل الإقتصاد الشيوعي في الإتحاد السوفيتي وسنتناولها في هذه الدراسة وأبرز ها :

١ - المركزية المفرطة في التخطيط وإهمال آلية التخطيط في الدول الشيوعية لمؤشرات السوق.

إن آلية التخطيط المركزي في الدول الشيوعية لم تستند بشكل جاد إلى مؤشرات السوق بل أهملت لحد كبير تلك المؤشرات عند تحديد الأهداف الإنتاجية ،أي عند تقرير كميات ونوعيات السلع التي ينبغي إنتاجها، وقد حذر الإقتصادي المعروف (او اوسكار لانكه) من الآثار والنتائج التي يمكن أن تترتب على

٩- توفيق سعد حقي، تاريخ العلاقات الدولية ، مكتبة السنهوري ، التاريخ بلا، ص ٢٧٥,

١٠- بريجنيف ليونيد ، تقرير اللجنة المركزية المقدم الى المؤتمر ٢٤ للحزب الشيوعي السوفيتي ، ٣٠ مارس ١٩٧١، وكالة نوفوستي للانباء القاهرة . نقلا عن طه عبد العليم ، انهيار الاتحاد السوفيتي واثره على الوطن العربي (ندوه) ، مركز الاهرام ،١٩٩٢،ص ٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إهمال مؤشرات السوق. فهذه القضية تعتبر ذات أهمية كبيرة من حيث آثارها على الصعيد الإجتماعي في الدول الشيوعية إذ أن الجانب الأكثر أهمية في هذا المجال هو التعرف على أذواق الأفراد وتفصيلاتهم. زد على ذلك أن التخطيط المركزي في الدول الماركسية لم يطوّر آلية بديلة عن آلية السوق الرأسمالية في هذاالمجال متابعة أذواق الأفراد والإستجابة لها (١١). والأمر المرجح ان المعنيين بقضايا الإنتاج والتخطيط في هذه الدول يعتقدون بأن الإهتمام والعناية بمتابعة أذواق الافراد وبالتالي تكييف وتنميط السلع على ضوء ذلك هو (مظهر برجوازي). إن أحد أسباب انبهار أو إعجاب مواطني الدول الشيوعية بالسلع الغربية يرجع الى أن هذه السلع تتضمن أنماطا ذات قدرات عالية على ملائمة أذواق الافراد، ولاتتصل هذه المسألة بالأفضليات التقنية السائدة في الدول الرأسمالية فحسب، وإنما تتصل بشكل أكبر بآلية سوق المنافسة الرأسمالية التي تدفع لإدخال تحسينات مستمرة على نوعيات وأنماط السلع وهي ظاهرة لاتتجزأعن مبدأ(سيادة المستهلك) الذي يهيمن على سياسات المشاريع في الدول الغربية، رغم مايرد بهذا الخصوص من ملاحظات(١٢). نظام المركزية الصارم في العمل يقود إلى نمو البيروقراطية المفرطة المستفيدة من الوضع القائم مم يجعلها جاهزة لتكريسه رغم نتائجه السلبية على العمل لكي تحافظ على امتيازاتها ومكاسبها مما يؤدي لقتل روح الإبداع والمبادرة، وبالتالي يخّفض إنتاجية العمل كماً ونوعاو ويُنشئ حالة الإغتراب بين المواطن وسلطة الدولة لأنه يجد نفسه مجرد مِرؤُد في آلة، تماما كما هو الحال في ظل النظام الرأسمالي. وبالوقت نفسه فإن مواطن الدولة الشيوعية مادام لا يعيش ظروف النظام الرأسمالي، فهو لا يرى من بعيد إلّا بريقه الذي يتمثل له تارة في الإنجاز التقني الذي يسمع عنه أو يتعرف أحيانا على بعض مظاهره، ويتمثل له تارة أخرى بالسلع ذات الجودة العالية والأصناف المتنوعة التي تداعب ذوقه النافر من النوعيات الكالحة للسلع المنتجة محليا، وتمثل تارة ثالثة في مجتمع الوفرة العالية الذي قد يسمع عنه من وسائل الإعلام الغربية كما قد تتمثل له في ممارسة الليبرالية التي تداعب مشاعر الأجيال الجديدة بشكل اكثر حدة.

ويعتقد المؤرخ البريطاني بول جونسون (إن السبب الرئيسي لإنهيار الإقتصادي السوفيتي يعود لـ (الإنسان) بقدر ما يعود لـ "الآيديولوجية"، فـ(التخطيط المركزي) لا يمكن أن يفي بحاجات بلاد شاسعة يسكنها مئات الملايين، وتؤلفها عشرات الجمهوريات وأنظمة الحكم الذاتي، وقد أصبح ذلك مسلَمة لا يناقشها حتى عتاة الماركسية. ولكن لا يقل أهمية عن هذا الغلط في الآيديولوجية هو القضاء على الإنسان من رجال "الأعمال" والتجار والمزارعين. فبعد سبعين سنة من الحكم الشيوعي لم تكن هنالك طبقة مديرين مدّربة على الإنتاج وفق معادلة التكلفة والمردود. ولهذا لم يكن محض صدفة أن القطاع الوحيد في الإقتصاد السوفيتي الذي كان ناجحاً هو: (المؤسسة العسكرية-الصناعية) التي لم تكن تعنيها الكلفة الاقتصادية حتى النصف الثاني من الثمانينات(١٣).

٢- التناقض القائم أو عدم الإنسجام بين مستويي التكنلوجيا المستخدمة في الإنتاج المدني والعسكري، المجتمعات الشيوعية وخاصة الإتحاد السوفيتي السابق تميزت بالتناقض بين بين المستوى المتدني للكنولوجيا المستخدمة لإنتاج السلع المدنية ومستوى التكنولوجيا في إنتاج السلع والمعدات العسكرية.

١١– غورباتشوف ميخائيل ، البروسترويكا ، ترجمة عباس خلف ، شركة المعرفة ،بغداد ١٩٩٠.ص

١٢ - مجلة المنار الأولى ،العدد الرابع نيسان ١٩٨٥،ص ٢١١.

١٣- البندك مازن ،هكذا انهارت الدولة السوفيتية، مجلة الجبل، العدد(١٠)، المجلد (١٢) ،مؤسسة الجبل للصحافة وبيروت ، ١٩٩١، ص١٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكان الإقتصاد السوفيتي اقتصاد حرب يقوم على ثلاث ركائز هي، إنتاج السلاح وإنتاج آلات التجهيز (آلات الزراعة، والصناعة، والبناء ..،الخ)، وإنتاج الحاجيات. أي إنه اقتصاد تسليح وتجهيز وحاجيات لإتصاد بضائع سوقي، والذي يعرفه العالم حيث ألزمت الحرب الباردة السوفيت سياسة تقشف تقارب المجاعة. فأرغمتهم على الإهتمام بالصناعات العسكرية الدفاعية، وعلى حص إهتماماتهم بأنواع من صناعات التحويل غير القابلة للتصدير[١٤]. فالصناعات العسكرية في العهد السوفيتي لم تكن خاضعة لإعتبارات الجدوى الإقتصادية، سواء أكان ذلك في عمليات البحوث والتطوير والإنتاج الكمي للأسلحة والمعدات العسكرية، أم فيما يتعلق بمبيعات السلاح الخارجية . وانعكست هذه الخاصية في أن تحظى الصناعات العسكرية بالأسبقية على القطاع الصناعي المدني، ولكن مع العجز عن خلق نوع من الإعتماد المتبادل بين القطاعين: المدني والعسكري، كانت الصناعة العسكرية تسحب المورد الأكبر من القطاع المدني، دون القدرة على توظيف الإنجازات الباهرة التي تحققت في مجال الصناعة العسكرية لخدمة الإقتصاد السوفيتي أو على الأقل القطاع الصناعي المدني، وفي الوقت نفسه لم تكن مبيعات السلاح السوفيتي للحلفاء والأصدقاء في الخارج تحقق عائدات مادية ملموسة للإقتصاد السوفيتي، لأنها كانت تتم بشروط ميسرة للغاية من حيث، الأسعار وشروط السداد. فكان من نتيجة ذلك، أن تحولت الصناعة العسكرية لمصدر استنزاف هائل للإقتصاد السوفيتي بدرجة أكبر بكثير من نظيره الحادث في الولايات المتحدة الأمريكية والغرب. ومن ثم فقد عانى الإقتصاد السوفيتي من غياب التوازن بشكل ملحوظ بين النشاط الخدمي وإنتاج البضائع الإستهلاكية التي تستجيب للحاجات المتجددة على ضوء نمو القدرة الشرائية للمواطنين، وطبيعة التطور في تلك الميادين في العالم، وبين النشاط الإنتاجي الذي يركز في نمط خاص من الإنتاج المتمثل بالصناعات الحربية. مع ذلك فكان للنظام قدرة لدعم نفسه ذاتيا مع كل المعوقات التي ما لبثت أن انقلبت وبالا عليه، لتبدو وكأنها أزمات عصية على الحل لاسيما بعد تسلم (غورباتشوف) مقاليد الحكم في الإتحاد السوفيتي[١٥]. وقد أشارت بعض الدراسات لحقيقة الخلل في الميزان التجاري للدولة السوفيتية، إذ انخفضت الصادرات السوفيتية التي تمثل (٦٠%) من موارد الميزانية، والتي شملت على صادرات النفط والغاز والخشب والإسمنت وغيرها بشكل كبير، مما افقد الميزانية واردات أساسية لدعمها. فضلاً عن ذلك فقد وصم قطاع الزراعة بالقطاع الأضعف من بين قطاعات الاقتصاد السوفيتي. ففيه كما في قطاع الصناعة، والذي أدّى التخطيط المركزي فيه إلى خنق الإنتاجية وتشجيع الممارسات التي تعوزها المرونة، إذ انخفضت معدلات نمو الإنتاج الزراعي بشكل كبير، الأمر الذي جعل الدولة تتحمل أعباء دعم المواد الغذائية الضرورية بنسبة عالية جداً وصلت في العام ١٩٨٥ وحده إلى (٥٠) مليون روبل. كما انخفض إنتاج الحبوب إلى (١٩٥) مليون طن، وبواقع (١٠٠) مليون طن تقريباً عن السنة السابقة، وتناول الكاتب الروسي الساخر اندريه أمالريك مسألة إنعدام الإنسجام القائم بين مستوى التكنولوجيا المستخدمة في الإنتاج المدني وتلك المستخدمة في الإنتاج العسكري فيقول (لقد وصلت الصواريخ الروسية الى المريخ ، أما سكان قريتي فما زالوا يستخرجون البطاطا من الأرض بأيديهم). هذه ثغرة قد تصبح هوة، ليست المسالة في معرفة كيفية التقاط البطاطا ، بقدر ماهي أن مستوى تفكير أكثرية الناس لم يرتفع لأعلى من مستوى هذا العمل اليدوي. وبالرغم من أن العلم لايتطلب دائما في البلاد المتطورة وسائل أكثر وحسب، بل يتطلب أيضا

١٤- حاماني هنري ، منطق الذئب ، مباحث سياسية ، بيروت ، ٢٠٠١، ص ٥٧-١١٩.

١٥- الرمضاني مازن اسماعيل ، القوى الدولية الجديدة والعرب في ظل النظام الدولي الجديد في النظام العالمي الجديد ومخاضاته ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٩٢، ص١١٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أعدادا بشرية أكثر. فمبادئ العلم الأساسية لاتتقنها إلّا قلة طفيفة. وهذه القلة تتمتع اليوم مع النخبة الحاكمة بوضع مميز. ولكن كم من الوقت ستدوم تلك الحالة ؟)*(١٦). والحقيقة فالمخاطر الجسيمة على المجتمع لا تنحصر في تخلف الصناعات الإستهلاكية وحسبن بل وفي تخلف البشر أنفسهم. فوعي الناس يتحدد الكيفية التي يعيشون ويعملون فيها .

٣ : ـ تبديد الموارد الإقتصادية

كان الإقتصاد السوفياتي كغيره من إقتصاديات الدول الشيوعية، يتسم بقصور الإستخدام الأمثل والكفء للموارد الإقتصادية، مما أدّى إلى تدهور وتبديد تلك الموارد. وقد يعزى ذلك الى جملة من الأسباب لعل أبرزها المستوى التكنولوجي الرديء المستخدم في الصناعة السوفيتية آنذاك. ومع أن الإتحاد السوفيتي على سبيل المثال كان ينتج الفولاذ بكمية أكبر من الولايات المتحدة الأمريكية وبنسبة ٤٢% حسب احصائيات عام ١٩٨٠ إلا أن صناعة المكائن كانت متخلفة مما هي عليه في امريكا بنسبة ٣٠ /٤٠ %. وإذا ما فارنا المكائن والأجهزة ذات السعة المتساوية، لوجدنا أن الآلة السوفيتية كانت تستهلك ٥% من المعدن بنسبة أكبر من نظيرنها الأمريكية، وإن الإتحاد السوفيتي كان ينفق عيها من الدخل القومي بمقدار ٥٠%من المعادن أكثر مما كانت تنفقه الولايات المتحدة(١٧). بإعتقادنا أن السبب في تبديد الموارد لاينحصر فقط في التخلف التكنولوجي وانما في التخطيط المركزي وفي الإدارات البيروقراطية التي لاتشرك جماهير العمال في صنع القرار ولاتخلق لديهم حوافز للإنتاج الأكثر. فهم لايشعرون بأن عوائد الانتاج تعود لهم، فكلّ الإمتيازات تكون للفئة المتنفذة والمهيمنة على إدارات العمل.

٤ : ـ إنخفاض انتاجية ومعدلات النمو في الدول الشيوعية.. كان للتوسع في الصناعات الإستراتيجية والأولية على حساب الصناعات المتقدمة أثر ضار بصورة خاصة على نمو إنتاجية العمل في الإتحاد السوفيتي السابق. ويظهر هذا التأثير من خلال تخصيصات الإستثمارات للفترة ١٩٧٦_١٩٨٠، حيث كان معدل النمو المقرر لصناعة النفط مثلا ٤,٦%بالمقارنة مع معدل النمو في صناعة المكائن الذي كان ٠,٤%فقط (١٨). إن انخفاض الإستثمار في قطاع المكائن أدّى لإنخفاض الإنتاج في هذا القطاع ،كما أدى الى التدني في مستوى المكننة حتى في أبسط الأعمال. ومما ساهم في إنخفاض الإنتاجية أيضا عدم الإنضباط في العمل والتغيب عنه إضافة لإنعدام الإستغلال الأمثل لوقت العمل الفعلي، ولا ننسى إدمان العمال على الكحول وإنعكاسات ذلك على إنخفاض مستوى إنتاج العمل. وإذا ماتطرقنا (لبعض المؤشرات الإقتصادية المتعلقة بمعدلات النمو نلاحظ أن معدل نمو الإقتصاد الوطني في الإتحاد السوفيتي السابق انخفض من ٩%سنويا عام ١٩٦٤ الى ٣%عام ١٩٨٢. وفي القطاع الصناعي انخفضت معدلات النمو بشكل حاد من ٧,٣%الى ٢,٩% لنفس الفترة على التوالي، في حين أصبحت هذه المعدلات سلبية في القطاع الزراعي وهكذا الحال بالنسبة للإستثمار. أما المعطيات حول إنتاجية العمل فلم تكن أفضل. وهو مايشير اليه تحليل مادة احصائية مقارنة اعدّها أحد باحثي معهد الإقتصاد العالمي والعلاقات التابع

١٦ـ امالريك اندريه هل يبقى الإتحاد السوفيتي حتى عام ١٩٨٤، دار النهار للنشر ،بيروت١٩٧٠،ص٤٢.

*** اندريه امالريك ولد في عائلة مؤرخ عام١٩٣٨.درس في عام١٩٦٠في كلية التاريخ بجامعة موسكو،ثم طرد منها لبحثه الدراسي ،سجن ونفي الى سيبريا ثم اطلق سراحه بقرار من المحكمة العليا عام١٩٦٦، تنبأ بسقوط الإتحاد السوفيتي منذعام ١٩٦٩.**

١٧ـ غورباتشوف ميخائيل ، مصدر سابق ، ص ٢٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأكاديمية العلوم السوفيتية، يشير للحقائق التالية، أنه خلال٥٧ عاما (١٩٢١_١٩٤٠و١٩٥١_١٩٨٧) (أيْ بإستبعاد فترة حروب مابعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ وفترة الحرب العالمية الثانية والسنوات اللاحقة لها مباشرة) قد زاد مقدار إجمالي إنتاج الإتحاد السوفيتي ٩١ مرة. وبالفترة نفسها زاد إجمالي إنتاج العمل في الدول المتقدمة (الولايات المتحدة واليابان وأوروبا الغربية) ٥,٥مرة: بيْد أنه على الرغم من هذا الإنجاز الهائل فإن إجمالي إنتاجية العمل في الإتحاد السوفيتي في عام ١٩٨٧ كان أقل ٢,٥ مرة مقارنة بمتوسط إجمالي إنتاجية العمل في البلدان الرأسمالية المتقدمة . إن مستوى إنتاجية العمل في الصناعة السوفيتية في الوقت الراهن لايتعدى حوالي٦٠ %من المستوى المناظر له في البلدان الغربية. إذ تصل تلك النسبة إلى حوالي ٧٥% في الفروع الصناعية الأساسية، وهذا يعني أن الإنخفاض الأشدّ لها في الفروع الصناعية الثانوية. ويبدو تباطؤ نمو الإنتاجية إلى جانب تفاوت هذا النمو، حسب مستوى تحديث الفروع الصناعية في الإتحاد السوفيتي ، إذ لاحظنا أن إتاجية العمل في الصناعة السوفيتية قد زادت من ٣٦ الى ٥٨ وزادت في اليابان من ٢٠ الى ٩٠ بين عامي ١٩٥٠ ،١٩٨٦ (حيث متوسط انتاجية العمل في صناعة البلدان الرأسمالية المتقدمة (١٠٠ لنفس الاعوام). كما أن مستوى إنتاجية العمل في الزراعة السوفيتية في الوقت الراهن يقل بنحو (خمس مرات) عن المستوى المناظر له في البلدان الرأسمالية الصناعية. بينما يعمل في الزراعة السوفيتية حوالي٢٩%من المشتغلين في مجالات الإنتاج السلعي، وهذه النسبة لا تتعدى ٩% في الولايات المتحدة وألمانيا الغربية على سبيل المثال، وتظهر فجوة إنتاجية العمل بين الإتحاد السوفيتي وهذين البلدين في قطاع الزراعة إذا لاحظنا أن إنتاجية العمل في الزراعة لم تتعد ٢٥%من إنتاجية العمل في الصناعة في الإتحاد السوفيتي بينما بلغت بالنسبة المناظرة حوالي ١٠٠%في الولايات المتحدة و ٥٧% في ألملنيا الغربية.

إلى جانب هذا التفاوت الهائل في الإنتاجية، يلاحظ التباطئ الشديد في نمو إنتاجية العمل في الزراعة السوفيتية، رغم الإستثمارات الهائلة للتنمية الأفقية والعمودية وهكذا، بينما ارتفعت إنتاجية العمل في الزراعة السوفيتية من ٣٥الى ٣٧ ، فأزدادت في المانيا الغربية من ٨٥ الى ١١٥ وفي إيطاليا من ٣٥ الى ٥٠ بي عامي ١٩٥٠ ،١٩٨٧. علما بأنها كانت ٣٥ ايضا في الإتحاد السوفيتي عام ١٩١٣، وبلغت ٢٠٠ في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٧. (حيث متوسط إنتاجية العمل في الزراعة في الدول الرأسمالية المتقدمة تساوي ١٠٠ لنفس الأعوام) (١٩). زد على ذلك أن الإنخفاض في مستوى تطور الصناعة السوفيتية لم يكن كميا فحسب وإنما نوعية أيضا، حيث أن الهبوط في معدلات النمو كان أسرع في الصناعة الإلكترونية مما هو عليه في الإقتصاد السوفيتي بصورة عامة مما جعل الصناعة السوفيتية تقترب بصورة متزايدة من حالة الركود من الناحية التقنية(٢٠)

١٨- مركز البحوث والمعلومات ، سلسلة الدراسات الاقتصادية ،بغداد ١٩٨٤، ص ١١-١٢.

١٩- عبد العليم طه ، مصدر سابق ،ص ١٢.

٢٠- مركز البحوث والمعلومات ، مصدر سابق ،ص ٢١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جدول تطور المؤشرات الاقتصادية الرئيسية للإتحاد السوفيتي بين عامي ١٩٦٦_١٩٨٤... (معدل النمو خلال الخطط الخمسية)

الدخل القومي	٤١	٢٨	٢١	١٤
الإنتاج الصناعي	٥٠	٤٣	٢٤	١٥
الإنتاج الزراعي	٢١	١٣	٩	٥
إنتاجية العمل	٣٧	٢٥	١٧	١٣
متوسط الدخل للفرد	٣٣	٢٤	١٨	٩

٥ : - عدم التوازن المزمن بين عرض النقد والسلع في الإقتصاد السوفيتي

تميّز الإقتصاد السوفيتي بإنعدام التوازن والإختلال بين عرض النقد وعرض السلع، فخلال الفترة ١٩٧٦_١٩٨٠ مثلا ارتفعت الأجور والرواتب بنسبة ٢٨% بينما أزداد الإنتاج الإستهلاكي بنسبة ٢١%فقط، وكان لهذا التوازن الحرج والمزمن تأثير شديد في تدني نوعية المنتجات الإستهلاكية، فاضطر المستهلكون الرضا ببضاعة رديئة أفضل من لاشيء على الإطلاق مما أثر على الروح المعنوية والإنتاجية للعمال، وتمخض من ذلك ظهور النقيض جنبا الى جنب في الإقتصاد المركزي المبرمج هو الإقتصاد الشبيه بالإقتصاد السوقي. وأصبح هذا الإقتصاد الثاني (إقتصاد الظل) الذي يستخدم وسائل التبادل والأسعار الخاصة به إقتصادا واسعا وفي نمو مضطرد، وعدواه لم تسر للإدارت فحسب بل الى الشعب كله. إن علاقات البيع والشراء غير الرسمية كانت تلعب دورا متناقضا وبدرجة غريبة في الإقتصاد السوفيتي المعاصر. فمن ناحية كانت تعمل على نخر الأسس التي يقوم عليها الإقتصاد الوطني بالذات، ومن ناحية أخرى كانت تساعد ذلك الإقتصاد على البقاء والنمو ،حيث أن اقتصاد السوق كان يعمل على تصحيح الخروق والمبالغات والأخطاء التي ترتكبها القيادةالإقتصادية(٢١). والحقيقة أن موضوعة إقتصاد الظل في الإتحاد السوفيتي قد تناوله بإسهاب كلّ من الكاتبين توماس كيني وروجر كيران في كتابهماالمعنون (خيانة الإشتراكية وراء انهيار الإتحاد السوفيتي)، فأكّدا بإستنتاج خرجا به من دراستهما لأسباب إنهيار الإشتراكية، أن هناك إتجاهات مناهضة للبناء الإشتراكي وضعت الصعوبات أمام المخططين حيث جاءت من الإقتصاد الثاني الذي وضع العراقيل أمام النمو الإقتصادي . وكانت هناك موجتان من الفساد، أحدهما كانت موجودة منذ فترة طويلة أما الثانية فقد ظهرت بعد عام ونصف من وصول غرباتشوف للرئاسة. وجاء أيضا تيار مؤثر من الإقتصاد الثاني، أمّا نشاطات القطاع الخاص غير المشروعة فأغمضت السلطات عيونها عنها. مثل هذا الوضع المساوم مع الإقتصاد الثاني قاد بالضرورة لنشوء فئة من أصحاب الملايين أطلق عليهم مليونيرات بريجنيف احيث أقاموا

---

٢١ - الصغير سجيع هاني وسلمان سلمان عبدالله، المجلة السياسية والدولية ،الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٦،ص٤٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شبكة من الفاسدين في الدولة والحزب بتجاهل كامل من السلطات. هذه الظاهرة كانت حقيقة ولم تتناولها الدراسات الماركسية، كانت صناعة غير مشروعة ولهذا لم تُذكر عنا أية أرقام مما يجعل دراسة الظاهرة أمرا صعبا. ويؤكد الكاتبان من أجل أخذ فكرة عن الإقتصاد الثاني يمكننا مقارنة عهد بريجنيف مع الأشهر القليلة من عهد اندروبوف في موضوع القضايا الإجرامية التي تم التحقيق فيها نجد أنّه في عهد بريجينيف لم يدان أي شخص في القضايا التي تتعلق بهذا الصنف من النشاط الإجرامي حتى بعد وصوله للمحاكم، لكن مع اندروبوف تغيّر الوضع جوهريان فقد حوكم وأدين الكثير ممن تمت محاكمتهم في قضايا من هذا النوع من الفساد . ويستنتج الكاتبان بعد دراسة وبحث دام أربع سنوات أن الإقتصاد الثاني كان سبب إنهيار الإتحاد السوفيتي (٢٢) . وبالنتيجة نفسها توصل لها الكاتبان ديفيد كوتز (استاذ جامعي امريكي) وفرير وير (صحفي كندي أقام فترة طويلة في موسكو) في كتابهما الموسوم (الثورة من فوق قصة زوال النظام السوفيتي). يعرض الكاتب الإقتصادي الروسي ستانسلاف مينشيكوف، حيث يعتبر الكتاب بمثابة تشريح إجتماعي نزيه للأمراض التي أدّت لإنهيار النظام السوفيتي، فالكتاب كان متعاطفا مع قضية الإشتراكية حسب ما يذكر مينشيكوف، غضافة إلا أنه يخلو من أية تصورات مسبقة، على العكس من معظم الكتب التي صدرت في الولايات المتحدة الأمريكية حول هذا الموضوع، ويبين الكتاب بشكل مقنع أن إنهيار الإتحاد السوفيتي كان نتيجة عملية تخريب متعمدة قام بها اعضاء في النخبة الحاكمة كانو مغالين في العداء للشيوعية، وأنصارا للرأسمالية. فهي كما يوضح مينشيكوف ثورة مضادة من فوق قادها يلتسين بدعم من الإئتلاف النخبوي. والفكرة الأساسية في الكتاب تعود بجذورها للتقاليد التروتسكية التي كانت تتهم القيادة السوفيتية (الستالينية) بتحويل نفسها لبيروقراطية حاكمة ضمن نظام رأسمالية الدولة، ولكن الطروحات التروتسكية بقيت عاجزة عن تفسير النزوع التأريخي للنخبة الحاكمة أيْ تحولها النهائي الى طبقة رأسمالية تستولي على الملكية الإشتراكية. لقد كان تصور تروتسكي وبرنهام ودوجلاس يقوم على أساس أن تلك الطبقة الجديدة سوف تسعى للإبقاء على النظام للحفاظ على إمتيازاتها، لكن الذي حصل كان العكس بالضبط فقد تملكت تلك الطبقة رغبة جامحة في تحطيم النظام الذي كانت تريده كما ذهب الى ذلك مينشيكوف .

ويذكر الكاتب أن تحول خلفاء لينين وستالين إلى طبقة من السراق هو من المواضيع التي لاتزال بحاجة إلى حيّز أكبر من التحليل النظري والسياسي . تعتقد الباحثة أن النقطة الأساسية التي يجب ان ينطلق منها التحليل هي أن ثورة اكتوبر قد حصلت في المكان الخطا كما اسلفنا، إن تصفية الرأسمالية عنوة وبأساليب قمعية وإستبدادية وليس عبر مجرى تطور موضوعي طبيعي هو الذي أعاد البرجوازية للظهور والحضور من خلال اقتصاد الظل. كيف يمكن تفسير ذلك ؟

هناك قانون طبيعي هو أن كلّ الأشياء غير المسمح لها بالحضور الطبيعي، تبحث لها عن طرق أخرى سرية للحضور ومن هنا يأتي الإهتمام بالديمقراطية والدفاع عنها، فترك الأمور يجري ضمن مجراه الطبيعي هو الأسلم لحركة التطور الإجتماعي، ويمكن تشبيه الأمر بنهر جار يتم عنوة سد مجراه الطبيعي، فلنتخيل ماذا يحصل في هذه الحالة ، مياه النهر سوف تجد لها منفذا آخر للجريان من خلاله فمن المستحيل في هذه الحالة أن يقف الماء عن الجريان. وهذا هو ماحصل في الإتحاد السوفيتي، فالرأسمالية لم تستنفذ دورها ولم تكمل مرحلتها، بل كانت برجوازية ناشئة صفيت عنوة فعادت ووجدت

٢٢- كيني توماس و كيران روجر، خيانة الإشتراكية وراء إنهيار الإتحاد السوفيتي ، ت علي الأسدي ، ٢٠٠٤، مقابلة صحفية حول الكتاب المذكور اعلاه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن لها طرقا سرية تنمو من خلالها وهو ماتمثل في حالة روسيا بإقتصاد الظل وبذلك عادت البرجوازية وانتصرت لنفسها بعد عقود من القمع والنشاط السري(اقتصاد الظل). يطرح مينشيكوف عدة ملاحظات حول الكتاب الآنف الذكر يتفق في بعضها ويختلف في البعض الآخر مع الكاتبين ومن هذه الملاحظات، أولا لايتفق معهما أي مع الكاتبين هو أن غورباتشوف كان يسعى للحفاظ على الإشتراكية والإتحاد السوفيتي ويذكر أيضا نفسه عندما زار هولندا بعد فترة من سقوط الإتحاد السوفيتي فإعترف بأنه كان يفكر بتحطيم النظام قبل ان يصبح عضوا في المكتب السياسي، كما اعترف أيضا بأنه كان يسعى لمركز السكرتارية العامة للحزب حيث لايوجد منصب آخر يتيح له إمكانية تحقيق هدف تحطيم النظام من فوق، ويعلق الكاتب أنّه لايشك في صحة هذا الإعتراف.

ويذكر الكاتب أن سبب إقالة يلتسن عام ١٩٨٧من قبل غورباتشوف هوالمنافسة الشخصية وليس هناك اختلاف جوهري بينهما، فيلتسن كان يريد الإسراع في التغيير، أمّا غورباتشوف فكان يريد التغيير تدريجيا ليضمن بقاءه في القمة. والمعارضة الحقيقية لغورباتشوف داخل المكتب السياسي كان يمثلها ماسمِّي بالتيار المتشدد الذي عارض التحول للراسمالية واراد الحفاظ على السمات الإشتراكية ومعظم المنتسبين لهذا التيار لم يشاركوا في عمليات النهب التي جرت في السنوات الاخيرة من عمر النظام السوفيتي .أما أقرب حلفاء غورباتشوف في المكتب السياسي فهم ياكوفليف وشيفرنادزه . إن ياكوفليف قد بدا نشاطه المعادي للشيوعية مباشرة بعد توليه منصب سكرتير عام الحزب إذ استعان بطاقم من المستشارين الذين ساعدوه في عملية الدعاية الهادفة لنسف الأسس النظرية الماركسية والإشتراكية، ويعتقد الكثير من الناس في روسيا أنه مرتبط بالمخابرات الأمريكية، وهناك دلائل عرضت على غورباتشوف غير أنه تجاهلها وابقاها ضمن المقربين . ويضيف الكاتب احول شيفردنادوه الذي إعترف بأنه ناقش مع غورباتشوف سبل تغيير النظام منذ أواخر الثمانينات، وهو من الأثرياء في ظل النظام الإشتراكي كما هو الحال أيضا مع رئيس جمهورية اذربيجان الذي هو الآخر احد عرابي إقتصاد الظل على حد تعبير مينشيكوف. ويتفق الكاتب مع المؤلفين في ملاحظة أخرى بشأن التحول الى الرأسمالية لنخبة حزب الدولة ولكنه يؤكد أن الكثير من كوادر الحزب السابقين استمر وا بالعمل كإداريين محليين في ظل النظام الجديد ومعظمهم حافظ على ولائه السابق وكان لهم دور في إعادة نشاط الحزب الشيوعي وفي الفوز الذي حققه في الإنتخابات البرلمانية لعلم ١٩٩٥. أما الذين تحولو فهم مدراء المشاريع ورؤساء المهندسين في صناعات النفط والتعدين وكانت هذه الفئة مرتبطة ارتباطا وثيقا مع البيرقراطية الإقتصادية بمستوياتها الدنيا والوسطى، مشكلين بذلك حلقات سرية داخل الإقتصاد السوفيتي وعندما أجيز النشاط الإقتصادي الحر في أواخر حكم غورباتشوف سارعت هذه الفئة لإستثمار ثروتها المتراكمة. في البنوك الجديدة وفي استثمارات المشاريع الخاصة. وهكذا ولّت الإشتراكية السوفيتية طبقة راسمالية من نخبتها الحاكمة استكملها وعززها تنامي الرأسماليين المخفيين في إقتصاد الظل الذي نما لفترة طويلة قبل إنهيار النظام السوفيتي (٢٣).

٦ : ـ تعاظم الدين في الدول الشيوعية

تثير مشكلة المدينونية إهتماما واسعا لدى السياسين والإقتصاديين على حد سواء، نظرا لآثارها الهامة في حقلي السياسة والإقتصاد بشكل يصعب فيه الفصل بين تلك الآثار على صعيد هذين الحقلين معا،

٢٣ـــمنشيكوف ستانسلاف ، الثقافة الجديدة ، العدد ٢٨٤، ، ص ٩٠ ـ٩٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالبلد المدين يقع حتما تحت رحمة دائنيه الكبار تبعا للشروط التي يتم فيها منح القروض الخارجية وهي شروط عادة ماتكون قاسية وإن اختلفت نسبيا بين الدائنين الرسميين حكومات ومؤسسات دولية، وبين الدائنين الخاصين مع مصارف ومؤسسات تجارية كبرى، ولكنها تصب في النهاية في نفس مصب القيود والآثار النهائية المترتبة عليها من حيث اعباء خدماتها وعلاقة ذلك بميزان مدفوعات بالبلد المدين وأرصدته الأجنبية وصادراته وإستيراداته وتوازناه الداخلي والخارجي على السواء (٢٤). فالدول الشيوعية وبسبب عدم الإكتفاء الذاتي وتدهور الإنتاجية والكفاءة في اقتصادياتها، وعدم قدرتها على مجاراة الدول المتقدمة اقتصاديا وازدياد احتياجاتها للعملات الأجنبية الصعبة أزداد حجم الدين على هذه الدول، واصبحت تعاني من عجوزات مستمرة في موازين مدفوعاتها. وكان الواقع الإقتصادي السوفيتي قد انعكس على المستوى المعاشي للسكان الذي تدنى إلى مستويات كبيرة، فبدأ الإتحاد السوفيتي يعاني نقصا في الغذاء ربما لدرجة المجاعة في بعض المناطق، الأمر الذي دفع بعدد من المسؤولين الحكوميين لإطلاق دعوات لتقديم المساعدة الدولية، كما أعلن رئيس الوزراء (ريجكوف) وخلال مقابلة تلفزيونية في كانون أول/ ديسمبر من العام ١٩٩٠ ، بأن على الحكومة شراء المواد الغذائية الأساسية كالسكر والحبوب واللحوم لتأمين الحاجات الملحة للسكان، وإن الدولة تعاني عجزا شديدا في تلك المواد، ودعا العالم لتقديم المساعدة لبلاده. حيث أن المجتمع السوفيتي بعد نحو أربعين عاماً من إنتهاء الحرب العالمية الثانية لم يزل يخضع لتقنين جزئي للمواد الغذائية ، ويعاني نقص دائم ومستمر في السلع الإستهلاكية، كما كانت الرعاية الطبية للمواطن السوفيتي تتدهور بصورة عامة ومن غير المستغرب تقلص متوسط عمر الإنسان قياسا المتوسط عمر الإنسان قي الولايات المتحدة، كما أن الإستياء لدى الشعوب السوفياتية كان موجها ضد نظام الإمتيازات الخاصة لكبار الموظفين، الأمر الذي زاد من الإستياء لدى الجماهير السوفيتية التي كانت حياتها تزداد صعوبة ومعاناة.

٧ : ـ ـ تكاليف الدفاع عن منظومة النظام الشيوعي العالمي وإستنزاف الموارد .

استنزف الإتحاد السوفيتي الكثير من موارده للدفاع عن منظومة النظام الشيوعي العالمي في كافة المجالات السياسية والإقتصادية والعسكرية والثقافية ....الخ. إضافة الى تمويله للحركات والأحزاب الشيوعية في العالم. فعلى سبيل المثال كان الإتحاد السوفيتي يقدم مساعدات كبيرة لدولة منغوليا الفقيرة في مواردها وإمكانياتها الداتية ، حفاظا على نظامها ونهجها السياسي ، وكذلك الحال بالنسبة لكوبا وفيتنام وبولونيا، فضلا عن استضافته سنويا للمئات بل الآلاف من اعضاء حركات التحرر والأحزاب الشيوعية من كل العالم في منح دراسية تستنزف الكثير من إمكانياته . وكذلك ماكان يقدمه الاتحاد السوفيتي من مساعدات إقتصادية وعسكرية لبلدان العالم الثالث بشكل عام بهدف كسب مواقفها لصالحه في إطار التنافس بينه وبين المعسكر الغربي بقيادة امريكا . إضافة إلى ماكان ينفقه الإتحاد السوفيتي من جرّاء تدخله الخارجي، في المجر وتشكيسلوفاكيا وفي افغانستان ..الخ مما انعكس سلبا على قدرات وأداء اقتصاده الوطني.

٨ : ـ بروز ظاهرة المدراء الإداريين للمؤسسات الإقتصادية ومحاولة هؤلاء الحصول على امتيازات مضافة وتثبيتها قانونيا. على الرغم من ظهور هذه الظاهرة في وقت مبكر وإنتباه بعض المفكرين لمدى خطورة بروز ظاهرة المدراء الإداريين للمؤسسات الإقتصادية ونتائج هذه الظاهرة.

٢٤ـ مركز البحوث والمعلومات ، مصدر سابق ،ص ٢-٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فذا جيمس برنهام في كتابه ثورة إدارية الذي اصدره عام ١٩٤١ نبّه إلى خطورة هذه الظاهرة ، إلّا أن الإتحاد السوفيتي السابق وغيره من بلدان المنظومة الإشتراكية لم ينتبهوا لهذه الحقيقة او بالأحرى فالدولة كانت مضطرة لإستخدام خبراتهم نظرا لعدم توفر الخبرات الفنية لدى رعيل الإشتراكية الأول وهذا ما أوضحه لينين في كثير من مساهماته الفكرية حيث كان يؤكد أن هناك مناضلين قدّموا حياتهم للثورة ولكنهم لم يعلموا شيئا عن الأمور الإدارية والفنية التي تتعلق بالعمل لذلك كانت الدولة تعطي إمتيازات كبيرة لذوي الإختصاصات بغية تحفيزهم وجذبهم للعمل، بإعتقادنا إن كان هذا المنطق مقبولا في بداية الثورة فلا يمكن أن يكون مقنعا بعد عدة عقود من عمرها، التي يفترض أن تكون قد أهلت أفواجا من الدراء من ابناء الشعب ومن أعضاء الحزب أيضا.

٩ : ـ فشل إدارة غورباتشوف للإصلاح .. لقد اعترف (غورباتشوف) بفداحة المشكلات الإقتصادية وخطورتها، ووضع عملية النهوض بالاقتصاد السوفيتي وإصلاحه على رأس قائمة الأولويات في برنامجه السياسي، وأكد على أن المنهج الجديد في مواجهة المشكلات وعلاجها يختلف تماماً عن المناهج السوفيتية السابقة. مختصرا بذلك حدود ما يعانيه الإتحاد السوفيتي من المشاكل الإقتصادية بالدرجة الأولى. والإصلاح الإقتصادي لا يمكن أن يأتي بثماره إلا بالإصلاح السياسي، وهذا يبدأ من قمة الهرم السياسي ألا وهو الحزب الشيوعي. فطرح برنامجه للتغيير الذي تضمن (البريسترويكا والكلاسنوت) أيْ (إعادة البناء والإنفتاح) القائمة على صعيد السياستين، الداخلية والخارجية. فاختلفت آراء ونظريات الباحثين في تقييم غورباتشوف وعملية إعادة البناء، فهناك من أعتبر المشكلة الأساسية تكمن في صعود غرباتشوف السريع لمواقع اساسية في الحزب وأنه تصدى لمهمة غير مؤهل لها كما دلّت على ذلك الوقائع، فبدلا من أن يقوم بالتغيير بشكل تدريجيّ وواقعيّ طرح كل أفكاره الراديكالية دفعة واحدة دون أن يأخذ في الإعتبار مدى جاهزية الحزب والجماهير لهذه الافكار ومدى استيعابهم لها فلم يستطع ان يحقق التجديد ولا منظمات الحزب والدولة استطاعت الصمود في وجه الحاجة للتغيير. فتصدت للمهمة في تلك الحالة المرتبكة تلك القوى المتسترة بإسم الديمقراطية من داخل الحزب والدولة ومن خارجهما وضدهما . وهكذا أخذت عملية الأصلاح تصب في الإتجاه المعاكس لما كان يطرحه غورباتشوف. وسرعان ما استولت تلك القوى على مواقع صنع القرار مستظلة بغورباتشوف وبشخصيات أخرى في موقع القرار. حين رأى آخرون أن البيربسترويكا ماهي إلّا عملية تخريب متعمدة كما مرّ بنا. أمّا محمد السيد سعيد فقدم أربع نظريات حول الإنهيار وهي:

أولا: ـ نظرية الإحباط الذاتي للإصلاح المتأخر

إن تجربة غورباتشوف الإصلاحية جاءت متاخرة جدا بحيث لم تعد مجدية في تحقيق مهمة إنقاذ النظام القديم وإصلاحه من داخله وعلى نحو سلميّ . والى جانب مقولة (الإصلاح المتاخر عادة لاينجح في إنقاذ النظام أو الإنتقال السلمي به لنظام جديد ، فإنّه قد يساعد على الإنكسار المفاجئ للنظام وإنهياره الكامل والسريع ، ومرد ذلك أن تجارب الإصلاح المتاخرة عادة لم تستندعلى نقد شامل للنظام القديم بما يعطي شرعية ضمنية أو صريحة لكل مواقف وتيارات المعارضة الجذرية لهذا النظام بدون ان تكون هي صاحبة الفضل في إسقاطه وهكذا تظهر فجوة شرعية لا تمتد لهدم النظام وحسب بل تحجب إمكانية بناء نظام جديد أيضا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: ـ نظريات عدم توازن مدرسة جورباتشوف في الإصلاح

وتسعى طائفة من النظريات لتعيين تلك الجوانب من مدرسة غورباتشوف في الإصلاح من أعلى المسؤولية عن فشل الإصلاح في نهاية المطاف وسقوط الإتحاد السوفيتي بالإشارة لعدم توازن هذه المدرسة. وأحد تلك التنظيمات يؤكد أن مدرسة غورباتشوف قد ركّزت على إصلاح السياسة الخارجية على حساب مهمة إصلاح السياسة الداخلية وفي هذا السياق بدت البيريسترويكا نوعا من الهدم وليس إعادة بناء، وانتهت بنقد ظالم للسياسة الخارجية القديمة من خلال طمس الجوانب الإيجابية وتضخيم الجوانب السلبية . من جانب آخر ركّزت مدرسة غورباتشوف على الإصلاح السياسي على حساب الإصلاح الاقتصادي. ومن الواضح أن هذه النظرية توحي ضمنا للتأكيد على إستحالة الإصلاح السياسي في ظروف التآكل والفوضى الإقتصادية، وأنها بالتالي تقود للإعتقاد بحتمية تسلسل بديل لعملية الإصلاح يبدا باتخاذه البناء الإقتصادي كأساس ضروري لنجاح الإصلاح السياسي الليبرالي.

٣ : ـ نظريات إستحالة إصلاح نظام إمبراطوريّ شموليّ

إن النظرية التي تتمتع بشعبية في الأوساط الصحفية الغربية وهي إستحالة إصلاح دولة شمولية إمبراطورية من النمط السوفيتي القديم ، والإستراتيجية أو النتيجة لمثل ذلك النمط من الدولة هي حتمية سقوطها أو هدمها من البداية ، وبهذا المعنى فغرباتشوف كان يسعى عبثا لإصلاح دولة شمولية إمبراطورية من داخلها لابسبب أن إصلاحاته جاءت متأخرة عن موعدها مع الزمن فحسب بل ولإستحالتها منطقيا أيضا .

٤ : ـ إطار نظري بديل لشرح فشل المدخل الإصلاحي لغورباتشوف

أول مايلفت الإنتباه في المدخل الغوراتشوفي للإصلاح أو مدرسة غورباتشوف هو أنه انطلق من نقد شامل واع وضمني للنظام القديم دون أن يملك ولو تصورا مبدئيا بسيطا عن النظام الجديد البديل . لقد بدأ غورباتشوف بالتعبير عن طموحات أو مثل سياسية عامة مرتبطة بالإشتراكية، كأن تكون ذات وجه إنساني أو ديمقراطي ...الخ إن الطابع الإرتجالي والمتناقض غالبا للإدارة الغرباتشوفية للإنتقال عزيت لإفتقارها للوضوح حيال أنموذج للمجتمع السياسي والإقتصادي الذي تصبو له تلك الإدارة. إن التعاظم المتسارع لنفوذ النزعات القومية وإتجاهها نحو التطرف والفاشية والنزعة لأجل التحول للرأسمالية، قد عزيت لذاك الطابع الإرتجالي لإدارة الإنتقال (٢٥). وبالموقف من عملية الإصلاح والتجديد نشأت ثلاثة تيارات تتجاذب جهاز الحكم في الإتحاد السوفيتي كما أسلفنا وهي:

التيار الاول .. التيار المتشدد الراديكالي المؤيد للإصلاح، لكنه يتحفظ بضرورة التمسك بالأسس الإشتراكية بوجه المتغيرات الداخلية الجديدة ، كما يفضل الحفاظ على دور قيادي ومؤثر للحزب ، ويؤيد هذا الإتجاه جانبا مهما من المؤسسة العسكرية ممن ساءهم تدهور الأوضاع وعدم الإنضباط داخليا، وما صاحب ذلك من تفشي حركات التمرد والإنفصال، ومن إنهيار للنظم الموالية في أوروبا الشرقية وغيرها مع إنحلال حلف وارشو في الوقت الذي يواصل فيه حلف الناتو تعزيز قدراته.

التيار الثاني: التيار المنفتح الليبرالي ، وهذا التيار يؤيد إطلاق الحريات والديمقراطية بمعناها الواسع ، كما يناصر بشدة خطوات الإصلاح الاقتصادي، من اجل تطبيق نظام السوق الحرة بشكلها المتكامل من الخضوع لقانون العرض والطلب، وإلغاء الرقابة على الأسعار مع تصفية تامة لمظاهرالدعم، وغيرها من مخلفات النظام الإشتراكي ، ويقف على رأس هذا التيار كل من بوريس يلتسن).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التيار الثالث: التيار الوسط المعتدل، وهو التيار الذي يقوده ويمثله الرئيس (غورباتشوف) ذاته وهو أقرب الى ممارسة التغيير على وفق مراحل زمنية بعيدة المدى، إذ عمل غورباتشوف في البداية على الموازنة بين التيارين، التيار الاصلاحي الداعي لإتخاذ خطوات جذرية لإصلاح الواقع الاقتصاد، ولكن ليس للحد الذي يؤدي لتفكك الدولة. والتيار العقائدي المحافظ على الأسلوب القديم في إدارة الدولة، حتى ان (بوريس يلتسن) علّق على ذلك بقوله: "إن غورباتشوف يكتب بيده اليمنى واليسرى في آن واحد. وخلال العام(١٩٩٠ـ١٩٩١) تذبذب (غورباتشوف) في محاولاته لإرضاء المحافظين والليبراليين فقد وعد المحافظين بقمع الحركات القومية بأستخدام القوة ، وعندما تأرجح في إتجاه الليبراليين اوائل العام ١٩٩١ أعلن عن اقتراح بعقد "معاهدة إتحاد" جديدة من شأنها أن تحيل السلطات بدرجة كبيرة للجمهوريات السوفيتية. مما أثار جناح المحافظين وقيامهم بإنقلاب ضده في ١٨ـ٢١ آب من العام ١٩٩١ (احتجاجا على تلك السياسة التي أدت من وجهة نظر قادة الانقلاب إلى تردي الأوضاع الإقتصادية)، وإحتجازه أياما عديدة في شبه جزيرة القرم. وعلى الرغم من فشل هذا الإنقلاب إلّا أنه عبّر عن إنعدام إمكانية العودة عن التوجهات الديمقراطية التي بعثها (غورباتشوف)، كما أنه شكل بداية النهاية للإتحاد السوفيتي بصفته دولة فيدرالية، حيث استغلت القوى الليبرالية التي تزعمها(بوريس يلتسين) والذي أصبح في نظر الغرب حامي الديمقراطية في الإتحاد السوفيتي، فتوالت الأحداث حتى اجتماع(مينسك ـ بيلاروسيا) الذي ألغى الوجود السياسي للإتحاد السوفيتي في ٢٠ديسمبر من العام ١٩٩١، وأعلن عن تاسيس ما يسمى بـ(اسرة الجمهوريات المستقلة).

إن العلنية (الغلاسنوست) والتحول الآيديولوجي قد تسببا في إضعاف شرعية الحزب والدولة معا، أما الإصلاحات الإقتصادية فلم يكتب لها النجاح أسوة بالإصلاصحات الإقتصادية السابقة، فيما كان جزءً كبيرا من الإصلاحات الإدارية يعمل على تفكيك نظام التخطيط بلا أساس لآلية سوق قادرة على البقاء كبديل عنه. وعلى حين أن القلق إزاء الآثار المترتبة على إزالة ضوابط الأسعار وغياب المؤشرات الإقتصادية الواضحة لاستجابة السوق . فالمشاريع التعاونية القليلة التي عملت بقدر أكبر من النجاح كانت ممقوتة بسبب أسعارها المرتفعة، بحيث لم يحتملها الكثيرون .

وكانت الحصيلة الصافية لإلغاء نظام التخطيط القديم (الذي كان يعمل بطريقة ما – ولو على نحو سيىء) فالأمور قد تفاقمت للأسوء بإنخفاض الإنتاج وإشتداد الإختناقات واستشراء الفوضى وإرتفاع الأسعار وإزدياد الشحة. وانحسرت التجارة والتبادل بين الجمهوريات والمناطق، مثيرة استياء المناطق من هذا الإتجاه. وتعاظمت لا مركزية الإقتصاد مع تراجع المؤشرات المخططة من فوق ولم يعد مسموحا للحزب فلم يعد قادرا على أن يتدخل في الإدارة الإقتصادية. وعندما طبق غورباتشوف الإصلاحات السياسية للبيرسترويكا في عام ١٩٨٩ بذريعة تدعيم التغيير الإقتصادي ومساعدته . وتعزيز الشرعية كان الأمر قد حسم من نواحي عديدة مؤديا إلى تدمير الحزب الشيوعي وفي النهاية تدمير السلطةالسوفيتية(٢٦).

٢٥ـ سعيد محمد السيد ، انهيار الاتحاد السوفيتي وتاثيره على المنطقة العربية ، ندوه فكريه ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ،القاهرة ١٩٩٢، ص ٦٩ـ٧٦.

٢٦ـ فوسبر سوزان ، مابعد الماركسية ، دار المدى للثقافة والنشر ، ١٩٩٨، ص ١٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرع الثاني – الأسباب السياسية الداخلية

أولا-- أزمة النظام السياسي

أدرك غورباتشوف أبان وصوله الحكم أن النظام السياسي قد عانى من أزمة تمثلت أبعادها بالآتي (٢٧)

أ ـ إنخفاض درجة التأييد السياسي ، فقد اعتمد النظام السوفيتي على توفير الإحتياجات الأساسية للمواطنين (المسكن ، والخدمات الصحية ، والتعليم) كدعامة أساسية لجذب التأييد للنظام، إلا أنّه مع مطلع الثمانينات برز عجز النظام في تلبية الإحتياجات المتزايدة في الإسكان والخدمات الصحية والتعليم وغيرها، وذلك لضعف الإنفاق للبرامج الإجتماعية والثقافية، فموردها اعتمد على ما يتبقى من الميزانية إضافة لتخلف التكنلوجيا المستخدمة في تلك المجالات وضعف قدرة العاملين من حيث الخبرة والتأهيل.

ب ـ الإنسحاب المتزايد للأفراد من الحياة العامة وشيوع حالة من السلبية العامة وعجز النظام لإشباع إحتياجات الأفراد نتيجة إنفصال الواقع المعاش عن الشعارات التي يطلقها قادة الحزب، مما أدّى لإنعدام روح المبادرة وإنتشار الفساد وزيادة معدلات الجريمة وتوجه نسبة كبيرة نحو الخمور والمخدرات.

ج ـ ضعف أداء المكتب السياسي وسكرتارية اللجنة المركزية مع ضعف الأداء الحكومي بصفة عامة وإنتشار الفساد والإنحراف داخل الحزب، هذا إلى جانب انتشار الرشوة وإستغلال النفوذ في جمع الثروات وإعلاء المصالح الخاصة على المصلحة العامة...الخ) .

ثانيا ـ البيروقراطية*

كما معروف فالنظام السوفيتي قام على مايسمى بالمركزية الديمقراطية وخضوع الهيئات السفلى للهيئات العليا في الحزب والدولة وهو ماخلق نظاما بيروقراطيا معقدا جدا، وهذا ما أدى بدوره إلى إنعدام المبادرة وإنتظار الأوامر في كل الميادين وفي كافة الأمور وكذلك اقتصر العمل على فئة محدودة. بتعبير آخر أن ظاهرة البيروقراطية في الإتحاد السوفيتي تتناسب عكسيا مع الديمقراطية ، وهذا يعني أن تغليب المركزية على حساب الديمقراطية كان هو السبب فيما حصل من إنحراف بيروقراطي فيما بعد . فكيف ومتى حصل ذلك ؟ في الواقع تؤكد العديد من الدراسات وخصوصا الماركسية ، أنّ السبب وراء ذاك الإنحراف هو شخص ستالين، فعلى سبيل المثال لا الحصر يرى روجيه كارودي بأن الإنحراف البيروقراطي حين حلّت ديكتاتورية الحزب محل دكتاتورية الطبقة العاملة بدلا من أن يكون اداة لها، فاصبح الحزب غاية بحد ذاته (٢٨).

٢٧- الشيخ نورهان ، دور النخبة الحاكمة في إعادة هيكلة السياسة الخارجية ،جامعة القاهرة ، ٢٠٠٠،ض ١٠٣-١٠٤.

*** البيروقراطية**
يأتي أصل كلمه بيروقراطية من الفرنسية من كلمه بيرو (Bureau) أي مكتب ، وترمز للمكاتب الحكومية التي كانت في القرن الثامن عشر ، والتي كانت تغطى بقطعه من القماش المخملي الداكن اللون ، ومن اليونانية من كلمه (Kratos) ، أي القوه ، ـ السلطة ، والسيادة ـ ، وقد استخدمت كلمة البيروقراطية للدلالة على الرجال الذين يجلسون خلف المكاتب الحكومية ويمسكون بأيديهم بالسلطة ، ولكن توسع هذا المفهوم ليشمل المؤسسات غير الحكومية، كالمدارس والمستشفيات والمصانع والشركات وغيرها

٢٨ ـ غارودي روجيه ، في سبيل أ نموذج وطني للإشتراكية ، ترجمة فؤاد ايوب ، دار دمشق ، ص ١١٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبالفعل قد أكّد ستالين بأن دكتاتورية البروليتاريا في الأساس هي دكتاتورية طليعتها ديكتاتورية حزبها الذي هو القوة القائدة الأساسية للبروليتاريا(٢٩). ومع الإقرار بأن الإنحرافات البيروقراطية قد تجلّت في المرحلة الستالينية إلّا أن هذا لايعني بأن المرحلة اللينينية كانت نقية من هذه الظاهرة، فشكوى لينين من البيروقراطية يملأ صفحات كثار. كما أن لينين نفسه قد أسهم من جانبه في بقرطة الحركة العمالية من خلال الأفكار التي طرحها بخصوص التنظيم الثوري ذي النظام الحديدي ذي الطابع المركزي الذي تقوده طليعة واعية. والحقيقة أن أنموذج التنظيم الذي بناه لينين والذي أخذت به معظم الأحزاب الوطنية في بلدان العالم الثالث ومنها بلداننا العربية لعب دورا سلبيا من خلال بناء التنظيمات ذات الصبغة البيروقراطية كما أن إلغاء جميع الأحزاب في الإتحاد السوفيتي بإستثناء الحزب الشيوعي السوفيتي وحل الجمعية التاسيسية (البرلمان) ومنع الرأي الآخر داخل الحزب نفسه، كلّها حصلت أبان الفترة اللينينية، الأمر الذي عرّض لينين لإنتقادات قاسية بعدم إلتزامه بمبدأ الديمقراطية. فالمفكرة اليسارية روزا لوكسمبرغ قد وجهت له نقدا بهذا الصدد وتنبأت بدقة عمّا ستؤول له الأمور حيث ذكرت، (..وبدون إصطراع الآراء بحرية تخمد الحياة في كل مؤسسة عامة ... ولايبقى فيها عنصر ناشط سوى البيروقراطية ... ليحكم ويوجه بضع عشرات من القادة الحزبيين ... ومن بين هولاء سيتولى القيادة حفنة من الرؤوس، لتدعي نخبة من العمال بين حين وآخر لإجتماعات يقام فيها التصفيق والموافقة بالإجماع (٣٠). هذا النص في الواقع يعبّر عن حقيقة ماهي عليه البيروقراطية في الدولة السوفيتية . ومع ذلك نجد لينين قد استمر في نهجه ذاك قائلا (إن تجربة ظفر دكتاتورية البروليتاريا في روسيا قد ازهرت بجلاء أن المركزية المطلقة ونظام الطاعة البروليتاري الصارم للغاية هما أحد الشروط الأساسية للإنتصار على البرجوازية (٣١).

نستنتج من ذلك أن البيروقراطية قد ظهرت في مؤسسات الحزب والدولة بسبب النظام المعادي للديمقراطية والذي نشأ منذ الفترة الأولى للثورة، حيث وضحته تلك المساجلات الدائرة بين محتلف الإتجاهات داخل الحزب حول البيروقراطية للفترة من ١٩٢٠الى ١٩٢٣. سبب السجالات كان يعود للإستياء العمالي الذي بدا واضحا منذ تمرد قاعدة (غرونستاد)عام ١٩٢٠ وذلك بسبب الإنحرافات البيروقراطية في الحزب والدولة، الأمر الذي أدى لنشوء معارضة داخل الحزب البلشفي تزعمها شليابنيكوف وزير شؤون العمل والكسندر كولنتاي وزيرالمعونةالعامة وكانت مطالبها تتلخص بالتخلص من السلوك البيروقراطي في الدولة . أما على صعيد الحزب فكانت مطالبها تتركز على بعث الديمقراطية وتطهير الحزب من البيروقراطيين. إلا أن هذه المعارصة قد قوبلت بالرفض من جانب لينين وتروتسكي وعلى هذا الأساس تم اصدار قرار في المؤتمر العاشر للحزب المنعقد عام ١٩٢١ يمنع التكتلات ويؤكد على وحدة الحزب مع التأكيد على فتح حوار ديمقراطي داخل الحزب . وفي العام نفسه ردّ تروتسكي على المعارضة العمالية واصفا اياها بأنها (انزلت المبادئ الديمقراطية منزلة الوثن المعبود ، وقد وضعت الشغيلة في انتخاب ممثليهم فوق الحزب ، كما لو أن الحزب لايملك الحق في فرض دكتاتوريته حتى لو اصطدمت تلك الدكتاتورية مؤقتا بالميول المتقلبة للديمقراطية العمالية (٣٢). وبعد سنتين من ذلك يبدأ

٢٩- ستالين ، حول مسائل اللينينية ، سلسلة المكتبة الإشتراكية ، دار دمشق ، ص٣٥. ٣٠- لوكسمبرغ روزا ، كتابات مختارة ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧١،ص ٣٠٢,

٣١- لينين مرض اليسارية الطفولية في الشيوعية، سلسلة مكتبة الاشتراكية العلمية ،دارالتقدم موسكو ،١٩٧٠م ص١١
٣٢- تروتسكي رسالة الى اللجنة المركزية ، في جورج لوكاش واخرون ، في التنظيم الثوري، ت جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ،١٩٧٢، ص ٤٩٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تروتسكي بالشكوى من هيمنة البيرقراطية ، ويواصل هجومه بعد ذلك على السلوك البيروقراطي الستاليني بعد قطيعته معه ونفي الأخير له، ففي كتابه الشهير الثورة المغدورة يكتب تروتسكي بأن (الحزب البلشفي القديم قد مات ولن تبعثه اية قوة). إنحطاط الحزب كان سببا لسيطرة البيروقراطية على الدولة (٣٣). كما وقف كامنيف أيضا ضد التسلط البيروقراطي ووجه نقدا مباشرا وصريحا الى شخصية ستالين في مؤتمر الحزب المنعقد في كانون الأول عام ١٩٢٥.
ونستنتج من ذلك ان ستالين قد تعمد تكريس ظاهرة البيروقراطية التي أرادها بمثابة حاجز بينه وبين كل مايمكن أن يشكل معارضة له وبعد أن كانت ضرورات البناء وضرورات التمدن قد حتمت ظهور البيروقراطية في المرحلة الأولى من الثورة، تحولت على يد ستالين لأداة حفظ النظام وتاكيد المركزية الصارمة . فما كان من طبع السلسلة الإدارية في الدولة والتنظيمية في الحزب إلا أن تقوقعت في بيروقراطيات أخذت تنمو، وكان همها الأول ديمومة الحفاظ على وجودها وامتيازاتها عن طريق التشبث بأية وسيلة كانت وإن اختلفت عقيدتها. وهكذا استمرت ظاهرة البيروقراطية بالتطور واخذت مديات جديدة في العهود اللاحقة. وقد لازمت التجربة الإشتراكية منذ نشوئها حتى انتهائها .

ثالثا ـ معاداة الديمقراطية

نشأ في الأيام الاولى لثورة اكتوبر نظام معاد للديمقراطية تحت مبررات الظروف الصعبة التي تمر بها روسيا (الثورة المضادة وحروب التدخل الأجنبي). وقد تجّسد ذلك كما اسلفنا في قمع كل مايشكل معارضة لهم بإلغاء الأحزاب المعارضة و كلّ الاحزاب فيما بعد، ليبقى الحزب البلشفي وحده في السلطة ولم يسمحوا بالمعارضة حتى داخل الحزب ، وغلق صحف المعارضة أضافة لقتل القيصر وحاشيته ومصادرة أملاك الأغنياء وغير ذلك. وقد برّر العديد من الماركسيين الاأعمال القمعية للسلطة السوفيتية أبان سنوات حكمها الأولى. مفكّر الحزب الشيوعي الفرنسي السابق روجيه كارودي برر ذلك بأن الإتحاد السوفيتي كان مضطرا لهذا العمل لسببين ، أولهما مهمة البناء الإشتراكي وثانيهما مهمة النضال ضد التخلف، فيرى أن مافعلته البلدان الرأسمالية التي حققت التراكم الأولي قبل روسيا بقرن ونصف فعلت أكثر مما فعلته القيادة السوفيتية (٣٤). إن السياسة القمعية في الداخل كانت تتجه بطريقين، الأول في الحزب والآخر على مستوى الدولة. ولعل أهم مايبرز لنا في هذا المجال هو سياسة التطهير حيث تعد من أهم مبادئ التنظيم.

ويمكن القول أن سياسة التطهير ظهرت منذ بدايات العشرينات، العديد من المفكرين الماركسيين برر لهذه السياسة أمثال جورج لوكاش حيث قال عنها (تبين هذه القضية الداخلية والحميمة جدا كم أن الفصل التنظيمي القائم بين الطليعة الواعية والتكتلات العريضة ليست سوى فترة في السير الموحد ، لكنها جدلية لتطور كل الطبقة ولتطور وعيها (٣٥). هذا ولم تبد السياسات القمعية واضحة إلا في عهد ستالين، فتميز ذاك العهد بالتنكيل بالمعارضين وطغيان شخصية ستالين وظهورما سمّي (بعبادة الشخصية). وقبل الخوض في ذلك لابدّ من القول أن بوادر الإتجاه القمعي لدى ستالين كانت ظاهرة للعيان حتى في عهد لينين، حيث حذّر في أيامه الأخيرة من ترشيحه لمنصب الأمين العام، في رسالة وجهها للمؤتمر الثالث

٣٣ـ تروتسكي ليون ، انحطاط الحزب البلشفي ، جورج لوكاش واخرون ، مصدر سابق ، ص ١٥٠.

٣٤ـ غارودي روجيه ، مصدر سبق ذكره ، ص١١٩

٣٥ـ لوكاش جورج ، التاريخ والوعي الطبقي ، ت حنا الشاعر ، دار الاندلس ، بيروت ،١٩٧٩، ص٢٧٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عشرللحزب ذكر فيها (إن ستالين مفرط في الفضاضة، وهذه القضية التي يمكن احتمالها في بيئتنا نحن الشيوعيين تصبح أمرا غير محتمل في منصب الأمين العام ولهذا اقترح على الرفاق التفكير بأسلوب نقل ستالين من هذا المنصب، وتعيين شخصا آخر (٣٦).

وبعد وفاة لينين بدأت مظاهر العنف والقمع تظهرمن خلال تطهير ستالين للأعضاء المعارضين له في قيادة الحزب حينما قام بتصفية كل من بوخارين وزينوفيف وكامنيف وتوخاشفسكي وتروتسكي ، وكلّ هؤلاء كانوا من قادة الثورة ، واتسعت الحملة التطهيرية لتؤدي بحياة الكثير من الناس ولم يسلم منها معظم فئات الشعب السوفيتي، وحسب تقديرات روبرت كونكواست في السجون والمعسكرات منذ سنة ١٩٣٧-١٩٣٨ (١٢) مليون شخص أعدم منهم مليونا ومات في السجن مليونان، مجموع القتلى ٣ ملايين، وفي السجن مليون وفي معسكرات الإعتقال ٨ ملايين . يضاف إلى ذلك استخدام الدول الشيوعية للعنف في مرحلة تنفيذ إنتقال ملكية وسائل الإنتاج من المالكين للدولة وخاصة في القطاع الزراعي، حيث تكّبد الإتحاد السوفيتي في عملية نقل الملكية الخاصة الى الدولة خسارة ملايين البشر وهي خسارة فادحة من الناحية الإجتماعية والنفسية والروحية مقارنة بجانبها المادي. إن مرحلة نقل ملكية وسائل الإنتاج للدولة سميّت بمرحلة رأسمالية الدولة، ولكي تتمكن الدولة الإشتراكية من التخلص من تلك المرحلة الخطيرة من مراحل التطبيق الإشتراكي، فلابدّ لها من ممارسة الديمقراطية، إذ بدون الممارسة الواسعة لها والتي تتمثل بمشاركة الشعب في التخطيط والتنفيذ وحقه في إتخاذ القرارات الخاصة بحياته، لايمكن الإنتقال من مرحلة رأسمالية الدولة إلى المرحلة الإشتراكية.

لقد حاول عدد من القادة السوفيت ممن استلموا السلطة بعد ستالين طرح برامج إصلاحية لغرض معالجة تلك الأوضاع وعلى رأسهم خروتشوف، لكن دون جدوى بسبب هيمنة التيار الفكري القديم (الستاليني) على الأوضاع السياسية ،الإقتصادية للإتحاد السوفيتي ، والذي انعكس بدوره على الدول الشيوعية الأخرى واقتصادياتها(٣٧) . ونتيجة لذلك كله تفشّت ظواهر اجتماعية خطيرة في المجتمعات الشيوعية كالرشوة والسرقة والفسادالإجتماعي كإنعكاس للممارسات الخاطئة في التطبيق الإشتراكي مما أدّى لتشويه كبير والإبتعاد شيئا فشيئا عن الافكار الإشتراكية والتمادي في مرحلة راسمالية الدولة، وقاد ذلك بالتالي الى حصول اختناقات كبيرة في الإنتاج والتوزيع والتبادل والإستهلاك حيث عجز القطاع الإشتراكي عن توفير السلع والخدمات للمجتمع .

رابعا : - الصراع على السلطة

حكم الصراع على السلطة كل مرحلة البناء الإشتراكي ولكنها ازدادت حدة في المرحلة الغرباتشوفية، فعلى الرغم من أن عملية التجديد التي قام بها غورباتشوف والتي طالت جميع مؤسسات الدولة والحزب بهدف ضمان نجاح العملية الإصلاحية وتأمين نفسه من المصير الذي تعرض له خروشوف، إلا أن ذلك لم يمنع من حدوث صراع سياسي بين أجنحة النخبة السياسية السوفيتية . فانقسم الحزب الشيوعي السوفيتي الى جناحين، الأول كان محافظا بقيادة ليجاشيف الذي طالب بضرورة البدء بالإصلاح الإقتصادي ووفقا للخيارالإشتراكي على غرار تجربة الصين، وعدم التخلي عن الملكية الجماعية

٣٦- لينين ، الرسائل والمقالات الأخيرة ، دار التقدم ، موسكو،١٩٦٨ ، ص ٧.

٣٧ - س جون . جونيور رشتيار ، تاريخ الحزب الشيوعي السوفيتي ،تعريب فوزي قبلان ، ص ١-

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتخطيط المركزي والتأكيد على الدور القيادي للحزب. والثاني كان فريقا إصلاحيا راديكاليا بقيادة غرباتشوف،الذي طالب بضرورة تزامن الإصلاح الإقتصادي تدريجيا مع الإصلاح السياسي، بينما إختلف معه في هذا التحول التدريجي بعض انصاره، كبوريس يلتسن وجافريل بوبوف اللذين كانا يميلان لضرورة إتمام الإصلاح بخطوات أسرع (٣٨).

وإمتد هذا الإنقسام إلى أن وصل للبرلمان السوفيتي الذي وقف حائلا في بعض الأحيان أمام محاولات الرئيس غرباتشوف لإيقاف بعض حالات الفوضى والإضطرابات التي سادت الإتحاد السوفيتي ،على سبيل المثال حينما عارض البرلمان السوفيتي في ٣-١٠-١٩٨٩ م طلب الرئيس غورباتشوف بفرض قانون يمنع إضراب العمال، وصار البرلمان السوفيتي ساحة لتوجيه الإتهامات والإنتقادات بين الخصوم مع إهمال معالجة المشاكل الجادة التي يعيشها الإتحاد السوفيتي. والملاحظ من خلال تتبع مسيرة تسلم الزعماء السوفيت للسلطة كانوا يحاولون جاهدين لأجل طمس وإنتقاد مرحلة من سبقوهم. فالمرحلة الستالينية اختلفت جذريا عن المرحلة اللينينية ، والمرحلة الخروتشوفية كانت نوعا من الحرب على الستالينية. وفي حين قاد بريجينيف انتفاضة ضد سلفه خروتشوف حاول اندربوف خلال ولايته القصيرة أن يقود حملة تطهير وتغيير كبيرة وجذرية. كما أن تشيرننكو نفسه الذي يجمع المراقبون على أن ولايته كانت منذ البداية ولاية إنتقالية قد أحدث بعض التغيير في السياسة السوفيتية ، فأهم ماتركه من بصمات هو عودته بالإتحاد السوفيتي الى محادثات الحد من التسلح بعد أن كان اندربوف قد انسحب من تلك المحادثات. كما اتسمت القيادات السوفيتية بالهرم والمرض، والملاحظ أن تلك الظاهرة تكاد تطبع كل الحركة الشيوعية، إضافة الى أنهم لم يشكلوا مثالا يحتذى به، نظرا للتفاوت الكبير بين مستوياتهم المعيشية وبين مستوى بقية المواطنين.

خامسا : - مشكلة القوميات

كان موضوع القوميات من المسائل التي أحتلت مكانة هامة في فكر القادة السوفيت منذ قيام الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ بل وقبل ذلك إدراكا منهم بالقلق الشديد لما يمكن أن يثيره تعدد القوميات من المشاكل في الدولة السوفيتية فضلا عما يتضمنه مفهوم القومية ذات النطاق الجغرافي المحدود من تعارض شديد وإختلاف حادٍ مع الدعوة الماركسية إلى عالمية الشيوعية. لقد واجه لينين الكثير من الأمثلة على الشوفينية الروسية مثال ذلك في تركمنستان، فحتى قيام الثورة لم تكن هناك جماعة ماركسية غير مجموعات من الروس ، وعندما تولت السلطة مارست سلوكا شوفينيا موجها ضد السكان الأصليين. فكانت هناك ايضا قضية جورجيا عندما حدث خلاف داخل الحزب الشيوعي الجورجي حول القضية القومية عام ١٩٢١ ، والتي أثارت الخلاف بين لينين وستالين الذي قمعها بالعنف(٣٩) ولذلك صعّد لينين في أيامه الاخيرة من هجومه على الشوفينية الروسية . ففي رسالة بعث بها الى المكتب السياسي قال (أعلنها حربا حتى الموت على الشوفينية الروسية الكبيرة. وبمجرد ان اتخلص من ضرسي اللعين (يقصد المرض) سألتهمها بكل أضراسي السليمة) (٤٠) .

٣٨- الخولي لطفي ، الصراع على السلطة في روسيا الاتحادية ، السياسة الدولية ، مركزالدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، القاهرة ، (عدد١٠٨) ابريل ١٩٩٢ ،ص ١٣١-١٣٧.

٣٩- طرابيشي جورج، الماركسية والمسالة القومية ، دار الاداب ،بيروت،١٩٩٧ ،ص ٣١٣-٣٣٣

٤٠- لينين ، نصوص حول المسالة القومية ، (مختارات جديدة)، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ،١٩٧٢، ص ١٥٢-١٥٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد تغيرت النظرة نحو القوميات مع انتقال السلطة إلى ستالين الذي ناصب الروح القومية العداءالشديد إعتقادا منه بأن التنازع بين القوميات والأقليات العرقية المختلفة يمكن أن يدمر الدولة السوفيتية ومن ثم جاء تأكيده على فكرة استيعاب المجتمع داخل الدولة الحزبية وأعتبر أن القضاء على التوتر بين الدولة والمجتمع والتناقض بينهما أعظم انجازات الإشتراكية التي تجعلها تسمو على الرأسمالية . لقد سارت سياسة ستالين القومية في إتجاهين الأول هو التغيير الإجتماعي من اجل الدمج ، والثاني هو سياسة الترويس أيْ فرض الطابع الروسي .

فسعى ستالين لإعادة التوطين للجماعات العرقية وإحلال الروس محل بعض الجماعات المرحلة وانتهج القادة البلاشفة النهج نفسه تقريبا. ففي عام ١٩٤١ م مثلا تمّ ترحيل حوالي ستين الفا من أهالي استوانيا وحوالي أربعة وثلاثين الفا من أهالي لاتيفيا وحوالي ثمانية وثلاثين الفا من أهالي ليتوانيا وحوالي أربعمائة الف من سكان منطقة القرم وتم استبدالهم بمواطنين روس، وشملت عمليات الترحيل جماعات قومية أخرى مثل الشيشان وتتار القرم في سنة ١٩٤٣م(٤١). وعلاوة على أسلوب إعادة التوطين استخدم قادة الدولة السوفيتية أساليب أخرى الهدف منها زيادة الترابط بين الشعوب ،ومن تلك الأساليب توظيف الإقتصاد لتحقيق الترابط حيث جعلت العلاقة الإقتصادية بين الجمهوريات المكونة للإتحاد علاقة تبادلية تكاملية بحيث تكون كل جمهورية محتاجة لغيرها في سبيل توفر إحتياجاتها ،وذلك من خلال تخصص كل جمهورية في انتاج سلع معينة ومحددة، وعملت القيادات السوفيتية التي سبقت جرباتشوف على محوّ الشخصية المستقلة للجماعات القومية وذلك بمحاولة إلغاء لغاتها وثقافتها من بالتركيز على تعليم لغة وتأريخ الأخ الأكبر (روسيا)، فقامت الحكومة الروسية في عام ١٩٢٨ بإلغاء الحرف العربي من لغات شعوب آسيا الوسطى واستبداله بالحرف الروسي. وفي هذا الصدد ذكر عالم الإجتماع السوفيتي (باسكاكوف) بأن أهم الإنجازات التي وصلتها شعوب الإتحاد السوفيتي ثقافيا هو إتخاذ الشعوب السوفيتية غير الروسية لنظام الخط الروسي في الكتابة. إن الحروف الروسية ستطوّر اللغات المحلية، وفي الوقت نفسه تساعد هذه الشعوب على تعليم اللغة الروسية، وبالتالي يعمل الحرف الروسي عمله في تذويب تلك الشعوب غير الروسية وخضوعها للثقافة الروسية بشكل واضح (٤٢).

وإذا كانت نظرة الحكومات السوفيتية لتلك الإجراءات على أنها وسيلة لدمج الشعوب السوفيتية في هوية واحدة فشعوب الإتحاد السوفيتي غيرالروسية نظرت لهاعلى أنها وسيلة لتكريس الهيمنة الروسية وأنها تمثل نوعا من التمييز وعدم المساواة بين شعوب الإتحاد السوفيتي، ويبدو أن وجهة النظر تلك لاتخلو من الصواب ويمكن إثباتها من خلال مؤشرات أخرى. فعلى صعيد المشاركة السياسية يلاحظ أن الروس يشكلون النسبة الغالبة من مجموع أعضاء الحزب الشيوعي السوفيتي .ومن المعروف فالإنضمام لعضوية الحزب الشيوعي السوفيتي سابقا لم تكن ميسرة لأي شخص راغب بالإنضمام اليه، عضوية الحزب هي مفتاح تولي المناصب الحكومية، وطالت عدم المساواة هذه نصيب الجمهوريات المكونة للإتحاد من الثروة القومية ، حيث أن نصيب روسيا من تلك الثروة هوالأكبر، ويقدر بحوالي ستين بالمئة منها، واتضح التمييز وعدم المساواة، في المؤسسة العسكرية السوفيتية حيث كانت الوحدة العسكرية تضم منتسبين من عدة أعراق ، خاصة فنظام التجنيد في الإتحاد السوفيتي كان يقوم على ضرورة أداء المواطن السوفيتي للخدمة العسكرية خارج جمهورياته وذلك بهدف توظيف تلك المؤسسة في عملية الدمج المنشودة ، إلا أن هذه المؤسسة لم تخل من مسالة التمييز بين الأجناس فمثلا الروسي لا يقوم بأعمال التنظيف وما

٤١-عبد العليم طه ، انهيار الاتحاد السوفيتي ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٩٢، ص١٧٨. ٤٢-حرب محمد المسلمون في آسيا الوسطى والبلقان المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي القاهرة ١٩٩٣ص ١٠-١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شابهها في وحدته العسكرية، بل كانت توّكل للعناصر الأخرى غير السلافية. ومن الأمثلة الواضحة على سياسة ستالين تلك هو إستغلاله لأوضاع الحرب العالمية الثانية حينما اتهم ست أمم صغيرة بأنها قد ساعدت هتلر. وشمل هذا الإتهام مايقرب من مليون نسمة جرى نفيهم من مناطقهم الأصلية إلى آسيا الوسطى وسيبيريا وهؤلاء هم من الشيشان ٤٠٧٦٩ والانغوثر ٩٢٠٧٤ والكاراتش ٧٥٧٣٧ والبلكار ٤٢٦٦٦ والكاليك ١٣٤٢٧١. وقد جرى تهجير أكثر من ٢٠٠٠٠٠ الف تاتارى من شبه جزيرة القرم و٣٨٠٠٠٠الف الماني من الفولفا، وفي عام ١٩٤٦ صدر مرسوم بإلغاء مقاطعات الشيشان والانغوثر والتتار كما تم إلغاء جمهورية الفوافا. وظلت تلك المجموعات القومية بدون وجود قانوني لمدة عشرات السنين (٤٣). ولم تكن سياسة ستالين هذه ترجع فقط لإصولها النظرية المحضة بل كانت تستند لحسابات روسية صرفة. فعملية إبعاد التتارعن شبه جزيرة القرم لم تفرضها الإعتبارات النظرية بل فرضها خوف ستالين من إتصال تتار القرم بتتار الفولغا وبقية الجمهوريات الاسلامية ليشكلوا بالتالي (فكي كماشة)، اذا جاز التعبير، حول المركز في روسيا.

راقبت الباحثة الفرنسية هيلين كارير دانكوس الإتحاد السوفيتي وتطوراته الداخلية منذ مطلع الستينيات وأولت إهتماما خاصا بالشعوب الإسلامية هناك في في أواسط آسيا والقوقاز. السوفيتي في اواسط اسيا فرأت منذ كتابها الأول أن الاتحاد السوفيتي ستحطمه قومياته المتصارعة فيما بينها والمتنازعة مع المركز (٤٤). ولعل من الإشكالات التي كانت تواجه السياسة القومية السوفيتية هي مشكلة (الدين). فالنظرية الماركسية تتعارض فلسفيا مع الدين، وتزداد أهمية تلك المشكلة للقيادة السوفيتية.عند الأخذ بالإعتبار بأن الإتحاد السوفيتي لا يجمعه دين واحد بل عدة أديان. ورغم ذلك أثبتت الدساتير السوفيتية عدم التفريق على أساس الدين. إلّا أن الواقع كان يجري بشكل مختلف، فقد منعت مثلا النشاط الخيري (الكنائسوالمساجدوغير ذلك) وعليه لم تعد تلك المؤسسات تستطيع أن تمول نفسها مما أدّى لإغلاق معضمها (٤٥). والدين الإسلامي كان يشكل منذ البداية عامل توجس للقيادة السوفيتية، فأسباب العدد القليل من أعضاء الحزب الشيوعي المسلمين لا ترجع لغياب البروليتاريا في المناطق الإسلامية أو إنعدام التقاليد الإشتراكية فيها، بقدر ما كان ستالين وبدرجة معينة تروتسكي وزينوفيف وآخرون كانوا يخشون دخول هؤلاء المسلمين الآسيويين الذين كان ينظر لهم بأنهم غير مضموني الولاء الآيديولوجي للحزب حتى أن زينوفيف الذي رأس (الكومنترن)، كان غالبا مايستعمل (غير المسلمين)من البلاشفة في إتصالات (الكومنترن)بالحركات الشيوعية في الدول الإسلامية. وهكذا فقد دأبت القيادة السوفيتية على التعامل مع الدين الإسلامي كدين أفراد، فمنعت طقوسه طالما كانت متعارضة مع العمل (الحج مثلا). وبهذا فاستغل المسلمون كلّ مناسبة لإظهار معارضتهم ضد تلك السياسة (مراسيم يوم عاشوراء). ورغم إضطرارهم لأن يدخلوا أبناءهم في المنظمات الإجتماعية الشيوعية إلّا أنهم كانوا يعتمدون على حصافة أفكارهم الإسلامية. أما في عهد بريجينيف أتخذت خطوات هدفت لإعادة الإعتبار للمناطق الإسلامية، لكن تلك الخطوات لم تكن من قبيل تغير في الأفكار الشيوعية، فُأستحدثت في زمنه في عام ١٩٥٦ لدى مجلس الوزراء (مجلس شؤون الأديان) تفرعت منه مجالس في بقية الجمهوريات.

.....

٤٣ـ يحي ايمان، مستقبل الجمهوريات السوفيتية ،مستقبل العالم الاسلامي ، مركز دراسات العالم الاسلامي ،مالطا السنة الثالثة شتاء ،١٩٩٢،وص ٢٢٠

٤٤ـ دانكوس هيلين كارير ،القوميات والدولة الروسية ،ترجمة هنري عبود ،١٩٧٩،ص٢٤

٤٥ـ كورويدوف فلاديمير،الاديان في الدولة السوفيتية ، دار التقدم،موسكو ،١٩٨٤،ص٨٨ـ٩١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتلاحظ الباحثة دانكوس (بأن غرباتشوف كان يبدو شديد الإنفتاح في خطابه الذي القاه أمام المؤتمر السابع والعشرين عام ١٩٨٦ إلا فيما يتعلق بالقوميات وحقوقها أيْ الإمبراطورية. وتضيف انه قد خصص لها صفحات طويلة جاء فيها مثلا (بأن الشعب السوفيتي جماعة إجتماعية وشاملة للقوميات من طراز جديد أو أن ضروب الإضطهاد واللامساواة قد أزيلت، ولكنه مايلبث في خطابه أن ينقض مقولته عن الشعب السوفيتي بالحديث عن جمهورية طفيلية في الإتحاد تأخذ ولاتعطي . وأخرى يهيمن عليها الفساد. بل أنه هاجم أيضا المحسوبية القومية وإنطواء القوميات على ذاتها والذي يدفع في كثير من الأحيان لتعيين أبناء القوميات في مناصب في جمهورياتهم ليسوا بكفء لها. وتستنتج دانكوس بأن هناك مشكلة قومية بدليل أن غورباتشوف لايرى الفساد والمحسوبيات وضيق الأفق والطفيلية إلا لدى القوميات غير الروسية والقوميات الإسلامية بالذات. ولكن حينما نشبت الإضطرابات العرقية في الماتا بجمهورية كازاخستان تحدث غورباتشوف حول ذلك أمام اللجنة المركزية وأعتبر مشكلة القوميات معقدة وتكمن في النزعة المحلية والإنعزالية القومية والإعتداء القومي، لكنه لم يبادر لعلاج فما فعله كان خطرا فقد ظل البارز في سياساته (١٩٨٥-١٩٨٧) الترويس كعلاج لمشكلات الأطراف الفاسدة . فركّزها على المسؤولين الشيوعيين من أبناء الجمهوريات الإسلامية على الرغم من أن الفساد كان موجودا في كل مكان وفي جمهورية روسيا بالذات(٤٦). وتشير الباحثة الفرنسية سوزان فوسبر إلى أن الإتحاد السوفيتي كان يستطيع أن ينجو من خسارة بعض الجمهوريات الصغيرة ، كجمهوريات البلطيق والقفقاس ومولدافيا. وكانت تلك الجمهوريات الأكثر توقا للسيادة . ولكن غياب التعامل الحاذق معها سوية مع تفاقم الأزمة الإقتصادية شجع جمهوريات أخرى أكبر مثل أوكرانيا على الإبتعاد عن المركز ليكسب قادتها القوميون شعبية من قيامهم بذلك (٤٧)

من جانبنا نرى أن غورباتشوف قد تأخر كثيرا في وضع حلول عملية ناجحة من خلال صيغة دستورية جديدة تنظم علاقة الجمهوريات بالمركز. وحين كان مستعدا لتقديم التنازلات كان الوضع قد تجاوزها فبدت تلك التنازلات متأخرة ومرفوضة .

إن تبيان الأخطاء والثغرات في التجربة الإشتراكية لايعني تبرئة النظرية الماركسية من الخلل والثغرات، فعندما يصبح لدينا كل تلك التجارب التأريخية الثرية بهزائمها وانتصاراتها معا ، فمن الأجدى أن نتوقف قليلا عند ثغرات وهنّات تعاملنا مع النظرية ، ثم من الضروري البحث عن رؤية جديدة غير مقيدة بأسر النظرية . فأين يكمن الخلل في الماركسية ؟ هذا ما سنحاول التوقف عنده .

٤٦، ك ه دانكوس ونهاية الامبراطورية الروسية ، مستقبل العالم العربي) ١٩٩٢، ٢٦-٢٧.

٤٧- - فوسبر سوزان ، مابعد الماركسية ، دار المدى للثقافة والنشر ،دمشق ،١٩٩٨،ص٢٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني – الأسباب الآيديولوجية

الفرع الأول - النقاش الفكري حول صلاحية الثورة في روسيا

قبل الحديث عن الأسباب الآيديولوجية التي وقفت وراء إنهيار الإتحاد السوفيتي لابدّ من التوقف لطرح السؤال الآتي لما له من صلة وثيقة بموضوع البحث ادناه . السؤال هل أن قيام الثورة الإشتراكية في روسيا المتخلفة كان متطابقا مع النظرية الماركسية ؟ لقد اجاب بعض الباحثين بالنفي لهذا السؤال ومنهم سميرأمين وفالح عبد الجبار وعامر عبد الله وآخرون غيرهم . فروسيا قبل الثورة لم تكن من حيث التطور الإقتصادي والعلمي والتكنولوجي ، ومن حيث المعرفة والثقافة وبالتالي في المستوى الحضاري مهيأة وناضجة لبناء الإشتراكية كنظام إقتصادي إجتماعي وسياسي متقدم ومتفوق بسائر مقوماته وقدراته وأفضلياته على الرأسمالية .

كتب ماركس في مقدمة كتابه ا لموسوم (إسهام في نقد الإقتصاد السياسي) (إن تشكيلا اجتماعياً معيناً لا يزول قبل ان تنمو كلّ القوى الإنتاجية التي يتسع لإحتوائها. ولا تحل قط محل هذا التشكيل علاقات انتاج جديدة و متفوقة ما لم تنفتح شروط الوجود المادي لهذه العلاقات في صميم المجتمع القديم نفسه . ومن أجل ذلك لا تطرح الإنسانية على نفسها قط سوى مسائل قادرة على حلها. ذلك اذا نظرنا للأمر عن كثب وجدنا أن المسالة نفسها لا تظهر إلا حين تتوافر الشروط المادية لحلها أو حين تكون على الأقل على أهبة التوافر (٤٨). لقد أثارت مسألة صلاحية الثورة في روسيا الجدل بين الماركسيين وغير الماركسيين ،حتى بعد انهيار الإتحاد السوفيتي، وكان من قدر هذه المسألة أن مؤسسا الماركسية كارل ماركس وفردريك انجلز قد تدخلا في جدلها فكتاباتهما اشارت بوضوح إلى أن روسيا ليست مهيأة للإنتقال لمرحلة الإشتراكية لإنعدام توفر شروط الإنتقال فروسيا حسب وجهة نظر ماركس قد شرعت عام ١٨٦١إلغاء نظام القنانة في السير نحو أمة رأسمالية. ولذلك كان قيام الإشتراكية في روسيا موضع تعارض وسجال مرير بين عدد من أكبر منظري الإشتراكية ، وقادة الحركة الإشتراكية العالمية (كاوتسكي ، برنشتاين ،ماركوف بليخانوف ، بخارين ،اكسيلورد ...الخ (٤٩). كان لينين مدركا لتخلف روسيا إقتصاديا وإجتماعيا وثقافيا ولهشاشة قاعدتها الرأسمالية مقارنة مع دول غرب أوربا الرأسمالية، انجلترا وفرنسا والمانيا.. الخ. ولهذا تأمل أن يؤدي إندلاع الثورة في روسيا الى إشتعال الثورة في بلدان غرب أوروبا تباعا، أو على الأقل في ألمانيا كشرط لإنتقال روسيا للإشتراكية بما تلقاه من دعم ومساندة من قبل المانيا الإشتراكية في التمويل والتصنيع والعلوم والتكنولوجيا والخبراء، وكان هناك اتفاق عام على أن ثورة روسيا البرجوازية الديمقراطية وشيكة، وإن البرجوازية الروسية عاجزة عن قيادتها، ولابد أن تلعب الطبقة العاملة الروسية دورا قياديا في التحالف مع الفلاحين. فثورة روسيا لم تستطع بمفردها التحول للإشتراكية إلّا إذا تزامنت معها ثورات إشتراكية في غرب اوروبا. فالأنموذج السياسي والإقتصادي والإجتماعي الذي بناه لينين كان مؤقتا بإنتظار النجدة التي لم تأتِ. (٥٠)

٤٨- ماركس، إسهام في نقد الإقتصاد السياسي مجلة النهج (عدد ٦٢) دارالمدى للثقافة والنشر سوريا دمشق ،٢٠٠١، ص ٢٤١

٤٩- نقد محمد ابراهيم ، مجلة النهج ، مصدر سابق ، ص٢٨-٣٥.

٥٠- عبد الله عامر ، مقوضات الاشتراكية ، الثقافة الجديدة ، عدد ٢٩٢) ، ص ٤٠- ٤٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكانت النتيجة قيام دولة مركزية بيروقراطية تخلو من معالم الديمقراطية. فنستنتج مما تقدم ان ثورة أكتوبر قد حدثت في المكان الخطأ، وأن قيادة الثورة قد سعت لحرق المراحل والسير بشكل متعارض مع الموجبات الموضوعية التي يتطلبها التطور التأريخي في مساره الطبيعي، وهنا بإعتقادنا يكم السبب الأصلي لإنهيار الإتحاد السوفيتي، أما الأسباب لإقتصادية والسياسية فهي لاتعدو كونها محصلات لذاك السبب السالف الذكر.

غنيّ عن البيان أن انهيار التجربة الإشتراكية التي دشنتها ثورة اكتوبر الروسية عام ١٩١٧ قد أدّى الى فرز جديد بين الماركسيين والشيوعيين في العالم ، وفي الأقطار العربية ، ويمكن لنا أن نحدد الاتجاهات الناجمة عن هذا الفرز بثلاثة هي :

١ ــ إتجاه تحركه رد الفعل الدفاعية، فهو قد واجه خصوم الماركسية وإلاشتراكية الذين أعلنوا انهيارهما بإعلان التمسك الكامل بهما، فرفض الإعتراف بأية نقطة ضعف في الماركسية على الصعيد الفكري. يقول أوليغ شينين (أن أسس النظرية الماركسية غير قابلة للمراجعة) (٥١). أمّا أحمد برقاوي فحذّر من إلقاء تبعة الفشل على الأفكار، وكذلك يعد عزيز عمرو العلة في الحركة لا في الفكر. (٥٢) .

٢ ـ مقابل ذاك الإتجاه نجد إتجاها آخر .. إنّ اولئك الذين اسقط إنهيار التجربة التي تحزّبوا لها والمدافعين عن ثقتهم بالماركسية اسقاطا كاملا ، فاعلنوا تنصلهم منها على الصعيد الفكري ، والتبرؤ من التجربة السياسية الكفاحية للحركة التي انتموا اليها .

٣ ـ أما الإتجاه الثالث، فهو الذي اختار طريق المراجعة النقدية للماركسية ، متلمسا مافيها من نقاط ضعف نظرية، وللتجربة السوفيتية التي طبعت الحركة الشيوعية بطابعها خلال القرن العشرين باحثا عن أخطائها، لاسّيما الأخطاء الكبيرة التي حملت عوامل إنهيارها. ونحن نتفق مع هذا الإتجاه في ضرورة التعامل مع النظرية الماركسية دون تقديس، ونتفق ايضا بأن أسهل الطرق للدفاع عنها هو إعلان التمسك الكامل بها وتأكيد صحتها صحة مطلقة إضافة لتجنب البحث عن نقاط ضعفها. لكن هذا الطريق الأسهل ليس هو الأفضل. فالطريق الأصعب والأجدى للدفاع عن الماركسية والمحافظة على فاعليتها في النشاط الإنساني التحرري التقدمي هو طريق مراجعتها مراجعة نقدية جريئة مع رفض الجمود والأصولية لأنصار الإتجاه الأول، والتوبة لأنصار الإتجاه الثاني. وأولى خطوات مراجعة الماركسية هو فك إرتباطها عن التجربة السوفيتية، وصوّرت كل الإتجاهات المختلفة حيث عُدّت ردة وكفرا بالماركسية. إن التمييز بين النظرية الماركسية والتجربة السوفيتية هو الذي مكّن كثير من الماركسيين من الإشارة لعيوب التجربة السوفيتية في أوج ازدهارها، إنطلاقا من الإنتماء للماركسية نفسها من روزا لوكسمبرغ الى سمير أمين مرورا بلوكاتش ماركيوز وكاستورياديس وغيرهم(٥٣) .

وقد كانت المنطلقات الماركسية لهؤلاء هي التي ميّزتهم عن معاداة الشيوعية التي زخر بها فكر اليمين الغربي. وبالمناسبة أورد هذا النص النقدي لسمير امين الذي يوضح تنبهه لمحتوى النظام في روسيا بوقت مبكر (منذ عام ١٩٦٠ وإلى حدما منذ عام ١٩٥٧ ، توقفت عن إعتبار المجتمع السوفيتي

---

٥١ ـ رئيس الحزب الشيوعي السوفيتي(اتحاد الإحزاب الشيوعية . انظر جريدة نضال الشعب–العدد ٦٨٧، ١١-١-٢٠٠٠

٥٢– حوار مع جريدة النور ،عدد ٥-٣,٢٠٠٣

٥٣–ـ مغيث انور ، الفكر العربي وتحولات العصر ، الفارابي ،بيروت ،٢٠٠٦،ص٤٥١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(إشتراكي) الطابع وان السلطة الحاكمة فيه مثلت نوعا من حكم (الطبقة العاملة) بل لم أقبل الوصف التروتسكي المعروف في هذا الشأن، ألا وهو أن للنظام طابعا عماليا مشوها تشويها بيروقراطيا . فرأيت أن الطبقة الحاكمة (اقول الطبقة) والمستغِلة كانت في واقع الأمر برجوازية الطابع. أعتمد في حكمي على ملاحظة أن طبقة النومنكلاتورا كانت تتطلع الى مستقبلها في مرأة الغرب فتميل الى تقليد نموذجه . وكان ماو قد ادرك ذلك تماما ولخص حكمه في جملة موجزة القاها عام ١٩٦٣- انتم (وكانت الخطبة موجهة لكوادر الحزب في الصين) بنيتم برجوازية كما سبق ان فعله الحزب في الاتحاد السوفيتي ، فلا تنسوا –الرجوازية لاتريد الاشتراكية بل تريد الراسمالية . استنتجت من هذا التحليل ماكان يبدو لي استنتاجات ضرورية فيما يخص طبيعة ودور الحزب وموقف الطبقات الشعبية من نظام الحكم . فكان يبدولي واضحا ان الشعب بشكل عام لم ينظر الى هذا الحكم على انه حكمه . ولو ان السلطات استمرت تطلق على نفسها صفة الاشتراكية ،بل على انه عدوه الاجتماعي . ....الخ (٥٤)

الفرع الثاني - جوانب القصور الفكري في النظرية الماركسية اللينينية

ويمكننا الآن التوقف عند أهم جوانب القصور الفكري التي أوردها بعض الباحثين .

١ : - الجمود العقائدي والمذهبي الذي أصاب الأحزاب الشيوعية ودور المرحلة الستالينية الكبيرة في هذا المجال كرس الجمود تصورا خاطئا فحواه أن الماركسية حوّلت الإشتراكية لنظرية علمية شاملة مكتملة وإن التجربة السوفيتية مجسدة لتلك النظرية، وتشخيص هذا الجمود يعد مساهمة في الخلاص من الإرث الستاليني، فهو الذي دشن ذلك الجمود بمصطلح الماركسية اللينينية. فاتخذه كغطاء آيدلوجيا من تصوره الجامد للإشتراكية.

إن الإنعتاق من أسر الجمود يعني الدراسة الناقدة للفكر الإشتراكي منذ نشاته قبل الماركسية وماعاصرها وما تلاها من إسهام مفكرين كثيرين، أبرزهم كان لينين وماتسهم به مدارس إشتراكية معاصرة متعددة الرؤى والمشارب(٥٥). والواقع فالظروف التي رافقت التجربة الإشتراكية منذ بدايتها قد أسهمت في تهيئة الممهدات لهذا الجمود. فلو تأملنا نتائج الإنتخابات الحرة للجمعية التأسيسية (البرلمان) في عام ١٩١٨ فضلا عن تقييم لينين نفسه في عام ١٩٢١ بأنهم خسروا الجماهير العريضة، لأستنتجنا أن نظام الحكم انطلق على اساس لا شرعي حتى إن تنازلت النيب أخفقت في تحويله بصورة جوهرية. وأدّى ذلك لتوطيد عبادة شخص لينين وتحويل النظرية لآيقونة مقدسة لا تمس الأمرالذي أفضى لإضمحلال الرؤية النقدية للماركسية لتختفي نهائيا في زمن ستالين دون أن تسترد عافيتها(٥٦). ومن الأمورالافتة للنظر إفلاس الآيديولوجية افلاسا شاملا في المجتمعات الإشتراكية والسبب الذي يبدو أكثر بداهة من غيره هو أن الآيديولوجية قد تحولت لمؤسسات تنسب لنفسها صفة تجسيد الآيديولوجية، بينما أصبحت تلك المؤسسات في نظر الجماهير ادوات كبت ولم تعد لها جاذبية أو تمثل عنصر الهام . فاصبحت الايديولوجية في نظر الجماهير مبرر إقامة بناء مؤسسيّ ينطوي على قدركبير من الكبت مصدره الإدعاء بأن كثيرا مما تتطلع له الجماهير انحراف عن المبدأ الايديولوجي السليم.

٥٤– امين سمير ، من نقد الدولة السوفيتية الى نقد الدولة الوطنية ،مركز البحوث العربية ،القاهرة ، ١٩٩٢،ص ١٢,

٥٥- نقد محمد ابراهيم ، مجلة النهج ، عدد ٦٢، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ٢٠٠١، ص ٢٨,

٥٦– فوسبر سوزان ، مابعد الماركسية ، مصدر سابق ،ص ٢٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ترتب على ذلك منطق ينطوي على تنافس داخلي فالمبدأ الإشتراكي يفترض به أن يحقق إزدهارا لحياة الجماهير. والملحوظ التجربة العملية بخلاف ذلك على طول خط مستقيم. لقد أصبح علم الإشتراكية علما مفقرا للحياة بدلا من أن يكون مثريا لها. فالهندسة الإجتماعية كانت تعني في النهاية تطويعا للإحتمالات الواردة إجتماعا لقوالب مصبوبة سلفا بدلا من استثمار الفرص المتاحة حقيقة من أجل زيادة إزدهارها. فأصبح التخطيط الإشتراكي ينطوي على عملية افقار بدلا من عملية اثراء. وهذا قد مسّ الآيدلوجية في الصميم، وهذا ما يناقض الغاية التي صمم من أجلها. ونسبت الآيدلوجية مؤسسات لها غير محققة لرسالة تحرير بل اصبحت تلك المؤسسات ترمز لنقيض هذا المعنى وترمز لمعنى الكبت فبهذا هي عبرّت عما هو نقيض لمعنى الآيدلوجية. كما أفضى غياب الآيديولوجية القائمة على أساس طبقي انتعاش آيدلوجيات أخرى كالآيدلوجية الدينية والقومية والطائفية فتعدّ عوامل تفكيك لا عوامل تماسك. (٥٧)

٢ ـ ضعف القاعدة المعرفية للإشتراكية. برهنت التجربة على أن القاعدة المعرفية – النظرية للتجربة الأولى كانت ضعيفة وهذا طبيعي ، فالماركسية اللينينية التي استندت اليها هذه التجارب بمجموعها كونت في حينها علم تحطيم الرأسمالية ، فكلّ مافعله ماركس هو أنه وضع علم تحطيم الرأسمالية بعدها طوّر لينين هذا العلم في الظروف الجديدة للرأسمالية الإحتكارية. إن ضعف القاعدة المعرفية – النظرية لبناءالإشتراكية هو الذي خلق أرضية التجريب عبرالخطأ والصواب في عملية البناء نفسه، ظهر ذلك عند اللحظات التي استدعت حلولا جديدة للمشاكل المستجدة وبما أن تلك الحلول غير موجودة في الكتب فالتجريب كان يتم عبر الخطأ والصواب. كان من الممكن السير بطريق الخطأ وهذا ما حصل فعلا. (٥٨)

٣ : ـ الإضافات اللينينية .. لقد قام الإتحاد السوفيتي على أساس نظري محدد وهو اللينينية، وهي قراءة خاصة لأعمال ماركس وانجلز تميزت عن نظريتهما بإضافات ثلاث : ـ

أ : – إن الإمبريالية العالمية سوف يتم ضربها في حلقاتها الأضعف وهو مايجعل حركات التحرر الوطنية تلعب دورا أكثر أهمية في حصار رأس المال من النضال العمالي نفسه .

ب : – إن العمال لن يستطيعوا امتلاك الوعي الطبقي بأنفسهم وإنما عبر حلقة وسيطة يمثلها المثقفون البرجوازيون الثوريون والطلاب وهذا أعطى للمثقفين الثوريين دور معلمي الطبقة العاملة وزعمائها.

ج : ـ إن الشيوعيين سوف يقومون اذا ما وصلوا للسلطة بإنجاز ثورة برجوازية وبناءً للرأسمالية .

تلك الشروط المبررة في وقتها من المفترض أن توضع اليوم في موضع المساءلة، لماذا ؟

- لم تعد الحلقات الأضعف هي صاحبة الدور الحاسم في القضاء على هيمنة رأس المال .

- لم يعد المثقفون الثوريون حلقة لاغنى عنها في توعية العمال بمصالحهم وإنما تحررالبروليتاريا نفسها بنفسها ، علما أن مفهوم البروليتاريا قد تغيّر كثيرا في ضوء الثورة العلمية التكنولوجية . لم تعد المهمة المطروحة على الشيوعيين هي بناء الراسمالية(٥٩) .

٥٧ـ سيد احمد محمد ، انهيار الاتحاد السوفيتي واثره على المنطقة العربية ، مصدر سابق ،ص٥٧.

٥٨ـ عبد الرازق حسين ، مجلة النهج ، عدد٦٣، دار المدى للثقافة والنشر ، ٢٠٠١، ص

٥٩ـ مغيث انور ، الفكر العربي وتحولات العصر ، دار الفارابي ، بيروت ٢٠٠٦،ص ٤٥١ـ٤٥٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرع الثالث ـ الثغرات في نظرية ماركس ذاتها

سبق وأن شخص الكثير من المفكرين الغرب والعرب على السواء عددا من الثغرات الماركسية بالآتي:

١- عدم دقة النظرية الماركسية في تحليلها للعلاقة بين ما اسمته بالبناء الفوقي والبناء التحتي .

ترى الفلسفة الماركسية بأن كافة أشكال الوعي الإنساني (البناء الفوقي) بما يتضمن القيم الأخلاقية، العادات والتقاليد، الوعي القومي والدين، الذوق الفني والمشاعر، الأفكار والمواقف الإنسانية .. إلخ. ما هي إلّا إنعكاسات طبيعة المرحلة التأريخية لعلاقات الإنتاج التي سمتها بالبناء التحتي. وقد أهملت الماركسية الخوض التفصيلي في العوامل الأخرى كالبيئية التراثية الروحية، علما أنها لم تنكر وجود تلك العوامل، لكنها لم تعطها الحيز الذي تيتحقه في التنظير بل اكتفت بذكرها فقط. وزعمت الماركسية إن وجدت أية طروحات وظواهر لاتنسجم مع البناء التحتي فهي تعود لمرحلة سابقة.

واستنادا الى هذا التحليل لم تبذل الدول الشيوعية الجهد الكافي لتغيير البناء الفوقي لاعتقادها انه سيتغير تلقائيا لصالح النظام الشيوعي بتغير البناء التحتي المادي. لذلك سعت الدول الشيوعية الى وسائل القسر لكبت أي سلوك لايتناسب مع النظام الشيوعي .

٢ : ـ النزعة الإقتصادية

لقد جعل ماركس من العامل الإقتصادي مدخلا لفهم تشكل المجتمعات. ومع أنه رفض فكرة وجود قوانين عامة تضبط حركة التأريخ إلا أنه قبل بصورة ضمنية فكرة أن مصير الراسمالية مقرر سلفا بفعل تفاقم تناقضاتها الداخلية، وإن الأزمة الإقتصادية التي ستواجهها ستهيئ شروط الثورة الإجتماعية . وهذا الفهم خلق حالة من الإطمئنان لدى الدول الشيوعية فمهما تراكمت من سلبيات وأخطاء في البناء الشيوعي ظلت الدول الشيوعية مطمئنة بحتمية زوال الرإسمالية وإنتصار الإشتراكية . ومن جهة أخرى استهان ماركس بخطورة النتائج الآيكولوجية التي تترتب على تطور الرأسمالية ونزعتها الإنتاجية، كما أنه لم يعر أهمية لقضايا أخرى مثل العلاقة بين الجنسين وقضية الإنتماء العرقي أو القومي .

٣ : ـ المماهاة التي أقامها ماركس بين الراسمالية واقتصاد السوق التي لايضبطها ضابط وتعمل بشكل عشوائي . أهم الإنتقادات التي تعرض اليها ماركس في هذه النقطة وردت من الفيلسوف الفرنسي جاك بيديه. ففي نظره لم يدرك ماركس أن غنى المجتمع الرأسمالي لاينبع من شكله البضاعي وحسب، وإنما ينبع من شكله المنظم . كما لم يع أن التعاقد الحر بين الأفراد في ظل الراسمالية لايكون حرا إلا حينما يكون تعبيرا عن إرادة مشتركة حرة .

٤ : ـ الثغرة الرابعة قصورالنظرية السياسية لدى ماركس

فقد اعتبر الكثير أن الدور المبالغ الذي اعطاه ماركس للعوامل الإقتصادية حجب الطابع الإشكالي والتناقضي للمارسات الإجتماعية، وبخاصة السياسية. كما أن عدم ايلائه الأهمية الكافية لدراسة وتحليل علاقات السلطة ضمن العلاقات الإجتماعية ، قد ترك تاثيرا سلبيا على تصوره للسياسة، وهو ماتجلى في ترددات وقفزاته النظرية ، حيث يتبنى تارة نظرية دكتاتورية البروليتاريا وتارة يدعو للطريق البرلماني السلمي نحو الإشتراكية، دون أن يترافق ذلك مع تحليل معمق لمسالة استلام السلطة. أما من ناحية أخرى أخذ على ماركس موقفه من الديمقراطية السياسية من خلال إقراره دكتاتورية البروليتاريا كمرحلة إنتقالية للنظام الشيوعي وكذلك إقرار العنف الثوري كطريق لإستلام السلطة. ويذكر ماهر **الشريف أن جاك**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تكسيه اتخذ موقفا مختلفا إلى حدما من مسالة علاقة ماركس وانجلز ونتاجهما بالسياسة. وأكّد أن فكرهما كان فكرا ديمقراطيا، رغم وجود مايثير الإلتباس(٦٠).

غنيّ عن البيان أن الاحزاب الشيوعية الأوربية سبق أن أجرت مراجعة نقدية لأفكار ماركس وانجلس وألغت مفهومي دكتاتورية البروليتاريا والعنف الثوري، معيدة مصالحة الماركسية مع الديمقراطية مشدّدة على أن طريق التغيير الإجتماعي الصحيح هو طريق النضال الديمقراطي السلمي ومن داخل مؤسسات الدولة البرجوازية نفسها، هناك من اعتبر أن عملية المراجعة هذه قد جاءت كرد فعل على التجربة السلبية للإتحاد السوفيتي، في حين أن الواقع يثبت أن هناك ظروفا ومستجدات دولية ومحلية قد استدعت عملية المراجعة، فالظروف السياسية العالمية تغيرت - توازن الرعب النووي والحرب الباردة جعلت من أي إحتمال للتغيير في أية بقعة من العالم مسألة ذات طبيعة إستراتيجية بالنسبة لقطبي الصراع العالمي، الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة على السواء، إزاء تلك الظروف فان انتقال أي بلد أوربي من معسكر لآخر خاصة بطريق العنف كان ينطوي على مخاطر جدية على عملية السلام العالمي، ويبدو أن الشيوعيين الأوربيين قد قراءوا هذه الظروف قراءة علمية دقيقة وسليمة وتصرفوا بمسؤولية وطنية وأممية عالية ووفق منهجية ماركسية حقيقية. فهذا الواقع الجديد هو العامل الأساسي الذي تطلب تطوير النظرية في تلك المفاصل وهو في الوقت ذاته قد رفع من دور التقاليد والمؤسسات الديمقراطية التي تطورت عبر النضال في المجتمعات الرأسمالية المتقدمة منها خصوصا كوسائط أساسية للنضال السياسي والتحويل الإشتراكي ولكن موقف الشيوعيين الأوربيين كان موضع استنكار وإدانة من قبل الإتحاد السوفيتي والحركة الشيوعية. في الوقت الذي سجل فيه الأوربيون الريادة في مضمار تجديد النظرية وتخليصها من عناصر العنف. وعلى العكس من تكسيه نجد أن أرنستو لاكلاو ينحو منحىً آخر، حيث أنه يحاول أن يجد بعض جذور الهيمنة في فكر ماركس . يقول لاكلاو (أن هيجل يعتبر البيروقراطية هي الطبقة العامة الشاملة. وجاء نقد ماركس لفلسفة الحق عند هيجل كي يؤكد أن شمولية هذه الطبقة قول زائف، والدولة ليست هي المجال المنفصل الذي تتحقق به شمولية وكلية المجتمع، بل هي أداة للسيطرة الطبقية ، وعليه فهي مجال جزئي آخر ولاتمثل العام أبدا، ويوجه ماركس نظره صوب المجتمع المدني مشيرا لعملية جارية لخلق ا لعام الشامل فهي طبقة جديدة. إن البروليتاريا عند ماركس هي الطبقة العامة الشاملة. أيْ أن المجتمع لن يحقق ذاته ولن يغدو كيانا كليا إلا إذا ولد المجتمع المدني فكرة الشمولية الكلية ...). ثم يستعين ارنستو لاكلاو مرة أخرى بمثالين يؤكد فيها وجود فكرة الهيمنة في الماركسية. أولهما يتناول نظرية قانون التطور المتفاوت وهي إحدى إضافات لينين كما أسلفنا، وكيف أن الاشتراكية الديمقراطية قد طرحت خطة قيادة البروليتاريا للثورة البرجوازية ويقول أن هذا الإستحواذ من طبقة على مهام طبقة أخرى هو ما أسماه أكسلرود وبليخانوف الهيمنة. المثل الآخر الذي أتى به لاكلاو يعود لأحداث فترة الأممية الثالثة فذكر(جرى تعميم المفهوم القائل بالتطور المترابط والمتفاوت ليشمل عموم بلدان العالم الثالث. فالفكرة الأساسية لهذا المفهوم قامت علىتعميم شروط الإنتاج الرأسمالي من قبل الإمبريالية وبالتالي فبوسع تلك البلدان القفز فوق المراحل وتعبئة قوى إجتماعية لتنفيذ عمليات إجتماعية تفلت كليا من حتمية المراحل المتعاقبة في التطور التأريخي كما رأتها الأممية الثانية.

٦٠- الشريف ماهر، الفكر العربي وتحولات العصر، مصدر سابق ،ص ٣١٨-٣١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتساءل لاكلاو إذا كان هذا التطور إستثنائيا فما هي القاعدة إذن، وما هو التطور الطبيعي؟ (٦١)

إن تداعي ماسمّي بالأرثوذكسية الماركسية، قد مهّد الطريق أمام ولادة العديد من المساهمات في الحقل الذي افتتحه ماركس قبل أكثر من قرن ونصف القرن لولادة أفكار جديدة في الماركسية فماهي هذه الأفكار؟ هذا ما سنحاول التعرف عليه .

الفرع الرابع ــ الماركسية الجديدة (نيوماركسية)

إن التطورات التي أشرنا اليها أعلاه شجعت كل من ايمانويل فالرشتاين واندريه توسيل للحديث عن (الماركسيات الألف). وهي مساهمات مستقلة عن الأحزاب الشيوعية التقليدية والطامحة للعودة لربط الممارسة بالنظرية، وتسعى لإحياء التراث الماركسي في إطار ما يسمى بـ (النيوماركسية) وما يسمى بـ (مابعد الماركسية). ويرى بعض المعنيين بتلك الظاهرة أن أزمة النيوليبرالية تهيئ ظروفا ملائمة لولادة هذه الماركسيات. وتستند تلك الظاهرة نظريا على أفكار برنيشتاين وعلى النظرة النقدية لمدرسة فرانكفورت وعلى العلوم الإجتماعية البرجوازية، الأمرالذي يطرح التساؤل عن مدى علاقتها بالماركسية التي عرفناها قبل وقوع الإنهيارات. وما يلاحظ على هذه الماركسيات أن القاسم المشترك بينها هو تعظيم شأن العوامل الثقافية (وقد ساعد كتاب ارنست لاكلو وشانتال موف المعنون الهيمنة والإستراتيجية الإشتراكية على رسم ملامح نسخة واسعة التأثير لما بعد الماركسية وجهت سهام نقدها للأنموذج اليساري المحافظ وطوّرت أنموذجا للديمقراطية الجذرية المرتكز على الحركات الإجتماعية الجديدة . الحوارات اللاحقة بين لاكلو ، جوديث بتلر وسلافوي زيزك واصلت إعادة تشكيل مشروع الماركسية الغربية بالإستناد لمقدمات مابعد البنيوية والتعددية الثقافية(٦٢). وهناك مساهمات غربية أيضا وجهت نقدها للتجربة الروسية فمثلا حاجج كاغارلينسكي بأن الشيوعية الروسية ليست شيوعية بما فيه الكفاية وبأنها غربت الطبقة العاملة لتنتج بذلك نقيضها). أما الإسهام العربي فيلاحظ أنه مازال ضعيفا في النقاشات الدائرة حول مصير الماركسية .

٦١- لاكلاو ارنستو، مابعد الماركسية ، مصدر سابق ، ص ١٠٩-١١٠.

٦٢ - كلنر دوغلاس ، الماركسية الغربية ، ت كامل شياع ، مجلة الثقافة الجديدة ، عدد ٣٢٩-٣٠، بغداد ، ٢٠٠٩، ص ١٢٧-١٢٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني
العوامل الخارجية التي ساهمت في تقويض النظام السياسي

إضافة للعوامل الداخلية التي لعبت دورا أساسيا في إنهيار الإتحاد السوفيتي هناك عوامل خارجية ساهمت أيضا في عملية تقويض البناء الإشتراكي ومن هذه العوامل هي كالآتي:

المطلب الأول - نزعة العسكرة

الفرع الأول - سباق التسلح

يجمع العديد من المحللين والباحثين السياسيين على أن الرافعة الأكثر فعّالية في عملية تقويض الإتحاد السوفيتي ، كانت تتجسد في الإنفاق العسكري الهائل الذي فرض على الإتحاد السوفيتي في إطار المجابهة وعملية سباق التسلح والذي تجاوز في مقداره حدود العقل والمنطق وخاصة فيما يتعلق بركام السلاح النووي القادر على إفناء البشرية وتدمير العالم مئات المرات. (ورغم أن هذه الحقيقة كانت معروفة من قبل طرفي النزاع إلا أن هذه العملية من سباق التسلح قد تواصلت وإتخذت طابعا متصاعدا وقع عبئه الأساسي وعواقبه المدمرة على الإتحاد السوفيتي، ومرد ذلك هو التفاوت الشديد في حجم الناتج الإجمالي بين المعسكر الإشتراكي والمعسكر الرأسمالي، فالناتج الإجمالي للإتحاد السوفيتي هو ثلث الناتج الإجمالي للولايات المتحدة الأمريكية وهذا يعني أن نسبة الإنفاق العسكري في الإتحاد السوفيتي كانت تشكل نحو ثلاثة أضعاف ماهي عليه في الولايات المتحدة بالقياس لحجم الناتج في البلدين(٦٣). وكما هو معروف فأن ميزانيات التسلح هي أضخم الميزانيات، صحيح أن الإتحاد السوفيتي كانت لديه موارد ضخمة وهائلة ، إلا أنه كان يوجه جلّ تلك الموارد نحو سباق التسلح مقابل عدم الإهتمام بالجانب المعاشي للشعب بما يتلائم مع وصفه كقوة عظمى . ويبدو أن الإدارة الأمريكية قد ادركت أن إنهاء الإتحاد السوفيتي والشيوعية لايتم عن طريق حرب نووية، وزير الدفاع الأمريكي السابق (روبرت منكمارا) يقول (من الخطورة بمكان أن يعتقد الشعب الامريكي بأن هزيمة الشيوعية ومخططاتها الدولية يمكن أن يتم عن طريق المخاطرة بأشكال حرب نووية عامة(٦٤). وعلى هذا فقد حاولت الولايات المتحدة وحليفاتها الأوربيات تطوير إستراتيجيات تركّز إدخال الإتحاد السوفيتي في سباق تسلح إعتمادا منهم على أن الإقتصاد السوفيتي لن يستطيع الصمود بالنهاية أمام هكذا سباق وهذا ما بدى واضحا في تصريحات وممارسات رؤساء الجمهورية في أمريكا بدأ من ترومان الذي أشعل الحروب المحلية في البلقان وكوبا وايران وفيتنام مرورا بايزنهاو الذي أعتمد سياسة الردع النووي، ومن ثمّ جون كنيدي الذي أعلن عداءه بشكل مباشر بقوله أنه سيجعل الولايات المتحدة الأمريكية قادرة على صدّ إنتشار الشيوعية عن طريق إعتماد أسلوب سياسة سباق التسلح الذي يعنى عمليا ما صرح به وزير الدفاع روبرت مكنمارا، إذ أكّدعلى إرغام الإتحادالسوفيتي على تغيير أولوياته. النظام الشيوعي يعد بمجتمع من الرفاهية ينتفي فيه الفقر، مجتمع من المساواة ينتفي فيه التمايز الطبقي ولتحقيق تلك الأهداف فالإتحاد السوفيتي مطالب بأن يضع التنمية كأولوية قبل الأمن وعلينا أن نرغمه على أن يرفع أولوية الأمن ويضعها قبل التنمية علينا أن نشدّه الى سباق التسلح الذي يقطع أنفاسه ويرهق موارده ويتركه في النهاية بترسانة نووية بدون رغيف

٦٣-عبدالله عامر ، مقوضات الاتحاد السوفيتي ، الثقافة الجديدة ، (العدد٢٩٣).١٩٩٧،ص,٤٥

٦٤- مقلد اسماعيل صبري ، الاستراتيجية الامريكية في العصر النووي ، مجلة السياسة الدولية، (العدد ٣)، ١٩٦٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خبز أو قطعة لحم وكذلك فغلبة الأمن على الأولويات السوفيتية سوف تنعكس من الخارج الى الداخل فيزيد تركيز السلطة في يد المسؤولين عنه في أجهزة الحزب، مما يباعد بينهم وبين عامة الناس ويعزلهم (٦٥). وهذا ماتمّ تحقيقة فقد استمرت الجهود الأمريكية وخصوصا في عهد ريغان الذي عمل على تسريع عملية سباق التسلح بعهد غورباتشوف في أواسط الثمانينات، وقد حقق الأول تقدما ناجحا بإنتاج المزيد من الأسلحة لإرغام السوفيت على قبول السلام وتسوية الخلافات، إذ بات واضحا أن مجاراة السوفيت للتقدم الأمريكي القائم على إنتاج صاروخ مقابل صاروخ يعني إنهاكا للإقتصاد السوفيتي. وأما عن مبادرة الدفاع الإستراتيجي (حرب النجوم اس.دي.اس) التي أعلنتها إدارة الرئيس ريغان عام ١٩٨٣ فإنها عدت تحديا قويا جسد التهديد بايقاف جيل كامل من الأسلحة النووية السوفيتية، وحوّلت المنافسة بين الطرفين (أمريكا والإتحاد السوفيتي) إلى مجالات أخرى كالميكرو إلكترونيات التكنلوجيا الحديثة التي يواجه مصاعبا فيها الإتحاد السوفيتي (٦٦). وقد أفضت صيغة سباق التسلح الى تحويل الكثير من طاقاته الإنتاجية وخيراته الغنية من الإقتصاد المدني لإقتصاد عسكري، مما خفّض من إنتاجية الأول وبالتالي صار من الممكن الحديث عن إقتصادين سوفيتيين الأول عسكري متقدم ومنتج ونشيط، والآخر إقتصاد مدنيّ يعاني من الركود والهبوط في نسبة النمو وتراجع في التطور الإقتصادي مقارنة مع الدول المتقدمة(٦٧)، فتخصيص ما بين ٣٥،٣٧% من الميزانية العامةالسوفيتية لأغراض الدفاع أثر بشكل سلبي على التقدم في القطاعات المدنية، وخلق مناخا للتوتر والتذمر الشعبي في الداخل. ومما شجع الولايات المتحدة الأمريكية على المضي في تنفيذ هذا البرنامج مساهمة الدول الصناعية الكبرى في تمويل تكاليفه وهو أمرغير متأتي للإتحاد السوفيتي الذي كان أمامه اذا مأراد الإستمرار في هذا السباق تحمل هذا العبء بمفرده، زد على ذلك أعباء تسليح الكتلة الشرقية وللتدليل على هذه الحقيقة يكفي أن نشير الى حجم القوات والمعدات التي تقرر سحبها من أوروبا الشرقية مؤخرا وهي تتضمن حسب الأرقام المعلنة ٦٨ ألف دبابة و ٧٠ الف مدرعة وناقلة و ٤٦الف منصة صواريخ و ٢٤ الف طائرة إلى جانب ٦ ملايين من الجنود والضباط تقدر كلفة مرابطتهم في السنة الواحدة بما يقارب ١٦٠ مليار دولار سنويا. أما عن الهيكل العسكري للجيش السوفيتي كله أو حجم الإنفاق المخصص لإدامته وتطويره فتلك مسألة يمكن تصورها بالمقارنة مع هذا الجزء الضخم من الجيش السوفيتي المرابط في أوربا الشرقية(٦٨) . هذه الحقيقة إلى جانب غيرها من مظاهر الإختلال في الموازنة الإقتصادية وفي الإدارة والتخطيط وتوازن الموارد وغيرها من الفعاليات الإقتصادية كانت في صلب المنهج الذي اعتمدته الرأسمالية في سعيها لتقويض الإتحاد السوفيتي والنظام الإشتراكي العالمي وللبرهنة على ذلك يكفي استذكارما أعلنه الرئيس الأمريكي ريغان حين قال (سنجوعهم تسليحا)، وعِبر لقاء القمة بين الرئيسين الأمريكي والسوفيتي (ريتشاردريتشارد نيكسون وليونيد بريجنيف) ١٩٧٢، إعترفت أمريكا بندية السوفيت كدولة عظمى خاصة بعد تعاظم مكانتهم في المجال العسكري الإستراتيجي ومجال الصواريخ والفضاء وتأثيرهم خارجيا. إلا أن المدة مابين

٦٥- امبروز ستيفن ، الارتقاء نحو العالمية ، (السياسة الخارجية الامريكية منذ ١٩٣٨)، ت ناديه الحسيني ، المكتبة الاكاديمية للنشر ، القاهرة ١٩٩٤، ص,٤٤٤

٦٦-فوكوياما فرنسيس، نهاية التاريخ ، ت حسن الشيخ ، دار العلوم ،بيروت ١٩٩٣،ص٩١.

٦٧ ناصيف يوسف ، القوة الخمس الكبرى والوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٧،.ص ,٦٤

٦٨-عبدالله عامر، الثقافة الجديدة ، مصدر سابق ،ص ٤٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(١٩٧٩_١٩٨٥) كانت قد اتسمت بزيادة حدة التوتر بين العملاقين والذي أرجعه بريجنيف أساسا إلى موقف الولايات المتحدة الضاغط على حلفائها في حلف شمال الأطلسي، لزيادة ميزانياتها العسكرية ولوضع الصواريخ النووية متوسطة المدى في وسط وغرب أوربا.

وهكذا عملت الولايات المتحدة الأمريكية على تنشيط سباق التسلح ،لاسيما بعد صدور مبدأ(كارتر) في العام ١٩٨٠ الداعي لزيادة الإنفاق العسكري الأمريكي الأم الذي دعا السوفيت للإنجرار وراء هذاالسباق الذي اعلن شموله (عسكرة الفضاء). وفي الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة مستفيدة من موضوع سباق التسلح مادام أن إنتاج الأسلحة ينشط الإقتصاد الأمريكي الذي يقوم على مبدأ الإقتصاد الحر، ويمتص البطالة ويزيد من تحريك عجلة الإقتصاد الأمريكي، فأنه في الوقت ذاته أدى الى ألازمة الإقتصادية السوفيتية ذات التخطيط والإنفاق المركزيين والذي أثر سلبا في ميزانية الدولة .ومن جهة أخرى. عملت الولايات المتحدة الأمريكية على تعميق الأزمة السوفيتية عن طريق توريط الحكومة السوفيتية في المنازعات الأقليمية فقد عملت على دعم المقاومة الافغانية ضد الوجود السوفيتي، كما دعمت حركة (الكونترا) في نيكارغوا ودعمت (سافيمبي) في ناميبيا وحركات التمرد في أثيوبيا وموزنبيق وكمبوديا، وفي مجال التسليح أطلق الأمريكيون برنامج حرب النجوم الأسطوري، الأمر الذي ساعد على استنزاف أكثر للقدرات العسكرية السوفيتية ومن ثم تعميق الأزمة الإقتصادية. وبحسب وكالة استخبارات وزارة الدفاع الأمريكية (ديا)، فأن النفقات العسكرية السوفيتية للمدة مابين (١٩٧٠_١٩٨١) قد ازدادت من (٥٠) الى (١٠٠) مليار روبل بالأسعار الجارية آنذاك. وإستنادا الى تقديرات الوكالة فليس هناك تباطؤ في المعدل الرسمي للنمو لمجمل الإنفاق العسكري السوفيتي، إذ أشارت التقديرات المعلنة للزيادة الى أن المعدلات الحاصلة عليها بلغت من (٩%)الى(١١%) للنصف الأول من السبعينات ومن (٦%)الى (٩%) خلال النصف الثاني للمدة نفسها. إن الإنفاق العسكري كحصة من الداخل القومي أخذ بالزيادة من (١٢_١٤%) الى (١٤_١٨%)في العام ١٩٨١، ومن ثم فأن الإنفاق العسكري السوفيتي أخذ يشكل ثقلا على اقتصاده خصوصا اذا ماعلمنا أنه يقوم على التوظيف التام لليد العاملة فيه(٦٩). وهكذا تحمل الإقتصاد السوفيتي العبء الرئيس في توفير الأساس المادي لتنفيذ سياسة الدولة الخارجية وحماية مصالحها سواء أكانت الإقتصادية أم غير الإقتصادية، ولذلك كان عليه أن يضمن توفير قاعدة واسعة من الصناعات العسكرية، وتوفير الموارد اللازمة للإنفاق الضخم علاوةعلى تقديم المعونتين ،الإقتصادية والعسكرية للحلفاء القائمين في العالم الثالث مع ضرورة السعي نحو تحسين الأوضاع المعيشية للشعب السوفيتي، مما تسبب تدريجيا في إضعاف قدرة الإتحاد السوفيتي على مواصلة سباق التسلح مع الولايات المتحدة الأمريكية، لاسيما بعد أن دخل هذا السباق مجالات نوعية بالغة التعقيد في الثمانينات من القرن المنصرم. وهنا نشير أيضا الى أثر كارثة مفاعل (تشيرنوبيل)في نيسان _ابريل من العام ١٩٨٦، والتي أوضحت تخلف التقنية السوفيتية بالمقارنة مع مثيلاتها في الغرب، وماسببته هذه الكارثة من فضيحة أخلاقية وتقنية وإجتماعية وصحية للسوفيت ولانبالغ إذا قلنا بأنها كانت أبرز أسباب التسريع والهرولة الذي طبع خطوات (غورباتشوف) في البيرويستريكا وماتفرع عنها من سياسات. ماختاره الرئيس غرباتشوف الذي سعى للحد من سباق التسلح وهو المدخل الذي استطاعت من خلاله الولايات المتحدة الأمريكية تنفيذ سياساتها الهادفة الى عدم السماح بإستمرار بقاء الإتحاد السوفيتي قطبا عالميا ندا له.

٦٩- توفيق سعد حقي ،العوامل المؤثرة في سباق التسلح السوفيتي، المجلة العربية للعلوم السياسية ، العددان (٣-٤)(مزدوج) ، جامعة القاهرة ، مصر ١٩٨٩، ص١٤٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرع الثاني - الغزو السوفيتي لأفغانستان

في البدء لابد من التوضيح بأن البلاد أبان السبعينات والثمانينات حظيت بحكومة سعت لتطوير المجتمع الأفغاني المغرق في التخلف، لكن الولايات المتحدة أنفقت ملايين الدولارات من أجل شن حرب ضارية ضد الحكومة لمجرد أنها كانت تتلقى دعما من الإتحاد السوفيتي(طبقا لمعاهدة صداقة ربطت بين البلدين تتضمن المساعدة في جميع الجوانب الحياتية ومن ضمنها التعاون العسكري) . وهكذا تلقت الفئات المتطرفة المعارضة مساعدات من واشنطن التي راحت تهول وتثير القلق من تدخل عسكري محتمل للإتحاد السوفيتي وعندما حدث ذلك بالفعل بدأت وكالة المخابرات المركزية تمد خيوطها في المنطقة وطلبت من بلدان الشرق الأوسط مساعدات مالية إضافية فوق ماتقدمه واشنطن ومارست على البلد الجار باكستان ضغطا استثنائيا للحصول على قواعد عسكرية فوق أراضيها . كما أثارت واشنطن ردود فعل حادة حو ل عملية التدخل السوفيتي في افغانستان*.من جانبه أدان المجتمع الدولي الغزو السوفيتي في افغانستان ودعا قرار مجلس الأمن لإنسحاب القوات السوفيتية من افغانستان رغم استخدام الإتحاد السوفيتي لحق الفيتو ضد هذا القرار بتاريخ ٧ يناير ١٩٨٠. وفي ١٤ يناير ١٩٨٠ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا بالأغلبية الساحقة يدين الغزو والإحتلال السوفيتي لأفغانستان ويدعو لإنسحاب السوفيت. صوت لجانب القرار ١٠٤ أعضاء فيما عارضت ١٨ دولة وتغيبت ١٢ دولة. من الدول المصوتة لصالح القرار مصر،العراق، الاردن، الكويت، لبنان، المغرب، عمان، السعودية، الصومال، البحرين، جيبوتي، قطر، تونس، الإمارات العربية (٧٠). أما مصر فبرز إهتمامها إزاء أزمة افغانستان قبل أسبوع من التدخل العسكري السوفيتي في افغانستان . وتمثل هذا الإهتمام على الصعيد الداخلي والخارجي وعلى المستوى الرسمي - الشعبي - الإعلامي . فعلى الصعيد الداخلي كان للحكومة موقف رسمي أدان هذا التدخل. أما على المستوى الشعبي نجد مجلس الشعب المصري أدان التدخل كما أن الأحزاب المصرية قد أعلنت مساندتها لقوى الثورة المضادة المدعومة من قبل الإدارة الأمريكية. وعلى الصعيد الخارجي فأعلنت مصر إدانتها رسميا في مجلس الامن والجمعية العامة للأمم المتحدة في أعقاب

*** في الخطاب الذي القاه كارتر في يناير ١٩٨٠ ، وتناول فيه اهداف التدخل السوفيتي جاء فيه مايلي (ان الاقليم الذي بات يتهدده الان التواجد العسكري السوفيتي في افغانستان يتمتع باهمية ستراتيجية تنبع من كونه يحتوي على ثلثي الصادرات العالمية من النفط والمحاولات السوفيتية للسيطرة على افغانستان ، اقتربت بالقوة العسكرية للاتحاد السوفيتي الى مسافة ثلاثمائة ميل من المحيط الهندي وعلى مقربة من مضيق هرمز الذي تعبر منه معظم صادرات منطقة الخليج من النفط . ان التهديد العسكري النابع من محاولة الاتحاد السوفيتي تثبيت سيطرته على هذا الموقع الاستراتيجي يشكل تهديدا لحركة النقل الحرة لبترول الشرق الاوسط). وتدعمت وجهة نظر الرئيس كارتر بالشروح الاضافية لخطورة هذا التدخل والتي قدمها كل من وزير الخارجية الامريكية سيروس فانس ومستشار الرئيس لشئون الامن القومي زبيجنو بريجنسكي.ففي تصريح لفانس قال..،(،ان مايعنينا الان هو الابعاد الشاملة التي يخلقها هذا التصرف السوفيتي في أفغانستان ،وبخاصة ماينطوي عليه ذلك الاجراء من تهديد لمنطقة جنوب شرقي اسيا والخليج التي نعتمد عليها في الحصول على مايقارب ربع احتياجاتنا التي نستوردها سنويا من النفط والتي أيضا يزيد اعتماد حلفائنا عليها في وارداتهم النفطية بدرجة أكبر منا بكثير .ونحن لانجاوز الحقيقة عندما نقول أن المصالح الحقيقية للولايات المتحدة نفسها قد أثر فيه بشدة ومباشرة هذا التدخل العسكري السوفيتي في أفغانستان..).**

ـ للمزيد انظر مقلد اسماعيل صبري ، أمن الخليج وتحديات الصراع الدولي ، شركة الربيعان للنشر والتوزيع ، الكويت ، السنة بلا، ص ١٣٢-١٤٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الغزو مباشرة ودعت لإنشاء جامعة الشعوب العربية والإسلامية وتخصيص مكتب لرعاية شؤون افغانستان إضافة لقيامها بإسبوع تضامني مع الشعب الأفغاني أبان الذكرى الأولى للتدخل. وإلى جانب الدوائر الرسمية إهتم الإعلام الغربي كثيرا بالحدث، ففي مقال لباري بلتشمان يتناول فيه الغزو السوفيتي وأثره على سياسة الوفاق الدولي ويرى فيه أن العلاقات الأمريكية السوفيتية تتسم بالجمود التام على كل المستويات. وفي معرض تناوله للموقف الأمريكي من عملية التدخل السوفيتي في أفغانستان يشير إلى أن سياسة الولايات المتحدة تتأرجح بين منهجين الأول ينادي بالعمل لإدماج الإتحاد السوفيتي في هيكل علاقات دولية سلمية والآخر يؤكد على ضرورة مواجهة الإتحاد السوفيتي سياسيا وإقتصاديا وعسكريا. ويرجح المؤلف أن السياسة الأمريكية القادمة تجاه السوفيت ستحتوي على عناصرمن كلا المنهجين مع التركيز على أحدهما. وقد كان الإتجاه الأمريكي منذ منتصف الستينات هو تأكيد للمنهج الإندماجي في العلاقات الأمريكية السوفيتية، فظل الأمريكيون مقتنعين لفترة طويلة بأن الطريقة المثلى والفعّالة في التعامل مع ديناميكية التوسع وتعاظم النفوذ السياسي السوفيتي هي محاولة الإيقاع بالإتحاد السوفيتي في فخ العلاقات السياسية والإقتصادية والثقافية بحيث يصبح من مصلحته الحفاظ على نظام دولي مستقر. وإقامة علاقات مرنة مع الغرب فجاءت إتفاقية عام ١٩٧٢ للحد من إنتشار الأسلحة النووية تعبيرا عن هذا المنهج وإعترافا من كلا القوتين العظميين بالحاجة للحد الأدنى من التعاون بينهما(٧١). كما يوضح الكاتب وجهة النظر السوفيتية ويرى أن السوفييت ينظرون للموقف بشكل مختلف. فمن وجهة نظرهم فإحتلال افغانستان يشكل ضرورة أمنية، وهذا تصرف يجب أن يكون مقبولا من جانب دولة عظمى. وعلى أفغانستان أن تفهم أن المصالح السوفيتية يهددها إندلاع ثورة إسلامية في أفغانستان لأن هذه الثورة لو نجحت ستؤدي الى قيام نظام إسلامي راديكالي على نمط النظام الحالي في ايران. ومثل هذا التطور لن يهدد الإتحاد السوفيتي عسكريا فقط وانما سيؤثر أيضا على الجماعات العرقية داخل الإتحاد السوفيتي فتلك الجماعات لهاا نفس التطلعات السياسية والدينية، ولو وضعت أية قوة عظمى في نفس موقف الإتحاد السوفيتي لفعلت نفس ما فعله السوفيت، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك منها التدخل الامريكي في جمهورية الدومنيكان عام ١٩٦٥ والتصرفات الأمريكية في جنوب شرق آسيا في الستينات. ويعتبر الزعماء السوفييت أن هذا الغضب الامريكي لاداعي له ، بل هو نفاق دافعه سياسي بالدرجة الأولى والولايات المتحدة استغلت واقعة افغانستان واستخدمتها كي تستمر في تعكير العلاقات بينها وبين الإتحاد السوفيتي وهو الهدف الذي سعت اليه منذ فترة طويلة ... ويعدد السوفيت الحجج التي تدعم وجهة نظرهم.

أولا.. زيارة برزنسكي للصين عام ١٩٧٧ ،ثم تطبيع العلاقات بين الولايات المتحدة والصين في ديسمبر ١٩٧٨ أيْ عشية ماكان يعتبر بالجلسة الختامية لمفاوضات سولت بين فانس وجروميكو والإجراءات التي تمت لتحسين وتطوير هذه العلاقات. ولم تكن أحداث افغانستان قد اندلعت عندما وافقت الولايات المتحدة ضمنيا على بيع أوروبا الغربية المعدات العسكرية للصين.

ثانياً : ـ التراجع الأمريكي عن إعطاء الأولوية للحد من الأسلحة وتغير مواقف الأمريكيين التفاوضية حتى قبل افغانستان فيما يختص بتجربة الحظر النووي الشامل والحد من نقل السلاح ونزع سلاح المحيط الهندي .

٧٠-بدر فاروق حامد، تاريخ افغانستان ،مكتبة الاسكندرية ، السنة بلا،ص ١٠٩-,١١٨

٧١- بلتشمان باري ،من الزاوية الأفغانية ، مجلة السياسة الدولية ، ت سوسن حسين ، ص ٢٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا ـ تغيير أوليات برامج الدفاع ٣%سنويا وقرار الولايات المتحدة بتصميم نوع جديد من السلاح النووي في أوروبا الغربية يستطيع ضرب الأراضي السوفيتية. وأيضا قرار تطوير صواريخ عابرة للقارات ذات قدرة فائقة على تسديد الضربة الاولى.

رابعا ـ يأس الإتحاد السوفيتي من الحصول على اي مكسب يرتبط بسياسة الوفاق، فقد فشل في الحصول على معاملة تفضيلية واتضح ان خطط المعونات الغربية وإستغلال موارد سيبيريا لإتتسم بالواقعية .هذا بالإضافة الى أن الولايات المتحدة قد استمرت تفرض القيود على تصدير التكنولوجيا المتطورة خاصة في مجال إستكشاف وإستغلال البترول والمعدات اللازمة لذلك. (٢ ٧)

في يناير ١٩٨٠ أعلنت حكومة الرئيس الأمريكي جيمي كارتر عن المبدأ الجديد الذي عرف بإسمه والذي جاء كرد فعل مباشر للتدخل العسكري السوفيتي في أفغانستان، وبصدور هذا المبدأ بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الصراع على منطقة الخليج والشرق الاوسط. ففي هذا الإعلان عبرت الولايات المتحدة وبصورة رسمية عن قلقها الشديد إزاء الخطر الذي يواجهها هي وحلفائها في الخليج، كما أكدت تصميمها على أن تقاوم وبكل الوسائل الممكنة بما في ذلك استخدام القوة المسلحة، أية محاولة من جانب أية دولة خارجية (والمقصود بذلك أساسا الإتحاد السوفيتي) للسيطرة على هذه المنطقة الإستراتيجية.

أما عن الأسباب التي حدت بالولايات المتحدة إلى التركيز على فكرة إنشاء قوات للتدخل أو الإنتشار السريع في منطقة الخليج بعد أن ظلت قرابة عقد كامل ترفض مبدأ التورط العسكري المباشر فيها تطبيقا للأفكار التي تضمنها مبدأ نيكسون والتي جعلتها تركز على بعض القوى الإقليمية التي تولت عنها هذه المهمة بالوكالة فأنها تمثلت حسب ادعائها في الآتي (٧٣).

١ ــ إن الاحتلال العسكري السوفيتي لأفغانستان كان يقدم الإثبات الواقعي على تصاعد أخطار التهديد السوفيتي وإقترابه الحثيث من منطقة الخليج وهو مجرد البداية نحو زحف أبعد إلى ايران وإلى غيرها من الدول النفطية الرئيسية هناك.

٢ ـ التزايد المطّرد في قوة الإتحاد السوفيتي البحرية في المحيط الهندي مما يعني التهديد المباشر لسلامة الطرق التي تسلكها إمدادات النفط الخليجي إلى اليابان الخليف الآسيوي القوي للغرب، وذلك في الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة محرومة من قواعد عسكرية جاهزة لإستخدامها في مواجهة تهديدات القوة السوفيتية الزاحفة إلى منطقة الخليج.

٣ ــ إن منطقة الخليج بالذات وبحكم أهميتها الإستراتيجية المتزايدة أصبحت في السنوات الأخيرة بمثابة مركز الجذب الرئيسي في حركة الصراع الدولي بين القوتين الأمريكية والسوفيتية بل أن هذه المنطقة تفوقت على أوربا نفسها في درجة الحساسية والتأثير التي تتركها أوضاعها على موازين القوة الدولية. فتوافر امكانات هائلة للردع النووي الفوري في أوربا، وأيضا فإنه بسبب التواجد المباشر والقوي لحلفي الناتو ووارسو والإتجاه نحو حل مشكلات الأمن الأوربي في مناخ من الإستقرار السياسي العام، فقد انخفض التأثير الأوربي، وبدرجة كبيرة في استراتيجيات المجابهة الأمريكية ــ السوفيتية .

---

٧٢ بلتشمان باري ، مصدر سابق ،ص٢٢٥..

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤ ـ إن فراغ القوى الكبير الذي تعاني منه منطقة الخليج بسبب تقلص قوة الغرب فيها يجعل هذه المنطقة هدفا بارزا في استراتيجية السوفيت الرامية إلى السيطرة عليها إن لم يكن بهدف الإفادة المباشرة من نفطها، فعلى الأقل لحرمان الغرب منه (٧٤). ولكن إذا اطّلعنا على ماكتبه الكاتب ويليام بلوم يسقط كل هذه الإدعاءات ففي كتابه الموسوم(دولة الأشرار). يشير بلوم إلى حديث صحفي لزيغنيو برجنسكي ، مستشار كارتر للأمن القومي عام ١٩٩٨ إعترف أن الرواية الرسمية بأن الولايات المتحدة بدأت بتقديم المساعدة للمجاهدين الإسلاميين المتعصبين قبل أن يدخل الروس إلى هناك بستة أشهر وحتى أنه يعتقد شخصيا، وهذا ماقاله كارتر أيضا الذي كان يشتغل على هذا الموضوع. إن تلك المساعدة أدّت للغزو العسكري السوفيتي. سئل برجنسكي إن كان يأسف على ذلك القرار ماذا؟ اتأسف ؟

كانت تلك العملية السرية فكرة ممتازة فقد أثرت في إيقاع الروس في الشرك الأفغاني وانتم تريدون مني أن اعتذرعن ذلك ؟. في اليوم الذي تجاوز فيه الروس الحدود رسميا كتبت للرئيس كارتر(آلان لدينا الفرصة لأن نرد للإتحاد السوفيتي حربه الفيتنامية. وبالفعل عانت موسكو طوال عشر سنوات تقريبا من حرب لم تكن الحكومة أهلا لإدارتها وشكلت أزمة أدّت لإنهيار الروح المعنوية، وأخيرا لإنهيار الإمبراطورية السوفيتية. ويعلق الكاتب قائلا، على الرغم من حقيقة أنه لاتوجد أية صلة يمكن إثباتها بين حرب أفغانستان وإنهيار الإتحاد السوفيتي، فنحن نقف وجها لوجه مع نتائج تلك الحرب مع هزيمة حكومة كانت مزمعة على إدخال أمة متخلفة فوق العادة للقرن العشرين، مع حمّام دم قاطع للإنفاس وأعمال تعذيب مارسها المجاهدون وصفت حتى من قبل الممثلين الرسميين للحكومة الأمريكية بأنها فضائع تفوق كل وصف. نصف السكان أما أموات أو معاقين أو لاجئين وانتاج آلاف الإرهابيين الإسلاميين المتعصبين الذين ينفذون أعمالا إرهابية في بلدان أخرى عديدة (٧٥). من جانبنا نرى أن هذه الحرب بغض النظر عن ظروفها وأسبابها، فإنها قد أخذت بمكانة الإتحاد السوفيتي على الصعيد الدولي وأضعفت من مصداقيتها، كما أنها خلقت إستياءً عميقا لدى الشعب السوفيتي نتيجة للخسائر البشرية التي تعرض لها في هذه الحرب الطويلة وكذلك الخسائر المادية التي أضرت بإقتصاده وبذلك عمقت معاناته المعيشية .

٧٣ـ مقلد اسماعيل صبري ،مبدا كارتر ،مجلة اتجاهات اعلامية ،الكويت العدد الاول ، المجلد الاول ،١٩٨١،ص١٩٨.

٧٤ـ مقلد اسماعيل صبري ، الاستراتيجية الدولية في عالم متغير ، قضايا ومشكلات ، شركة كاظمه للنشر والترجمة والتوزيع ، الكويت ،١٩٨٣،ص٢٨ـ٣١.

٧٥ـ بلوم ويليام ، دولة الاشرار، ت مازن المغربي ، دار الراي دمشق ،٢٠٠٧، ص ١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني – النزاعات السياسية

الفرع الأول - معاهدة هلسنكي

الأول من اغسطس عام ١٩٧٥ شهد بداية عهد جديد في أوروبا بشطريها الشرقي والغربي. يقال أنه أفضى في النهاية الى ماآلت اليه القارة البيضاء في الوقت الحالي. حيث صارت بلا حدود أو جدران فاصلة بين الشرق والغرب، وبلا نزاعات أوروبية، والأهم من ذلك لم يعد على خريطتها ماكان يسمى بالإتحاد السوفيتي . ففي التأريخ المذكورأعلاه وقعت وثيقة أو إتفاقية هلسنكي التي سطّرها رؤساء ٣٥ دولة أوروبية مضافا اليها الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ومستثنى من الحضور والتوقيع دولة البانيا التي كانت تبدو حالة خاصة في شرق أوروبا ومعزولة تماما عن العالم. تصدر الإتفاقية مباديء بفضّ النزاعات بالطرق السلمية وبإحترام سيادة جميع الدول وضمان حقوق الأفراد. وفي مجملها مباديء لاتجيز تغيير الحدود الدولية في أوروبا. أيْ ترسخ واقع مابعد الحرب العالمية الثانية. وكانت سياسة الوفاق التي دعا لها الرئيس الأمريكي نيكسون وتجاوب معها الإتحاد السوفيتي، قد خلقت ظروفا ملائمة لعقد المعاهدة بالرغم من أجواء التوتر التي خلقتها حرب اكتوبر ١٩٧٣ م . فقد تراجع الوفاق خلال تلك الحرب ولم يسترد قوته إلا بعد قرابة عامين من خلال مؤتمر هلسنكي الشهير الذي أصدر وثيقته في الأول من اغسطس عام ١٩٧٥. صدرت الوثيقة وهي تتضمن الإتفاق على مباديء تدعوالى تأسيس علاقات جديدة في أوروبا. قائمة على المساواة في السيادة وإحترام حقوق السيادة الوطنية لكل دولة وحصانة حدودها ووحدة أراضيها وسلامتها وحل الخلافات بالطرق السلمية وعدم استخدام القوة أوالتدخل في الشؤون الداخلية للدول وإحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية بما فيها حرية التفكير والمعتقدات والمساواة بين الدول وحق الشعوب في تقرير مصيرها وترسيخ مظاهر التعاون بين الدول وتنفيذ الإلتزامات والتعهدات الدولية بما ينسجم مع ميثاق الأمم المتحدة وأحكام القانون الدولي. وطالبت الوثيقة أيضا بضرورة العمل على نزع عام وشامل للسلاح وتوفير رقابة دولية فعّالة لتحقيق ذلك، كما أكّدت وثيقة هلسنكي على ضرورة الربط بين الأمن السياسي والعسكري. وبين أمن كل دولة من دول المؤتمر وأمن القارة الأوروبية وغيرها من المبادئ الأخرى(٧٦).

هكذا كانت وثيقة هلسنكي بداية مرحلة جديدة للعلاقات بين الشرق والغرب، كان من ثمارها كما يرى بعض المحللين تقويض الإتحاد السوفيتي في مرحلة لاحقة حيث كان يراه الغرب مصدر تهديد لغرب أوروبا من خلال منظومته العسكرية المسماة حلف وارسو. ويرى بعض المراقبين أن روسيا تنظر الى وثيقة هلسنكي الموقعة في الأول من أغسطس ١٩٧٥، على أنها كانت وبالا على الإتحاد السوفيتي قوضته بعد أن ظل يلعب دورا كبيرا في ميزان القوى لأكثر من ٧ عقود. إذ سقطت الإمبراطورية السوفيتية بعد عقد ونصف العقد من إعلان هلسنكي، فالوثيقة التي حرصت على تأكيد الحريات وحقوق الإنسان ساهمت في تجميع أوروبا بشطريها ولعبت دورا مهما في تمزيق الإتحاد السوفيتي فقد كان الهدف من المعاهدة في السياسة الأمريكية هوإمكانية حصول طلاق بين الإتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية، ونجحت بهذا العمل لأنها وضعت الحجر الأساس لكل التغيرات التي حدثت من بعد والتي أدت لإنهيار الإتحاد السوفيتي الذي أحاط نفسه بجدار حديدي عن العالم. لكن المعاهدة فرضت عليه الإنفتاح على العالم الراسمالي وأصبحت حرية الإنتقال بين الشرق والغرب نافذة المفعول بعد توقيع الإتفاقية المذكورة.

٧٦-منذر محمد، مبادئ في العلاقات الدولية ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ٢٠٠٢،ص٢٧١-٢٧٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد أطلع الشرق على ماوصل اليه الغرب من تقدم من الناحية العلمية والتكنولوجية والإقتصادية مما أثر كثيرا على الأوضاع بعد ذلك حيث كانت تجري المقارنات بين الغرب والشرق، يروي الدكتور مراد غالب أنهم قابلوا اندربوف عام ١٩٦٦ فذكر لهم بأن الأمور في زمن ستالين كانت أسهل حيث كانوا يضعون ميكروفونات في البيوت ليخبروهم أنهم يعيشون أفضل من غيرهم بالكثير من دول العالم. أما بعد الحرب العالمية الثانية ودخول جهاز الراديو الى البيوت لم يعد بالإمكان خداع الناس السوفيت واستطرد اندربوف، وعندما يحصلون على التلفزيون سيكون الوضع أصعب . كذلك استخدمت الولايات المتحدة اسلوب العقوبات الإقتصادية للبلدان التي لا تلتزم بحقوق الإنسان لكي تجبر الإتحاد السوفيتي الإنفتاح على الغرب، وبهذا نستنتج مدى الأثر الذي خلقته معاهدة هلسنكي التي فسحت المجال لمواطني للدول الإشتراكية بالإطلاع على نمط الحياة في الغرب، بحيث أن الكثير منهم فضل الرحيل والعيش في الدول الغربية. كما لعب الإعلام الغربي دورا بارزا في في سياق تلك المرحلة فالعالم لم يعد قرية صغيرة كما نعته مارشال ماكلوهان وليستربيترسون إنطلاقا من دور جهاز المذياع الصغير بل بالإعلام كأنظمة وهياكل ولغة يقوم منذ زمن بتشكيل العالم كمفهوم ورؤية وإتجاهات ومدركات نفسية، أيْ أن الإعلام المرئي والمسموع والمقروء صانع ثورات هادئة وأداة تخليق لمنظورات، والأهم أداة هدم وتفكيك للثقافات ونظم الأفكار خارج النظام الرأسمالي والليبرالى الغربى وداخله أيضا. والأخطر إذا جاز استخدام هذا الوصف تدويل النظام الرأسمالي بعد الحديث لكي يعيد صياغة العالم على مثاله. إن هذا الدور ساهم في تحطيم دور الأجهزة الآيديولوجية السوفيتية في مراحل وهنها الكبير، وساهم في تسريع عملية الإنهيار كانت هذه العوامل في الماضي تمثل عاملا مساعدا ومنشطا وتحولت الى عامل هام مع تطور التكنولوجيا، والإعلام والسيطرة العسكرية ..الخ ، ومع صعود سلطتي الإعلام والمعلومات تحولت لدور مركزي في تفسير التحولات الداخلية في نظم ومجتمعات الدول المختلفة (٧٧). لقد استغلت الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الظرف الجديد وبدات حملة دعاية مكثفة ومظللة لتبيان حسنات النظام الرأسمالي وعرضه بأجمل وأبهى الأوضاع وفي ذات الوقت شن حملة دعاية مضادة ضد الأوضاع في الإتحاد السوفيتي ، الأمر الذي جعل شبيبة الدول الإشتراكية تعيش حالة الإنبهاربالأنموذج الراسمالي و تتطلع الى تغيير النظم الإشتراكية على غرار الأنظمة الراسمالية. من جانب آخر سعت الولايات المتحدة الأمريكية بربط المساعدات الإقتصادية للإتحاد السوفيتي بمدى إلتزامه بحقوق الإنسان باعتباره مبدا هام من مبادئ معاهدة هلسنكي . ولذلك يردد البعض القول ان الرئيس الروسي ميدفيديف يطالب الآن بتأسيس بنية أمن أوروبية جديدة بدلا من حلف شمال الاطلسي (الناتو) .. .كما يقترح توقيع معاهدة بديلة عن معاهدة هلسنكي. زد على ذلك الدور الذي لعبته المخابرات الأمريكية المركزية في تجنيد العديد من المثقفين في مختلف انحاء العالم للإسهام في الحرب الباردة ضد السوفيت والشيوعية ولخدمة أهداف الرأسمالية الأمريكية وسيطرتها ، وانفقت ملايين الدولارات في هذا السبيل .. وقد عرف العالم العربي العديد من المؤسسات الثقافية منها المرتبطة بمؤسسة فرانكلين الأمريكية ومنظمة الحرية الثقافية، التي ترعاها المخابرات الامريكية والتي مولت إصدار مجلة (حوار) الصادرة في بيروت خلال الستينات والسبعينات، وقد فضحت الأقلام التقدمية اللبنانية في حينه هذه النشاطات الثقافية بالوثائق والجدل الفكري السياسي.(٧٨)

٧٧- مجموعة مؤلفين ، انهيار الاتحاد السوفيتي واثره على الوطن العربي (ندوه)، مركز الدراسات الاستراتيجية ١٩٩٢.

٧٨ - مضيه سعيد ، مجلة الطريق اللبنانية ، العدد السادس،٢٠٠٢، ص ٦٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرع الثاني - النزاع السوفيتي الصيني

إن نقطة التحول في علاقات الصين بالإتحاد السوفيتي وبذور النزاع الآيديولوجي وجدناها في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي ١٤ ـ ٢٥ فبراير ١٩٥٦ . فقد كشفت الوثائق الصينية فيما بعد قد كان لهم تحفظات منذ البداية حول المسائل التي عالجها خروتشوف وأن المؤتمر كان له جوانبه الإيجابية والسلبية. كما ناقش مقالا نشر في جريدة الشعب الصينية في ٥ أبريل سنة ١٩٥٦ إدانة عبادة الشخصية واعتبر أن ستالين " كان له قراراته الخاطئة حول عدة مسائل هامة والتي أدّت الى نتائج خطيرة كما أنه قد قدم عدة نصائح خاطئة عن الحركة الشيوعية الدولية وبشكل خاص اتخذ قرارا خاطئا حول مسألة يوغسلافيا " إلا أن الحكم عليه في النهاية كان متوازيا فأعتبر المقال انه " من الخطأ الظنّ أن ستالين كان مخطئا في كل شيء "(٧٩). إلا أن إنفجار الصراع وتحوله الى صراع علني قد تمّ في المؤتمر الثاني للأحزاب الشيوعية الذي عقد في عام ١٩٦٠ في موسكو ومنذ ذلك التأريخ بدا كل من الإتحاد السوفيتي والصين بممارسة الضغط على الأحزاب الشيوعية للإنضمام اليه وصولا لإحداث انقسامات في بعض الأحزاب حيث امكن ذلك. كان الخلاف في الأساس بين ما وتسي تونغ وخروشوف حول قيادة الحركة الشيوعية العالمية وحول الخط الواجب إتباعه في بناء الإشتراكية على صعيد كل بلد وعلى الصعيد العالمي ، وحول السياسة التي يجب اتباعها في مواجهة معسكر الرأسمالية والإمبريالية وبالأخص حول فكرة ومفهوم التعايش السلمي بين النظامين الإشتراكي والرأسمالي الذي كان يدعو له السوفيت وحول جدوى مخاطر هذا التعايش على النظام الإشتراكي وعلى حركة التحرر الوطني من وجهة نظر الصينيين. وقد جرى ذلك في أعقاب المؤتمر العشرين المشار اليه وبعد أحداث المجر وهما الحدثان اللذان جاء أحدهما لينقض الآخر فقد كان التدخل السوفيتي العسكري في المجر ضد الحركة الإنقلابية الفاشية الطابع مناقضا لمبدأ عدم التدخل في شؤون البلدان الإشتراكية الاخرى. وكان ماوتسي تونغ يعتبر خروتشوف حديث العهد في القيادة وأنه أقل كفاءة منه. وكان يرى في الإصلاحات التي أدخلها خروتشوف على التجربة الإشتراكية في النظرية والممارسة وهو ماعبرت عنه مقررات المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي خروجا عن الطريق والفهم الصحيحين لافكار ماركس، أما ماوتسي تونغ فكان يعتبر نفسه أكثر امانة للأفكارالإشتراكية، وكان يعتقد أنه أحق بزعامة الحركة الشيوعية العالمية من خروتشوف، إضافة الى ذلك فماوتسي تونغ لم يكن يرى في تعدد نماذج الإشتراكية إلا مايتفق مع الطريق الذي اختارته الصين لهذا الإنتقال . ولم يكن الإنتقال السلمي عن طريق البرلمان مايتفق مع الطريق الصيني من التحفظات، ويرى البعض أن تفاقم الخلاف وتحوله الى انقسام خطير في الحركة الشيوعية العالمية يعود الى سوسلوف الذي نشر مقالا كبيرا في المجلة النظرية للحزب الشيوعي السوفيتي كرسه للهجوم على القيادة الصينية بإسم أفكار ماركس ودفاعا عنها وأعادت نشره صحافة الأحزاب الشيوعية وصدر في كراس وزع على نطاق واسع في العالم . وهكذا جرى تقسيم الحركة الشيوعية وافتعال الصدام والصراع داخلها عالميا وداخل الأحزاب الشيوعية. وقد اتخذ النزاع السوفيتي الصيني شكلا خطيرا حين تحول من الحرب الكلامية والجدل الآيديولوجي الى اصطدام ونزاع مسلح على الحدود عام ١٩٦٩. وقد أسهم النزاع الصيني السوفيتي في تردي الإقتصاد السوفيتي. حيث بدأ النزاع على مستوى الدولة في العام ١٩٦٩، وكان مركزه الحدود الممتدة زهاء أربعة آلاف ميل رسمت بشكل عشوائي بموجب معاهدات القرن التاسع عشر حين كانت الصين ضعيفة، إذ حدثت صدامات عسكرية وبما يقارب خمس عشرة مرة

٧٩- السيد امين شلبي ، الوفاق الامريكي السوفيتي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٨١،ص١١١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بين قوات الطرفين من آذار إلى آب ١٩٦٩، فتطلب ذاك النزاع إنفاق الإتحاد السوفيتي أكثر من (٢٠٠) مليار روبل لإقامة البنية الإستراتيجية على طول تلك الحدود(٨٠). وهكذا تحمل الإقتصاد السوفيتي العبء الرئيس في توفير الأساس المادي لتنفيذ سياسة الدولة الخارجية وحماية مصالحها سواء أكانت إقتصادية أم غير ذلك، فكان عليه أن يضمن توفير قاعدة واسعة من الصناعات العسكرية ،وتوفير الموارد اللازمة للإنفاق الضخم. هذا فضلا عن إنقسام الشيوعية وخروج الصين من الإتحاد السوفيتي قد أضرّ الشيوعية بشكل عام والسوفيت بشكل خاص، فتشتت وتشرذم الحركة الثورية قد أفضى لإضعافها كما قوى جبهة القوى المضادة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

إعادة بناء السياسة الخارجية وإنعكاساتها على الوضع الدولي والعربي

لعقود طويلة ظلت الماركسية تمثل الإطار المرجعي للسياسة الخارجية، حتى حتى تسلّم غورباتشوف السلطة منتصف الثمانينات فقناعته كانت بأن خطوط السياسة الخارجية للإتحاد السوفيتي قد حملته حملا أكثرمن قدراته الإقتصادية، ومن ثم فإن اصلاحا جوهريا داخليا أصبح مطلوبا على الصعيدين الإقتصادي والسياسي وهذا الإصلاح لايمكن أن يتم في ظل تشنج دولي ظاهر في الحرب الباردة، من هنا كانت سياسة (غورباتشوف) تقضي بتقصير خطوطه الخارجية لأقصى مايستطيع، والإنسحاب من المواقع التي يستطيع أن ينسحب منها دون أن يفقد هيبته ومكانته. وما أن حلّ موعد انعقاد قمة (جنيف) في تشرين ثاني_نوفمبر من العام ١٩٨٥ بين الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي أقدم ألأخير على خطواته التراجعية قبالة الولايات المتحدة وطرح برنامجا متكاملا لإعادة بناء السياسة الخارجية فيما عرف بالتفكيرالسياسي الجديد والذي استخدم كغطاء آيديولوجي للتراجع على الصعيد الدولي (٨١) . فماهو المقصود بالتفكير السياسي الجديد ؟

المطلب الاول – التفكير السياسي الجديد

إنطلق التفكير الجديد لغورباتشوف في مجال السياسة الخارجية من مجموعة من المبادئ التي مثلت إعادة تكييف العلاقات مع الولايات المتحدة والغرب على أساس المشاركة والتعاون بدلا عن الصراع فما هي هذه المبادئ ؟

١ ـ توازن المصالح كان أول تجديد هو تصريح غورباتشوف القائل على النقيض من أولوية الصراع الطبقي الذي كان سائدا حتى ذلك الوقت، بأن المصالح المشتركة للبشرية ينبغي أن تعلو على الإختلافات بين الأنظمة الإجتماعية والسياسية. و لم ينف غورباتشوف أن عددا من عناصر الصراع مازالت قائمة فانه أكّد بقدر أشد بكثيرعلى المصالح العامة البشرية وعلى الأخطار المشتركة التي تواجهها ، من الحرب النووية الى تردي البيئة وإعترف غورباتشوف بأن الصراع الطبقي كان دائما أساس النظرة الماركسية في السياسة، ولكن ظهور الأسلحة النووية غير ذلك. فمع ظهور أسلحة الدمار الجماعي أي الدمار الشامل نشأت حدود موضوعية للمجابهة الطبقية على الساحة الدولية، هو خطر الدمار الشامل وظهرت مصلحة مشتركة، هي إنقاذ البشرية من الكارثة(٨٢). وهكذا عمل غورباتشوف على نفي قضية أساسية في الماركسية ألا وهي قضية الصراع الطبقي بين أنظمة اجتماعية مختلفة. فإذا علمنا أن قانون الصراع الطبقي هو القانون الأساسي في التطورالإجتماعي، فنفي هذا القانون يعني مهادنة الإمبريالية والتخلي عن أهداف التطور والتقدم الإجتماعي .

٢ : ـ الإعتماد المتبادل رأى غورباتشوف أن النظام الدولي ينقسم إلى ثلاثة عوالم أساسية وهي،العالم الراسمالي والعالم الإشتراكي وعالم الدول النامية، فرغم التنوع والإختلاف بين تلك العوالم فهناك اتجاه متزايد نحو الإعتماد المتبادل بين الدول. (لقد رأينا القضية الرئيسية، الميل المتزايد نحو الإعتماد

٨٠ـ فضه محمد ابراهيم ، مشكلات العلاقات الدولية ، شركة المطابع النموذجية ، الطبعة الاولى ، عمان ، ١٩٨٢، ص ٧٨

٨١ـ الوثيقة الفكرية ، مصدرسابق ، الصفحة بلا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المتبادل بين دول المجتمع الدولي. هكذا هو ديالكتيك التطور في الوقت الحاضر فالعالم المتناقض المتنوع إجتماعيا وسياسيا لكنه مع ذلك فهو عالم مترابط ومتكامل إلى حد كبير، يتكون بصعوبات جمة وكأنه يتلمس طريقه عبر صراع بين اضداد. وهنا نرى إعتمادنا المتبادل تكامل العالم والحاجة الماسة لتضافر جهود البشرية لأجل الحفاظ على نفسها، لأجل خيرها اليوم وغدا وفي كل زمان(٨٣). زد على ذلك أن هذا المصطلح يذهب إلى أن التفاعل الإقتصادي والآيديولوجي والإجتماعي يحل بصورة متزايدة محل المنافسة العسكرية على الطريقة القديمة بين الدول، ونموّ تلك الروابط غير العسكرية يقلل مخاطر المجابهة العسكرية. لكن وقائع التأريخ قد دحضت هذه الفكرة، على سبيل المثال الحرب العالمية الأولى التي شاركت فيها دول كانت تتعاطى التجارة والإستثمار بنشاط بين بعضها البعض. وعلى الشاكلة نفسها كان إيمان كارتر بالآثار النافعة للتجارة قد أعقبه إندلاع الحرب الباردة الثانية ، حين أصبحت العلاقات الإقتصادية بين الشرق والغرب ، نفسها أداة في خدمة الإستراتيجية . فبدلا من استخدامها لأغراض المنفعة المتبادلة سعت الولايات المتحدة لفرض قيود على التجارة مع الإتحاد السوفيتي وبالتالي إضعافه بمثل تلك المقاطعة وكذلك دفع موسكو لسباق تسلح كانت أقل قدرة على تحمل أعبائه من الولايات المتحدة. والخلاصة أن الكثيرين يرون أن مفهوم الإعتماد المتبادل يصح الى حد بعيد على وصف العلاقات بين بلدان متطورة ذات سمات اجتماعية سياسية متماثلة.

٣: ـ نبذ الحرب رأى غورباتشوف أن القدرة التدميرية الرهيبة للأسلحة النووية تفرض على دول العالم العيش معا في سلام ونبذ الحرب رغم الخلافات والإختلافات بينها حيث أن اللجوء للحرب يعني فناء العالم. وقد تمّ بالفعل حذف النص الذي يعترف نظريا بإمكانية نشوب حرب عالمية من برنامج الحزب الشيوعي وذلك في المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي فهو لاينسجم مع توجهات السياسة السوفيتية الجديدة. حيث أسقط من البرنامج الجديد العبارة التالية (إذا تجرأ الإمبرياليون العدوانيون على شنّ الحرب العالمية جديدة فإن الشعوب لن تواصل إحتمال هذا وسترد لهم حربهم(٨٤)

٤ـ الأمن كلٌّ لايتجزا.. أكّدت البيريسترويكا على ضرورة الإعتراف ببديهية بسيطة مفادها أن الأمن كلّ واحد لايتجزأ وهو يمكنه أن يكون متساويا فقط للجميع أولايكون اطلاقا. ويقوم أساسه المتين والوحيد على الإعتراف بمصالح سائر الشعوب والدول والمساواة فيما بينها في الحياة الدولية. ان هذه الرؤية تعني ابعاد أو تغييب للصراع الآيديولوجي بين المعسكرين وتؤكد في الوقت نفسه عدم خضوع السياسة الخارجية لهذا الصراع (لايجوز نقل الخلافات الآيديولوجية الى مجال العلاقات بين الدول وإخضاع السياسة الخارجية لها، فالآيداوجيون مختلفون، وأما مصلحة البقاء ودرء الحرب فهي شاملة وهي الأسمى كما يقول غورباتشوف(٨٥)، بتعبير آخر لقد طرح سياسته الجديدة بصيغة مظللة، لأن خلف خطابه الإنساني سعى لتفريغ الماركسية من محتواها الثوري الإنساني حينما ألغى الصراعين الآيدلوجي والطبقي وهذا الإلغاء قد رافقه تنازلات كبيرة من جانب واحد قادت النهاية إلى التعجيل بإنهيارالمنظومة الإشتراكية وما رافقها من تطورات دراماتيكية، انعكست على العالم أجمع.

٨٢ـهاليدي فريد ،نهاية الحرب الباردة والعالم الثالث ،ت عبدالاله النعيمي ، صحارى للصحافة والنشر ، بودابست ،١٩٩٣،ص١٥٥

٨٣ـ هاليدي فريد ، نفس المصدر ، ص١٥٦.

٨٤ـ غورباتشوف ميخائيل ، مصدر سابق ، ص ,١٥٣

٨٥ ـ نفس المصدر ، ص ١٤٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني - التوجهات العملية للسياسة الخارجية الجديدة

في إطار المبادئ والمفاهيم السابقة قام غورباتشوف برسم الخطوط الرئيسية للسياسة الجديدة على أرض الواقع وسنحاول عرضها بشيء من التفصيل كي نوضح مقدار بعدها عن المبادئ الأساسية التي قامت على أساسها ثورة أكتوبر الإشتراكية والدولة السوفيتية .

الفرع الأول - على الصعيد الدولي

١ : - العلاقة مع الولايات المتحدة

في المؤتمر ال٢٧ عام ١٩٨٦ للحزب الشيوعي السوفيتي طرح غورباتشوف برنامج نظام شامل للأمن الدولي في الميدان العسكري والسياسي والإقتصادي والإنساني .

على الصعيد العسكري ركّز على تخلي الدول النووية عن الحرب فيما بينها او ضد دولة ثالثة سواء اكانت حربا نووية منها ام تقليدية . وتصفية السلاح النووي بالكامل وحظر السلاح الكيمياوي وتدميره والتخلي عن صنع وسائل أخرى للإبادة الجماعية، كما تضمن التخفيض المراقب في نسب القدرات العسكرية للأول حتى حدود الكفاية المعقولة وكذلك حل التكتلات العسكرية وكخطوة في الإتجاه نحو الحل – التخلي عن توسيعها وعن تشكيل الجديدة منها وأخيرا التخفيض المتناسب والمعتدل في الميزانيات العسكرية .

- في المجال السياسي ، احترام حق كل شعب في اختيار طريق تطوره واشكاله على أساس السيادة ، والالتزام بمبدأ التسوية السلمية السياسية العادلة للازمات الدولية ، وصياغة مجموعة من الاجراءات الكفيلة بتعزيز الثقة بين الدول وخلق الضمانات الفعالة لسلامة الحدود ، و اخيرا اتخاذ الاحترازات الفعالة لدرء الارهاب الدولي بما في ذلك تأمين استخدام المواصلات الدولية البرية والجوية والبحرية .

- أما في المجال الإقتصادي فقد اكّد على ضرورة استبعاد كلّ أشكال التمييز في التعامل الدولي ونبذ سياسة العقوبات الإقتصادية باستثناء ماتنص عليه توصيات المجتمع الدولي، والبحث المشترك لمعالجة مشكلة الديون بشكل عادل وإقامة نظام اقتصادي عالمي جديد يضمن الأمن الإقتصادي المتساوي لكافة الدول، وأخيرا توحيد الجهود في دراسة الفضاء واستخدامه سلميا وحل القضايا الشاملة التي تتعلق بها مصائر الحضارة .

وفي المجال الإنساني أكّد التقرير على ضرورة التعاون في نشر أفكارالسلام ونزع السلاح، والأمن الدولي وتعزيز روح التفاهم المتبادل والوفاق في العلاقات الدولية. وكذلك تعزيز أشكال التعاون الجديدة في مجالات الثقافة والفنون والعلوم والتعليم والطب. (٨٦)

وقد سعى غورباتشوف لترجمة هذه التوجهات لسياسات فعلية. فمن ناحية نجحت لقاءات القمة بين غورباتشوف ونظيره الأمريكي في فتح قناة اتصال مباشرة وتنشيط الحوار بينهما حول مختلف القضايا فتم عقد ثماني لقاءات خلال الفترة بين ١٩٨٥- ١٩٩٠ كان أولها قمة جنيف ١٩-٢٠ نوفمبر ١٩٨٥

٨٦-العقابي علي ، العلاقات الدولية ، الرواد ، بغداد ٢٠١٠، ص ١٠٠- ١٠٢،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكانت نقطة الإنطلاق لتحسين العلاقات السوفيتية الأمريكية وبداية الحوار اللحقيقي بين البلدين. ثم جرت بعد ذلك سلسلة من لقاءات القمة عقدت في ريكيافيك أكتوبر ١٩٨٦، وقمة واشنطن في ديسمبر ١٩٨٧، وقمة موسكو في مايو ١٩٩٠. من ناحية أخرى قام غورباتشوف بإتخاذ مجموعة من الإجراءات على الصعيدين الخارجي والداخلي لتدعيم بناء الثقة بين البلدين من أهمها تهدئة النزاعات الأقليمية وإنهاء المواجهة مع الولايات المتحدة في عدد من بؤر التوتر في دول العالم الثالث . فرأى غورباتشوف أن الثورة في العالم الثالث يجب أن تنبع من داخل هذه الدول ودفع الثورة من الخارج خاصة بالوسائل العسكرية أمر غير مجد. فرأى ذلك لايتلائم مع منطق الماركسية حيث يستشهد بكلام لإنجلز يقول فيه (لاتستطيع البروليتاريا المنتصرة فرض السعادة على شعوب أخرى حتى لاتقوض بذلك إنتصارها)(٨٧). لقد تسترغورباتشوف وراء هذا المنطق لتبرير تنصله عن التضامن مع هذه الشعوب من أجل حريتها والتخلي عن الواجبات الأممية التي وضعها الإتحاد السوفيتي على عاتقه منذ إنتصار ثورة أكتوبر والتي كان لها أثرهافي تحرر العديد من الدول والشعوب والحصول على استقلالها وحريتها . ومن ثم سعى غورباتشوف الى تهدئة المواجهة مع الولايات المتحدة على المستوى الاقليمي . فسعى لاخراج القوات الكوبية من انغولا والقوات الفيتنامية من كمبوديا والضغط على الساندنيستا للسماح بانتخابات حرة في نيكاراغوا ، كما قام بسحب القوات السوفيتية من افغانستان . وأكد أن الإتحاد السوفيتي ليس على إستعداد لمساندة أي صراع عسكري أو التدخل في أي عمليات عسكرية خارج الإتحاد السوفيتي وعلى صعيد السياسة الداخلية قام غورباتشوف بإتخاذ مجموعة من الإجراءات التي أنهت الخلاف بين البلدين وتتعلق بحقوق الإنسان في الإتحاد السوفيتي، ومن تلك الإجراءات السماح بحرية التعبير والتديّن داخل المجتمع السوفيتي، كما سمح بهجرة اليهود لإسرائيل حيث وصل عدد اليهود المهاجرين عام ١٩٨٩ ٧٠٠٠٠ مهاجر. مما كان له آثاره السلبية على القضية الفلسطينية.

كما رأى غورباتشوف أن سباق التسلح هو العقبة الرئيسية التي تعوق التحسن في العلاقات السوفيتية الأمريكية، وأن المصلحة المشتركة الحقيقية بين البلدين تكمن في تجنب المواجهة بينهما وهو مايتطلب وقف سباق التسلح، من هذا المنطلق قام بتقديم العديد من المبادرات في هذا المجال من طرف واحد منها الخاصة بالميدان النووي فأوقف لفترة زمنية محددة تجاربه النووية المعروفة بالموراتوريوم دون أن توقف الولايات المتحدة برنامجها للدفاع الإستراتيجي أو برنامج حرب النجوم . ثم لاحقا قدم الإتحاد السوفيتي تنازلات لم يسبق لها مثيل في مضماري إتلاف الأسلحة والتأكد من التنفيذ متخليا عن مواقع تفاوضية ظل متمسكا بها شطرا كبيرا من السبعينات وبداية الثمانينات كما علقت السياسة السوفيتية الجديدة أهمية أكبر بكثير على مؤسسات دولية مثل الأمم المتحدة بوصفها منبرا لتنفيذ سياسات تخدم مصالح البشرية جمعاء. وهكذا لم يسدد غورباتشوف مساهمة الإتحاد السوفيتي المالية في الأمم المتحدة فحسب بل واقترح العودة إلى النشاطات المنصوص عليها في ميثاق ١٩٤٥ الأصلي الذي دفنته نزاعات الحرب الباردة (٨٨). وقد وجدت بعض المبادرات السوفيتية المنفردة إستجابة من جانب الولايات المتحدة في بعض الجوانب . غير أن الملاحظ أن الفكر السوفيتي الجديد لايقابل بفكر جديد من الولايات المتحدة الأمريكية . وخاصة فيما يتعلق بمبدأ توازن المصالح على الصعيد العالمي . حيث أن توازن القوى ظل هو العامل الرئيسي المحدد للنتائج التي تسفر عنها إدارة الازمات الدولية. وإن الإتجاهات الرئيسية لتطورالنظام الدولي ظلت مقيدة بطبيعة القوى، وصار يزداد إختلالا من ناحية وبالرؤية المتحفظة والمحافظة للولايات المتحدة الأمريكية. كما أن التطورظلّ مركزا على المنظور السلبي أكثر منه على

٨٧-غورباتشوف ميخائيل ، مصدر سابق ،ص ١٥٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنظور الإيجابي. والمقصود بالمنظور السلبي هو تفكيك هياكل الحرب الباردة، أما المنظور الإيجابي الذي تتطلع له الشعوب ، بالأخص شعوب العالم الثالث ، فيتعلق بإنشاء هياكل جديدة جماعية تفسح المجال بمشاركة متوازنة لجميع الأمم كي تتولى تطبيق مبدأ المسؤولية الدولية والجماعية لبناء السلام وصيانة البيئة العالمية و تحقيق التنمية في البلدان الفقيرة والمتخلفة والاستجابة المشروعة الى العدل والمساواة بين الشعوب . ويكمن المنظور السلبي وراء عدد من الازمات الدولية أهمها في عام ١٩٩٠ أزمة الخليج . وقد كشفت هذه الأزمة عن أوجه القصور في تطور النظام الدولي وحدود التوقعات المتفائلة التي سادت في الغرب آنذاك. حول بزوغ نظام دولي جديد من الناحية الأخلاقية والقانونية، غير أن هذه الأزمة قد أشرت عكس ذلك بل أنها دعمت بعض الملامح السلبية في تطورالنظام الدولي خاصة إتسام علاقات القوى بالإختلال الشديد. وقد أثبتت هذه التطورات أنه بدون توازن القوى لايمكن تحقيق توازن المصالح وكان العامل الرئيسي وراء هذه التراجع هو تفاقم المشكلات الإقتصادية والسياسية داخل الإتحاد السوفيتي الأمر الذي دفع القيادة السوفيتية للإقرا بعدم توازن المصالح وضروة إعطاء تنازلات أكبر من أجل إنقاذ الطريق الذي إختارته تلك القيادة.

٢- العلاقة مع أوروبا الغربية

لقد أبدى غورباتشوف إهتماما مبكرا بدول أوربا الغربية حتى قبل تسلمه السلطة وللتدليل على ذلك يمكن أن نشير إلى خطابه أمام مجلس السوفيت الأعلى في فبراير ١٩٨٥ بقوله (يعتبر الإتحاد السوفيتي مسألة تطبيع العلاقات مع الولايات المتحدة أمرا مهما، ولكننا لاننسى للحظة أن العالم ليس محدودا بهذه الدولة فقط . ويصرح في مناسبة أخرى (إن العلاقات بين الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة هي جزء بالغ الأهمية في السياسة الدولية، ولكننا بعيدون عن أن نرى العالم من منظور تلك العلاقات ونحن نفهم وزن الدول الأخرى في الشؤون الدولية ونأخذ ذلك في الإعتبار عند تقييمنا للوضع ككل في العالم(٨٩). وتعكس الجولة الأولى التي قام بها الرئيس السوفيتي غورباتشوف على بعض دول أوربا الغربية بهدف توثيق علاقاته معها مدى إهتمامه بهذه الدول، فكانت فرنسا على رأس الدول التي زارها غورباتشوف عام ١٩٨٥، واستطاع أن يوقع معها عدة اتفاقيات وأن يباحثها بفكرة امكانية بناء (البيت الأوربي المشترك). هذه الفكرة كانت تقوم على تفعيل بعض الأنشطة المختلفة بين دول القارة، إن كان في المجالات العلمية او البيئية او الإعلامية التي كانت واشنطن تعارضها بمعظمها. رأى غورباتشوف أن تحقيق فكرة البيت الأوروبي المشترك تتطلب شرطين أساسيين هما نزع السلاح من أوروبا وتعزيز التعاون الاوربي . لذلك تمحورت السياسة السوفيتية الجديدة إتجاه أوروبا الغربية نحو تحقيق هذين الشرطين. ولكن اتسمت علاقة غورباتشوف بالغرب أيضا بعدم التوازن من خلال إطلاق المبادرات التي تنطوي على تنازلات من جانبه فقط ومن أهم هذه التنازلات هو الموافقة على توحيد المانيا وإنتمائها لحلف شمالي الأطلسي .

٨٨- **هاليدي الفريد ، مصدر سابق ، ص ١٥٦**

89+Webber,Mark the international politics of russia and the successor states new york manchster university press 1996 p 3

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- العلاقة مع أوروبا الشرقية

مثلت أوربا الشرقية منطقة عازلة بين الإتحاد السوفيتي ولمحاولات العدوان عليه من غرب أوربا بواسطة الأسلحة التقليدية أو النووية التكنيكية. من هنا كانت الأهمية الحيوية التي مثلتها منطقة شرق الإتحاد السوفيتي. وسعى هذا الأخير لبسط نفوذه عليها، وحرصه على الهيمنة عليها ولو بإستخدام القوة العسكرية فيما عرف بمبدأ بريجينيف والتي تقضي بحق موسكو في التدخل العسكري لمساندة النظم الإشتراكية ومساعدة أية دولة تواجه الإشتراكية فيها تهديدا.

وقد أدرك غورباتشوف منذ تسلمه لمنصبه كسكرتي أن العلاقات بين موسكو ودول أوربا الشرقية تمر بأزمة ذات أبعاد متعددة، سياسية وإقتصادية وإجتماعية. ورأى ضرورة إعادة هيكلة السياسة الخارجية تجاه دول أوروبا الشرقية بالشكل الذي يؤدي لإستعادة النفوذ السوفيتي في المنطقة وتخفيف العبء الإقتصادي الذي تمثله تلك الدول وقد تجسد ت التوجهات السياسية الجديدة تجاه شرق أوربا من خلال محاولة تفعيل هياكل وآليات التعاون مع دول أوروبا الشرقية. إلا أن التغييرات الجذرية في السياسة الخارجية ترافقت بشكل خاص مع إعلان الغلاسنوست الدولي عام ١٩٨٨. فمن جهة تخلى الإتحاد السوفيتي في عهد غورباتشوف عن الموقف الذي تبناه بريجينيف ولم يكن هذا ينطوي فقط على ردم مبدأ بريجينيف بمعناه الضيق ، وهو المبدأ الذي أعطى الإتحاد السوفيتي حق التدخل عسكريا في الدول الإشتراكية اذا كان نظامها مهددا كما اسلفنا، بل والتخلي عن السياسة الأوسع بين الدول الشيوعية ، سياسة تشجيع البلدان الإشتراكية على محاكاة الإتحاد السوفيتي في نظمها السياسية والإجتماعية الداخلية، واعتنق غورباتشوف مقولة التنوع داخل الحركة الشيوعية بل وقام حتى بتعنيف الأحزاب الشيوعية لإتخاذها موقفا شديد التملق من الإتحاد السوفيتي على حد تعبيره موقفا محلى بالسكر، غير أن غورباتشوف سعى في الوقت ذاته إلى أن يعزف في العلاقات بين الأحزاب والدول الشيوعية نغمة التعامل الموضوعي مع البيريسترويكا نفسها التي دعا لها داخل الإتحاد. ولم يكن هذا يشمل العلاقات بين الأحزاب بحد ذاتها فحسب بل والحياة الداخلية أيضا في هذه البلدان (٩٠). وهكذا كانت هنغاريا أول بلد في أوربا الشرقية يعلن قيام دولة متعددة الأحزاب في عام ١٩٨٨. وكان هناك في البداية مقاومة إعتراضية وخاصة من جانب النخب الشيوعية في المانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا التي أدركت أن البساط يوشك أن يسحب من تحت أقدامها. ولكن الإتحاد السوفيتي أوضح بجلاء أن الأحزاب الشيوعية اللاشعبية لن تتلقى أي دعم بعد الان. وما أن جرت إنتخابات حرة وبإشراف دولي وفي ظل إصلاح دستوري حتى حكم على إحتكار الحزب الشيوعي بالزوال ووقف الحزب يواجه الهزيمة في غالبية المناطق. ولو سمحت موسكو لهذه الأحزاب بإجراء التحولات وتحسين شعبيتها بوقت أبكر لكان من الجائز أن تكون النتائج مختلفة. وهكذا فإعادة هيكلة السياسة الخارجية السوفيتية تجاه دول أوربا الشرقية لم تؤد إلى تفعيل الهياكل التنظيمية القائمة بين هذه الدول وموسكو وتجاوز دولها لأزماتها الإقتصادية والسياسية، وإنما أدّت لإنسلاخ هذه البلدان من العلاقة بموسكو وتحللها من كافة إلتزاماتها تجاهها وتحركها نحو المزيد من الليبرالية السياسية والإندفاع نحو الغرب .

٤- العلاقة مع دول العالم الثالث

لقد استندت إعادة التفكير بالسياسة السوفيتية إزاء العالم الثالث، إلى التغيرات التي كانت تنضج في عهد

٩٠- الشيخ نورهان ، مصدر سابق ص١٢١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بريجنيف وخلفائه المباشرين ولكنها كانت ايضا نتاج التفكير الجديد الأوسع على الساحة الدولية . وكما اسلفنا أنه مثلما كان الإتحاد السوفيتي يحث حلفاءه على السير في طرق اكثر إستقلالية، كان يحفز فيهم أيضا الإستجابة للتطورات الجارية في الإتحاد السوفيتي أن تتعلم من البيريسترويكا وتقوم بإصلاحات في إقتصاداتها وأنظمتها، القضية الأخرى التي أثارها السوفيت هو انصرافهم لترتيب أوضاعهم الداخلية فقط وما على حلفائهم إلا الإعتماد على الذات، وهذا يعني تخلي السوفيت عن التزاماتهم الأممية تجاه الأحزاب والدول الحليفة لهم . وفي ظل الغلاسنوست الدولي أصبح من الممكن توجيه النقد لبعض جوانب السياسة الخارجية في المرحلة البريجينيفية بما فيها مبادرات اتخذت بشان العالم الثالث وزعم أن هناك تشديدا مفرطا على الجانب العسكري على حساب العوامل السياسية وأنه جرى تفويت فرص للحل السلمي والحلول الوسط . وهكذا كانت الموضوعة العاشرة التي تضمنتها قرارات المؤتمر تشكك بمنجزات القادة السياسيين السابقين. هذا الإتجاه نحو مراجعة السياسة الخارجية تضمن رؤية تقول أن الإلتزامات تجاه دول العالم الثالث قد أضّرت بالمصالح السوفيتية على المدى البعيد. والحق أن روح نقد الماضي كانت على نحو بدأ معه وكان مسؤولية الصعوبات التي نشات في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات كانت تقع على عاتق الإتحاد السوفيتي وحده، وبدا أن هناك إحجاما غريبا لدى المسؤولين السوفيت عن رؤية حجم القسط الذي ساهمت به الولايات المتحدة وحلفاؤها في إشعال الحرب الباردة الثانية. كما ذهب إلى ذلك فريد هاليدي(٩١) .

وهكذا فالغلاسنوست الدولي إلى جانب ما أبداه من فروض التقوى إزاء السياسة الغربية كان يتضمن رفض للإلتزامات السوفيتية السابقة ونفي لدور العالم الثالث في تقدم الإشتراكية. والتأكيد على الموضوعة القائلة بأن المصلحة القومية بخلاف التضامن الأممي هي التي ينبغي أن تقرر الإرتباطات الخارجية. وقد اقترح غورباتشوف أربع سياسات لدول العالم الثالث أوردها الباحث فريد هاليدي وهي:

ـ الإبتعاد عن الطرق العسكرية

ـ المصالحة الوطنية

ـ الإنفتاح مجددا على أطراف عديدة

- إعادة تقييم راسمالية العالم الثالث أي اعتماد نظرة أكثر ايجابية الى رأسمالية العالم الثالث .

الفرع الثاني - إنعكاسات سياسة إعادة البناء على الوضع العربي

بداية لابدّ من الإشارة إلى أن الاثار التي طالت بلدان العالم الثالث من إعادة البناء في مجال السياسة الخارجية طالت أيضا البلدان العربية حيث تعد جزءا من العالم الثالث. والجدير بالذكر أن تجربة البناء الإشتراكي في الإتحاد السوفيتي كان لها تأثير بالغ في بناء النظام السياسي في البلدان العربية حيث إتخذت العديد من الدول العربية أنموذج الحكم في الإتحاد السوفيتي، فاعتمدت صيغ حكم شمولية تفتقر لمعالم الديمقراطية السياسية الحقة وتجسدت بسلطة الفرد أو الحزب الواحد القائد. ولكن بعد تبني سياسة

٩١- هاليدي فريد ، مصدر سابق ،ص١٦٠- ١٦١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إعادة البناء منتصف الثمانينات كُشفت سلبيات النظام السوفيتي وإتضح أن التجربة السوفيتية ليست بمنجاة من تراكم الأخطاء التي أصابت الإتحاد السوفيتي لمدة طويلة. ولقد كان لسياسة إعادة البناء والتفكير السياسي الجديد تاثيرات في الوطن العربي على كل الأصعدة الشعبية والرسمية والرسمية والإقتصادية أيضا. ومن المهم هنا الإشارة لإنعكاسات إعادة البناء المتناقضة، فمن جانب قد ساهمت في إنتشار مفاهيم الديمقراطية وحقوق الإنسان وإحترام حرية الأمم والشعوب لخياراتها القومية. ومن الجانب الآخر كان لها نتائج سلبية بالغة الأثر على الصعيد الشعبي والرسمي . فعلى الصعيد الشعبي أصابت بالأحباط فئات واسعة من الجماهير التي كانت تنظر للتجربة الإشتراكية على أنها الأنموذج المحتذى، أما على الصعيد الرسمي فقد كانت نتائج التفكير السياسي الجديد بالغة السلبية على صعد عديدة . فعلى الصعيد السياسي تغيرت أولويات السياسة السوفيتية كما أسلفنا فأصبح التركيز بنسبة عالية على العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية وعلى الأولويات الداخلية، فتراجع حجم الدعم الذي قدّمه السوفيت لصالح البلدان العربية ، وعلى ضوء ذلك فالأصدقاء التقليديين في الوطن العربي للسوفيت قد واجهوا مشاكل كبيرة، فالسوفيت لم يبقوا على اسنادهم وعونهم المعتاد بل حدث إنحسار وتراجع في ذلك العون والإسناد . وإحدى نتائج التغيرات السوفيتية أن العلاقات الدولية شهدت نمطا جديدا من الإعتبارات السياسية تبلورت بأن فكرة الإستقطاب القديمة التي هي من نتائج الحرب العالمية الثانية تغيّرت بشكل جديد والإتحاد السوفيتي بدأ دوره كدولة عظمى يتراجع ، ومردودات ذلك التراجع خلقت تاثيرات متنوعة على الأوضاع الداخلية للوطن العربي. وخصوصا أصدقاء الإتحاد السوفيتي. ففي ظل السياسة الجديدة نجد أن الأقطارالعربية التي تربطها علاقات صداقة مع الإتحاد السوفيتي ستعاني من التغيرات الجديدةعلى أساس أن الاتحادالسوفيتي منشغل بترتيب أموره الداخلية وبالتالي فالوطن العربي يتراجع من دائرة اهتمامه وهذه الظروف منحت الولايات المتحدة فرصة الإنفراد في الزعامة الدولية، بتعبير آخر فالإتحاد السوفيتي لم يعد ذلك المؤيد المستمر للقضايا العربية ، ومن خلال ذلك فأن الأقطار العربية ستواجه زيادة النفوذ الأمريكي على المستويات الدولية والأقليمية . ولذلك تأثير سياسي خطير على الأوضاع السياسية في الوطن العربي ، حيث أن البديهية الثابتة في أن الأمريكان لايسعون إلا لتحقيق مصالحهم ومصالح حليفهم الكيان الصهيوني وهو المستفيد من تلك التطورات الناجمة عن سياسة إعادة البناء . ومن الآثار الأخرى لتلك السياسة هي تراجع الخصوصية العقائدية بين الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، وتلك ستمكن الولايات المتحدة من تحقيق أوسع النفوذ في التحرك السياسي ويسبب فقدان التوازن السياسي والعسكري في المنطقة العربية أن في الأمور السابقة مردودات سلبية على الوطن العربي على شقين أولهما أن الغطاء السوفيتي على الوطن العربي سينسحب ، ويترتب على ذلك عدة تأثيرات سياسية مضرة بالأمن القومي العربي .ثانيهما الأنفراد الأمريكي بالمنطقة العربية ، سيعزز وضع الأقطار العربية التي لها علاقات حسنة مع الولايات المتحدة . أما على الصعيد الإقتصادي فلابد من التأكيد أن الإتحاد السوفيتي كان الطرف الدولي الرئيس الذي يساند اقتصاديا وسياسيا الدول العربية إنطلاقا من التزاماته الأممية التي دأب عليها عقود عديدة ولكن تبني التفكير السياسي الجديد من قبل السوفيت خلق توجهات جديدة فكما أسلفنا فالسوفيت أكّدوا بأنهم سيدعمون حلفاءهم حسب قدرتهم، وعلى الحلفاء الإعتماد على جهودهم الذاتية وهذا يعني التحلل من التزاماتهم الأممية اتجاه الحلفاء ومن ضمنهم الدول العربية. كما حرص السوفيت في علاقاتم الإقتصادية الجديدة مع الدول العربية على تأمين الجانب التجاري أي عامل المنفعة على حساب المساعدات والعلاقات الأممية لذلك فأن حلفاء الإتحاد السوفيتي في المنطقة وخاصة سوريا سيواجهون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صعوبات جمة(٩٢) .من جانب آخر فأن الدول العربية التي تمتلك النفط يمكن أن تستفيد من الصعوبات الإقتصادية للإتحاد السوفيتي حيث أن تراجع صادرات الإتحاد السوفيتي من النفط سيؤدي لإرتفاع السعر العالمي للنفط ومع ذلك فأن مردود ذلك يمكن أن يكون محدودا لإن الاتحاد السوفيتي يتوجه للحصول على الدولة الأكثر رعاية اقتصاديا من الولايات المتحدة . كما أن الدول العربية التي اعتادت أن تحصل على قروض ومساعدات من الدول الغربية سوف يقل حجم مساعداتها حيث أن الدول الغربية سوف تتجه لمساعدة دول أوربا الشرقية. فالتغيرات في أقطار أوربا الشرقية مهدّت أمام القوى الأخرى وخصوصا أوروبا الغربية واليابان ، بتعامل جديد مع أوربا الشرقية وهذا التعامل الجديد يأخذ في صورة انصراف السوق الأوربية المشتركة نحو أوروبا الشرقية. هذا انعكس سلبا في تعامل أوروبا الغربية واليابان مع الدول العربية ودول العلم الثالث بشكل عام . ولكن نتائج السياسة الجديدة يمكن أن تكون لها بعض المزايا الإيجابية، لوحظ ذلك من خلال تحرك الإتحاد السوفيتي لتحقيق الإصلاحات الإقتصادية يتحسس الدور المؤثر الذي يمكن أن تنجزه العلاقات الإقتصادية مع الوطن العربي لإعتبارات سياسية :-

١ ـ غنى الدول العربية بالثروة النفطية وخصوصا في منطقة الخليج العربي .

٢ ـ مايحققه الإتحاد السوفيتي من مصالح اقتصادية مع الأطراف العربية وذلك في التجارة نتيجة لتوفر الأسواق العربية للمنتوجات السوفيتية. ويلاحظ أيضا أن الأسس التي تنطلق منها ثورة التغيير.

الفرع الثالث ـ تاثيرات سياسة إعادة البناء على النزاعات الإقليمية في المنطقة العربية

أحدثت سياسة إعادة البناء تغيرات عديدة في السياسة الخارجية السوفيتية، وكذلك على التوجهات السوفيتية في المنطقة العربية . ولذلك كانت هناك تاثيرات مازالت تتفاعل على النزاعات الإقليمية في الشرق الأوسط وهي النزاع العربي الإسرائيلي والنزاع العراقي الإيراني .

أولا ـ الصراع العربي الإسرائيلي

طيلة الفترة السابقة لحكم غورباتشوف كانت للإتحاد السوفيتي مواقف وسياسات أقرب للأقطار العربية في الصراع مع الكيان الصهيوني، ومع ذلك فالسوفيت لم يكونوا في أية فترة ميالين للحلول المتطرفة. فإقتراحاتهم لحل النزاع العربي الإسرائيلي قد تضمنت مواقف تعزز قضايا الحقوق الفلسطينية ، مثلا إحد بنود مشروع ليونيد بريجنيف في ايلول ١٩٨٢ أكّد على تأمين الحق الثابت للشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره وإقامة دولة مستقلة خاصة به في الأراضي الفلسطينية التي سيتم تحريرها من الإحتلال الصهيوني أي الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة إضافة إلى أن إقتراحات السوفيت في تموز ١٩٨٤ قد تضمنت "اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني " بقيادة غورباتشوف، تقدم في المدى المباشر فرصة أكبر لتعاظم العلاقات الإقتصادية السوفيتية العربية (٩٣) وذلك للأهمية الإقتصادية والإستراتيجية للوطن العربي ولكن بشكل جديد.

٩٢ـ هاليدي فريد، الأزمة في الإتحاد السوفيتي والعالم العربي ، مجلة الباحث العربي العدد ٢٣ لندن نيسان حزيران ١٩٩٠، ص ٢٦

٩٣ـ عبد العليم طه، آفاق العلاقات الإقتصادية العربية السوفيتية، مجلة المستقبل العربي عدد١١٠ السنة العاشرة ص ٧٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكانت النظرة السوفيتية في أهم عامل للتسوية، وهو انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي أحتلت عام ١٩٦٧ وهي الضفة الغربية وقطاع غزة، وعقد مؤتمر دولي برعاية الأمم المتحدة (٩٤). وبعد تبني الإتحاد السوفيتي لسياسة إعادة البناء منذعام ١٩٨٥، حدثت تطورات جديدة في السياسة السوفيتية اتجاه النزاعات الإقليمية ومنها النزاع العربي الإسرائيلي وتتفاعل تلك التطورات في مواقف جديدة للسوفيت إزاء ذلك النزاع. تتلخص في أن النزاعات الإقليمية ينبغي أن لا تستخدم في إثارة مواجهة بين القوتين الكبيرتين وكذلك أن السوفيت يعتمدون مبدأ أساسيا إزاء قضايا العالم الثالث ومشاكله، والقاضي بتسوية مختلف النزاعات الإقليمية بما فيها أزمة الصراع العربي الإسرائيلي عن طريق الوسائل السلمية.

إن المبدأ السابق محتواه الحقيقي يتضمن عدم تأييد السوفيت للحلول العنيفة أي الحل العسكري ، وكذلك يحتوي مسألة أخرى ، هي أن الوسائل السلمية لاتشمل أنموذجا معينا ومحددا للتسويات بل هناك تعددا في ذلك، ومنها مشاركة أطراف دولية أخرى من خلال المؤتمرات الدولية . بالإضافة لذلك فأن الإتحاد السوفيتي ينظر لمسالة الأمن والإستقرار في الشرق الأوسط على انها كلّ لايتجزء، وأن الصراع العربي الإسرائيلي هو المشكلة الرئيسية في عدم الإستقرار في المنطقة ، وأن التسوية السلمية لهذا الصراع هي من أهداف الإتحاد السوفيتي الرئيسية في المنطقة. وبالنسبة لأهداف السوفيت في حل المشكلات الإقليمية هي محاولة كسر حدة الجمود في الصراعات الدولية ومن أجل تخفيف التوتر بين الشرق والغرب ، وكذلك تمكين الإتحاد السوفيتي من التركيز بشكل أكبر على المشكلات الداخلية التي تعصف به وتدخله مرحلة حرجة من تأريخه المعاصر. ولقد سعى الإتحاد السوفيتي لإقامة صلات مختلفة مع الكيان الصهيوني ، ولكن رغم ذلك فالإتحاد السوفيتي مازال يطالب بالدعوة لعقد مؤتمر دولي بخصوص النزاع العربي الصهيوني ، كذلك فالسوفيت استمروا بإتهام الكيان الصهيوني بأنه يضع عقبات إضافية على هذا الطريق اذ يرفض ذلك الكيان المؤتمر الدولي. وهناك مسألة أساسية أن الإتحاد السوفيتي قد تبنى موقف الحد الأدنى اتجاه الصراع العربي الإسرائيلي وقضايا الشرق الأوسط . ويتمثل ذاك الحد الأدنى من خلال السعي السوفيتي لتحقيق التوازن بين المصالح العربية والمصالح الإسرائيلية وليس الإنحياز الى أي منهما.

ثانيا ـــ النزاع العراقي الإيراني

تمثل منطقة الخليج العربي أهمية استثنائية بالنسبة للأمن القومي السوفيتي، ذلك لإفتقار وجود المنافذ السوفيتية مقابل المياه الدافئة. فإيران هي الدولة الوحيدة العازلة ما بين الخليج العربي والإتحاد السوفيتي، مما أثر ذلك على العلاقات السوفيتية الإيرانية ومع وجود الجمهوريات الإسلامية في الجنوب السوفيتي. وبهذا فنلاحظ أن الموقف السوفيتي من الحرب العراقية الإيرانية تميز بالحذر والترقب والحيادية، واتخذت موسكو سياسة محورها الإبقاء على الجسور المفتوحة بينها وبين أطراف الحرب ولقد كان الإتحاد السوفيتي يجد في أى انتصار عسكري لإيران على العـراق، بمثابة خطوة مهمة على طريق إقامة إيران قوية، مما يتعارض مع مبادئ الأمن القومي السوفيتي الثابتة والتي تتضمن منع قيام أية دولة قوية على حدودهم الجنوبيـة، كما يتعارض هـذا الأمـر مع تحقيق هدفهم بإقامة منطقة أمن جنوبية، تمتد من افغانستان حتى سوريا، مما يجعل إطلالتهم على المياه الدافئة مجرد تحصيل حاصل. وكان الموقف السوفيتي السلبي من العراق في الأعوام الأولى من الحرب قد وجدت فيها فرصة تحول ا لأنظار بشكل أو

---

٩٤ ـ ميدزه فياتشيسلاف كاتا ، كامب ديفيد من الذي كسب ومن الذي خسر ، وكالة نوفوستي للنشر ، موسكو، ص٦٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بآخر عن التدخل السوفيتي في افغانستان(٩٥) . بالإضافة إلى ذلك محاولة للسوفيت لمعارضة المد الإيراني بإتجاه الجمهوريات السوفيتية المسلمة في الوقت نفسه قد لاحظنا وجود تأثيرات لسياسة إعادة البناء على النزاع بين العراق وإيران ويمكن تحديد تلك التأثيرات بما يلي:

أولا ـ يترتب على عاملي الجوار الجغرافي بين إيران والإتحاد السوفيتي ووجود الجمهوريات الإسلامية في الجنوب السوفيتي، بأن السوفيت لا يسعون إلى تدهور وإضعاف علاقتهم مع ايران، وإنما يعملون لتحسين تلك العلاقة. فالإتحاد السوفيتي بسعيه السابق الذكر، يعطي دفعا سياسيا لإيران في مفاوضاتها مع العراق .

ثانيا ـ وهذا لايعني أن السوفيت سوف يتخلون عن العراق، وذلك لأهميته في الحسابات السياسية والإستراتيجية للإتحاد السوفيتي . ويمكن القول أن الإتحاد السوفيتي كان يتحرك بإتجاه العراق وإيران في موازنة معينة لكي لا يفقد أحد منهما ولهذا يهم السوفيت إبقاء الطرق مفتوحة للجانبين.

تلخيصا يمكن القول أن أهم المتغيرات في السياسة الخارجية هي كالآتي:

١ ـ مبدأ عدم المواجهة مع الولايات المتحدة .

٢ـ مبدأ العمل على حل المشكلات الدولية عن طريق الشرعية، ومن خلال الأمم المتحدة .

٣ ـ إلغاء العامل الآيديولوجي من السياسة الخارجية السوفيتية تجاه العالم وسيادة البرجماتية، فظهر مبدأ توازن المصالح .

٤ : ـ لم تعد الحرب ظاهرة طبقية اجتماعية ترتبط بمرحلة معينة من مراحل تطور المجتمع الطبقي بل هي ظاهرة سياسية من الممكن أن تحدث في أي وقت ولأسباب عدة، :ان تكون عرقية ودينية وأثنية ونتيجة لخلافات الدول على القوة والمصالح .

٥ : ـ لم تعد القوة الرأسمالية بحاجة ماسة لإشعال الحروب لتحقيق السيطرة العالمية فهناك وسائل أخرى لتحقيق هذا الغرض كالوسائل الإقتصادية والمعلوماتية والتحكم في انتاج التكنولوجياالرائدة والهيمنة على قرارات مجلس الأمن في مسائل التسلح ونزع السلاح ومكافحة الجريمة والإرهاب الدوليين واحتواء الدول التي تعدها الرأسمالية خارجة عن القانون والشرعية الدوليين بإجراءات سياسية وإقتصادية وإعتماد القيم الغربية في التطور السياسي والإقتصادي كأساس لتحقيق التنمية وتقدم المساعدات الإقتصادية والمالية للدول الفقيرة ومعنى ذلك، أن الفكر الاستراتيجي الروسي أخذ يسقط عن الرأسمالية تهمة شنّ الحروب العدوانية

٦ : ـ لم تعد التهديدات الموجهة للأمن والمصالح القومية الروسية متأتية من احتمالات خوض روسيا حرب كونية مع الغرب لأن الأخير لم يعد عدوا فعليا وإنما خطرا محتملا وهذه الإحتمالية متأتية من محاولات بعض القوى الغربية كالولايات المتحدة الأمريكية لإضعاف مكانة روسيا الدولية سياسيا .

٩٥ـ محمد علي سبتي ، دراسات في الحرب العراقية الايرانية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٧، ص١٠٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا- حرب الخليج الثانية وتأثيراتها على الإتحاد السوفيتي

من المؤكد أن كارثة الخليج الثانية التي انفجرت في الثاني من اغسطس عام ١٩٩٠ أثر احتلال العراق لدولة الكويت، وماترتب على ذلك من تداعيات معروفة، قد شكلت إحدى العلامات الفارقة على الصعيدين العربي والدولي، وذلك نظرا لعمق وكثافة التأثيرات التي أفرزتها الكارثة، والتي كان لها انعكاساتها المباشرة وغير المباشرة على تطور النظام العربي والنظام الدولي من ناحية أخرى .

لقد شكلت الكارثة وتوابعها أحد المحاور الأساسية للتفاعلات العربية - العربية والعربية - الدولية منذ مطلع التسعينيات خاصة أنها أوجدت انقساما حادا وغير مسبوق في الصف العربي ، مما كان له تأثيراته السلبية الحادة على النظام العربي وما يمثله من توجهات ومفاهيم مثل العروبة والأمن القومي العربي والعمل العربي المشترك والمصالح العربية العليا بل أن وجود النظام العربي ذاته أصبح مهددا حيث راح البعض يجاهر بماوصفه خرافة النظام العربي وبصرف النظر عن الجدال المستمر منذ سنوات حول وجود نظام عربي من الناحية الواقعية أوعدم وجوده، فأزمة الخليج قد أدّت إلى تفكك هذا النظام حتى على المستوى النظري، فانقسمت الدول العربية الى ثلاثة محاور مؤيدة ومعارضة ومتحفظة تجاه الغزو العراقي للكويت وتداعت آثار هذا الانقسام بعد ذلك لتؤدي إلى انهيار مفهوم الأمن القومي العربي ومضمونه، وهو ما اتضح من عدة تطورات جرت خلال عام ١٩٩١. وأدّت الكارثة ضمن ما أدت الى تدعيم النفوذ السياسي للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة فضلا عن زيادة نفوذها العسكري مما جعل معادلة الأمن في الخليج أمريكية، حيث أصبح الدورالأمريكي الذي كرّسته وأقرته إتفاقيات وترتيبات أمنية وعسكرية يمثل الخيار الأول بالنسبة لدول مجلس التعاون الخليجي في هذا المجال كما كانت الحرب بمثابة الضربة القاضية للإتحاد السوفيتي في أيامه الأخيرة، بتحسيسه العجز عن القيام بأي شيء لأصدقائه في المنطقة، أولئك الأصدقاء الذين حاول عن طريقهم النفاذ إليها باعتبار أن الإتحاد السوفيتي كان يواجه أزمة خطيرة في جميع المجالات الإقتصادية والسياسية والعسكرية والعلاقات الإجتماعية والآيديولوجيات والسيطرة السياسية منعته من الإشتراك بفعالية الأحداث الدائرة، كما وضعته في موقع العجز عن مواجهة الولايات المتحدة في ظل الصراعات والإنقسامات التي شهدتها البلاد . وعلى الرغم من أن الاتحاد السوفيتي يهتم بالأمن العربي إلّا أن فشل التجربة الشيوعية كان له أثر خطير في حجب الدور السوفيتي الذي كان له أكبر الأثر في الماضي . لذلك فان الإتحاد السوفيتي تصرف من منطلق كونه دولة عظمى في إطار هذه الحقائق داعيا الى البدء في حوار بين أطراف النزاع العربي الإسرائيلي يمكن تسهيله بواسطة العلاقات الأمريكية السوفيتية الجديدة حيث أن احتمال الحل السلمي في الشرق الأوسط قد أصبح احتمالا واقعيا ومسألة يمكن التعامل معها بسياسات عملية واضحة بإخلاص من جميع الأطراف من وجهة نظره. ويعتبر الإحاد السوفيتي أن أكثر ماتخشاه اسرائيل هو فرض السلام عليها، في حين أنه من الواجب عليها أخذ مقولة مناحيم بيغن في الإعتبار،(القوة والعقيدة لاتخلقان واقعا). إذ أن الشعب الفلسطيني له من الحقوق ما لإسرائيل أو أية دولة أخرى في اقامة دولته الخاصة به. ويمكن تعطيل هذه العملية أو تاجيلها، ولكن ليس من الممكن منع الفلسطينين من الحصول على حقوقهم المشروعة. وصحيح أن الإتحاد السوفيتياعلن أن القضية الرئيسية في اقامة نظام سياسي عالمي جديد لا في الشرق الأوسط فحسب ولكن في جميع أنحاء العالم، هو كيفية إجبار الدول بما في ذلك إسرائيل على الإمتثال لقرارات مجلس الأمن ولذلك يجب ان تتوفر لمجلس الأمن أدوات لتنفيذ المسؤوليات الملقاة على عاتقه. إلا أن قدرة الإتحاد السوفيتي على تحويل ذلك الأمر الى واقع ملموس لم يعد بامكانه ذلك. فلذا كانت التقديرات عشية انتهاء حرب الخليج الثانية أن الإتحاد السوفيتي لم يعد بإمكانه أن يمسك بين أصابعه بأي خيط من خيوط

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللعبة. اللّهم إلا قرار إعادة العلاقات الدبلوماسية الكاملة مع إسرائيل ، حيث يرى البعض إمكانية استخدامه كحافز للتقليل من التشدد الإسرائيلي في مرحلة ما من مراحل التسوية. إن انجرار الإتحاد السوفيتي وراء الولايات المتحدة في حرب الخليج الثانية وتبعيته لها قد أفقده هيبته أمام العرب، فكانت هناك احتمالات بأن السوفيت كانوا مدفوعين بعوامل إقتصادية لكي يؤيد ويدعم سياسات أمريكا في المنطقة العربية.

رابعا - الآثار السلبية للتوجهات الخارجية السوفيتية كما شخصتها القيادة السوفيتية

لم تظهر الآثار السلبية للتوجهات الخارجية إلّا في أواخر الثمانينات وبداية التسعينات فالإنتقادات التي وجهت لغورباتشوف لم تكن حول الطرح الأولي لإعادة الهيكلة والسياسة الخارجية التي اتبعها ولكن حول النتائج التي أدّت اليها هذه السياسة حيث أُثير حول ثلاث قضايا أساسية وهي:-

١- تراجع الدور العالمي للإتحاد السوفيتي وذلك بانهيار النظم الشيوعية في أوربا الشرقية وتراجع النفوذ السوفيتي في المنطقة. وقد أعتبر المحافظون غورباتشوف مسؤولا بسياسته عن فقدان أوربا الشرقية وكل ماحارب من أجله في الحرب العالمية الثانية. والفكر الجديد أدى إلى فقدان الإتحاد السوفيتي لحلفائه فأصبح بلا غطاء اقتصادي أواستراتيجي أمام العالم الرأسمالي الذي مازال يمثل تهديدا على للأمن السوفيتي. كذلك عارض المحافظون داخل مجلس السوفيت الأعلى موقف غورباتشوف إزاء الوحدة الألمانية وعضوية ألمانيا في الناتو، ولم يتم عرض المعاهدتين السوفيتية الألمانية وتلك الخاصة بوحدة ألمانيا (٢+٤) على مجلس السوفيت الأعلى للتصديق عليها غلا بعد توقيعها بعدة أشهر نتيجة تلك المعارضة، وقد راى ليغاتشيف أن هذه المعارضة تاتي انطلاقا من أن توحيد الألمانيتين سيؤدي الى بروز منافس للإتحاد السوفيتي ذي إمكانيات إقتصادية وعسكرية هائلة . كذلك عبر كثير من أعضاء اللجنة المركزية في اجتماعها في يوليو ١٩٩٠عن قلقهم إزاء التنازلات التي قدمها غورباتشوف في المسالةالالمانية.

٢- الإنسياق وراء توجهات الولايات المتحدة داخليا وخارجيا، حيث وجهت الإنتقادات لإصلاحات غورباتشوف المتماشية مع المصالح والرغبات الغربية والأمريكية خاصة. واستشهد المنتقدون بقول لينين قد فكر جيدا في أي وقت يثني عليك عدوك الطبقي، وعارض ليغاتشيف وذوو الإتجاه المحافظ تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة . كذلك أعتبر التأييد السوفيتي للموقف الأمريكي في أزمة الخليج ١٩٩٠ - ١٩٩١ مثالا للتبعية الجديدة للولايات المتحدة. وإن قرار غورباتشوف بشأن الإنسحاب من أوربا الشرقية قرارا شخصيا بالدرجة الأولى وجاء بناءا على ضغوط أمريكية. فالقوى الغربية كان لها تأثير حاسم في هذا الإطار فغورباتشوف لم يحصل على عائد مجد لتنازلاته للغرب والولايات المتحدة .

٣- السياسة العسكرية لغورباتشوف ، وجهت الإنتقادات لسياسات غورباتشوف تجاه نزع السلاح والحد من التسلح واتباع سياسية تهادنية استسلامية في هذا المجال من خلال التنازلات من طرف واحد بدون أن تقدم الولايات المتحدة تنازلات مكافئة لها(٩٦). ويمكن القول أن فشل الإتحاد السوفيتي في التعامل الدولي على أساس مبدأ توازن المصالح يعود لتفاقم أوضاعه الداخلية وبالتالي عجزه عن تعبئة عوامل قوته الهائلة وتبعثر هذه القوة . وقد ساهم في وصول الإتحاد السوفيتي لتلك الحالة عدد من الأزمات والمشكلات وعلى رأسها المشكلة الإقتصادية ومشكلة القوميات والصراعات السياسية والآيديولوجية التي

٩٦- الشيخ نورهان ، دور النخبة الحاكمة في اعادة هيكلة السياسة الخارجية ، مصدر سابق .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أدّت لشلّ الإرادة السياسية للدولة. حيث شهد عام ١٩٩١ واحدا من أخطر التطورات الدولية في مرحلة مابعد الحرب العالمية الثانية ، وهو انهيار الاتحاد السوفيتي، وهو الانهيار الذي بدت ملامحه تظهر قبل شهر ديسمبر ١٩٩١، حيث شهد التفكك الرسمي للدولة بفترة طويلة، وتصاعد الحديث خلال العام عن نظام دولي جديد تهيمن فيه قوة دولية واحدة هي الولايات المتحدة الأمريكية على التفاعلات الرئيسية في العالم .

خامسا ـ الإتحاد السوفيتي وتداعياته الإستراتيجية

يعد تفكك الإتحاد السوفيتي الحدث الأبرز في تسعينيات القرن الماضي ولم يكن ماحدث من اختفاء الصيغة الفيدرالية إلا بمثابة امتداد لإتجاه سابق أصاب كافة تجارب التطبيق الإشتراكي في بلدان أوربا الشرقية، وهو الإتجاه الذي دفع بتلك البلدان للتخلي التام عن تجربتها السابقة في الحكم والإنحياز لصف الرأسمالية والتعددية السياسية. في الواقع أن تفكك الإتحاد السوفيتي ومانتج عنه من خريطة سياسية جديدة في وسط آسيا والبلقان قد انطوى على الكثير من الدلالات، منها على سبيل المثال أن الإلتزامات الخارجية التي يتطلبهادور دولة عظمى يشترط وجود وضع داخلي متماسك اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وعرقيا . وهناك أيضا قضية القوميات والأقليات العرقية التي تتطلب معالجة موضوعية بعيدة عن روح التعصب السلطوي. وهناك أيضا دور النظرية التي تحولت لأيقونة مقدسة بدلا من أن تكون إبداعية متجددة مع كل جديد تفرضه حركة الحياة . ولايمكن إهمال دور العوامل الخارجية والتي تمثلت بالدرجة الأولى في سباق التسلح الذي لم يقو الوضع الداخلي غير المتماسك على التجاوب معه ومواكبته. وهذا مادفع القيادة السياسية للتخلي عن التزاماتها الخارجية والإنحدار الى صف الدول التابعة . أما عن نتائج التفكك فقد جرى حصرها في ثلاث فئات وهي بايجاز كالتالي :-

١ ـ إحداث التغيير الحاسم في الحقل الثقافي والآيديولوجي العالمي، فلم يكن الإتحاد السوفيتي تجسيدا لقوة عظمى فحسب، بل لآيديولوجية عالمية كانت قادرة لحقبة طويلة على مخاطبة جوانب معينة من كل الأنظمة الثقافية الكبرى في العالم . هذه الآيديولوجية الإشتراكية تختفي كتحدي مباشر لهيمنة الثقافة السياسية الغربية وتبرز تحديات أخرى أيضا.(٩٧) .

٢: ـ إحداث التغيير الحاسم في توزيع وعلاقات القوة في العالم. ولاينطوي هذا القول على المعنى المباشر لانهيار الإتحاد السوفيتي كقوة مقابلة للولايات المتحدة فحسب، بل أنه يتضمن كذلك ظهور علاقات قوة جديدة فيما بين المراكز الصناعية الرأسمالية المتقدمة وفيما بينها مجتمعة والعالم الثالث. كما ينطوي هذا القول أيضا بروز معضلات مؤسسية جديدة بصدد تنظيم علاقات القوة فيما بين هذه المراكز بينها وبين الأطراف وكذلك فيما بين النظام الدولي والأنظمة الإقليمية المختلفة في العالم. على أن هذا الجانب لايعد جديدا بالقياس لحقيقة القوة السوفيتية المنهارة بالفعل مذ مدة طويلة، وهذا الإنهيار تسارع بشدة مع تولي الرئيس غورباتشوف للحكم في الإتحاد السوفيتي المنحل . وبالتالي فالجديد حقا يتمثل في التداعيات الجغرافية السياسية والجغرافية الإستراتيجية وتفكك الاتحاد السوفيتي (٩٨).

٩٧ـ التقرير الإستراتيجي العربي ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام،القاهرة ،١٩٩٠،ص٥٥.

٩٨ـ المصدر نفسه، ص ٥٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣: ـ اعادة هيكلة الجغرافية السياسية لاوربا الشرقية ووسط اسيا ـ وما يلفت النظر ان التداعيات الجغرافية السياسية للانهيار السوفيتي تنشا عن سببين -الاول بسبب مباشر ، وينصرف لاعادة تسكين جمهوريات الاتحاد السوفيتي في روابط جغرافية سياسية اقليمية جديدة . أما السبب الثاني فيحظى بقدر أقل من الاهتمام بحكم أنه غير مباشر ،.. ويتمثل بالتغيرات الجغرافية السياسية الناشئة عن اهتزاز التوازنات الاستراتيجية في أوربا بصورة خاصة . وهي التوازنات التي مكنت أوربا عموما أو أوربا الشرقية والجنوبية خاصة من الحصول على حقبة استقرار طويلة ، امتدت منذ نتائج الحرب العالمية الثانية بفضل القوة العسكرية السوفيتية الضخمة التي حالت دون تعديل الحدود واعادة تسكين الجماعات القومية المختلفة . وتمثل حالة يوغسلافيا مقدمة طليعية لنتائج انهيار التوازنات المذكورة أعلاه (٩٩).

أهم الإستنتاجات التي يمكن بلورتها من الدراسة أعلاه

مثّل انهيار الإتحاد السوفيتي نهاية لنظام سياسي شكّل أنموذجا لكثير من الأنظمة السياسية في العالم. وكان انهياره صدمة للملايين من الناس الذين أصابهم في مشاعرهم وأحلامهم ووعيهم كذلك، بل أن الصدمة قد طالت النخب من الإشتراكيين والمفكرين وقادة الأحزاب وأحزابا بكاملها. فهذه المرة الأولى تنتكس فيها تجربة تشكيلة جديدة كان يؤمل لها أن تشمل العالم وأعني بها التجربة الاشتراكية. وبقدر ماكان الإنهيار قاسيا على قوى الحرية والتقدم والسلام ، فأنه أفضى في مجرى الفترة اللاحقة لإستخلاص مجموعة هامة من الحقائق والدروس والعبر، يقف في مقدمتها، أن الرأسمالية ليست الأفق النهائي للبشرية كما أدعى منظري الآيديولوجية الرأسمالية. كذلك فأن سقوط مشروع دور الدولة كحاكم وتوجيهي للإقتصاد لاينبغي أن يطغي على حقيقة أن الإقتصاد هو وضيفة للمجتمع بأكمله بمعنى ما، فالمواطن الفرد العادي وطبقة المنظمين هما مناط التطورالإقتصادي قبل أي شيء آخر. برزت في المقدمة قضية الديمقراطية وحقوق الانسان وما أكد ذلك فشل جميع الأنظمة الإجتماعية بهذه الدرجة أو تلك في تحقيق هذه القضية الاساسية، والكشف الى أي حد أهينت شعوب وجماهير كانت رافعة لأحزاب تدعي النضال من أجل الديمقراطية وحقوق الإنسان والعدالة، ولكن بالواقع والممارسة كانت شيئا مختلفا. فالديمقراطية التي هي عملية صعبة، هي بالنسبة لليسار الآن المسألة الأساسية. اذن على اليسار أن يطلق كل سلوك معاد للديمقراطية. فكثير من الإتهامات التي وجهت لأحزاب اليسار مايبررها ، فقد اتسمت قبل كل شيء بالإفتقار للديمقراطية الحقيقية، حماية للقادة من التحدياتالتي يمكن أن تواجههم من بين صفوف الحزب نفسه، وقد ضمنت الأحزاب الشيوعية ذلك بمبدأ المركزية الديمقراطية والإصرارعلى الوحدة مهما كانت زائفة .

إن عملية التجديد والمقرطة للأحزاب الحاملة لمشروع التغيير ضرورية وحاجة موضوعية باتت ملحة أكثر من أي وقت مضى، فالأحزاب كمؤسسات على الطراز اللينيني لم تعد صالحة لحركة التغيير في العصر الجديد. وهناك حاجة لحزب من طراز جديد وهو الحزب الذي يكون ديمقراطيا بالمعنى الدقيق للكلمة في حياته الداخلية، والمقصود بالديمقراطية الداخلية للحزب هو أن ينص نظامه الداخلي كما يشير كريم مروه (على وجود مؤسسات ديمقراطية حقيقية منتخبة بحرية، وأن تكون هذه المؤسسات المنتخبة

٩٩ـ المصدر نفسه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مستقلة بعضها عن بعض وأن تكون هيئة الرقابة محكمة دستورية حقيقية تتألف من شخصيات مقر بنزاهتها واستقلالها وكفائتها، وأن تتمع بصلاحيات كاملة للبت بأي موضوع مطروح عليها، والتي ترى أنها قضايا تحتاج لتدخلها، وأن يكون قرارها ملزما غير قابل للطعن، وأن أحد الشروط الأساسية لديمقراطية الحزب هي مصداقيته سواء أكان في السلطة أم في المعارضة، هو الحزب الذي يكون في آن معا في صراع مع الدولة وفي تكامل معها. وحزب من هذا النوع قادرعلى إحياء السياسة والفعل السياسي وإخراجهما من أزمتهما المتفاقمة من خلال كسب ثقة الجماهير واحترامهم وهو مايوازي في اهميته تجديد النظرية واحيائها وإعادة الإعتبار لها. الشرط الآخر للحزب من طراز جديد هو الواقعية. فالواقعية تعني هنا عدم القفز فوق الظروف الموضوعية وفوق المراحل و والإلتزام في صياغة الخطط النضالية، بالمعرفة الدقيقة للواقع لكي تكون قادرة على تغيير هذا الواقع نحو الأفضلن وتوفر كلّ الشروط الضرورية لذلك. والشرط الثالث هو تجديد الفكر. وبقصد به الفكر الإشتراكي، كفكر للتغيير يستند إلى العلم، إذ لابد من جهد لكي تصبح الإشتراكية في آن معا أهدافا ممكنة التحقيق وطموحا للتغيير الكبير يجري النضال لتحقيقه في المدى الأبعد (١٠٠). وفي هذا المجال أود ان أشير إلى أن تجديد الإشتراكية بات قضية مصيرية على صعيد الحزب نفسه من جانب، وعلى صعيد المجتمع من الجانب الآخر، إذ أن قدرة التيار العلمي المبدع على التعبير عن نفسه وفرض مواقفه تضعف بل تمحو كلا من التيار العدمي والتيار المحافظ داخل الحزب. وفي جميع الأحوال برهنت التجربة أن التيار الأخطر بينهما هو التيار الذي يتوقف النضال ضده.

١٠٠- مروه كريم ، مجلة الطريق اللبنانية ، (العدد ١)، ص ٣٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

انهيار النظام السياسي السوفيتي وأثره على منطقة الشرق الأوسط

شهدت منطقة الشرق الأوسط في أوائل التسعينيات عددا من التحولات الإستراتيجية ذات الأهمية البالغة نتيجة للتغيرات الجذرية التي طرأت على المنظومة العالمية، والتي نتجت عن انهيار نظام القطبية الثنائية وانتهاء الحرب الباردة وانهيار الإتحاد السوفيتي . وتعد منطقة الشرق الأوسط من أكثر المناطق تأثرا بالتحولات الإستراتيجية في النظام السياسي الدولي ، ومن هذا المنطلق جاءت عملية الربط بين دراسة التحولات التأريخية التي طرأت على الساحة الدولية منذ أواخر عقد الثمانينيات والتي أسفرت في نهاية الأمر عن تفكك الإتحاد السوفيتي أحد قطبي النسق العالمي وبين التطورات التي حصلت على صعيد منطقة الشرق الأوسط ومن ضمنها المنطقة العربية ، فقد ارتبطت المنطقة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بعلاقة تأثير متبادل مع النظام الدولي . ولعله من الطبيعي أن يلقى حدث انهيار الإنحاد السوفيتي بظلاله على منطقة الشرق الأوسط وعلى التفاعلات السياسية التي تجري فيها ، فقد أتاح ذلك الإنهيار الفجائي للإتحاد السوفيتي المجال للقول بأن منطقة الشرق الأوسط تمر بمرحلة انتقالية دقيقة قوامها التحول عن ظاهرة ثنائية التواجد القطبي وإفساح المجال أمام الولايات المتحدة لكي تتبوأ بمفردها زعامة النسق العالمي الراهن خلال هذه المرحلة الإنتقالية ولكي تنفرد بصورة شبه كاملة بتقرير شؤون منطقة الشرق الأوسط وبتشكيل ملامح الصورة الجديدة للنسق الإقليمي فيها من خلال إعادة توزيع الأدوار وإعادة صياغة أنماط التفاعلات الاقليمية في هذه المنطقة ذات الأهمية الحيوية. هذا الفصل سوف يتناول مبحثين، الأول حول أثر الإنهيار على منطقة الشرق الأوسط أما الثاني فسيخصص لأثر الإنهيار على النظام الإقليمي العربي بشكل خاص .

المبحث الأول أثر الإنهيار على منطقة الشرق الأوسط

إن الوقوف على طبيعة التحول الإستراتيجي في الشرق الأوسط عقب انتهاء الحرب الباردة يتطلب تناول محورين رئيسيين، أولهما يتعلق بالتحول في قيمة ومكانة الشرق الأوسط في الاستراتيجية العالمية و وثانيهما يختص بالتحول في موازين القوة الإقليمية القائمة في مرحلة مابعد الحرب الباردة. وقبل ذلك ينبغي أن نتناول مفهوم الشرق الأوسط فالإختلاف عديدة بين السياسيين حول تحديد هذا المفهوم.

المطلب الأول - الشرق الأوسط وتعدد المفاهيم

الفرع الأول – مفهوم الشرق الأوسط

أستخدم هذا المصطلح من قبل الفرد ماهان ١٩٠٢ و كان يقصد به المنطقة الواقعة بين الهند والجزيرة العربية . ويدخل الخليج العربي ضمن تلك المنطقة، وحسب مفهوم المعهد الملكي للشؤون الدولية الذي تأسس في لندن سنة ١٩١٩ برئاسة المؤرخ أرنولد توينبي . فإن تسمية الشرق الأوسط شملت " شرق البحر المتوسط " وبصورة خاصة منطقة الهلال الخصيب ومصر وتركيا واليونان وقبرص وأيران .

وأبان الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥ ، توسع استخدام مصطلح الشرق الأوسط ليشمل المشرق العربي ومصر والسودان و تركيا و إيران وأفغانستان . وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وسع معهد الشرق الأوسط الذي تأسس في واشنطن سنة ١٩٤٦ استخدام المصطلح المذكور ليشمل فضلا عن المنطقة أعلاه ، كلا من باكستان و آسيا الوسطى والأقطار العربية في شمال أفريقيا . ومنذ ذلك التأريخ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أطلق مصطلح الشرق الآوسط على تلك المنطقة من وزارة الخارجية الآمريكية ، وعلى العشرات من مراكز الدراسات والبحوث والأقسام العلمية المتخصصة في الجامعات الأمريكية [١] . ومع بداية إعلان تأسيس إسرائيل على الأرض العربية فلسطين في ١٤ أيار ١٩٤٨ بدأ البعض من الكتاب والسياسيين والغربيين يروجون لهذا المصطلح رغبة منهم في تثبيت كل إسرائيل والسعي لدمجه ضمن المنطقة وعلى هذا الاساس تعاملت أجهزة الإعلام والدوائر الغربية مع أقطار جامعة الدول العربية على أنها أقطار شرق أوسطية (٢) .

لقد أصبح معلوما أن مصطلح الشرق الأوسط هو أكثر من مصطلح جغرافي، فهو مصطلح سياسي وإقتصادي، يضم بين جناحيه أقواما من عروق شتىً عربية وتركية وفارسية ، ومن أديان شتى إسلامية ومسيحية ويهودية وتمتد حدوده لتحتوي الوطن العربي ولكن مجزأ مبتدأ بمصر دون الشمال الأفريقي ثم إسرائيل وتعانق ذراعاه أقطارا تصل إلى أفغانستان وحتى جمهوريات آسيا الوسطى الأسلامية شمالا. وهكذا فأن الشرق الأوسط يشكل المجال الذي تلتقي فيه قارات أوربا وأفريقيا وآسيا، ويضم بحار المتوسط والأحمر والأسود ، إلى جانب بحر العرب وبحر قزين والخليج العربي والمحيط الهندي ، كما يتحكم بأهم المضايق في العالم ، هرمز ، باب المندب ، قناة السويس ، البسفور ، الدردنيل ، وتروى أراضيه أنهاراً مهمة كدجلة والفرات والنيل والأردن ، وهو موطن الحضارات القديمة ومهد الأديان السماوية ويضم فوق ذلك كله أكبر ثروة نفطية في العالم(٣). ان مصطلح الشرق الاوسط ليس مفهوماً فنياً أو لغوياً يمكن الاتفاق عليه ولكن هو استراتيجي ذو أبعاد تاريخية وسياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وعسكرية وحضارية تهدف الى تفتيت وتجزأ البلدان العربية و يضم هذا المصطلح أقواماً من أ عراق وأديان مختلفة و تمتد حدوده لتشمل اضافة الى الكيانات العربية المجزأة اسرائيل و تذهب الى ضم كل من تركيا وايران(٤). فالمصطلح تتباين المراجع في تحديد نطاقه الجغرافي فكل جهة تحدده وفق ما يتوافق مع مصالحها وإستراتيجياتها. ومن هنا عُدّ هذا المصطلح تعبيرا عن المنظور الإستعماري في العصر البريطاني و شهد انتشاراً ملحوظاً في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وأضيفت له مسميات أخرى، استقر في الأخير تحت عنوان "الشرق الاوسط الكبير"(٥) .هذا وينظر روبرت هيركافي إلى مصطلح الشرق الأوسط بأنها الدول المحيطة بأسرائيل ويليها دول الخليج العربي والجزيرة العربية، أما بايندر فينظر اليها على أنها المنطقة التي تضم كلاً من ايران وتركيا والدول العربية واسرائيل كما ان بايندر

١- الداوود علي محمود ، الابعاد السياسية للنظام الاقتصادي الشرق اوسطي ، مجلة أفاق عربية ، بغداد ، السنة (١٩) ، تموز - أب ١٩٩٤، ص ٢٦.

٢- المصدر السابق ،ص ٢٧. سرعان ما التقط هذا المصطلح من قبل المراسل الشهير فالنتين جيرول مراسل جريدة التايمز اللندنية في طهران وبدأ يستخدمه في مقالاته التي كانت تنشرها جريدة التايمزفي ذلك الوقت، - ينظر الى العلاف ابراهيم خليل ، النظام الاقليمي الشرق اوسطي ،مطبعة اليازجي ، دمشق ، ١٩٩٦، ص ١٤.

٣- حسين غازي فيصل ، التطورات الشرق اوسطية (أبعادها وانعكاساتها على المنطقة العربية)، مجلة أفاق عربية ، السنة ٢٠ ،أذار -نيسان ١٩٩٥، ص١٨.

٤- العزاوي خليل ابراهيم وعوني فؤاد ، النظام الشرق اوسطي (الاهداف - السيناريو والتصورات) ، بحث منشور في مجلة مركز الدراسات الشرق الاوسط - الجامعة المستنصرية ، العدد (٢)، كانون الاول ١٩٩٦،ص ٣٢.

٥- رياض مجدي ، الشرق الاوسط من الاستعمار التقليدي الى التعريف الامريكي ، ١٧-٤-٢٠٠٤للموقع www.islamonline.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ينظر الى صفات دول المنطقة بأنها :

١ ـ تملك جذورا قوية بإستثناء إسرائيل.

٢ ـ تخضع لدين واحد وبإستثناء إسرائيل ولبنان فالدين الغالب عليها هو الإسلام .

٣ ـ الحدود السياسية لا تفرق بين الأقليات .

كما ويعرف البروفيسور الفرد هاليدي منطقة الشرق الأوسط بأنها فقط (الدول العربية مضافاً اليها دول غير عربية هي تركيا، إيران وإسرائيل (٦).

الفرع الثاني ... الرؤى المختلفة لمصطلح الشرق الاوسط

إن عدم دقة التعريف بمصطلح الشرق الأوسط جعله يتسم بالتعقيد الشديد وبخاصة أن جغرافية منطقة الشرق الأوسط يصعب تحديدها للإختلاف الشديد بين الدول والباحثين والسياسيين، ونظراً لإختلاف المصالح جاءت جميع تعريفات مصطلح الشرق الأوسط مختلفة عن بعضها البعض طبقاً لمصالح وأبعاد كل دولة ورؤيتها وسوف نبين بعض التعريفات العالمية والأقليمية الخاصة بمصطلح الشرق الأوسط

أ ـ الرؤى العالمية لمنطقة الشرق الأوسط

١ ـ تعريف منطقة الشرق الأوسط من جانب منظمة الامم المتحدة : مرّ تعريف مصطلح الشرق الأوسط لدى منظمة الأمم المتحدة بالعديد من التطورات حتى أصبح أكثر شمولا فلقد عرفت دراسة للأمم المتحدة نشرت عام ١٩٧٥ منطقة الشرق الأوسط بأنها المنطقة من ليبيا غرباً حتى ايران شرقاً ومن سوريا شمالاً حتى اليمن جنوباً[٧]. ومن ثم عادت منظمة الأمم المتحدة لتعدل التعريف الذي جاءت به فشمل التعريف بالمنطقة على أنها الدول العربية تضم ٢٢ دولة.

٢ـ تعريف الوكالة الدولية للطاقة الذرية لمنطقة الشرق الأوسط : جاء تعريف منطقة الشرق الأوسط في دراسة فنية أعدتها الوكالة الدولية للطاقة الذرية لبحث الطرق المختلفة لتطبيق الضمانات في منطقة الشرق الأوسط في عام ١٩٨٩ فعرفت الوكالة منطقة الشرق الأوسط بأنها المنطقة الممتدة من الجماهيرية العربية الليبية غرباً حتى ايران شرقاً ومن سوريا شمالاً حتى اليمن جنوباً وهذه الدول هي، مصر، ليبيا، الكويت، إيران، العراق، سوريا، الإمارات العربية المتحدة، البحرين، قطر ،عمان، الأردن ، اليمن الجنوبية (قبل الوحدة)، لبنان ،المملكة العربية السعودية بالإضافة لإسرائيل. فركّز هذا التعريف فقط على الدول الأساسية في المنطقة بتركيزه على الحد الأدنى من الأطراف في المنطقة وشمل كل دول جامعة الدول العربية مع إيران وإسرائيل مستبعدا تركيا العضو في حلف الناتو[8].

٦ـ هاليدي الفريد ، الشرق الاوسط في العلاقات الدولية (السلطة السياسية ـ الايديولوجية)، مطبوعات جامعة كامبردج ، ٢٠٠٥ ، للموقع wwwmiddleeast.net

7-Jan prawitz and James F.Leonard,A, one free of Weapons of Mass destruction in the Middle East (,NEW york.united lations, 1996), p.63.

8-Technical Study on Different Modalities of APPLICATION OFSafeguards in the Middle East ,IAEA-GC(24 August 1989),pp ,3438

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣ ـ تعريف الولايات المتحدة لمنطقة الشرق الأوسط : جاء تعريفها لمصطلح الشرق الأوسط في إطار ما أعلنته من مبادرات للحد من التسلح في المنطقة، كمبادرة الرئيس الأمريكي بوش (الاب) للحد من التسلح في منطقة الشرق الأوسط التي أعلنها في آيار ١٩٩١ والتي حدّد من خلالها منطقة الشرق الأوسط بأنها المنطقة التي تمتد من ايران شرقاً حتى المغرب غرباً بالإضافة لإسرائيل[٩]. إلا أن التعريف الحديث بمصطلح الشرق الأوسط من قبل الولايات المتحدة فينظر للمنطقة بأنها (مصر والجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربي وتركيا وإيران) ويذكر أن هذا التعريف قد قدم من قبل (بيتر دويجمان) مع (آل اتش غان) حول دراسة لمنطقة الشرق الأوسط لصانع القرار الأمريكي منذ الثمانينات وقد اتخذه كلاً من الإعلام والمؤسسات الدولية ووزارة الخارجية للولايات المتحدة وعملت به[١٠].

ب ـ الرؤى الإقليمية لمنطقة الشرق الاوسط هنالك جملة من التعريفات لمصطلح الشرق الأوسط قدمت من الدول المهتمة بهذا الشأن وهي :

١ ـ التعريف الإسرائيلي هو الذي جاء على لسان العديد من المسؤولين الإسرائيليين لتبرير احتكارها النووي فقد أعلن شمعون بيريز ووزير الخارجية الأسبق في آيار ١٩٩٥ وأثناء مؤتمر المراجعة والتمديد لمعاهدة منع انتشار الأسلحة النووية (أن موقف النظام الإستفزازي في إيران يبرر رفض إسرائيل التوقيع على معاهدة منع انتشار الإسلحة النووية)[١١]. وقال (أن إسرائيل تؤمن بمعاهدة منع الإنتشار حيث أن العراق وإيران انضمتا اليها رغم امتلاكهما للأسلحة الفتاكة)[١٢]. التعريف الاسرائيلي للمنطقة شمل العراق وإيران وظه ذلك رسميا في جولات مفاوضات لجنة ضبط التسلح والأمن الإقليمي.

٢ ـ التعريف الإيراني لمنطقة الشرق الأوسط يعتقد الإيرانيون أن مصطلح الشرق الأوسط من أكثر المصطلحات في الأدبيات السياسية ابهاما، وهذا الإصطلاح لم يطلق منذ ظهوره حتى الآن على منطقة جغرافية محددة بدقة [١٣]. لأنه خضع لتفسيرات مختلفة ترفض إيران من خلالها النظر الى هذه المنطقة بمنظار المصلحة الإقتصادية أو السياسية أو الإستراتيجية فضلا على أنه متغير غير قابل للتحكم فيه كما أن إيران ترفض مصطلح الشرق الأوسط ويرون أنه محاولة من قبل الولايات المتحدة وإسرائيل لمعالجة التغيير الجديد في هذا الجزء المهم من العالم حيث أن وجهة النظر الإيرانية تبين أن المصطلح جاء مصحوبا بجملة من المخططات تعمل على إحداث تغيرات كبيرة على المستوى السياسي والإقتصادي

٩ـ حماد فوزي واحمد عادل محمد ، مشكلات انشاء منطقة خالية من الاسلحة النووية وغيرها من اسلحة التدمير الشامل في الشرق الاوسط ، أعمال الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات المستقبل بجامعة اسيوط (الخيار النووي في الشرق الاوسط)، عن اراهيم محمد العناني واخرون ، تحرير ـ محمد ابراهيم منصور ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،ايلول ٢٠٠١،ص ٥٩ـ٦٠.

١٠ـ ثابت احمد ، الشرق الاوسط الكبير ، ٤ـ٣ـ٢٠٠٤،للموقع www.islamonline.net

١١ـ فؤاد محمد نبيل ، الحد من التسلح والاستراتيجية الامنية العامة في المنطقة ، ورقة قدمت الى ندوة مستقبل الترتيبات الاقليمية في منطقة الشرق الاوسط وتاثيراتها على الوطن العربي ، القاهرة ، ٢٧ـ٢٩ كانون الاول ١٩٩٧.

١٢ـ المصدر نفسه . الصفحة بلا .

١٣ـ وليد خالد صنع القرارفي السياسة الخارجية لجمهورية إيران الاسلامية ١٤ـ ١ ـ ٢٠٠٧ للموقع www.alwatanvoice.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإجتماعي والعسكري في المنطقة. تبدو شواهدها جلية في سلسلة الإتفاقيات المعقودة بين دول المنطقة ابتداءا من كامب ديفيد ووصولا إلى مباحثات السلام في أوسلو وتطبيع العلاقات بين العرب وإسرائيل وكذلك تطبيقا لسياسة الإحتواء المزدوج لكلا من العراق وايران)[١٤].

٣ ـ التعريف العربي طرح هذا التعريف وتمت مناقشته في دورة إنعقاد جامعة الدول العربية رقم ١٠٣ في عام ١٩٩٥ ، وجاء في مادته الأولى من الديباجية تعريف مصطلح الشرق الأوسط أنه (الأقاليم الخاضعة لسيادة أو سيطرة الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية بالإضافة الى إيران وإسرائيل)[١٥]. واستبعد التعريف تركيا كعضو في حلف الناتو[١٤]. لقد أصبح معلوما أن مصطلح الشرق الأوسط هو ليس مصطلحا جغرافيا وحسب، بل مصطلحا سياسيا وإقتصاديا يضم بين جناحيه أقواما من عروق شتى عربية وتركية وفارسية ومن أديان إسلامية ومسيحية ويهودية وتمتد حدوده لتحتوي الوطن العربي ابتداء بمصر دول الشمال الإفريقي ثم إسرائيل وتعانق ذراعاه أقطارا تصل لحدود ماتريده مصالح القوى الكبرى[16]. إن كل تلك العوامل جعلت من منطقة الشرق الأوسط مجالا إستراتيجيا حيويا للقوى الصناعية الرأسمالية في الغرب فهو يؤمن في السلم والحرب تدفق النفط والإستثمارات والمواد الأولية إلى جانب الممرات المائية والبحار والقواعد العسكرية البرية والبحرية والجوية والمخازن الإستراتيجية التي تقوم بدور مهم في تعزيز الإمكانات اللوجستية وتوسيع القدرة للسيطرة على العالم. وهذا ماجعل الولايات المتحدة تربط أمنها القومي بأمن الشرق الأوسط الذي يمس مصالحها القومية ويشكل الدعامة الحيوية في سياستها الكونية إلى جانب أوروبا[١٧]. لقد تزايدت إهتمامات الولايات المتحدة بالشرق الأوسط في آذار من عام ١٩٤٢ وآذار ١٩٤٤ بين الرئيس روزفلت. إن مايجري في منطقة الشرق الأوسط قد أثر في المصالح الأمنية للولايات المتحدة بل وفي مستقبل العالم ككل. وبرز ذلك من خلال التطورات التي مرت بها المنطقة من خلال تلك الإشتباكات التي جرت بين القوى الدولية الكبرى فيه ولكن مع انتهاء الحرب العالمية الثانية والتي انتهت بتغير كبير في موازين القوى الدولية اذ انحسر التواجد البريطاني والفرنسي في المنطقة لصالح بروز قوى دولية حلت محلهم متمثلة بالولايات المتحدة لتبسط نفوذها وسيطرتها على المنطقة. لقد شهد نفوذ الولايات المتحدة بالإنحسار الكبير في منطقة الشرق الأوسط مع قيام ثورة تموز ١٩٥٢ في مصر، حيث أثرت هذه الثورة على كافة البلدان العربية ومنها دول الخليج العربي. ولكن وفاة الرئيس جمال عبد الناصر وتغير توجه السياسة المصرية نحو التقارب مع الولايات المتحدة وإبتعادها عن الإتحاد السوفيتي ثم توالي الحرب من الباكستان وايران والعراق وتركيا تحت ذريعة حماية هذه الدول من أية تهديدات وأخطار سوفيتية محدقة. أما بالنسبة لدور الإتحاد السوفيتي في منطقة الشرق الأوسط فأن ثمة إتفاق عام بأن المنطقة لم يكن لها تلك المكانة والأولوية في الخطط والمشاريع السوفيتية قبل الخمسينات

14- سويلم حسام ، التوجه الايراني الجديد في الخليج - المضامين والاحتمالات ، مختارات ايرانية ، مركز الاهرام للدراسات الاستراتيجية ، ع (٤٨) ، ٢٠٠٤، ٢-٤.

١٥- حماد فوزي واحمد عادل محمد و مصدر سبق ذكره ،ص ٦١.

١٦- السيد علي عبد المنعم ، البعد الاقتصادي للنظام الشرق اوسطي ، مجلة افاق عربية ، السنة (١٩)، تموز -اب ١٩٩٤ ،ص ٣٠,

١٧- السيد علي عبد المنعم مصدر سابق ، ص ١٨-١٩.-

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد كانت محصورة في دائرة محدودة من المصالح وتركزت بإتجاه دولتين هما كلا من ايران وتركيا وذلك بحكم الموقع الجغرافي على المصالح الأمنية الحيوية للإتحاد السوفيتي. ولغرض هذه الدراسة فإن الباحثة تأخذ بتعريف منطقة الشرق الأوسط بأنها تلك المنطقة التي تضم كلّ من مصر والجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربي وتركيا وإيران وإسرائيل. دون شك فأن كل ماسبق ذكره حول المنطقة سواء من حيث تعدد التعريف بمصطلحاتها أو من حيث أهميتها بالنسبة للدول الغربية وتحديدا العظمى منها كلها ساعدت على أن تكون المنطقة تحت وطأة العديد من المشاريع، تقف الغاية الأساسية منها للإستفادة من منطقة الشرق الأوسط التي لاتضارعها أهمية أي منطقة أخرى في العالم نتيجة لجملة من الإعتبارات سواء تلك الكامنة في موقعها الإستراتيجي أو لأهميتها.

الفرع الثالث ـ أهمية منطقة الشرق الأوسط

للشرق الأوسط تأثي كبيرعلى بقية دول العالم، فقد كان الشرق الأوسط عبر العصور ولايزال محط أنظار العديد من الفاتحين وبناة الإمبراطوريات والقوى العظمى إلى جانب الكثير من العلماء والدارسين والمهتمين بالشؤون الدولية، وسنحاول إلقاء الضوء على اهمية تلك المنطقة بالمنظور السوفيتي.

أـ الأهمية الجيوبوليتيكية

تلعب البيئة الجغرافية للدولة من حيث موقعها ومساحتها وحدودها دورا مهما في تحديد سياستها الخارجية. إن الموقع الجغرافي للشرق الأوسط من أهم المواقع الإستراتيجية في العالم. وأن الأهمية الجغرافية للشرق الأوسط من الأمور التي تؤكد أهمية الشرق الأوسط القصوى واحتوائه على ثلثي مصادر البترول المعروفة في العالم. وتظهر الأهمية الإستراتيجية لمنطقة الشرق الاوسط، إذ تعد شريان الحياة الرئيس بالنسبة للعالم الغربي، ولعبت هذه المنطقة دورا بارزا في الإستراتيجية الدولية عبر السنين أن منطقة الشرق الأوسط تتحكم في المداخل الإستراتيجية بين القوى العالمية، فقد كان يطلق عليها مقبض نصف الكرة الشرقي، وكانت تلك المنطقة الوسطى محورا للنزاع بين القوى البرية لروسيا والقوة البحرية للغرب، فتلك المنطقة كانت ومازالت ذات أهمية عظمى للغرب كمعبر يسمح له بالتنفس العميق بإتجاه الجنوب الى البحار الدافئة وإلى الطرق التجارية العالمية الكبرى،وذلك عن طريق المداخل كطريق البلقان البري ويؤدي إلى منفذ بحر إيجه طريق بحرقزوين البري الذي ينتهي في تركيا، وطريق بحر قزوين البري الذي ينتهي في ايران، وطريق البحر الأسود الدردنيل البري(18). إن وجود تلك المضايق والممرات المائية ذات الأهمية العالمية أضافت بعدا إستراتيجيا بالغ الأهمية لمنطقة الشرق الأوسط . فظهرت الأهمية لتلك المنطقة بعد اكتشاف النفط فيها، وحاولت قوى كبيرة الهيمنة على هذه المنطقة لمواردها الإقتصادية والإستراتيجية لموقعها الجغرافي والإستراتيجي كذلك لإهميتها في التجارة العالمية وربطها بين الشرق والغرب ووجود شريان ملاحي مهم وخطير هو قناة السويس.

لو استعرضنا الخصائص الطبيعية لمنطقة الشرق الأوسط لأمكننا أن نتلمس أهميتها الحيوية ويمكننا أن نشير إلى بعض هذه الخصائص وكما يأتي(١٩).

١٨ـ نويهض وليد ، مستقبل التسوية بين العرب واسرائيل اتجاهات التطبيع والممانعة ،شؤون الاوسط ، العدد (٢)، اذار ١٩٩٤ ، ص ٨٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١- يحتوي الشرق الأوسط على العديد من الأنهار المهمة مثل نهر النيل، نهر الفرات، نهر دجلة ونهر لأردن ومن ثم تتوافر فيه المياه اللازمة للزراعة والري

٢- يتحكم الشرق الأوسط في مجموعة من أهم مواقع المرورالدولية وهي قناة السويس ومضائق البوسفور والدردنيل وباب المندب وهرمز.

٣- يمتد الشرق الأوسط على مساحة تتسم بالإتساع والعمق ومن ثم فهو يتيح توزيع مناطق الإنتاج في وقت السلم كما يتيح نشر القواعد العسكرية في وقتي السلم والحرب، وتبلغ مساحة دول الشرق الأوسط بحدود سبعة ملايين كيلو متر مربع.

٤- يتسم مناخها بالإعتدال على مدار العام ، إذ يقع في مكان وسط بين المنطقة المدارية جنوبا والمنطقة المعتدل والباردة شمالا، مما يعني صلاحية أراضي تلك المنطقة للزراعة على مدارالعام.

٥- تمتاز منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة بوفرة الموارد الطبيعية والثروات المعدنية ومصادر الطاقة وهوما يعني وفرة عوامل الإنتاج ألأساسية. تؤثر الأهمية الجغرافية تأثيرا مباشرا في السياسة الخارجية لأية دولة اتجاه الدول الأخرى، وقد يكون عاملا من عوامل قوة الدولة أو ضعفها وقد يؤدي لنمو الدولة وإزدهارها، وقد يكون سببا في تخلفها وفقرها. ويضم الشرق الأوسط أهم المنافذ البحرية في العالم التي تربط القارات الثلاث في العالم القديم، وظل الخليج العربي يشكل مع البحر الأحمر ذراعين طويلين يحدها المحيط الهندي من شماله حاضنا شبه الجزيرة العربية وتلتقي بالبحر المتوسط ذات ألاهمية الإستراتيجية العالمية، فهو يربط ما بين المحيط الهندي والمحيط الأطلسي من جهة، ويتميز بموقع استراتيجي حسّاس ومهم في قلب العالم من حيث كونه قاعدة بحرية غربية في غرب آسيا على امتداد السواحل السورية والفلسطينية واللبنانية والتونسية والجزائرية والمغربية، ومن الناحية الأوروبية تحتضن قاعدة بحرية جنوبية بمحاذاة الحدود البحرية الإيطالية والأسبانية والألبانية واليونانية. ومن جهة الغرب تمتد لتصل بالمحيط الأطلسي ذي الإستراتيجية الحيوية التي تربط الشرق بالغرب من جهة أخرى، ويعد الموقع من أهم المقومات الجيوستراتيجية التي يعتمد عليها في تقويم قوة الدولة بسبب تأثيره الواضح في وضع الدولة الحالي ومستقبلها[٢٠].

ب ــ الأهمية الإقتصادية

مما لاشك فيه أن منطقة الشرق الأوسط تعد ذات أهمية حيوية من الناحية الاقتصادية وترجع هذه الأهمية للعوامل التالية :

١- البترول كانت الأهمية الاقتصادية لمنطقة الشرق الأوسط تقاس حتى بداية القرن العشرين بمدى أهمية موقعه المتوسط وتحكمه في طرق المواصلات والتجارة الدولية . غير أنه في عام ١٩٠٨ تمّ

١٩- منصور ممدوح محمود ، الصراع الامريكي السوفيتي في الشرق الاوسط ، مكتبة مدبولي ، السنة بلا ،ص٥١-٥٢,

٢٠ــ عبد الرحيم عبد العزيز محسن ، الشرق الاوسط في الاستراتيجية الدولية اهمية دائمة وقوى متغيرة ، ممعهد دهوك للثقافة العامة ، WWW. digc.info-9.35.htm

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اكتشاف البترول في ايران. ومع تزايد اعتماد الدول الكبرى الصناعية على البترول حيث أصبح بمثابة عصب الحياة الإقتصادية والتقدم في تلك البلاد، تزايد اهتمامها بشؤون المنطقة وازداد ارتباط مصالحها بالمنطقة، فبدأ الصراع بينهما حول السيطرة على آبار البترول في الشرق الأوسط.

٢- الغاز الطبيعي ويعد ايضا من أهم مصادر الطاقة فبلغ الإحتياطي من الغاز الطبيعي الموجود في الشرق الأوسط عام ١٩٨٣ حوالي ٢٢ تريليون متر مكعب .

٣- الأرصدة النقدية (العائدات البترولية) مما لاشك فيه أن الحظر البترولي العربي أبان حرب اكتوبر ١٩٧٣ وماتبعه من إرتفاع هائل في أسعار البترول خلال عقد السبعينات من ثلاثة دولارات تقريبا إلى حوالي أربعين دولارا للبرميل قد أدّى لتضخم ثروات الدول البترولية والتي تقع معظمها في منطقة الشرق الأوسط. وقد ازدادت تلك الأرصدة النقدية الهائلة من العملات الدولية القابلة للتحويل والتي نجمت عن عوائد الصادرات البترولية من أهمية دول الشرق الأوسط البترولية لدى الدول الصناعية ودول العالم المتقدم. فسعت تلك الأخيرة لوضع استراتيجية جماعية لمعالجة الآثار الإقتصادية السلبية التي لحقت بها نتيجة الحظر البترولي وارتفاع أسعار البترول (٢١).

ج-ـ الأهمية العسكرية

في البداية يمكن القول أن مفهوم (القدرة العسكرية) يرتبط بمدى إمكانية الدولة على توظيف قواتها المسلحة كما ونوعا خدمة لأهداف سياستها الخارجية والقدرة العسكرية للدولة قد تكون لأغراض الدفاع أو الهجوم أوالاثنين معا فضلا عن ذلك قد تستخدم مباشرة فتنتج مفعولا محددا أو لاتستخدم لكنها قد تؤدي هذا المفعول نفسه ولأهمية وظائفها في الحرب والسلم فتعد من أبرز المتغيرات المؤثرة في الحركة السياسية الخارجية للدول كافة. فغرضها الأساس الدفاع عن أهداف الدولة بواسطة التأثير في التوجهات والأدوار والأهداف وأفعال الدول الأخرى فالقوة العسكرية بهذا المعنى ليست إلا تابعة للسياسة(٢٢)، والقوة العسكرية وحدها غير كافية مالم تدعم سياسيا اذ تعمل المؤسسات السياسية دوما على دعم سياسة الدول العسكرية ولاسيما قناعتها بجدوى الإنفاق العسكري، والنقص في دور هذه المؤسسات السياسية ربما يزيد من حجم وتكاليف المجهودات العسكرية المطلوبة ويجعل النتائج القصوى للأعمال العسكرية غير مؤكدة عندما لاتتناسب مع التكاليف كما أن التسليح لتسيير سياسات عدوانية أو تصاعد وتائره بمعدلات غير اعتيادية ولإعتبارات وهمية غير مبررة، أثبت قدرته على إثقال كاهل الدولة وإستنزاف ثرواتها أو خلق الإضطراب والتوتر وتصاعد الصدامات المسلحة وانعدام الإستقرار الإقليمي من جهة أخرى وينسحب هذا على منطقة الشرق الأوسط. إذ لا تزال الأقطار العربية وغير العربية من أكثر دول العالم انفاقا على شراء السلاح بالشكل الذي جعل اقتصاديات هذه الدول تتسم بالعسكرة ويمثل الإنفاق العسكري الكبير عبئا كبيرا، لاسيما اذا ما حدّدناه كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي كذلك من حيث مكانة ووزن دول((الشرق الاوسط)) من زاوية استيراد الأسلحة ومستويات الإنفاق العسكري، كذلك من حيث قياس متوسط نصيب الفرد الواحد من الإنفاق العسكري، أي العبء الذي يتحمله كلّ فرد في الدولة من الإنفاق العسكري وأصبح

٢١- منصور ممدوح محمود ، مصدر سابق ، ص٥٤-٥٨.

٢٢- بدوي محمد طه ، مدخل الى علم العلاقات الدولية ، القاهرة ، الدار المصرية للطباعة والنشر ، ١٩٧١،ص ١٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الواضح أن سباق التسلح في المنطقة له منطقه الخاص، فكلما أقبلت دولة من دول المنطقة على عقد صفقة جديدة من التسلح ازداد إحساس الدول الأخرى بعدم الأمن، بيد أن هذا الشعور يغذي رغبة تلك الدول للحصول على مزيد من الأسلحة وعقد الصفقات الجديدة الذي يضاعف بدوره من حدة سباق التسلح والإنفاق العسكري، ومن ثم المزيد من التوتر بما في ذلك احتمالات اندلاع النزاعات والحروب المكلفة ،وعليه أصبحت دول منطقةالشرق الأوسط تعيش الهاجس الأمني بنسبة كبيرة لذلك تضاعف تكديس الأسلحة أكثر فأكثر في ترساناتها إلى الحد الذي يعتقد أنه يكفي لردع الآخرين، ولكن تراكم القدرات العسكرية زاد من الشعور بعدم الأمن وأدّى الى حلقة مفرغة من سباق التسلح الذي لاينتهي[٢٣]. على اعتبار أن الشرق الأوسط الأكثر تسليحا في العالم بالمقاييس جميعها من حيث نسبة إجمالي الناتج المحلي المخصصة للنفقات الدفاعية والخسائر في أرواح المدنيين وعدد الشباب من الرجال المرتبطين بالقطاع الأمني في شكل أفراد أساس أو أفراد احتياط أو قوات شبه عسكرية وسجلت دول الشرق الأوسط مجتمعة انفاقا عسكريا مقداره (١١١) مليار دولار في العام ٢٠١٠ صعودا من (٧٨,٢) مليار عام ٢٠٠١ أي بزيادة قدرها (٣٥%) وكان هذا الإنفاق قد بلغ (٨٩,٥%) مليار دولار عام ٢٠٠٥ و(١٠١)مليار دولار عام ٢٠٠٧. وأسهم الشرق الأوسط بما نسبته (٧%) من الإنفاق العسكري العالمي مقابل (٢٥) لأفريقيا و(٤%) لأمريكا اللاتينية و(١٩٥) لآسيا والأوقيانوس و(٢٣%)لأوروبا، و(٤٥%) لأمريكا الشمالية[٢٤] وهناك توقعات لشراء ٩٠ طائرة عسكرية روسية في منطقة الشرق الاوسط في مرحلة قادمة تمتد حتى عام ٢٠٢٥، وتتوقع الشركة أن يكون معظم الطائرات المطروحة للبيع في أسواق الشرق الأوسط من طرازي (سو٣٥) و(ميغ٣٥)، أما بالنسبة للطائرات المدنية فتشير التوقعات لإمكان بيع نحو ١٨٠ طائرة روسية في المنطقة في مرحلة ماقبل عام ٢٠٢٥.

المطلب الثاني ـ المتغيرات الإستراتيجية في الشرق الأوسط بعد انهيار الاتحاد السوفيتي

تعتبر منطقة الشرق الأوسط من أكثر المناطق التي تأثرت بانتهاء الحرب الباردة، وإن الزقوف على طبيعة التحول الإستراتيجي في هذه المنطقة يتطلب كما أسلفنا التركيز على فرعين رئيسيين أولهما التحول في قيمة ومكانة الشرق الأوسط في الإستراتيجية العالمية أما الفرع الثاني فيختص بالتحول في موازين القوة الإقليمية القائمة في مرحلة مابعد الحرب الباردة، فبقدر مايتعلق الأمر بالفرع الأول الخاص بالتحول في قيمة ومكانة الشرق الأوسط في الإستراتيجية العالمية، فإن المجال الرئيسي لهذا التحول ينصب (كما يشير التقرير الاستراتيجي العربي) في نشوء الحاجة الى البحث عن اطار استراتيجي جديد للشرق الاوسط ، بحيث ينطوي هذا الاطار الجديد على استبعاد تلك الجوانب التي تجاوزتها التحولات العالمية ، كما يقدم المزيد من الدعم للجوانب ذات الاستمرارية في الظرف الراهن ، علاوة على تضمين هذا الاطار جميع الجوانب الجديدة التي طرات في مرحلة مابعد الحرب الباردة . فقد سبق أن كان الشرق الاوسط ساحة للصراع المحتمل بين القوتين الاعظم وحلفائهما وأصدقائهما ، بأعتبار ان المنطقة ملاصقة للتخوم الجنوبية لساحة المواجهة الاوربية ، كما ان صادرات النفط من المنطقة ضاعف من أهميتها الإستراتيجية. وهكذا فالتحول الإستراتيجي الرئيسي في الشرق الأوسط انصب بعد انتهاء مرحلة

23- Abtheny Lake,confronting Backlash State,forign Affairs,Vol.73.NOC, march-Aprol,1994,p.48.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحرب الباردة على تلك الروابط والعلاقات التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بظروف الحرب الباردة ووفقا لمعيار الأهمية الإستراتيجية يمكن تصنيف دول المنطقة إلى ثلاث مجموعات رئيسية تبعا لمعيار الأهمية الإستراتيجية على النحو التالي :

أولا: ـ الدول المالكة للموارد الاولية الاستراتيجية ، لاسيما دول مجلس التعاون الخليجي ، وتظل هذه الدول تحتفظ بأهميتها نظرا لوجود النفط فيها ،فضلا عن علاقاتها مع الغرب .

ثانيا : ـ الدول ذات القدرة على تقديم الخدمات الاستراتيجية ، وتتمثل أساسا في اسرائيل وتركيا ومصر انذاك . حيث تمتلك هذه الدول النفوذ والقدرة التي تجعلها قادرة على التأثير في شئون المنطقة. حيث يمكن أن تؤدي دورا في حماية المصالح الغربية فضلا عن تحقيق الاستقرار في الاقليم بالمنظور الغربي.

ثالثا - دول ذات قيمة إستراتيجية سلبية ، وتصنف هذه كدول راديكالية في ذلك الوقت مثل العراق وسوريا وليبيا والسودان ، ويغلب على علاقات هذه الدول مع الغرب طابع صراعي وتعاني هذه الدول من التهميش وتتعرض للضغوط في أغلب الأحيان) (25).

(ومن هذا يتضح لنا أن الهيكل العام للروابط والعلاقات ظل كماهو في مرحلة مابعد الحرب الباردة وانصب التحول في البحث عن إطار جديد لتلك الروابط ينسجم مع المستجدات القائمة على الساحة الإقليمية والدولية واستنادا لذلك يستنتج التقرير أن الأنموذج الإسرائيلي يحتاج لإهتمام خاص. فالأطارالذي حكم العلاقات الأمريكية الإسرائيلية منذ الخمسينات ، والذي كان يقوم على فكرة ان اسرائيل تمثل أفضل وسيلة لحماية المصالح الإستراتيجية في الشرق الأوسط في إطار المواجهة العالمية مع الإتحاد السوفيتي ، قد تغيّر بعد انتهاء الحرب الباردة وإنهيار الإتحاد السوفيتي .

الفرع الثاني - تأثير انتهاء الحرب الباردة على الميزان الإستراتيجي في الشرق الأوسط

فالملاحظ أن انهيار الإتحاداالسوفيتي قد عمّق من الخلل في الميزان الإستراتيجي لصالح اسرائيل وتركيا وايران ، على حساب الدول العربية ومن الممكن التوصل لتلك النتيجة عند تناول النتائج المباشرة التي ترتبت على انتهاء الحرب الباردة وهي كما يلي: ـ

اولا- اختفاء الحليف الإستراتيجي وانعدام هامش المناورة أمام عدد من الدول العربية كانت الدول العربية تتلقى الدعم والإسناد والتكنولوجية العسكرية من الإتحاد السوفيتي وبانهياره واتجاه روسيا للتحالف مع الغرب انتهى هامش المناورة المستقلة أمام العرب. فقد كانت منطقة الشرق الأوسط محور الصراع الدائر على القوة بين العظميين منذ الخمسينيات كما أسلفنا ، أما أبرز الدوافع لتدخل هاتين القوتين فهو حاجة كل منهما لإحداث تحولات في المنطقة. هذا ويمكن القول بأن التعبير عن التنافس الأمريكي والسوفيتي في الشرق الأوسط بشكل رئيسي تمثل بالدرجة الأساس في عقد صفقات الأسلحة، ساعد نشوء مثل هذا التوجه بروز ظاهرتين ميزتا المنطقة في تلك الحقبة تقف الأولى منها بظهور انظمة سياسية مدعومة من مؤسسات عسكرية أما الظاهرة الثانية فهي أن موجة صفقات التسلح هذه قد دعت لبروز النزاعات المسلحة نتيجة لسباق التسلح المحموم الحاصل فيها. ولكي نحيط بنتائج الإنهيار بشكل وافٍ ينبغي العودة

٢٤- الانفاق العسكري ، المعرفة التحليلات ،على الموقع www.aljazeer.net

٢٥- التقرير الاستراتيجي العربي، مركز الدراسات السياسية و الاستراتيجية بالاهرام ، القاهرة ١٩٩٣،ص ١١٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للماضي لمعرفة جوهر العلاقة بين الإتحاد السوفيتي والمنطقة موضوع الدراسة في العقود التي سبقت الإنهيار والسؤال الذي يطرح هنا ماهي استراتيجية الإتحاد السوفيتي تجاه المنطقة في العقود التي سبقت انهياره ؟ .

للإجابة على هذا السؤال يمكن القول أن للحوادث التي مرت بها المنطقة كانت لصالح السوفيت، فالبلاد التي استقلت بصورة حديثة كانت على ثقة عالية بنفسها ولذلك اصطدمت بمستشاريها الغربيين السابقين وكان من المهم للإتحاد السوفيتي أن يتفق وينسجم مع هذه العاطفة الحيوية الجديدة المعادية للإستعمار ففي تلك المنطقة(الشرق الأوسط)أخفق الغرب في جعل نفسه حليفا لها بسبب عدم ثقة معظم بلدان المنطقة في قوى الإستعمار القديم ومن ثم عدم قبول هذه البلدان حليفا لهم ضد التهديد العسكري السوفيتي بل وأن العرب في تلك الفترة اتهموا الغرب ببناء دولة معادية لهم في المنطقة تجمع فيها يهود الشتات هي (أسرائيل)[26] ولهذا كان الطريق ممهدا لتقارب العرب مع الإتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية فمهدت لعلاقتها بجملة من الحملات الإعلامية والمساعدات الإقتصادية والدعم السياسي حيث كانت مصر في طليعة الدول التي استفادت من السياسة الجديدة للإتحاد السوفيتي من خلال صفقة الأسلحة التشيكية ١٩٥٥ ثم تلتها سوريا بعد ذلك حيث استرعت اهتمام السوفيت منذ سقوط حكومة أديب الشيشكلي في أوائل عام ١٩٥٤ فوقف بجانبها في أزمة حلف بغداد شباط ١٩٥٥ ثم تعاقد مع سوريا في العديد من الصفقات حيث وصلت قيمة مشتريات سوريا من الأسلحة السوفيتية للفترة من عام ١٩٥٤ وحتى عام ١٩٥٧ الى (١٠٠) مليون جنيه استرليني [٢٧]. وفي الواقع تعتبر المرحلة الجريئة والمتميزة التي أتخذها السوفيت تجاه منطقة الشرق الأوسط في عهد ليونيد بريجينييف ، مثلا [٢٨]

١ ـ إتخاذه قرارا بعدم سقوط أنظمة موالية بصورة أو بأخرى للسياسات السوفيتية ومن ثم اتخذ قرارا بإرسال مايقرب من عشرة آلآف خبير ومستشار عسكري الى مصر بعد نكسة حزيران ١٩٦٧.

٢ـ مساندة مصر عسكريا خلال حرب الإستنزاف وبناء شبكة من الدفاع الجوي في منتصف عام ١٩٧٠.

٣ ـ دعم سوريا بمعدات وأسلحة جديدة بعد حرب تشرين الأول ١٩٧٣ لتعويض خسائرها ودعمها بمعدات دفاع جوي حديثة، بعد غزو إسرائيل الأراضي اللبنانية في عملية سلامة الجليل عام ١٩٨٢.

٤ ـ تمكن الإتحاد السوفيتي في هذه الفترة من توسيع دائرة نفوذه في اليمن الجنوبي وتحويله لدولة إلى دولة إشتراكية.

ـ شارك الإتحاد السوفيتي بكامل ثقله لدعم موقف مصر وسوريا حيث أصدر بيانا رسميا بتأريخ

٢٦ـالتقرير الاستراتيجي العربي لعام ١٩٩١، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، القاهرة ، ١٩٩٢، للموقع (www.ahram.net.eg).

٢٧ـعبد العليم طه ، الدور الروسي في النظام العالمي الجديد ، ورقة مقدمة الى ندوة اليات النظام العالمي الجديد ، مركز البحوث والدراسات السياسية ، القاهرة ، ١٩٩٢، للموقع www.ahram.org.eg

28- العارف عارف ، النكبة (نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ـ١٩٥٢)، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،بيروت ، صيدا ، ١٩٥٦، ص ٢٨٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥ ـ ٨ ـ ١٠ ـ ١٩٧٣ أدان فيه (إسرائيل) وأيّد المطالب المشروعة للعرب بتحرير كل الأراضي المحتلة من إسرائيل عام ١٩٦٧. أما فيما يخص الصراع العربي ألاسرائيلي فقد اعتمدت سياسة السوفيت على [٢٩]:

١ ـ رفض أي مواجهات عسكرية مع إسرائيل.

٢ ـ تأييد كلّ المبادرات السياسية التي تقوم على مبدأ التفاوض المباشر في إطار دولي مباشر.

٣ ـ التدرج في العلاقات الدبلوماسية والتجارية والثقافية مع إسرائيل مع ربط عودة العلاقات بالإنسحاب غير المشروط من الأراضي العربية المحتلة.

٤ ـ فتح باب الهجرة اليهودية على مصراعيه وهو ماشكل أكبر تحدي واجهته القضية الفلسطينية.

٥ ـ التمسك بنظرية توازن المصالح أساسا لحل الصراع العربي الإسرائيلي وقبول مبدأ الأراضي مقابل السلام. أما علاقة الإتحاد السوفيتي باسرائيل فقد لعب السوفيت دورا في نشأة اسرائيل وكانت الأغلبية الساحقة من المهاجرين اليهود هم من الروس، غير أن العلاقة السوفيتية الإسرائيلية قد تأرجحت متمايزة كل فترة منها عن الأخرى. فمثلا تميزت الفترة الواقعة بين عام (١٩٦٧_١٩٧٣) بالتأييد السوفيتي الكبير للعرب وخاصة بعد تعرض مصر إلى نكسة حزيران ١٩٦٧، فالإتحاد السوفيتي سعى لتحسين علاقته باسرائيل نتيجة لإنضمام حزب الماباي اليساري للإئتلاف الوزاري الإسرائيلي وهو حزب مؤيد للسوفيت علاوة على مرونة (ليفي أشكول) رئيس وزراء إسرائيل آنذاك تجاه السوفيت وتأكيده على ضرورة إشراكهم في التسويات الخاصة بمنطقة الشرق الأوسط. لقد وجد الفكر الإستراتيجي السوفيتي في مسألة دعم منطقة الشرق الأوسط ومدّها بالسلاح عاملا مهما لايعزز فقط استقلالها وتمكينها من الدفاع عن نفسها فحسب بل أيضا على أن يجعل من تلك المنطقة قوة دفاعية ضد تحديات الولايات المتحدة ونفوذها [30]. ومن جانب آخر نلاحظ أن الإتحاد السوفيتي وبسبب امتلاكه للقدرة النووية قد ساهم بصورة فعّالة في إيجاد حالة من الإستقلالية القصوى في التحكم بقدرته .

لقد جاء الإعتراف السوفيتي بأهمية ألأسلحة النووية بوصفها مقوما أساسيا من مقومات الإستراتيجية الدولية المعاصرة فبعد وفاة ستالين عام ١٩٥٣ وجدت القوى الدولية الجديدة المؤيدة لبناء إمكانات الردع النووي. وأعلن نيكيتا خروشوف (أن القدرات العسكرية اللازمة لردع أي عدو محتمل عن المغامرة بهجوم نووي لايمكن أن تتماثل مع تلك القدرات المطلوبة لمحاربة عدو حقيقي في حروب نووية فالحد الأدنى المطلوب لمنع الولايات المتحدة في ضرب الإتحاد السوفيتي بألاسلحة النووية هو أن تملك أسلحة نووية على نطاق يكفي لإلحاق تدمير أكبر بالولايات المتحدة الأميركية نفسها). وهذا ماصطلح على تسميته بالقدرة على امتصاص الضربة الأولى [31].

ويلاحظ من الجدول أدناه مدى تفوق الاتحاد السوفيتي في قدرته التسليحية مقارنة بالولايات المتحدة لعام ١٩٧٤.

٢٩ـ تقرير وزارة الدفاع الامريكي (البنتاغون) ، الجزء الخاص بالقوة العسكرية السوفيتية ، واشنطن ، تشرين الاول ١٩٨١، للموقع www. pintagon.org

30- فهمي عبد القادر محمد ، الصراع الدولي وانعكاساته على الصراعات الاقليمية ، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٩٠،ص ٢٠٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(٣٢)جدول للتفوق السوفيتي في القدرة التسليحية مقارنة بالولايات المتحدة

الإسلحة	الإتحاد السوفيتي	الولايات المتحدة
صواريخ بالستية عابرة للقارات	١٥٧٥	١٠٥٤
صواريخ بالستية متوسطة المدى	٦٠٠	ـــــ
صواريخ بالستية تطلق على الغواصات	٧٢٠	٦٥٦
قاذفات طويلة المدى	١٤٠	٤٣٧
قاذفات متوسطة المدى	٨٠٠	٦٦

لقد انعكس تسلح القوى العظمى على منطقة الشرق الأوسط وتصاعدت وتيرة حدتها خاصة بعد احتلال اسرائيل للأراضي العربية لتتحول بعدها المنطقة الى سوق مستورد للسلاح من مختلف الأنواع ورغم الإعلانات التي صدرت من الدول العظمى بالحد ومنع التسلح في المنطقة. إلا أن المنطقة صار لها دافع بالذهاب الى ماهو أبعد من التسلح التقليدي أي نحو التسلح النووي وربما يعود السبب الرئيسي في ذلك لإمتلاك اسرائيل للقدرة النووية التي ما لبث أن اعلنت عنها في الكثير من المحافل ولعل بدايتها قد برزت مع رئيس الوزراء الإسرائيلي (بن غوريون) في بداية نشوء اسرائيل [٣٢] . والسؤال الذي يطرح هنا، هل استطاعت منطقة الشرق الأوسط في تلك الفترة من امتلاك القدرة على التسلح النووي؟ للإجابة على ذلك سنرجع إلى بدايات التوجه نحو التسلح النووي لمعرفة التوازنات داخلها وذلك من خلال استعراض أولى المحاولات نظراً لأن الدراسة أفردت لها جزءاً خاصا للحديث حول قدرات وإمكانات الدول بما فيها قدراتها النووية وما وصلت اليه حتى يومنا هذا. فعلى سبيل المثال تشير المصادر في الحصول على السلاح النووي الذي تميزت به دول عربية بتوجهها بقوة نحو البرنامج النووي وهي مصر والعراق، فبالنسبة الى مصر فأن الحديث حول سعيها لتطوير قدراتها النووية الحقيقية قد بدأ طموحه منذ عام ١٩٥٥ وبدا بأنها بأمكانها التوسع ولكن سرعان ما أخذ وضعها يتراجع بسرعة وبصورة ملحوظة بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ حيث توجه الدعم المادي وموارد البلاد نحو تسليح الجيش المصري وإعادة بنائه وأعلنت القيادة السياسية المصرية تركيز جهودها نحو الإصلاح الإقتصادي ومن هنا شهدت فترة السبعينات لديها

٣١- الشهري حسن عبد الرحمن ، الأزمات والقلق النووي ، مجلة كلية الملك خالد العسكرية ،العدد (٧٤) ، ١-٩-٢٠٠٣ للموقع www. k kmag.gov.sa

32- cold war, Department of defense, American military strategy after the www.defenselink.mil 1993,p4.

33--خطاب يوسف كامل ، قراءة في الملف النووي الاسرائيلي ، ١-١٢- ٢٠٠٣ ،للموقع ، alhandasa.net

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تراجعا واضحا في برنامجها خصوصاً مع توقيع اتفاقية السلام مع (اسرائيل) كامب ديفيد ١٩٧٩ وهجرة معظم علماء الذرة المصريين لخارج البلاد حيث وصل التراجع عن المشروع بتصديق مجلس الشعب المصري على إتفاقية حظر انتشار الاسلحة النووية لعام ١٩٨١. أما بالنسبة للعراق فقد كانت حكومة المملكة العراقية قد أسست منذ عام ١٩٥٦ لجنة الطاقة الذرية العراقية كما وأن الولايات المتحدة أهدت للعراق آنذاك مفاعلا نوويا للأبحاث بقدرة (٥ ميغاوات) حراري يصنع من قبل شركة جنرال أوتومكس وذلك لكون العراق مركزاً رئيسياً لحلف بغداد ، إلا أن المشروع لم ينفذ إثر قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وانسحاب العراق من الحلف. بعدها حصل العراق على أول مفاعل نووي من الإتحاد السوفيتي عام ١٩٦٨[٣٤]. كما أن العراق تعاقد مع فرنسا على شراء مفاعل قادرا على صناعة القنبلة النووية اطلق عليه مفاعل (تموز) ليعمل إلى جانب المفاعل السوفيتي السابق الذكر ويمكن القول أن العامين ١٩٧٩-١٩٨٠ شهدا بذل الجهود العراقية لتوفير مصادر الطاقة النووية اللازمة لتشغيل مفاعلاته محلياً ومن مصادر خارجية وكان من المقرر أن يبدأ مفاعل تموز العمل في ربيع عام ١٩٨١ إلا ان(إسرائيل) انتهزت في تلك الفترة اندلاع الحرب العراقية الإيرانية لتتمكن من ضرب مفاعل تموز في ٧/حزيران ١٩٨١ والذي ساهم بتعطيل البرنامج النووي العراقي. أما سوريا والمملكة العربية السعودية فيمكن القول أنهما لا يسعيان وراء حيازة القدرات النووية رغم أن سوريا تمتلك مفاعلا تجريبيا صغيرا بنته لها الصين ولكن التآكل الحاصل في قدرات سوريا العسكرية التقليدية على مدى العقود الماضية كونها دولة مواجهة مع اسرائيل جعل اهتمامها رغم هذا يتعزز بأسلحة الدمار الشامل ووسائل حملها الى أهدافها التكتيكية بالدرجة الاساس، اذ تعد سوريا مثالاً جيداً لنظام اختار أسلحة الدمار الشامل كطريقة تدخلت في تحديده التكاليف للحفاظ على ثقله في وجه الفجوة المتنامية بينها وبين إسرائيل في الجانب التقليدي [٣٥] . وفيما يخص الجانب الإيراني في هذا المجال ففي عهد الشاه (محمد رضا بهلوي) أولت اهتماماً مبكراً يرجع بتاريخه لعام ١٩٥٧ عندما وقعت إيران اتفاقية مع الولايات المتحدة لإنشاء مفاعل أبحاث في طهران، فباشر المفاعل عمله والذي كان بقوة (٥ميكاوات) في العام ١٩٦٧، ولكن البرنامج النووي الإيراني ظل موجهاً نحو الأغراض السلمية الى أن تسنّى لإيران إنشاء أول محطة نووية هي محطة (بوشهر) في عام ١٩٧٦ بالتعاقد مع المانيا الإتحادية وكان من المفترض أن يكون فيها مفاعلان قوة كل منهما(الف ومئتا ميغاوات) وشرعت إيران في تلك السنة بإرسال بعثات دراسية في تقنيات الطاقة النووية[٣٦] . غير أن إيران اوقفت نشاطها النووي مع بداية حربها مع العراق في العام ١٩٨٠ ولم تستانف نشاطها إلا بعد عام ١٩٨٨ حيث حاولت إيران استكمال بناء مفاعل (بوشهر) لكنها جوبهت برفض ألماني ثم حاولت مرة أخرى شراء مفاعل جديد من الهند وجوبهت عندها بضغوط اميركية أجبرت الهند على الامتناع إلا أن ايران في هذه الفترة لم تيأس إذ سرعان ما توجهت إلى الصين فوقعت معها اتفاقية أمدها عشر سنوات بنت خلالها مفاعل اصفهان.

٣٤- علي علي المليجي،البرنامج النووي المصري، مجلة كلية الملك خالد العسكرية ع (٨٠)، ١-٣-٢٠٠٥ ، للموقع www.khaled.com

٣٥-اسلحة الدمار الشامل في الشرق الاوسط ، (ديناميات الانتشار والعواقب الاستراتيجية ، اعداد مؤسسة رائد للبحوث والدراسات السياسية ،ع (١١٠٩) تشرين اول ٢٠٠٦، www.alhourriah.org

٣٦- قضية الانتشار النووي (التطورات والابعاد) ، رئاشة التحرير ، مجلة كلية الملك خالد العسكرية ،ع (٧٥) ١-١٢-٢٠٠٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى الجانب التركي فمنذ عام ١٩٧٦ أعلنت هيئة الطاقة الذرية التركية عن منح ترخيصها بإنشاء مفاعل (أكوبو) في حزيران من العام نفسه. غير أن تركيا وبسبب الإعلان عن توجهها هذا فقد واجهت العديد من الضغوطات على المستوى الداخلي فعلى سبيل المثال أشارت صحيفة الحياة التركية لخطورة المفاعل النووي التركي في حال قيامه وعزت تلك الخطورة بإتجاهين أولهما حصول تسابق في المنطقة على بناء مفاعلات كبيرة وثانيهما، أن حجم الكارثة في حال حصول أي خلل أو انفجار في المفاعل النووي التركي يوازي (٥٠ قنبلة) من تلك التي أسقطتها الولايات المتحدة على اليابان أواخر الحرب العالمية الثانية، كما أن بعض المراقبين قد فسر المتطلبات التركية نحو التوجه للسلاح النووي على انعكاس نزعة الهيمنة على المنطقة والموجود في الأساس في عقول الجنرالات الاتراك[٣٧]. ومما سبق الإشارة اليه يبدو أن منطقة الشرق الأوسط حاملة لنوايا رغبتها في التسلح النووي إذ سيلاحظ أن العديد من الدول التي استوقفت برنامجها النووي في فترة الحرب الباردة لسبب أو لآخر ستأخذ باستكمال برنامجها النووي بعد نهاية الحرب الباردة وزوال القوة السوفيتية باستثناء إسرائيل المدعومة من قبل الولايات المتحدة لتحقيق قوة استراتيجية تتفوق بها على دول المواجهة العربية. لقد سعت اسرائيل منذ بداية نشأتها على أن تخطو نحو امتلاك السلاح النووي في ظل أيمان من القيادة الإسرائيلية، ويمكن القول أن تأريخ الـ ١٥ من آب ١٩٤٨ هو بداية الخطوات الأولى لتحقيق هذا الهدف، ويمكن تلخيص أهم مراحل بناء القوة النووية الإسرائيلية فرضيا من خلال عدة مراحل وكالآتي [٣٨] .

المرحلة الأولى (١٩٤٨- ١٩٦٣) وفرت إسرائيل خلال هذه المرحلة الوقود النووي أو مايعرف(بدورة الوقود النووي) والسعي لإمتلاك جميع العناصر الضرورية اللازمة في هذا المجال والتي تتضمن على سبيل المثال توفيرالكوادر العلمية اللازمة وعقد الإتفاقيات والإتصال مع الدول ذات الخبرة في هذا المجال وعلى رأسهم فرنسا والولايات المتحدة .

المرحلة الثانية (١٩٦٣- ١٩٦٦) يمثل هذا التأريخ إنطلاقة إسرائيل نحو إنتاج السلاح النووي وفي إطار التعاون الوثيق مع الدول الصديقة من خلال التبادل المادي والمعرفي في هذا المجال.

المرحلة الثالثة (١٩٦٦- ١٩٨٦) مرحلة إتخاذ القرار السياسي للإنتاج الخاص بالأسلحة النووية.

المرحلة الرابعة (١٩٨٦....) وصفت بمرحلة المنعطفات الجديدة في القوى النووية الإسرائيلية من خلال التمكن من تكنولوجيا التصغير ووصولا لإحتمالات المشاركة في التجارب التفجيرات الهندية. ساهمت فرنسا مساهمة تأريخية في دخول إسرائيل الفعلي للمجال النووي إذ قام ديفيد بن غوريون أول رئيس وزراء لإسرائيل بالإتصال بالقيادات الفرنسية للتعاون في مجال الأبحاث النووية مستغلا معاناة اليهود الفرنسيين على أيدي النازيين أما الفرنسيون فقد رحبوا في ذلك الوقت بالتعاون مع إسرائيل لعدة اعتبارات منها، التعاون القائم فعلا بين العديد من العلماء الفرنسيين وبخاصة اليهود منهم والعلماء الإسرائيليين وخاصة من الفرنسيين الذين هاجروا حديثاً لإسرائيل والحرص الذي أبداه بعضهم من الوقوف على

٣٧- العلاف خليل ابراهيم ، القدرات النووية التركية وامن الشرق الاوسط ، منبر دنيا الوطن ، ٢٨- ٦-٢٠٠٦ للموقع ، www.duniaaalwatan.net

٣٨- العطية ممدوح حامد ، البرنامج النووي الاسرائيلي والامن القومي العربي ، تقديم ومراجعة جلال عبد الفتاح ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٦، ص ٤٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أبحاث العالم اليهودي (اسرائيل دوستروفسكي) علاوة على ما أبدته قيادات الحزب الإشتراكي الفرنسي الحاكم آنذاك وعلى رأسهم ليون بلوم قائد الحزب من تعاطف مع حزب الماباي الإشتراكي الحاكم في اسرائيل بقيادة بن غوريون. وايا كانت الدوافع لكلا الطرفين للتعاون في هذا المجال فقد تمّ في ذلك الوقت الإقتراب الفني بينهما خاصة بعد إعلان إنشاء مؤسسة الطاقة الذرية الإسرائيلية في ١٣ حزيران ١٩٥٢ ونظيرتها الفرنسية، تلا ذلك إتفاق رسمي بين الجانبين في مجال التعاون النووي عام ١٩٥٣. وإذا كان الدور الفرنسي دوراً مؤثراً في المجال النووي فأن الدور الاميركي لا يمكن أن ينكر في هذا الجانب اذ أمّدت الولايات المتحدة اسرائيل بخبرتها النووية عن طريق علماء الذرة الاميركيين الذين تعاونوا مع اسرائيل وبخاصة تلك التي كانت تحت إشراف علماء يهود أمريكان لكن الأهم هو بناء أول مفاعل نووي بحثي المعروف بأسم (ريشون ليزيون) عام ١٩٥٤ بقوة (٨ ميغاوات) لإنتاج النظائر المشعة أساسا وكان لتشغيله فضل كبير على تقدم البحث العلمي في إسرائيل[٣٩]

ومن اللافت للنظر هنا أن توجهات تلك الدول في تلك الحقبة من الزمن كانت مقترناة بنداءات عديدة للحد من التسلح المتصاعد في المنطقة والتي أعتبرت أكثر مناطق العالم سخونة بفعل الصراع العربي الإسرائيلي ورغم النداءات تلك فأن موجة التسلح ظلت سارية ولعل السبب يعود بالدرجة الأساس وخاصة من وجهة النظر العربية والإرانية نتيجة للموقف الإسرائيلي في الحد من التسلح دون جعل منطقة الشرق الأوسط خالية من الأسلحة غير التقليدية محاولة لجعل التوازن الإستراتيجي في المنطقة يميل لصالحها ويبدوأن وقف حمى التسلح في المنطقة يعد قرارا صعبا خاصة في ظل غياب قوة ساندة لقضية الصراع العربي الاسرائيلي إذ يعد الحد من التسلح في المنطقة أمراً مقروناً بتوافر جملة من العناصر وقد تقف في المقدمة منها الحاجة لقرار سياسي يتوقف في الأساس على إدراك النظام السياسي لأمنه القومي وحجم التهديدات الخارجية وعن مدى ارتباط الدول نفسها بالمعاهدات الدولية فضلا عن ضرورة توافر آليات ردع لتوقيع الجزاءات على الدول التي تنتهك المعاهدات. ناهيك على أن سباق التسلح بكافة جوانبه التقليدية وغير التقليدية يحمل في طياته العديد من المخاطر تقف في مقدمتها [٤٠] ، الإنفاق وخطورة وجود القدرة التدميرية الكاملة وزيادة أرجحية حدوث الحرب . وإذا استطعنا أن نؤكد أن مثل تلك القوى المنتشرة في المنطقة والمرافقة لموجة التسلح بإسناد القوتين العظمتين لن يجري استخدامها نتيجة لوجود القطبين وحالة توازن الرعب القائمة بينهما، إلّا أن السؤال المطروح هنا، كيف يمكن ضمان استمرار حالة التوازن هذه ؟ للإجابة على هذا السؤال يمكن القول أن هنالك عدة عوامل تهدد هذا التوازن ولا توجد مسألة حتمية أو قطعية يمكن الإعتماد عليها في ظل التغيرات الدولية المفاجئة التي قد تعصف بالنظام العالمي الثنائي القطبية وهي [٤١] :-

١ ـ تفكك الإتحاد السوفيتي وانهياره كقطب عالمي جعل القدرة النووية في العالم غير متوازية .

٢ ـ .أصبحت لكوريا الشمالية قوة نووية تصدرها خارج بلادها .

٣٩ـ العماري عباس رشدي ، الخيار النووي الاسرائيلي والسياق الحضاري ، مجلة السياسة الدولية ، ع ٨٨ ، نيسان ١٩٨٧، ص ٢٦١,

٤٠ـ بدران شريف ، منطقة خالية من الاسلحة النووية في الشرق الاوسط هل هي شيئ بعيد المنال ، قراءات ستراتيجية ، ايار ٢٠٠٤، للموقع www.albaian.com

٤١ـ بدران شريف ، نفس المصدر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣ ـ التباين الحاصل في سرعة التطور التكنولوجي في الدولتين روسيا والولايات المتحدة مما قد يؤدي إلى تفوق أحداهما في مجال ابتكار وإنتاج الأسلحة الإستراتيجية .

٤ ـ .انتشار الأسلحة النووية في دول كثيرة كانت لا تملكها وهذا ما يدعى بقضية انتشار الأسلحة النووية مما قد يؤثر في تغيير التوازن القائم للقوى المتحالفة مع الولايات المتحدة وروسيا ومنها على سبيل المثال إسرائيل وإيران كقوة نووية واعدة. دون شك أدى انهيار الإتحاد السوفيتي إلى تدهور مكانة المنطقة العربية وتراجع أهمية قضاياها وضعف تأثيرها في المتغيرات الدولية وإلى انفراد الولايات المتحدة بالحل. ويظهر تأثير هذه النتيجة بصفة خاصة على كل الدول المعتمدة كليا على التسلح السوفيتي كسوريا وليبيا والعراق والجزائر، فمثلا سوريا قد أصبحت عاجزة ليس فقط عن تنفيذ سياسة التوازن الإسترتيجي التي كانت تتبعها في مواجهة إسرائيل، بل أيضا عجزت عن مجرد الحفاظ على بنيتها العسكرية والتسليحية المملوكة لديها أو الإبقاء على فاعليتها وكفائتها القتالية .

ثانيا ـ الإنفراد الأمريكي بالهيمنة .. ويمثل هذا الإنفراد نتاجا منطقيا للنقطة السابقة، فانهيار الإتحاد السوفيتي وانسحابه من ساحة المنافسة العالمية قد أدّى إلى إخلاء الساحة أمام الولايات المتحدة وباقي المنظومة الرأسمالية العالمية ويفضي مثل هذا الوضع تلقائيا لتمكن الولايات المتحدة من فرض قائمة اهتماماتها في مجال الأمن الدولي وامتلاك قدرة أكبر للتحكم في حركة التدفقات التسليحية على مستوى العالم إضافة لإمتلاك قدرة أكبر لضبط الصراعات الإقليمية، فحرب الخليج تعد أنموذجا لهيمنة الإنفراد الأمريكي [٤٢]. وتعود الإستراتيجية الأمريكية الراهنة لإعادة تشكيل بنية الشرق الأوسط لبداية عقد التسعينات وبالتحديد منذ نهاية عهد الرئيس الأميركي الأسبق جورج بوش، حيث قامت وزارة الدفاع الأميركية مع مطلع عام ١٩٩٢ بتجميع عناصر وثيقة أطلق عليها أسم (إرشاد التخطيط الدفاعي) فكانت تلك الوثيقة الأولى بعد تفكك الإتحاد السوفيتي والتي قضت بتحرك الولايات المتحدة لقطع الطريق على أية قوة منافسة في أوروبا أو أسيا أو الشرق الأوسط بمعنى تحديد الوثيقة بأن تكون الولايات المتحدة هي القوة العظمى الأولى المهيمنة على العالم عموما وعلى منطقة الشرق الأوسط خصوصا [٤٣].

إن إحدى الخصائص التقليدية لمنطقة الشرق الأوسط تتمثل في مايسميه شانتال (أهميتها الإستراتيجية عابرة الاقليمية)، التي تعود الى عوامل متعددة أبرزها احتياطيها الضخم من النفط ،وتحكمها في خطوط ملاحية دولية رئيسية ،وتأثيرات الصراع العربي الإسرائيلي وبؤرة الصراع المزمنة في الخليج العربي على مصالح الأطراف الدولية بها وقربها الجغرافي من أوروبا [٤٤].

ثم ما بدأت تفرزه من عناصر تهديد لأمن العديد من دول العالم الأخرى،وهي عوامل لم تهتز مع الوقت فرغم ماطرحه البعض من أن نهاية الحرب الباردة قد قلصت من الأهمية الإستراتيجية للإقليم،فقد كان من الواضح أن أهميته قد تعاظمت خاصة بالنسبة للولايات المتحدة، على نحو أدى لتدخلات واسعة من

٤٢ـ التقرير الاستراتيجي العربي لعام ١٩٩٢ ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ١١٦.

٤٣ـالهيمنة والتفرد (هوس الريادة)، ٢٠٠١، للموقع www.islamimo.com

44- Chantal de Jonge oudraat- Editor-, conference of Research Lnstitutions in the M,iddle EAST PROCEEDING of the cairo conference- 18-20 April 1993 Newyork and Geneva uited Nations institute for Disarmament Research Document unidir 94+16, 1994, p2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جانبها في تفاعلات الإقليم، كما وضح بالنسبة لعملية التسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي ومسألة انتشار أسلحة الدمار الشامل وماسمي (الدول المارقة) خلال التسعينات، ثم بمشكلة الإرهاب وتغيير النظم السياسية بعد ماوقع في ١١ ايلول ٢٠٠١ من هجمات مباشرة ضد أراضيها ،من جانب عناصر شرق أوسطية تنتمي في غالبيتها لدول حليفة تقليديا لها [٤٥]. لقد اهتمت السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط بالتوازنات الإستراتيجية القائمة في المنطقة حيث تعد من المواضيع الحيوية التي تدخل في صلب الأمن القومي الأمريكي فقد اتاح انتهاء الحرب الباردة وانهيار الإتحاد السوفيتي إمكانية حقيقية أمام الولايات المتحدة والمنظومة الرأسمالية العالمية لإعادة ترتيب الأوضاع الأمنية والعسكرية في الشرق الأوسط وفق رؤاها ومصالحها ، فالتطورات سالفة الذكر أضعفت موقف الدول العربية في مواجهة القوى الخارجية ، علاوة على أن الغزو العراقي للكويت وما أعقبه من تداعيات قد تسبب في خلق حالة متجذرة من الإنقسام فيما بين الدول العربية بما خلق نزوعا نحو تبني سياسات قطرية للأمن والعزوف عن بلورة سياسة أمنية عربية جماعية ، الأمر الذي أفضى الى تحويل المنطقة الى ساحة رخوة وقابلة لإعادة التشكيل دون أدنى امكانية للمقاومة والرفض . وهناك عدة آليات أساسية جرى استخدامها من جانب الولايات المتحدة والدول الصناعية المتقدمة لإعادة ترتيب أوضاع الأمن في المنطقة على النحو التالي :

أ ـ ترتيبات الأمن الإقليمي

لقد اهتمت الولايات المتحدة عقب غزو العراق للكويت التوصل إلى ترتيبات أمنية جديدة فيالمنطقة للحيلولة دون تكرار التطورات التي أفضت للحرب، بحيث أصبحت هذه الترتيبات حجر الزاوية في مجمل النشاط السياسي العسكري الأمريكي في المنطقة. والملاحظ هناك عدة ركائز أساسية لترتيبات الأمن الإقليمي في منطقة الخليج تتمثل في : ـ

١ ـ الميل نحو تفضيل الترتيبات الأمنية الثنائية فيما بين دول مجلس التعاون الخليجي كل على حدة والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وروسيا الإتحادية، بما ينطوي عليه ذلك من الإبتعاد عن صيغ الأمن الجماعي العربي. وبشكل عام فتلك الترتيبات استهدفت تزويد دول الخليج العربي لاسيّما الكويت بضمانات قوية للحفاظ على أمنها في مواجهة أية تهديدات محتملة، مع إتخاذ الإستعدادات الكفيلة بتمكين قوات الدول الضامنة للأمن من العودة بقوات عسكرية كبيرة بعد وقوع عدوان فعلي .

٢ ـ الحفاظ على وجود بحري أمريكي دائم في منطقة الخليج العربي وبقوات كبيرة ربما تفوق ماكانت عليه قبل أزمة الخليج ويلبي هذا الوجود البحري أغراضا متعددة، فهو يساعد على حماية ممرات إمدادات النفط من دول الخليج كما يساعد على ردع العراق وإيران بصورة تفوق القيمة الردعية للوجود العسكري البري في دول تلك المنطقة.

٣ ـ تعزيز القدرات العسكرية لدول الخليج العربي، وإمدادها بنوعيات فائقة التقدم من الأسلحة والمعدات لزيادة قدراتها العسكرية، بهدف إظهار التأكيد العملي على إلتزام الولايات المتحدة بدعم القدرات الدفاعية لتلك الدول. فتلك الصفقات التسليحية كانت تستهدف في أحد جوانبها تعديل ميزان المدفوعات للولايات

45- Fred Wehling - Editor , Workshop on arms Control and Security in the Middle East 111, 1GCC , polisy paper 23, June 1996, p6.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المتحدة وتدعيم الإستقرار الأقليمي والداخلي في الدول المستوردة للسلاح [46].والواقع أن الترتيبات المذكورة أعلاه تعكس رغبة الولايات المتحدة في إجهاض إمكانية تبلور صيغة عربية للأمن الجماعي في الخليج العربي، طالما أن مثل هذه الصيغة قد تنطوي على استبعاد للولايات المتحدة في ترتيبات الأمن في المنطقة، ويشكل متغيرالوجود العسكري الأمريكي في تلك المنطقة الهامة متغيرا حيويا في التوازنات داخل منطقة الشرق الأوسط استنادا للضرورات الإستراتيجية التي يعكسها هذا الوجود على السياسة الأميركية، ولعل أهم الضرورات العسكرية التي يلبيها الوجود العسكري الأميركي في المنطقة تتمثل في إمكانية شن الحروب والتحرك لمواجهة التحديات المباشرة للمصالح الأميركية. فالولايات المتحدة تعتبر القوات الموجودة حاليا في المنطقة مسؤولة عن القيام بأي عمل عسكري ضد إيران على سبيل المثال إذا تطلب الأمر لمواجهة تهديد البرنامج النووي الإيراني وينسحب الأمر نفسه على مكافحة ماتسميه الولايات المتحدة (بالإرهاب) فالولايات المتحدة تعتبر أن (الوجود العسكري الضخم التابع لها في منطقة الشرق الأوسط يعد عاملا رئيسيا في إستراتيجية الحرب على الإرهاب) إلى جانب عوامل أخرى. وتشير كافة المؤشرات الى أن منطقة الشرق الأوسط ستمثل منطقة لإعادة انتشار وتمركز القوات الأميركية حيث تشير تقارير وزارة الدفاع الأميركية الى أن خريطة تمركز هذه القوات تتضمن مايزيد على (٦٣) موقعا عسكريا في (١١دولة) من دول مايسمى أميريكا الشرق الأدنى ومنطقة الخليج العربي وشمال أفريقيا، إضافة للتسهيلات الممنوحة والحضور المكثف لوحدات كبيرة منها في وسط وجنوب آسيا حول وداخل افغانستان فمجال عمل تلك القيادة يشمل (٢٥ دولة) تقع على المساحة الممتدة من باكستان شرقا الى المغرب غربا[47]. وقد أدّت تداعيات حرب الخليج الثانية ١٩٩١ الى تحول كبير في شكل الوجود العسكري الأميركي في الشرق الأوسط ومنطقة الخليج العربي تحديدا وفي اتجاهين[48] ، أولهما اتساع نطاق التسهيلات العسكرية المقدمة للقوات الأميركية في قواعد ومحطات وموانيء ومطارات ومعسكرات الغالبية العظمى من دول المنطقة ذات العلاقة بالولايات المتحدة وبعض الدول التي لايبدو أنها تربطها علاقات سياسية قوية بها وتتضمن تلك التسهيلات حق استخدام المجال الجويو المطارات العسكرية وزيارة الموانيء وعمليات النقل الجوي والإنتشار المتقدم وخدمات الوقود والصيانة وتخزين الأسلحة اضافة الى المناورات العسكرية المشتركة.

وثانيهما تزايد عدد عدد القواعد العسكرية الرئيسية ليصل إلى قواعد عسكرية في دول الخليج العربي، وتأتي أهمية تلك القواعد أنها تشكل مراكز عمليات رئيسية شبه متكاملة تتمتع باستقلالية نسبية وقدرة عامة على عدم دعم عمليات قتال جوية أو برية أو بحرية سواء من خلال تمركز عناصر من تلك القوات فعليا فيها أوتجهيز القاعدة لإنتشارها وقت الحاجة. ومع تواصل أوسع عملية لإعادة انتشار القوات الأمريكية المتواجدة بالخارج منذ نهاية الحرب العالمية الثانية يمكن تحديد أهم المحددات والمعايير الحاكمة لعملية إعادة نشر تلك القوات في العالم عموما ومنطقة الشرق الأوسط بشكل خاص[٤٩] :

١ ـ مستوى المشاعر المعادية للولايات المتحدة في الدول المستضيفة.

46- التقرير الاستراتيجي العربي لعام ١٩٩٣، مصدر سبق ذكره ، ص ,١١٧

47- الميزان العسكري السنوي ، المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية ، لندن عام ٢٠٠١-٢٠٠٢

48- منور هشام ، مامستقبل الوجود العسكري الامريكي في المنطقة ؟، ٢٠٠٨، الموقع www.aming.org

49- Ready to move in , Time , December 2 , 2002, - report,p3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢ ـ مدى سماح الدول المستضيفة بحرية حركة القوات البرية والجوية في استخدامها لاراضيها

٣ ـ حجم الإستثمارات المالية والعسكرية التي تم إنفاقها في كل موقع.

٤ ـ الأهمية الجيو سياسية للدولة المستضيفة.

٥ ـ يرجع تبني الولايات المتحدة لإستراتيجية جديدة لإعادة نشر قواتها في المنطقة إلى العبء المالي لإبقاء هذا العدد الكبير من الوحدات في الخارج حيث تشير التقارير أن البنتاغون ينفق أكثرمن (مليار دولار) في السنة على هذه الوحدات في حين تبرز الحاجة لتوظيف هذه الاموال في تطوير التكنولوجيا العسكرية وفي عمليات تحديث القوات العسكرية . والى جانب الضرورات العسكرية توجد ضرورات اقتصادية للوجود الأميركي في المنطقة ويتمثل في الهيمنة على النفط((٥٠)).

وبالنسبة للولايات المتحدة توجد ثلاثة مصادر رئيسية قد تهدد إمدادات النفط من دول الخليج العربي وأولها مستوى الإستقرار الداخلي بمعنى أن شيوع الإضطرابات في دولة منتجة للنفط مثل السعودية قد يحول بدوره دون حصول الولايات المتحدة على نسبة كبيرة من وارداتها النفطية أما مصدر التهديد الثاني فيتمثل في البنية التحتيه للنفط بما يتضمنه من أنابيب النفط ومعامل التكرير فعلى سبيل المثال تعرض حقل (ابقيق) السعودي في شباط ٢٠٠٦ لهجمات إرهابية من قبل تنظيم القاعدة والتي عّدتها الولايات المتحدة بمثابة مؤشر على نية (القاعدة) استهداف البنى التحتية النفطية في المنطقة.

وأخيرا فان مصدر التهديد الثالث هو الممرات البحرية على اعتبار أن نحو ١٧ مليون برميل أو ٥٢% من التجارة العالمية للنفط تتدفق عبر مضيق هرمز يوميا، وهنالك دول مثل إيران أو تنظيمات إرهابية مثل (القاعدة) قد تهدد تدفق هذا النفط عبر مضيق هرمز أو الممرات المائية الأخرى مثل باب المندب الذي يربط بين البحر الأحمر وخليج عدن وبحر العرب.

كذلك تشكل الضرورات السياسية والمتمثلة بالمحافظة على أمن حلفائها وأصدقاءها في المنطقة فالولايات المتحدة ومن خلال وجودها في المنطقة تسعى لحماية أمن اسرائيل الحليف الرئيس لها في المنطقة كذلك طمأنة دول التعاون الخليجي الست بأن الولايات المتحدة مستمرة في التزامها الطويل المدى بالحفاظ على أمن الخليج العربي من التهديدات الخارجية المختلفة في ايران والداخلية المتمثلة بالارهاب وعدم الاستقرار الداخلي للمجتمعات الخليجية ودعمها بكافة المساعدات الأمنية المطلوبة لمواجهة أي خطر مستقبلي محتمل[51]. أما الضرورات الامنية للوجود فيمكن تحديدها بالاتي [52] :-

١ ــ أصبح الوجود العسكري في منطقة الشرق الإوسط استراتيجيا بالنسبة للولايات المتحدة ويختلف كليا عن الوجود العسكري في باقي مناطق العالم فهو ومن وجهة النظر الأمريكية يحدد مستقبل الولايات المتحدة كقوة عالمية متفردة بسيطرتها على العالم.

50- عبد الجواد علي ،السياسة الأمريكية تجاه العراق وانعكاساتها على منطقة الخليج ، ٢٠٠٨ للموقع . www.aulfithemedia.com

51 : ـ الدندشلي اسعد، نتائج سلبيات الوجود العسكري الامريكي ومستقبله ، ٢٠٠٨ ، للموقع www.addandachli. maktoob. com

52: ـ عبد الجواد علي ، مصدر سبق ذكره ، الصفحة بلا .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢ ـ يدعم النفوذ والتأثير الأميركي في المنطقة عن طريق تدعيم منظومتها الأمنية وتحالفاتها .

٣ ـ تستثمر الولايات المتحدة وجودها العسكري أمنيا لردع ومواجهة الدول التي تشكل تحدي للسياسة الأميركية في المنطقة كإيران التي تسعى الولايات المتحدة الى تحجيم نفوذها في المنطقة مواجهة سعيها في امتلاك التكنولوجيا النووية التي تهدد من وجهة النظر االأمريكية مصالحها مع إسرائيل في الشرق ألوسط .

٤ ـ تحكم السياسة الأميركية تجاه منطقة الشرق الأوسط عموما والخليج العربي خصوصا العديد من الأمور المرتبطة ارتباطا مباشرا بوجودها في المنطقة ،أول هذه الامور يتمثل في الأمن حيث يعتبر أمن الخليج العربي هدفا استراتيجيا للولايات المتحدة ومن ثم تعمل الإدارات الاميركية المختلفة على الحفاظ على أمن واستقرار المنطقة وعلى كل المستويات السياسية والإقتصادية والإجتماعية فكلّ تغيير في المنطقة يؤدي لحدوث اضطرابات وقلاقل تؤثر في مصالح الولايات المتحدة، ومن هنا يأتي التوازن الإستراتيجي الإقليمي بحيث يبقى محافظا على المصالح الأميركية والإسرائيلية في الشرق الأوسط. ويوضح ماسبق أن الوجود العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط الذي يتضمن وجود قواعد عسكرية رئيسية يمثل أحد المعطيات الأساسية في معادلات التوازن الإستراتيجي الإقليمي ويتيح للولايات المتحدة حرية الحركة الواسعة في مواجهة ماتعتبره مصادر تهديد لأمنها القومي ولأمن حلفائها في المنطقة وتحكم واسع النطاق في اتجاه التفاعلات السياسية بالمنطقة للحد من أي قوى اقليمية تهدد التوازن الإستراتيجي المطلوب أمريكيا في المنطقة ولصالح إسرائيل حتى لو كان على حساب حلفائها من العرب لكنه مع ذلك يواجه تحديات ذات أهمية خاصة تتصل بمواقف بعض الدول والتيارات السياسية في مواجهته، إذ يتصاعد التوجهان، الوجود والعداء معا في الوقت الحالي .

ب- تجارة السلاح

يمثل السلاح أهم سلعة دولية ويحتل مركزا متقدما للغاية في قائمة أكثر السلع تأثيرا في حركة الإقتصاد العالمي ، فالولايات المتحدة هي دولة الإنتاج والتصدير الأولى في العالم وبهذه الصفة تستطيع التحكم وبدقة فيما يتسلح به الآخرون من حيث النوعية ومن حيث الكم وغالبا ماتتم عملية بيع السلاح تحت إشراف وتدريب خبراء أمريكيين . ويحدد التقرير الصادرعن مؤسسة (خدمة أبحاث الكونغرس) التابعة للكونغرس الأمريكي عام ٢٠٠٥ والموسومة (مبيعات الأسلحة التقليدية الى الدول النامية خلال الفترة من ١٩٩٧ الى ٢٠٠٤) منطقة الشرق الأوسط كأهم سوق رئيسي للأسلحة الامريكية وتبقى الولايات المتحدة مصدر الأسلحة الاكبر للمنطقة (كالبحرين ومصر والجزائر والعراق وإيران واسرائيل والاردن وتركيا والكويت ولبنان وعمان وقطر والمغرب والمملكة السعودية وسوريا وتونس والإمارات المتحدة واليمن). وبحسب التقرير فقد بلغت قيمة اتفاقيات بيع الاسلحة الأمريكية لمنطقة الشرق الأوسط بين عامي ٢٠٠٢-٢٠٠٤ رقم ١٨,٨ مليار دولار أي ٦٦% من إتفاقيات بيع السلاح لدول العالم [٥٣] . لقد شكّلت تجارة السلاح أحد أهم المتغيرات الأسياسية المؤثرة على التوازن الإستراتيجي في منطقة الشرق الأوسط لاسيما من ناحية توضيفها من قبل الولايات المتحدة، فبالإضافة للميزة الإقتصادية التي توفرها تلك التجارة كونها المحرك الرئيس للإقتصاد الأمريكي فهي توفر ميزةعسكرية أمنية للولايات

53- تجارة السلاح ، مجلة الانباء العالمية ، ع (٢٩٦)، ٢٠٠٦، للموقع www. alanbaalalamin.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المتحدة فبالإضافة لأهميتها كأحد وسائل النفوذ والوجود في المناطق المهمة بالنسبة للولايات المتحدة. فهي تنظر لقضية تسليح حلفائها وأصدقائها كعامل مهم ومكمل لحركة استراتيجيتها في المنطقة، فهي تؤكد على التزامها طويل المدى بالحفاظ على أمن دول الخليج العربي عن طريق بيع الأسلحة والمساعدات الأمنية المطلوبة لمواجهة أية مخاطر مستقبلية محتملة، وفي مقدمتها الهيمنة الإيرانية على المنطقة. فالولايات المتحدة تسعى لتزويد حلفائها في منطقة الخليج العربي وفي مقدمتهم السعودية بأسلحة ومعدات عسكرية لتعزيز أمن هذه المنطقة في مواجهة التحديات والمخاطرالإقليمية وهو ما واجه معارضة داخل إسرائيل التي ترغب في الحفاظ على تفوقها الإستراتيجي بين جيرانها في الشرق الأوسط، وفي هذا السياق أصدر مكتب أبحاث الكونغرس دراسة بعنوان (الحوار الأمني الخليجي ومقترحات بيع الأسلحة) بإعداد الباحثين (كريستوف بلانشارد وريتشارد جريمت) فجاء فيها (أن مبادرة الحوار الأمني الخليجي سوف تحرك على الأرجح صفقات الأسلحة لدول الخليج العربي خلال العام ٢٠٠٧، وأن تطوير قدرات الدفاع الصاروخي لهذه الدول يأتي على أولويات الأجندة الأمريكية)[54]. لقد أعتبر إقليم الشرق الأوسط من أكبر أسواق استهلاك السلاح في العالم فالدول الخليجية على سبيل المثال التي تصنف للحلف الأمريكي كالسعودية والكويت والإمارات وقطر والبحرين وعُمان أنفقت الكثير على شراء الأسلحة والمعدات العسكرية ومتطلباتها. وكانت أكبر موقع لعقود استيرادها من أمريكا منذ عام ١٩٨١ وحتى عام ٢٠٠٦ حصلت الولايات المتحدة على ٧٢(مليار دولار) مقابل صفقات التسلح والتجهيزات والتمارين العسكرية وغيرها من الخدمات ذات الصلة لدول مجلس التعاون الخليجي)[٥٥] . فتعد دول الخليج العربي من أكبر مستوردي الأسلحة من الدول الأوربية المصدرة في الفترة ما بين ٢٠٠٣ و ٢٠٠٦ مع احتفاظ السعودية بالمركز الأول حيث استوردت بما قيمتة (٧,٦ مليار دولار) من الأسلحة الأوربية وتلتها الإمارات بقيمة عقود شراء أسلحة وأوربية بلغت (٢ مليارددولار) ثم عُمان بقية (١ دولار مليار) فقط من الاسلحة الاوروبية [٥6] . وبهذا تحتل أربع دول عربية مراكز متقدمة في قائمة الدول النامية الأكثر استيرادا للأسلحة في العالم، وإذا دخلت اسرائيل في حسابات المنطقة فإن منطقة الشرق الأوسط تكون أكبر مناطق العالم استيرادا للأسلحة[٥٧] . وبهذا نجد أن الدول العربية هي الأكثر إنفاقا عسكريا وخاصة دول الخليج التي فاقت معدلاتها معدل ما وصلت اليه إسرائيل. وهذا الإرتفاع أثر سلبا على النمو الإقتصادي فانخفض نصيب الفرد من الإستهلاك والإستثمار كما انخفض المخزون الإستراتيجي من رأس المال وارتفعت قيمةأرقام المديونية الخارجية وإزدياد معدل التبعية الإقتصادية والإعتماد على الخارج في توفير الإحتياجات العسكرية وما يتصل بها من نفقات الصيانة والتدريب [٥٨]. ويلاحظ على القطاع العسكري في الدول العربية أنه لايولد وظائف جديدة ولا يتيح فرص عمالة أكبر ويعتبر من أقل القطاعات كفاءة من ناحية النفقات العامة لأنه قطاع يستنزف الموارد الموجهة أصلاً للتنمية والإستثمار الإجتماعي والرفاه الإقتصادي وفقا لتقديرات صندوق النقد الدولي، فإن تخفيض

٥٤- سيد احمد رفعت ، اغراق المنطقة في تجارة الاسلحة ... من المستفيد ؟ ٢٠٠٧ ، للموقع www.ifrigiyah.com

٥٥- سيد محمد رفعت ، اغراق المنطقة في تجارة الاسلحة ..من المستفيد ، مصدر سبق ذكره

٥٦- نفس المصدر ، الصفحة بلا .

٥٧- بشير محمد شريف ، الانفاق العسكري يزايد على حساب التنمية ;٢٠٠٣ للموقع www.islamonline.net

٥٨- بشير محمد شريف ، نفس المصدر ، الصفحة بلا .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النفقات العسكرية في العالم بمعدل ٢٠% سيوفر منافع كبيرة للإستثمار والإستهلاك في القطاع الخاص في الدول النامية إضافة الى أن هذا التخفيض سيزيد من الناتج المحلي الإجمالي في العالم بمعدل أعلى من المخزون العالمي من راس المال وسيكون أداة فعالة يحفز الدول الصناعية لمزيد من المساعدات الدولية والمساهمات العالمية في برامج الأمم المتحدة والمنظمات الدولية في الصحة والتعليم والبيئة وهذا يعكس التجارة غير المنظورة للسلاح بين أمريكا وحلفائها في أشكال مختلفة منها التجارة المباشرة والمساعدات الفنية والمعونات المادية الملموسة كما في حالة إسرائيل الأمر الذي عزّز قدرتها على التصنيع العسكري وبالتالي زاد حجم صادراتها من الإسلحة والأجهزة الحربية وتسجيل ميزانها التجاري العسكري أرقاماً إيجابية لصالحها أمام بقية دول المنطقة[٥٩] . وهذا الأمر منذر بالخطر فإسرائيل وإمكاناتها المتناهية والمدعومة من الولايات المتحدة تجعل من الدول العربية أكثر عرضة للهجمات وتقلل في نفس الوقت من قدرتها على الرد .وهذا عدّ واحداً من العوامل التي تسهم في إحداث الخلل في التوازن الإستراتيجي لصالح اسرائيل. ونستنتج مما سبق أن دول المنطقة العربية تجد نفسها دون أي حليف إقليمي أو دولي (بعد غياب الإتحاد السوفيتي) يمكن الإعتماد عليه وسط حالة من عدم التوازن العسكري الإقليمي مع الإفتقار للموارد اللازمة لمواكبة التطورالحاصل في مجال التسلح التقليدي وغير التقليدي، لاسيما ان هذه الدول تعتمد وخاصة الخليجية منها في سياسة التسلح على الولايات المتحدة وهي بالتأكيد لن تجعل من هذه الدول تتفوق في التسلح على حساب إسرائيل التي تملك صناعة عسكرية متطورة تؤمن لها الأسلحة والمعدات بنسبة عالية من خلال برنامج المساعدات العسكرية والأمنية للولايات المتحدة والموجه لإسرائيل حيث تحتلّ فيه المركز الأول في المنطقة من خلال حجم المساعدات المقدمة وبما يضمن لها حالة التفوق الإستراتيجي على دول المنطقة من جهة وعلى حرية الحركة للولايات المتحدة من جهة أخرى مدعومة بعملية بيع الأسلحة وشرائها من دول المنطقة بحيث تصبح الدولة المشترية للسلاح تحت تاثير الدولة المصدرة والمقصود هنا الولايات المتحدة نتيجة لتقيد الدول المشترية بسلسلة طويلة من الشروط والتنازلات لصالح الولايات المتحدة وإيجاد موطئ قدم لها داخل المنطقة .

ج- الحدّ من التسلح

يعتبر الحدّ من التسلح واحدا من أهم الآليات التي تسعى الولايات المتحدة والمنظومة الرأسمالية العالمية من خلالها لإعادة هيكلة التوازنات العسكرية والتحكم فيها في منطقة الشرق الاوسط. وواقع الأمر أن تلك الجهود جابهت منذ بداية مرحلة ما بعد حرب الخليج الثانية إشكالية المفاضلة ما بين المناهج الشاملة والمناهج الإنتقالية للحد من التسلح في المنطقة. بينما تقوم المناهج الشاملة على تأسيس نظام متكامل للحد من التسلح يشمل جميع دول المنطقة بصورة متساوية، فإن المناهج الإنتقائية تعتمد على توجيه جهود الحد من التسلح ضد طائفة معينة من الدول التي يجري تصنيفها مهددة للأمن الإقليمي بأكمله، وتوصف بأنها تدفع سباق التسلح في المنطقة . ولكل منهج من هذين المنهجين مزاياه وعيوبه من وجهة النظر الغربية. والحقيقة أن المبادرات القائمة على منهج الخفض الشامل والمتوازن للقدرات العسكرية في المنطقة كانت الأكثر تكرارا وتنوعا من جانب القوى الدولية الخارجية ونستطيع على وجه الدقة رصد خمس مبادرات أو مواقف للحد من التسلح في المنطقة تمثلت بالآتي:

١ - مبادرة الرئيس الامريكي جورج بوش لضبط التسلح في الشرق الأوسط ، واعلنت في ٢٩ مايو

٥٩- بشير محمد شريف ، مصدر سبق ذكره ، ، الصفحة بلا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٩٩١، بهدف وقف انتشار الأسلحة النووية والكيميائية والبيولوجية والصاروخية في المنطقة، علاوة على فرض قيود على تخزين الأسلحة التقليدية التي تؤدي لعدم الإستقرار في المنطقة.

٢ ـ الخطة الفرنسية لمراقبة ونزع التسلح، وأعلنت في مايو ١٩٩١ كإطار يصلح لمختلف مناطق العالم بما فيها الشرق الأوسط، بهدف التخلص من الأسلحة الكيميائية ووقف إنتاج الأسلحة البيولوجية وتخفيض الأسلحة النووية إلى الحد الأدنى اللازم للردع وتقييد انتشار تكنولوجيا الصواريخ الهجومية والتعاون في مجالات الفضاء لأغراض علمية مدنية ....الخ .

٣ ـ الإعلان الدولي بشأن عمليات نقل الأسلحة وعدم انتشارها فصدر في١٨ أكتوبر ١٩٩١ عقب اجتماع دول دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي، استهدف الإعلان وضع أسس مشتركة للتحكم في عمليات تصدير الأسلحة التقليدية بين تلك الدول مع دعوة الدول الأخرى لإتباع الأسس نفسها.

٤ ـ المبادرة المصرية لنزع أسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط، وأعلنت في ٨ ابريل ١٩٩٠ ، فدعت لإعلان منطقة الشرق الأوسط منطقة خالية من جميع أسلحة الدمار الشامل، وتضمنت أيضا ثلاثة مبادئ رئيسية، هي حظرجميع أسلحة الدمار الشامل بلا استثناء والتزام جميع الدول في المنطقة بدون استثناء، بهذا الحظر المتبادل والمتكافئ ، وضرورة وضع تدابير وآليات للتحقيق والتأكد من إذعان كلّ دول المنطقة للحظر المنصوص عليه بشكل كامل بدون إستثناء .

٥ ـ نظام السيطرة على تكنولوجيا الصواريخ البالستية، وجرى الإتفاق عليه في ابريل ١٩٨٧ بين الولايات المتحدة وألمانيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وكندا واليابان، بهدف العمل على وقف انتشار الصواريخ بصناعتها[٦٠]. إلا أن عملية الحد من أسلحة الدمار الشامل قد جابهت صعوبات عديدة منها :

١ ـ الصعوبات السياسية .. يعد الموقف الإسرائيلي أول الصعوبات السياسية وأكثرها تأثيرا في الحيلولة دون جعل منطقة الشرق الأوسط منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل يتمثل في رفض إسرائيل الإنضمام لمعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية ورفض النقاش حول أسلحتها النووية داخل اللجنة الدولية للطاقة الذرية وطرح اسرائيل أن التفاهم حول تلك الأسلحة سيتم بعد إقرار السلام في المنطقة والتركيز على اجراءات بناء الثقة بين أطراف الصراع والحديث عن أولوية التفاوض حول الأسلحة التقليدية وحجم الجيوش العربية وليس أسلحة الدمار الشامل.

٢ ـ الصعوبات الامنية .. سعت إسرائيل ومنذ مئشوئها لإمتلاك قنبلة نووية ، وظلّ الأمن هاجسها الأكبر، تزج به في كل قضية لتحسمها لصالحها وتدفع به لتبررعدوانيتها وتجاوزاتها وتسيطر به عندما تلوح الفرصة المناسبة ،فألامن لدى اسرائيل مبني على التفوق النوعي العسكري المطلق لذلك فان من الصعوبات التي واجهت إقامة منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط هوالتصور الاسرائيلي للأمن ومايتطلبه من استمرار تفوقها الإستراتيجي والعسكري على الدول العربية مجتمعة. وعموما فأمريكا تنظر إلى إنتشار أسلحة الدمار الشامل في منطلق المصالح الحيوية ولاسيّما منطقة الشرق الأوسط كأهم تحدٍ لها ولمصالحها فهي ضد أمنها واستقرارها في أولويات مصالح أمنها القومي. وفي هذا الصدد يقول جون رود مدير مكتب شؤون عدم الانتشار بوزارة الخارجية الاميركية عام ٢٠٠٦ (أن الأسلحة النووية والبيولوجية والكيمياوية قد تمكن أعداءنا من الحاق أضرار جسيمة بالولايات

٦٠- التقرير الاستراتيجي العربي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٨-١٢٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المتحدة وقواتنا المسلحة وأصدقائنا وحلفائنا ولذلك فأن العمل لتقليل أخطار وتهديدات تلك الأسلحة ومنع انتشارها يعتبر في غاية الأهمية)[٦١].

ويمكن القول أن العامل الأميركي قد أصبح منذ بداية التسعينات المحدد الأكثر تأثيرا لعمليات انتشار أو عدم الإنتشار النووي في المنطقة، فقد كان الدور الأمني واضحا في الدفع اتجاه تشكيل إطار المفاوضات المتعددة الأطراف حول ضبط التسلح ولأمن الإقليمي في عملية التسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي، فكانت بصمات أمريكا واضحة بكل التطورات المتعلقة بإدارة تفاعلات أطراف المنطقة مع النظام الدولي لمنع انتشار الأسلحة النووية المستند لمعاهدة منع الإنتشار والوكالة الدولية للطاقة الذرية بعكس ماكان الحال عليه خلال العقود السابقة حين كان النظام الدولي والتوجهات الاقليمية يتسمان بطابع مستقل نسبيا عن السياسة الامريكية[٦٢].لكن ألاكثر أهمية من كل ذلك هو أن الولايات المتحدة قد قامت بقيادة ثلاث عمليات كبرى تمكنت عبرها من منع أو وقف امتلاك أطراف اقليمية للاسلحة النووية في وقت كانت تلك الاطراف فيه قد تقدمت الى مديات مختلفة في اتجاه حيازة هذه الاسلحة من خلال برامج نووية سرية.

الاول ـ قيادة الولايات المتحدة عملية إزالة البرنامج النووي العراقي في مرحلة بعد حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ وبواسطة آليات دولية تتمثل في اللجنة الدولية التابعة للأمم المتحدة (أونسكوم) والوكالة الدولية للطاقة الذرية إلا أنها عادت ووظفت قضية إعادة التسلح بأسلحة الدمار الشامل كسبب لغزو العراق عام ٢٠٠٣

الثاني ـ قيام الولايات المتحدة وبريطانيا بعملية أدّت في النهاية إلى إعلان ليبيا عن خيارها النووي العسكري من جانب واحد عام ٢٠٠٣ .وتولى الجانبان فضلا عن الوكالة الدولية بعد ذلك مهمة تفكيك ونقل مرافق تخصب اليورانيوم لخارج ليبيا التي أقرت بأنها قامت ببناء برنامج نووي عسكري سري عبر تعاملات مكثفة في السوق النووي السوداء مع شبكة عبد القدير خان الباكستانية تحديدا بهدف امتلاك سلاح نووي[٦٣].

الثالث ـ قيام واشنطن بممارسة ضغوط حادة ومستمرة على إيران إثر اكتشاف برنامج تخصيب اليورانيوم الذي تملكه بهدف وقف أنشطتها النووية خاصة مايتعلق منها بتخصيب اليورانيوم عبر فرض عقوبات دولية وربما استهدافها عسكريا مستقبلا، فالولايات المتحدة تنظر للبرنامج النووي الإيراني كأهم تحد يمكن أن يؤثر على التوازن الإستراتيجي في المنطقة لغير صالحها فهي تنظر لبرنامج إيران النووي على أنه غطاء لتطوير أسلحة نووية عسكرية، بينما تصر إيران على أنه برنامج للأغراض المدنية والسلمية.

٦١ـ رود جون ، انتشار الاسلحة النووية اكبر تهديد للامن القومي الامريكي ، وزارة الخارجية الامريكية ، ٢٠٠٦، للموقع www. usingo stste.gov

٦٢ـ عبد السلام محمد ، السياسة الامريكية تجاه القضايا النووية في الشرق الاوسط ، كراسات استراتيجية ، السنة الرابعة عشر ، ع (١٤٦) ، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ، كانون الاول ٢٠٠٢ ، للموقع www.ahram .org.eg

٦٣ـ المصدر نفسه ، الصفحة بلا .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد جاء التطور الكبير بإعلان ايران نجاحها بتخصيب اليورانيوم الى المستوى الضروري لإنتاج الوقود النووي وبالتالي صارت علنا الدولة النووية الثامنة في العالم بعد الدول التي سبقتها لعضوية النادي النووي وهما سبع دول أعلنت عمليا امتلاكها التقنية النووية عن طريق إجراء تجارب علنية وهي الولايات المتحدة ،روسيا ،بريطانيا،فرنسا ،الصين،الهند وباكستان[٦٤].

إسرائيل التي لايوجد ثمة مايشاع على امتلاكها وتخزينها أسلحة نووية وحيازتها التقنية النووية منذ فترة طويلة تعد دولة نووية هي الأخرى. إن لسير الإيران في برنامجها النووي دفع بالإدارة الامريكية الى أن تمارس سيناريوهات عسكرية ضد إيران في حال الوصول لطريق مسدود الأول (٥ أيام) ويشمل حملة قصف واسعة النطاق بهدف تدمير طائفة من الأهداف العسكرية والسياسية منها مقرات الإستخبارات الإيرانية والحرس الثوري وبعض المواقع الحكومية والثاني يحتاج إلى (يوم واحد) وهو أشبه بضربة جراحية، ويشمل قصفا جويا محدودا في مواقع نووية أساسية. ووفقا لمسؤولين أمريكيين وسابقين فأن مخططي وزاره الدفاع (البنتاغون) ووكالة الإستخبارات المركزية الأمريكية . يدرسون الأهداف المحتملة مثل مشروع تخصيب اليورانيوم في منشأة (ناتنز)، منشأة تحويل اليورانيوم في أصفهان إلا أن أمريكا لم تترجم سلوكها لعمل عسكري إلى الآن ضد ايران لعدة أسباب أهمها ـ[٦٥]:

١ ـ ردة الفعل العسكري الإيراني لاسيّما مع القوات الأميركية الموجودة في العراق أو الخليج العربي أو في الرد على ضرب اسرائيل.

٢ ـ إنشغال الولايات المتحدة في الوضع في العراق وأفغانستان .

٣ ـ تشتت المواقع النووية الإيرانية، مما يجعل إمكان نجاح الضربة متدنيا جدا.

٤ ـ قد لن تؤدي الضربة في أحسن الحالات سوى إلى تأخير التطور النووي الإيراني.

٥ـ التمسك بخيار الدبلوماسية في التعامل مع البرنامج النووي الإيراني ودون تراجع أهمية الخيار العسكري في التعامل مع ايران .

وهنا تشير كوندليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية بقولها (أن ايران اذا امتلكت أسلحة نووية فانها ستزعزع منطقة الشرق الأوسط برمتها،ونلك الأسلحة تعتبر بمثابة البنك المركزي للإرهاب وهذه دولة يتحدث رئيسها عن محو دولة اسرائيل من على الخريطة فهي إذن دولة غير مسؤولة([٦٦].)

والرأي المطروح حاليا حول مستقبل التعامل الأمريكي مع الملف النووي الإيراني يحدده ريتشارد هاس رئيس مجلس العلاقات الخارجية في الولايات المتحدة في مطلع مقال كتبه تحت عنوان (من المبكر الحديث عن مهاجمة إيران) حيث يقول هاس، (على الولايات المتحدة أن تسعى بكل جهدها من أجل حلّ دبلوماسي للازمة مع ايران. بما في ذلك إجراء محادثات مباشرة معها فشنّ أية هجمات ضدها سيؤدي في النهاية إلى عواقب وخيمة). ويمضي هاس في إحصاء العواقب قائلا، (أن شنّ هجمات جوية على

٦٤ـ ايران ثامن دولة في العالم تخصب اليورانيوم عالي المستوى .... ، صحيفة الشرق الاوسط ع(٩٩٩٧)، للموقع www.aawsat.com

٦٥ـ حسونه عبد العزيز ، اثر السياسةالنووية الايرانية في السياسة النووية الاسرائيلية ، 2006; للموقع www. empressoffice .com

٦٦ـ كونداليزا رايس ، رسالة ايران لم تكن مفاتحة دبلوماسية جادة ٢٠٠٦ ، للموقع www. usinfo.stste.gov

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المواقع النووية الإيرانية ربما يؤدي لتدميرها، لكن هذه الضربات لن تدمر المعرفة الإيرانية كما ستؤجج المشاعر الإسلامية والعربية ضد الولايات المتحدة)[٦٧]. ويمكن القول أن السياسة الأمريكية تجاه القوةالنووية في منطقة الشرق الأوسط هي سياسة مزدوجة المعايير فهي تتقبل وجود سلاح نووي لدى اسرائيل بينما تتعامل على منع دول أخرى من الإقتراب من الأسلحة النووية. ويثار هنا التساؤل، ماهو توجه البرنامج النووي الإيراني في المنطقة ؟ وإلى من موجه ؟ هل هو لتحقيق التفوق الإستراتيجي على حساب الدول العربية والخليجية منها تحديدا؟ أم هو لتحقيق التوازن الإستراتيجي مع إسرائيل في المنطقة؟ للإجابة على هذا التساؤل لابدّ من الإشارة الى أن دول الخليج العربي لاتمتلك أسلحة نووية، كما أن قدراتها العسكرية التقليدية هي أضعف من قدرات إيران التقليدية بإستثناء المملكة العربية السعودية التي حصلت على ألاسلحة التقليدية من الولايات المتحدة -[٦٨] والأجدر هنا القول أن ايران تحاول ابتزاز أقطار الخليج العربي وتهديدها بالهجوم على منشآتها النفطية أو خنق الشريان المائي الناقل لنفطها [٦٩] . وذلك للحصول على مكاسب سياسية واقتصادية ،فضلا عن رغبتها في أن يكون لإيران دورا في الترتيبات الأمنية الخليجية ومن ثم أن العلاقة النووية بين إيران ودول الخليج العربي ستبدو أقرب للإبتزاز منها الى مبدأ تحقيق التفوق الاستراتيجي في مجال السلاح النووي. أما بصدد العلاقة النووية بين إيران من جهة وبين اسرائيل من جهة اخرى فهي تفرض نفسها على الإستراتيجية العسكرية الإيرانية بحكم حالة العداء القائمة بين طهران وإسرائيل. وتعاظم المصالح الأمريكية في منطقة الخليج العربي والتهديدات الأمريكية والإسرائيلية لإيران خصوصا في موضوع البرنامج النووي الإيراني بيّد أن السؤال الذي يفرض نفسه هو هل أن امتلاك إيران للأسلحة النووية موجه لتحقيق التوازن الإستراتيجي مع اسرائيل؟ للإجابة على على هذا التساؤل نجد أن ايران وبالرغم من إعلانها ولأكثر من مرة ان تطوير برنامجها النووي هو للأغراض السلمية وأن أي تطور في القدرات النووية الإيرانية مستقبلا سيكون موجها أساسا ضد اسرائيل لتحقيق التوازن الإستراتيجي المطلوب، لكن في حقيقة الأمر وباعتقادنا أن الهدف الإيراني من تطوير قدراتها التقليدية وغير التقليدية هو لغرض تحقيق هدفها الأساسي بالهيمنة الإقليمية على منطقة الشرق الأوسط شأنها في ذلك شأن أسرائيل التي توظف قدراتها النووية وغير النووية لتحقيق الهدف ذاته. مما تقدّم يمكن القول ان المتغيرات الدولية قد توافرت على جملة معطيات ساهمت وبدرجة كبيرة في منح الولايات المتحدة فرص التدخل والمساهمة في فرض التوازنات التي تريدها وفقا لتحقيق مصالحها ومصالح حلفائها في المنطقة (إسرائيل)، مع الأخذ بنظر الإعتبار أن مجموعة المتغيرات الدولية موضوع البحث قد جاءت في الأساس نتيجة لتوجهات الإستراتيجية الأمريكية مع الأخذ بنظر الإعتبار تغير تلك الإستراتيجية من مرحلة لأخرى وفقا للأحداث التي مرّت بها الولايات المتحدة سواء تلك المتعلقة ببناء القواعد العسكرية والوجود العسكري الكبير لها داخل منطقة الخليج العربي على إثر حرب الخليج الثانية ١٩٩١، او تلك المتعلقة بأحداث ١١ ايلول ٢٠٠١ وما ساهمت فيه من الوجود الأمريكي في المنطقة بعد احتلال العراق نيسان ٢٠٠٣.

٦٧- هاس ريتشارد ، من المبكر الحديث عن مهاجمة ايران ، ٢٠٠٦، الموقع www.bbcarabic.com

٦٨- المصدر نفسه ، الصفحة بلا .

٦٩- العمار منعم صاحي ، رغم سعيها الحثيث لامتلاك القدرة النووية هل تملك ايران استراتيجية نووية ، دراسات اسيوية ، مركز الدراسات الدولية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

د- المساعدات العسكرية

تمثل المساعدات العسكرية أيضا أداة بالغة الاهمية في إدارة عملية التحول الإستراتيجي في الشرق الأوسط، لاسيما من حيث مايمكن أن تفضي اليه من إعادة هيكلة التوازنات العسكرية في المنطقة لصالح دولة أو مجموعة معينة من الدول في مواجهة دول أخرى. والواقع أن هذه الأداة تعتبر من الأدوات المستخدمة بكثافة ملحوظة من جانب الولايات المتحدة. على أن هناك فرقا بالغ الأهمية بين المساعدات العسكرية المقدمة لإسرائيل وتلك المقدمة لمصر. فالمساعدات العسكرية الأمريكية لإسرائيل تصبّ في اتجاه الحفاظ على التفوق النوعي والكمي الإسرائيلي في مواجهة العالم العربي . أما بالنسبة لمصر، فالمساعدات العسكرية التي حصلت عليها سابقا من الولايات المتحدة تركّزت في مجال تحويل القوات المسلحة المصرية من الإعتماد على الأسلحة الشرقية الى قوات أكثر كفاءة مصممة على أسس أنظمة التسلح الأمريكية. وماهو جدير بالإشارة اليه فإجراءات الحد من صيانة المصالح الأمريكية والغربية في المنطقة، مع الإقلال من التهديدات التي يمكن أن توجه الى الحلفاء والأصدقاء في المنطقة ، وذلك عبر تخليق حالة من الإستقرار العسكري واستقرار الأزمات ومنع الإنتشار بما يكفل الحيلولة دون اندلاع صراعات مسلحة في المنطقة، إلا أن الإشكالية المحورية التي تنصب في الأساس في الإفتقار إلى التوازن وانعدام الشمولية. ذلك أن الإجراءات المشار اليها تفضي في النهاية لتعزيز أمن طرف على حساب طرف الآخر، علاوة على أنها تكتسب فاعليتها حينما تتضافر مع اجراءات أخرى تهدف الى معالجة اسباب الصراع الإقليمي في المنطقة، وليس العكس. ولعل هذه الإشكالية تفسر السبب في ضعف فاعلية تلك الإجراءات منذ بداية سريانها، الأمر الذي يؤدي للفشل في تحقيق الأهداف المرجوة من ورائها ،بل يمكن أن يغري الأطراف المستفيدة من الإجراءات المذكورة على ابتزاز الأطراف المستهدفة بما يقود لتقويض الإستقرار الإقليمي من جانب الأطراف التي كان يفترض أنها تعمل للحفاظ عليه[٧٠] .

ثالثا- توطيد التعاون الإستراتيجي الأمريكي الإسرائيلي

بداية لابد من التوضيح أن التعاون الإستراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل لم يكن حدثا طارئا بعد انهيار الإتحاد السوفيتي فهناك إجماع في الولايات المتحدة بأن إسرائيل تمثل أحد أهم المصالح الحيوية لها في المنطقة، وهي الأداة التي يمكن الإعتماد عليها للحفاظ على المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط، فضلا عن أنّ للإرتباط الأمريكي بإسرائيل دوافع سياسية ودينية وتأريخية وفكرية تخص فلسفة المجتمع الأمريكي وتوجهاته الداخلية والخارجية [٧١]، وعليه لابدّ من الحفاظ على أمن إسرائيل وتفوقها وهذا التفوق يعد الاداة الرئيسية للإستراتيجية الأمريكية في المنطقة وعنصرا رادعا للقوى الإقليمية وعلى وفق هذه الرؤية ستبقى الولايات المتحدة تعتمد على إسرائيل. ولقد استخدمت الولايات المتحدة اسرائيل ولاسيما في الفترة قبل عام ١٩٩١ كأحد دعائم استراتيجيتها لمواجهة الاتحاد السوفيتي (السابق) من ناحية .وعنصرا رادعا للقوى الإقليمية، وهذه المكانة لم تتوقف بتفكك الإتحاد السوفيتي، ويتمثل الدور الإسرائيلي في الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة العربية في اعتماد الولايات المتحدة على إسرائيل في الدفاع عن المصالح الأمريكية في المنطقة إذا ماتعرضت لتهديد من جانب إحدى القوى الإقليمية. وتعد حرب ١٩٦٧ من الأمثلة البارزة على مدى فاعلية الدور الإسرائيلي في الإستراتيجية الأمريكية في

٧٠- التقرير الاستراتيجي العربي، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٠.

71- Adam Grafinkle,u-S Relations after Cold War,ORBIS,VOL-4NO FALL 1996 , PP503-505

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنطقة، مما زاد من اعتماد الولايات المتحدة عليه، وعليه طرحت اسرائيل نفسها بوصفها القوة التي بإمكانها الوقوف بوجه الإتحاد السوفيتي، وأن فشلها أو قضاء العرب عليها يمكن السوفيت من التحكم بالنفط ، من هنا أصبح من الأهداف الأمريكية الرئيسية في المنطقة دعم التفوق الإستراتيجي لإسرائيل حيث تعد أداة الإستراتيجية الأمريكية الرئيسية في المنطقة [٧٢]، ولقد سبق أن حدد الرئيس نيكسون التزام أمريكا باسرائيل قائلا (أن التزامنا باسرائيل نابع من مصلحتنا الأخلاقية والآيديولوجية، وسوف نجد أنفسنا بما يقارب اليقين مشاركين في نزاع مستقبلي) وقال كلينتون في عام ١٩٩٣ (سوف ندعم إسرائيل عبر التأكيد على تفوقها العسكري النوعي). وقال أيضا (للولايات المتحدة مصلحة حيوية ليس في إسرائيل فقط، بل أيضا في التعاون الإستراتيجي بين بلدينا في المنطقة وستعمل إدارتنا على الوفاء بالتزامات أمريكا بشأن التخزين المسبق للمعدات العسكرية في إسرائيل وسوف تعزز من التعاون في مجال الإمداد والتموين والتنظيم (التعاون اللوجستي) لدعم القوات الأمريكية في المنطقة) ويضيف قائلا (ونحن نتفهم ونؤيد بحزم حاجة إسرائيل للإحتفاظ بتفوق عسكري نوعي على إتحاد محتمل بين خصومها العرب)[٧٣].
ولقد سبق أن عبّر وزير الخارجية الأمريكي جورج شولتز في محاضرة ألقاها أمام المؤتمر السنوي للجنة الأمريكيةالإسرائيلية للشؤون العامة (ايباك) وموضوعها الولايات المتحدة واسرائيل شركاء من أجل السلام والحرية ذكر أن القيم والمثل التي تسترشد بها الولايات المتحدة وتحقيق المسؤوليات في العالم تعتمدان على علاقة أمريكا بإسرائيل، وقال (ومن ثم كان التزامنا سيكون دائما بمساعدة إسرائيل لحماية نفسها في مواجهة أي ائتلاف من معتدين محتملين. نحن في حلف دائم وراسخ وغير قابل للفصم مع دولة إسرائيل) [٧٤] . وعليه وعلى وفق هذا المنطق فالتصور الأمريكي حيال إسرائيل هو أنها قاعدة استراتيجية لايمكن مقارنتها بأية علاقة مع أي من الدول العربية، من هنا يمكن القول أنه لايمكن بأية حال من ألاحوال فصل الإستراتيجية الأمريكية عن الإستراتيجية الإسرائيلية لأن عناصرتخطيطها وإستراتيجيتها متداخلة ومترابطة. عناصر متداخلة، ومما هو جدير بالذكر أن الإلتزام الأمريكي ليس نابعا من كون اسرائيل تمثل حامية للمصالح الأمريكية فحسب بل تتأثر بالعوامل الثقافية والدينية والداخلية كاللوبي. وهناك أسباب أخرى لعل من أهمها [٧٥] :

أ -منع أية خطوات نحو تحقيق الوحدة العربية والعمل على عرقلة عوامل التقوية الذاتية للدول العربية غير أن ذلك لايعني معارضة أمريكية للوحدات الجزئية لما في ذلك من تشجيع لسياسة المحاور من ناحية ومافيه من تجنب الولايات المتحدة لمخاطر وأعباء تدخلها المباشر لدعم حلفائها في المنطقة قدر المستطاع.

ب - تجنب الصراعات التي كان من الممكن أن تتيح المجال أمام التدخل السوفيتي (سابقا) ،والروس

٧٢- راضي سمير جسام ، اسرائيل في الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط ،(اطروحة دكتوراه)، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ،١٩٩٨،ص ٢٠١

٧٣- كلينتون بيل ، ال غور ، رؤيا لتغير امريكا ، الاهتمام بالناس اولا ، مركز الاهرام للترجمة والنشر ،القاهرة ،١٩٩٢، ص ١٣٦.

٧٤- عوض محسن ، الاستراتيجية الاسرائيلية لتطبيع العلاقات مع البلاد العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية (سلسلة الثقافة القومية -١٦)، بيروت ، ١٩٩٨.

٧٥- تلحمي شبلي ، السياسة الامريكية في الشرق الاوسط والصراع العربي الاسرائيلي ،مركز الامارات للدراسات والبحوث ، ابو ظبي ، ١٩٩٧، ص ١٥-١٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حاليا ومن ذلك الصراع العربي الإسرائيلي. فعلى الرغم من أن روسيا تمثل أحد راعي التسوية إلا أن الولايات المتحدة تعمل من أجل الإنفراد بالحل ولاشكّ فأن جهود التسوية التي بدأت في عام ١٩٩١، وأحداث الأقصى الأخيرة وما ارتبط بهما من جهد عربي وإسلامي، توحي بصحة هذا الأمر ،حيث لم يعد الكثير ليتحدث عن مواجهة عربية جادة تجاه إسرائيل أو حتى مجرد دعم الإنتفاضة،فمعظم الحديث يدور حول كيفية عودة الطرفين الفلسطيني الإسرائيلي لمفاوضات السلام برعاية الولايات المتحدة. ولقد ازداد الدعم الأمريكي لإسرائيل لأسباب عدة في مقدمتها [٧٦] ، ازدياد أهمية المنطقة العربية وما يسمى بمنطقة الشرق الأوسط ومايخطط لها بحيث تحتل إسرائيل مكان الصدارة في حماية المصالح الأمريكية.

٢- تقوم الإستراتيجية الأمريكية على أساس إضعاف الدول العربية والإسلامية كي تحتفظ بهيمنتها وهو هدف مشترك مع إسرائيل، من هنا فأن التوافق في الأهداف بينهما يدفع باتجاه دعم الولايات المتحدة لإسرائيل بشكل مستمروعلى نحو كبير.

٣- أصبحت إسرائيل جزءا أساسيا وفقا لأمن المعادلة السياسية الأمريكية ،وبإمكانها التأثير في سير العملية الإنتخابية داخل الولايات المتحدة من خلال الصوت اليهودي ،واللوبي،وبالذات (ايباك)،كما أصبح بامكان اسرائيل التأثير غير المباشر في رسم سياسة الولايات المتحدة الشرق أوسطية، مما دفع باتجاه تأكيد أهمية إسرائيل الإستراتيجية بشكل عام، وقد أخذت تلك الخطوات أبعادها في الثمانينات حينما عملت الإدارة الأمريكية على تعزيز وجودها بالإعتماد على اسرائيل كونها الذراع العسكري الأمريكي في المنطقة العربية والتي توجت بالإتفاق الإستراتيجي في ١٩٨١و١٩٨٣، حيث بدأت أمريكا تتعامل معها كحليف استراتيجي. والإتفاق يعني تثبيت الإلتزام الأمريكي بأمن اسرائيل وبقائها عبر أول اتفاق مكتوب بين الطرفين كما أنه يعني أول اتفاق ينقلها من موقع التبعية إلى موقع الشراكة الذي لاينفصل. وتعزز هذا الإتفاق مابين عامي ١٩٨٣- ١٩٩٠ مع عقد اتفاقيات جديدة متعلقة بالتعاون العسكري بينهما فأصبحت إسرائيل مثلا مدعوة في عام ١٩٨٥ للمشاركة في مبادرة الدفاع الإستراتيجي. وعلى وفق هذا المنظورلايمكن فهم سياسة الإحتواء المزدوج التي اتبعتها الولايات المتحدة منذ إدارة كلنتون حيال العراق وإيران دون الإشارة لقلق أمريكا على أمن اسرائيل[٧٧]. وجاءت التأكيدات الأمريكية في التسعينات بأن إسرائيل هي ضمن الأهداف والمصالح الأمريكية في المنطقة، فمثلا يرى وزير الدفاع الأمريكي الأسبق ليس اسين أن هناك مخاطر تهدد هذه المصالح تتمثل في اكتساب "التطرف الاسلامي" مزيدا من الإندفاع وتهديده للإستقرار الإقليمي ولعملية السلام ولأمن اسرائيل. والتطرف في رأيه يرتبط بالإرهاب وهو مايعرّض أمن اسرائيل والمصالح الأمريكية والغربية في المنطقة للخطر وأكد آل غور نائب الرئيس كلنتون التزام الولايات المتحدة الثابت بضمان أمن ورفاهية إسرائيل واستمرار المساعدات العسكرية والإقتصادية التي تحصل عليها[٧٨]. وتعد العلاقة بين الولايات المتحدة واسرائيل علاقة خاصة بالمقارنة بعلاقات تلك الدولتين مع الدول الأخرى، لذلك انحازت لإسرائيل وبقيت هذه الرؤية سمة ثابته للسياسة الخارجية الأمريكية منذ نهاية التنافس السوفيتي- الأمريكي، بل أنها زادت، فانتهاء الحرب الباردة لم يترتب عليه تغيير جوهري في طبيعة المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط فما زالت للولايات المتحدة

٧٦- تلحمي شبلي ، نفس المصدر ،ص ١٤. دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،١٩٨٨،ص ٧٧

٧٧- تلحمي شبلي ، مصدر سابق ،ص ٥٨٧-,٥٩٣

٧٨- نشرة تقديرات استراتيجية ، الدار العربية للدراسات والنشر ، العدد (٥)،القاهرة ، ١٩٩٥، ص١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مصلحة في منع أية قوة معادية من السيطرة على هذه المنطقة وحماية أمن اسرائيل لأنها وان انتهت المواجهة مع السوفيت إلا أنه ماتزال لها أدوار منوطة بها وبخاصة فيما يتعلق بمحاربة الإرهاب ومواجهة ما يسمى بالتطرف الإسلامي وضبط السلوك العربي من خلال اسرائيل والحصول على نفط المنطقة بأسعار معقولة والهيمنة على خيراتها والحفاظ على مصالحها الحيوية. إن محاولة فهم أسباب الإلتزام الامريكي بحماية أمن اسرائيل في ضوء عوامل استراتيجية عسكرية محضة لاتمكننا من فهم عمق وأسباب الإلتزام الأمريكي بحماية أمن أسرائيل . فلقد كانت لإسرائيل أهمية ستراتيجية في ظل الحرب الباردة إلا أن انتهاء هذه الحرب لم يترتب عليه انتهاء التحالف الأمريكي الإسرائيلي ذلك أن أسباب هذا التحالف ترتبط بعوامل أقوى بكثير من مجرد دور إسرائيل في الحرب الباردة، فهي ترتبط بالأهمية الإستراتيجية المحتملة لإسرائيل في المستقبل .وبالقيم المشتركة التي تربطها بالولايات المتحدة ،والعوامل السياسية التي تدفع بالأخيرة نحو استمرار الإلتزام بأمن اسرائيل كإحدى السمات التي تميز السياسة الخارجية الأمريكية للشرق الأوسط [٧٩].وعلى وفق تلك الرؤية تزايدت مكانة اسرائيل في الإستراتيجية الأمريكية ولاسيما في المنطقة العربية ،وغدت اسرائيل من أكثر الأطراف التي ترتكز عليها الولايات المتحدة في تنفيذ استراتيجيتها في المنطقة،ومن هنا عملت الولايات المتحدة على أن تكون اسرائيل ضمن التحالفات والترتيبات الإقليمية (كما أدى انتهاء الحرب الباردة الى توفير قوة إضافية لعلاقات التعاون العسكري والإستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل امتدت الى مجال أنظمة التسلح الكبرى التي تعتمد أعمال تطويرها على الثورة اللتكنولوجية الراهنة ، لاسيما مجالات الالكترونيات الدقيقة وصناعات الفضاء والمعلومات . وبشكل عام ،فأن التعاون الاستراتيجي بين الدولتين يمتد الى عدة مجالات رئيسية ، أولها إشراك اسرائيل في نظام الدفاع الكوني المضاد للصواريخ الباليستية ، وثانيهما مواصلة إمداد اسرائيل بالأسلحة والمعدات المتطورة وثالثهما تجديد العمل بإتفاقات التعاون الإستراتيجي التي كانت قد وقعت بين الدولتين في الثمانينات وتوسيع نطاقها ، ورابعها تخزين الأسلحة الامريكية في اسرائيل)[80] .

وفي المقابل ادّت تلك التحولات إلى تراجع الموقف الإستراتيجي العربي بسبب افتقادها للحليف السوفيتي وهو مافرض على تلك الدول إعادة صياغة سياستها الخارجية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي وتجاه الولايات المتحدة. ويذهب أنوش ايتشامي بقوله (في الوقت الذي فقدت فيه الدول العربية حليفا خارجيا مهما فقد تحسن الوضع مع اسرائيل بشكل مطلق.[٨١]. ولايمكن فهم الآثار الإستراتيجية الإيجابية لتلك التحولات على اسرائيل منذ عام ١٩٩٠ دون ملاحظة أنه لأول مرة منذ ذلك التأريخ قد اضطلعت الولايات المتحدة بالدور المهيمن في منطقة الشرق الأوسط وتحت تأثير افتقاد الحليف الاستراتيجي الرئيس بدأت الدول العربية في التأقلم مع الواقع الإستراتيجي الجديد فقد ازداد الموقف العربي تدهورا مع غزو العراق للكويت كما أسلفنا سابقا وماتبعه من تدمير للقدرات العسكرية العراقية خلال حرب الخليج الثانية مما أدى الى اختلال التوازن. وقبل الحديث عن الوضع الاسرائيلي في تلك المرحلة وماتمتعت به من قوة نتيجة لظروف البيئة الدولية والإقليمية المحيطة بها لابدّ من معرفة أولا تقويم نظرية الأمن الإسرائيلي

٧٩- كلينتون بيل ، مصدر سابق ، ص ١٤١

٨٠- التقرير الاستراتيجي العربي لعام ١٩٩٢، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٠.

٨١- براري حسن ، أمن اسرائيل (صراع الآيديولوجيه والسياسة) كراسات ستراتيجية السنة ١٤، العدد ١٤٣، ٢٠٠٤ القاهرة مركز الاهرام .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي بنيت على أساسها توجهات إسرائيل داخل المنطقة ويمكن تلخيصها بجملة من الركائز هي :

الركيزة الأولى ـ تتضمن في الإصرار على مبدأ الهجرة وتنفيذ المخطط الإستيطاني على الأراضي العربية المحتلة بما في ذلك هضبة الجولان .

الركيزة الثانية ـ تقسيم الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة إلى جزئين يعاد أحدهما للأردن ويضم الثاني لإسرائيل مع إعطاء مواطنيه صلاحيات الحكم الذاتي الإداري .

الركيزة الثالثة ـ الدعوة لإستمرار الإستراتيجي العسكري على دول المواجهة العربية من خلال احتكار السلاح النووي واستمرار قيود التسلح المتطور بالنسبة لدول المنطقة بينما تنمو صناعة الصواريخ والطائرات .

الركيزة الرابعة ـ الإدارة المثلى لعلاقات تحالفها وتعاونها الإستراتيجي مع الغرب، فذهبت بعض التقديرات إلى أن دور اسرائيل في حماية المصالح الحيوية للغرب في منطقة الشرق الأوسط قد تراجع نسبيا وهذا خطأ فنمطقة الشرق الأوسط لا تزال مهددة بتفجير صراع مسلح جديد فيها.

الركيزة الخامسة ـ تظهر تلك الركيزة في إقامة علاقات تعاون إقليمي نشط مع بعض الدول العربية وبعض دول الجوار للعالم العربي في مجال الطاقة والمياه والتبادل التجاري ونقل التكنولوجيا [٨٢].

وفي ضوء تلك الركائز التي استندت عليها إسرائيل لتقوية وتعزيز دورها في المنطقة انطلقت أسس سياسة إسرائيل العسكرية وفقا لسياسة عسكرية تراجعها كل عشر سنوات. وهناك الكثير من المؤشرات التي تؤكد استمرارها كطرف في التوازن الإستراتيجي في المنطقة فهي تتميز بتفوق نوعي على كل دول المنطقة بما تحصل عليه من مساعدات تقنية ودعم لصناعتها العسكرية من الولايات المتحدة، ويتركز تفوقها بدرجة أكبر في مجال القوات الجوية وفي مجال القوات البرية، وبالرغم أنها عانت هزيمة في حربها مع المقاومة اللبنانية (حزب الله) تموز ٢٠٠٦ بحيث اهتزت درجة تفوقها وبدت عاجزة عن تحقيق أهدافها وإدارة الحرب على نحو يمكنها من الإنتصار . وتتحدد الرؤية الإستراتيجية الأمريكية الإسرائيلية المشتركة للشرق الأوسط في أن الولايات المتحدة تسعى لإعادة تشكيل الوضع الإقليمي ورسم خريطة سياسية جديدة لنظام إقليمي شرق أوسطي يخدم المصالح الحيوية للولايات المتحدة ويدعم في الوقت نفسه مركزها كقوة عظمى وحيدة في العالم وكذلك تكريس السيطرة الإسرائيلية العسكرية والسياسية المطلقة على المنطقة انطلاقا من أن إسرائيل تمثل (العمق الغربي الأمريكي) في المنطقة. وعلى هذا الأساس يتم ضمان تفوقها العسكري والتكنولوجي وكذلك تفوقها في المجال النووي وتخصيصها بالرعاية الإقتصادية المتميزة ومن نتائج هذا الوضع بروز اسرائيل كقوة إقليمية مهمة تعتمد وبصورة مباشرة على المساعدات الأمريكية الإقتصادية والعسكرية والدعم السياسي لها في هذه المرحلة وفي المستقبل غير أن لإسرائيل جملة من العقبات التي تواجه تفوقها النووي في المنطقة وتأثيرها عليها ، ويمكن تحديد أهم ما يترتب على امتلاك إيران للأسلحة النووية بالنسبة لإسرائيل وتتوضح هذه العقبات من خلال : ـ

.....

٨٢ـ ال عبد الرحمن سالم عبد الجبار ، السياسة العسكرية النووية لاسرائيل بين التسعينات ومطلع الحادي والعشرين ، مجلة الدفاع ،ع ١٣٠ ، ٢٠٠٣، ص ٤ـ١٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا- انعكاساتها العسكرية والأمنية إذ أن إسرائيل تتبع سياسة الإحتكار النووي، فكانت على الدوام تسعى لمنع الدول العربية والإسلامية من امتلاك التكنولوجيا النووية وتحقيق الموازنة معها، واستطاعت بالفعل أن تحقق فجوة بينها وبين هذه الدول من حيث تطور قدراتها العسكرية، نتيجة لتوجه اسرائيل تماما تجاه التطورالتكنولوجي انطلاقا من جهود الإعتماد على الذات والتعاون مع الدول الأخرى خاصة الولايات المتحدة [٨٣] وعليه فان أهم النتائج العسكرية التي تترتب على اسرائيل من جرّاء امتلاك إيران للأسلحة النووية ، هي كسر الإحتكار النووي الإسرائيلي، إذ أن إيران بامتلاكها السلاح النووي ستكون القوة النووية الموازنة للقوة النووية الإسرائيلية في منطقة الشرق الأوسط وبذلك ستكون قادرة على ابتزاز إسرائيل وإرهابها فبالرغم من امتلاك اسرائيل مايقارب (٢٠٠-٣٠٠) رأس نووي [٨٤] فستقدر إيران بقنبلتيها النوويتين بابتزاز إسرائيل، لهذا السبب نجد الأخيرة قد ذكرت ان هناك أخطارا عديدة قد تنجم عن استخدام أسلحة الدمار الشامل من الدول العربية والإسلامية خاصة اذا مانجحت ايران في امتلاك سلاح نووي.

ثانيا - تعرض مفهوم العمق الإستراتيجي لمتغيرات حادة بعد دخول الصواريخ بعيدة المدى لساحات الصراع المسلح [٨٥]. ففي هذا الصدد نرى أن اسحق بني مدير هيئة تطوير الوسائل القتالية الإسرائيلية صرّح في ندوة عقدت في ٢-١-٢٠٠١ أن إسرائيل تواجه في المستقبل خطر الصواريخ البالستية المحملة برؤوس حربية غير تقليدية [٨٦]. ويمكن القول أن حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ قد أعلنت عن إنعطافة في الرؤيا الأمنية الإسرائيلية اذ تعرضت المؤخرة الإسرائيلية لهجمات هذه الصواريخ عن بعد ولو كانت تلك الصواريخ مجهزة برؤوس نووية أو فوق التقليدية كيميائية أو بيولوجية لكان تدمير ذلك العمق أمرا مؤكدا وقد كشفت هذه الحادثة عن هشاشة العمق الإستراتيجي الإسرائيلي الذي لم يعد له فائدة فضلا عن فشل الدفاعات الإسرائيلية في التصدي لهذه الصواريخ . ويقول يهود مئير أحد كبار الباحثين في مركز يافي (لقد أدّت الصواريخ العراقية إلى نشوء وضع جديد هو أن إسرائيل لاتمتلك القدرة للدفاع ضد هذه الصواريخ) [٨٧] وعليه فقد عمل الكيان الصهيوني في أعقاب الحرب على العراق عام ١٩٩١ إلى تطوير قدراته الدفاعية الإستراتيجية باعادة احياء مشروع صاروخ حيس الإعتراضي ،الذي كان هذا الكيان قد شرع ببنائه منذ اشتراكه في برنامج حرب النجوم الأمريكي عام ١٩٨٦ وهو صاروخ يصل مداه الى ١٠٠٠كم ويستطيع نظريا تدمير الصواريخ البالستية بعيدة المدى . وبالرغم من كل ماذكر ،يرجح أن تبقى القوة الإسرائيلية قوة مسيطرة وأساسية لأداء الدور الأساسي والمحوري في التوازن الإستراتيجي نتيجة لتفوقها في المجال العسكري وبالدعم الذي تحظى به من أكبر قوة دولية في العالم .

٨٣- عبد الحليم احمد ، القوى النووية في الشرق الاوسط في القرن الحادي والعشرين - حقائقها واحتمالات تطورها مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،ع (٢٧١)،٢٠٠١،ص ١٢٥-١٢٧

٨٤- علي محمد جواد ، الخطر النووي الصهيوني ، اوراق فلسطينية ، مركز الدراسات الدولية ، جامعة بغداد ، ع(٤١) ، تموز ٢٠٠٠،ص٢.

٨٥- تطورات العقيدة العسكرية الاسرائيلية ،٢٠٠٢، www.almarefa.com

٨٦- صحيفة الاتحاد الاماراتية ، ع(٤١٣٩٢)، ٤-١-٢٠٠١. الموقع www.aletahad.net

٨٧- باركون موشي ، حرب الخليج واهمية العمق الستراتيجي ، صحيفة هارتس الاسرائيلية باللغة العبرية ، ١٢-٣-١٩٩٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعا ـ إطلاق حرية الحركة أمام دول الجوار الجغرافي (تركيا وإيران)

أدّى انتهاء الحرب الباردة وما أعقبها من تداعيات، كحرب الخليج الثانية وانهيار الإتحاد السوفيتي إلى تعميق حالة الفراغ الإستراتيجي في منطقة الخليج العربي وآسيا الوسطى، وأتاح ذلك مجالا لكل من تركيا وايران للحركة السياسية وممارسة النفوذ في هاتين المنطقتين ولكي نحيط علما بالظروف التي اعقبت الإنهيار والتي أطلقت حرية الحركة لدول الجوار ينبغي اجراء تحليل للظروف التأريخية التي سبقت الإنهيار.

فقد قامت سياسة الإتحاد السوفيتي ومنذ أوائل القرن العشرين على أساس تغير ديمغرافي للدول الواقعة تحت سيطرتها وتركيبتها السكانية من خلال إتباع سياسة قائمة على دمج هذه الدول في المنظومة الإشتراكية وضمان خضوع هذه الجمهوريات على المدى البعيد لمركز القرار في موسكو وخلق أرضية قومية أثنية تجعل الفرار من الفلك السوفيتي أمرا شبه مستحيل وجعل هذه الأقليات الروسية ذات تأثير قوي في مختلف المجالات السياسية والتعليمية وحتى العسكرية في تلك الجمهوريات[٨٨]. ومع تفكك الإتحاد السوفيتي في أوائل عقد التسعينات من القرن الماضي ظهرت إلى الوجود حقيقة جغرافية جديدة تمثلت في ظهور عدة دول تعيد اندماجها في العالم من جديد وكانت هذه الدول تحت مظلة الإتحاد السوفيتي السابق وهي منطقة وسط وشمال اسيا وبالتالي سعت روسيا الإتحادية إلى تعميق علاقتها معها. وهناك جملت أهداف سعت روسيا الإتحادية الى تحقيقها [٨٩].

١ ـ الحفاظ على صيغة التعاون التي تكفل لروسيا للحصول على المواد الأولية.

٢ ـ الحفاظ على النفوذ الروسي وذلك لحاجة روسيا الإتحادية للتحكم بالمواقع الإستراتيجية والمضايق البحرية التي تمكنها من الوصول الى المياه الدافئة

٣ ـ إن أغلب هذه الجمهوريات المسلمة تشكل حلقة الوصل بين روسيا الإتحادية والعالم لانها تمثل الحزام الذي يحيط بروسيا من الجنوب والغرب. فحتى وقت قريب كانت روسيا الإتحادية وجمهوريات آسيا الوسطى تتبعان لدولة واحدة وهي الإتحاد السوفيتي وبعد اختفاء وتفكك الإتحاد السوفيتي انشغلت روسيا الإتحادية بإعادة ترتيب أوضاعها الداخلية سيما وأنها كانت تعاني جملة من المشكلات الإقتصادية وبعد مدة قصيرة في العلاقات مع الغرب أدركت روسيا الإتحادية أن دول الإتحاد السوفيتي السابق هي المجال الأهم للنفوذ والسيطرة. لقد أدّت المزايا الإستراتيجية الكامنة في آسيا الوسطى إلى اندلاع سباق دولي أساسه محاولة القيام بدور سياسي واقتصادي حاكم في تلك المنطقة سواء في استغلال مواردها الطبيعية أو التأثير في تطورها السياسي والإقتصادي والتحكم في نمط تفاعلاتها الاقليمية وقد شمل هذاالتنافس القوى العالمية كروسيا الإتحادية والولايات المتحدة الأمريكية والصين فضلا عن القوى الإقليمية وأبرزها تركيا وايران وباكستان والهند وبعض الدول العربية واسرائيل[٩٠]. أبان الحقبة الروسية القيصرية والمرحلة

٨٨ـ غييف غيود ، الاتحاد السوفيتي ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧١،ص٢٢٢

٨٩ـ الشيخ نورهان ، صناعة القرار في روسيا ، ندوة مجلة المستقبل العربي ، ص ٩٨

٩٠ـ سلامة معتز محمد ، مستقبل الدور الروسي في الكومنولث الجديد ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ، العدد (١١٢) ،نيسان ١٩٩٣،ص ١٥٧ـ١٥٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السوفيتية لم تكن آسيا الوسطى محل تنافس دولي ،إذ أنها كانت تعد جزءا من الإمبراطورية الروسية أو الدولة السوفيتية، وبعد تفكك الإتحاد السوفيتي وخروج روسيا الإتحادية ولو مؤقتا من آسيا الوسطى صارهناك فراغ استراتيجي جزئي أدّى بدوره إلى نشوء تنافس دولي حولها ذلك أن دول آسيا الوسطى لم تكن مهيأة للإستقلال ولم تكن تمتلك البنى التحتية أو الهياكل التنظيمية والخبرات التي تمكنها من بناء الدولة الحديثة. ومن الطبيعي أن يدعو ذلك الفراغ القوى الإقليمية المحيطة بها إلى محاولة استثماره لصالحها وتوظيف الفراغ الموجود وهنا يظهر لنا الإرتباط بين الأهمية الإستراتيجية لآسياالوسطى والتنافس الدولي حولها. وكذلك فإن الروس الموجودين في الجمهوريات السوفيتية السابقة يساعدون روسيا في تحقيق أهدافها حيث أنهم يملكون نفوذا وكذلك فتلك الأقلية والتي تتجاوز (٢٥) مليون روسيّ تعطي لروسيا مبررا للتدخل في الشؤون الداخلية لهذه الدول بحجة الدفاع عن حقوقهم [٩١]. هذاالجدول يوضح نسبة الروس في الجمهوريات السوفيتية :

إقليم	الدولة	النسب
آسيا الوسطى	١ـ كازاخستان	كازاخ (٥٣,٤%) ،روس (٣٠%)، اوكران (٣,٧%) ،اوزبك (٢,٥) ، المان (٢,٤%) ، واقليات اخرى (٨%) .
	٢ـ تركمستان	تركمان (٨٥%) ،اوزبك (٥%) ، روس (٣,٥%) ، اقليات (٦,٦%)
	٣ـ وزبكستان	اوزبك (٨٠%) .روس (٥,٥%) ، طاجيك (٥%) ،كازاخ (٢,٥%) ،تتار (١,٥%) ، اقليات (٥,٥%) .
	٤ـ قيزغيرستان	قيزغير (٦٤,٩%) ،اوزبك (١٣,٨%) ، روس (٢,٥%) اوكران (١%)اقليات (٧,٨%) .

٩١ـ شبيب نبيل ، شبح الاتحاد السوفيتي ، مجلة قضايا دولية ، اسلام اباد ، معهد الدراسات السياسية ، العدد (٢٢٦)، ابريل ١٩٩٦، ص ١١١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي ضوء هذا التفكك فقد أصبح من الواضح أن هذه الجمهوريات يمكن أن تشهد أنواعا من التنافس والصراع لإحتوائها على أقليات وقوميات مختلفة وفي ظل تنافس دولة أو دول ،فتركيا التي تحظى بتأييد الولايات المتحدة الأمريكية والغرب تعتمد على تصدير الأنموذج العلماني، في حين نجد أن إيران تسعى لتثبيت موقعا لها هنالك من خلال نفوذها الثقافي أو بمقتضى جوارها وقربها لتلك الجمهوريات.

ويمكننا القول أن القوى العالمية على اختلاف مصالحها تسعى للحصول على موطيء قدم في هذه المنطقة والأهم هو نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت الذي بقيت فيه روسيا الإتحادية تحاول الإبقاء على نفوذها القوي هناك ولاسيما بعد إعادة هيكلة علاقاتها مع المنطقة على أساس السيادة والإستقلال السياسي.

فالولايات المتحدة لم تهتم بآسيا الوسطى إلا من زاوية تجريدها من السلاح النووي وضمان عدم عودتها للدائرة الروسية السابقة، ولكنها لم تسع لإخراج روسيا الإتحادية من آسيا الوسطى إدراكا منها لأهمية تلك المنطقة لروسيا وحتى لاتدفع الأخيرة إلى تحدي الدور الأمريكي. فالصراع كان ومازال بالأساس صراعا ثلاثيا مابين (روسيا وايران وتركيا) ذلك نظرا للمزايا الجيوسياسية التي تتمتع بها كل من تلك الدول، فآسيا الوسطى وإذربيجان يتخامان روسيا مباشرة ويعدان قسما مهما من الأمبراطورية الروسية القيصرية والاتحاد السوفيتي منذ حوالي(١٥٠)عاما وإيران تتاخم آسيا الوسطى واذربيجان ولها روابط ثقافية قوية مع طاجاكستان الدولة الوحيدة الناطقة بالفارسية في آسيا الوسطى، هذا فضلا عن روابطها المذهبية مع إذربيجان ورغم عدم وجود اتصال جغرافي بين تركيا وآسيا الوسطى، إلا أنّ شعوب آسيا الوسطى تربطها بتركيا روابط ثقافية لغوية واسعة[٩٢].

وقد خسرت روسيا دولا كانت لها مواقع مهمة ومتميزة كأوكرانيا التي تمتلك موقعا مهما ومتحكما بالبحر الأسود حيث كانت تمثل البوابة الحيوية لروسيا الإتحادية للتجارة عن طريق البحر المتوسط وخسرت أيضا غقتصادا زراعيا يحمل إنكانيات كبيرةن، هذا فضلا عن ان استقلال أوكرانيا حرم روسيا الإتحادية من موقعها المتحكم بالبحر الأسود، فكانت خسارة أوكرانيا حاسمة من الناحية الجيوبوليتكية لأنها ضيّقت بشكل خطير اختيارات روسيا الجيوستراتيجية، إذ كان بوسع روسيا أن تظل قادرة على السعي لزعامة المنطقة الأورآسيوية فتستطيع موسكو فيها السيطرة على الشعوب غير السلافية جنوب شرق الإتحاد السوفيتي السابق لو أنها استطاعت السيطرة على أوكرانيا ولكن بدون أوكرانيا فان أية محاولة لموسكو للسيطرة والنفوذ قد تقود الى توريط روسيا منفردة في نزاعات طويلة ولعل الحرب مع الشيشان لم تكن سوى المثال عن تلك النزاعات[٩٣]. وتكررت الخسارة مع روسيا الإتحادية لموقع مهم حيث مع خسارة روسيا الإتحادية لدول القوقاز الثلاث (جورجيا،أرمينيا،أذربيجان)تعززت فرصة تركيا في إعادة إرساء نفوذها في المنطقة وعلى الرغم من أن روسيا الإتحادية لم يبق لها سوى شريط ساحلي صغير على ساحل البحر الاسود إلّا أنها استطاعت حل قضية الأسطول الموجود في البحر الاسود الذي تقرر تقسيمه بنسبة (٨٠%) لروسيا الإتحادية و(٢٠%)لأوكرانيا[٩٤]. أما إيران فلقد خلق استقلال روسيا الوسطى لها

---

٩٢ سليم محمد السيد سعيد ، أسيا والتحولات العالمية ، مركزالدراسات الاسيوية في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٩٨،ص ٢١٩

٩٣- عبد الحميد عاطف معتمد ، روسيا والبحر الاسود جغرافية سياسية جديدة الموقع www. Aljazeara.net

٩٤- الحيالي نزار اسماعيل عبد اللطيف ، روسيا وخيار نظام امني اقليمي ، نشرة قضايا دولية ، نشرة متخصصة بالشؤون الروسية ودول القوقاز ،بغداد ، مركز الدراسات الدولية ، العدد (٤٠) ، ٢٠٠٠، ص٣٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فضاءً استراتيجيا جديدا يمكنها من مواجهة الحملة الأمريكية الموجهة ضد إيران التي لم تتوان عن توظيف تلك الفرصة التأريخية الذهبية ليس فقط لنشر أفكار الثورة الإسلامية الإيرانية ولكن أيضا للخروج من دائرة الحصار الأمريكي وترى إيران أنها القوة الطبيعية المرشحة للعب الدور القيادي في آسيا الوسطى فهي تجاور تركمانستان واذربيجان جغرافيا وتعد أيضا منفذها البري الطبيعي إلى الخليج، إضافة لصلاتها الثقافية والحضارية مع الطاجيك ذوي اللغة الفارسية، وإن لم ينتموا للمذهب الشيعي، فالأذربيجان يشكل هذا المذهب منهم مايقارب ٧٠%، وبهذا فحاولت إيران ربط دول آسيا الوسطى بعلاقات اقتصادية طويلة الأمد فمثلا وقعّت إيران وأذربيجان في ٢٠٠٢ م معاهدة تعاون وعدم اعتداء وكذلك افتتح الأنبوب النفطي الذي يربط بين البلدين ،وتنوي ايران ان تورد في اطار الاتفاقية المعقودة لمدة خمس وعشرين سنة (٨٠,٥) مليون متر مكعب من الغاز الطبيعي سنويا ،وقد زار باكو وزير الدفاع الايراني مصطفى محمد نجار الذي أعلن من هناك ان ((أمن اذربيجان هو أمن ايران أيضا وان قدراتنا الدفاعية هي قدراتكم أيضا))[٩٥]. ويمكننا القول أن ايران ظلت متخوفة من جارتها الشمالية القوية فلم يعد لها اليوم حدود مؤثرة بل أصبحت حدودها الشمالية مشتركة مع دول ضعيفة وهي (تركمانستان ،أذربيجان،أرمينيا) ونجم عن ذلك شعور إيران بأنها أصبحت أكثر أمنا بعد إنزال هاجس الدولة الشمالية القوية التي قد تجتاحها في أي وقت، مما يتيح لإيران أن تؤدي دورا أكثر استقلالية في السياسة الدولية هذا فضلا عما يضفيه وجود الجمهوريات الإسلامية الجديدة على حدودها من فرص جديدة أما طموحاتها الإقليمية ومايمكن أن تؤديه سياستها الخارجية من أدوار في هذه المنطقة لم تكن متاحة لها من قبل لذلك سارعتإيران لمزج الصلات التأريخية والقواسم المشتركة الثقافية والعرقية واللغوية مع الجمهوريات الإسلامية، ولم تعبأ بمعوقات التعاون معها وحضت في محاولات النفوذ داخل هذه الجمهوريات وهكذا سعت إيران لأجل تحقيق التعاون الإقليمي معها وتسيير سبل العلاقات التجارية وإياها لتستثمر هذا التدخل في الشمال سبيلا لتعزيز علاقاتها معها. بتأريخ الثالث عشر من آيار/مايو عام ١٩٦٦ تمّ افتتاح مأأطلق عليه طريق الحريرالذي يوفر منفذا لآسيا الوسطى مع الخليج العربي عبر إيران، وبالعكس ليصل الخط الى ميناء بندر عباس[٩٦]. وكذلك فأن الإنقلابات الأكثر أهمية كانت في منطقة بحر قزوين ذات الثروة المعدنية الكبيرة ولاسيّما النفط . فظهر تنافس اوروبي وآسيوي وأمريكي حوله، وهذه المنطقة التي تحتل المراتب المتقدمة في كميات النفط والمراتب الأخيرة في استثماره ، إذ هرعت شركات نفطية أجنبية وأمريكية إلى منطقة بحر قزوين بعد تفكك الإتحاد السوفيتي للمشاركة في تلك ((الثروة النفطية الكبيرة)) ا فالتقاريرالأولية كّدت أن كميات النفط المؤكد في هذه المنطقة تقدر بحوالي (٢٠)_(٤٤) مليار برميل من النفط وإجمالي الإحتياطي المؤكد يقدر بحوالي (٢,٣%) من احتياطي العالم[97]. لقد كان بحر قزوين بحيرة بين الإتحاد السوفيتي قبل تفككه وبين إيران، إلّا أن ذاك التفكك واستقلال جمهوريات الإتحاد ودخول شركات النفط الغربية كمنافس لروسيا الإتحادية في منطقة بحر قزوين جعل من روسيا سوى واحدة من خمس دول تمتلك ثروات حوض بحر قزوين، وبهذا لم تتمكن روسيا بالتصرف بتلك الثروات. فهذا البحر يعد حوضا مائيا مغلقا كما جاء في

٩٥- المرهون عبد الجليل زيد ، روسيا -- الملف الامني الايراني ، للموقع www.islamicnews.net

٩٦- محمد احمد طه ، ايران بين التكتلات الاقليمية والتحولات الدولية ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ، العدد (١٢٧)، السنة (٢٢) ، يناير - كانون ثاني ، ١٩٩٧،ص ٢٠٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٩٧- عبد الحميد عاطف ، أبعاد الصراع على نفط اسيا الوسطى وبحر قزوين ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، مركز الدراسات والاستراتيجية ، العدد (١٦٤)ابريل ٢٠٠٦، ٨٠.

توصيف القانون الدولي، وتحده دول أذربيجان وروسيا وكاراخستان وتركمستان وإيران. وأثار الموقف في تحديد طبيعة الدول المتشاطئة عليه وفرص استغلال كل دولة لثرواته المعدنية الكثير من الخلافات ، وهناك موقفان الأول قادته روسيا ومعها إيران وتركمنستان دعتا فيه إلى عد بحر قزوين كحوض مائي مغلق تتقاسمه الدول المطلة عليه من الإحتياطات فيه بصورة متساوية، والموقف الثاني يرى ضرورة تقسيم البحر على حسب طول ساحل كل دولة عليه وهذا يجعل مناطق وجود النفط تابعة لإذربيجان وكازاخستان اللتان تبنتا هذا الموقف[98]. مع ماتقدم فنلاحظ أن منطقة آسيا الوسطى تحتوي على ثروات اقتصادية هائلة فهي تمتلك احتياطا ضخما من الموارد الطبيعية مثل (النفط ،الغاز ،الفحم، معادن اخرى)هذا فضلا عن مساحات شاسعة من المراعي الجيدة والأراضي الخصبة وكما أن تلك الجمهوريات كانت تسهم بحوالي (٩٠%) من صادرات السوفيت المعدنية فهي بذلك متقدمة في مجال الطاقة النووية ومجال صناعة الصواريخ [٩٩]. وعليه يمكننا القول أن المتغير الإقليمي أثر في سياسة روسيا الإتحادية حيال إيران حيث أن لدى روسيا وايران مصلحة مشتركة في الحد من انتشار النفوذ الأمريكي داخل اسيا الوسطى والقوقاز وذلك عن طريق أذربيجان ولاسيّما بعد اكتشاف النفط فيها والسعي لبناء أنابيب النفط في بحر قزوين باتجاه أوروبا كما أن روسيا الاتحادية وإيران لاتريدان أية قوة غربية أن تكون حرة في هذه المنطقة واستخدامها لشواطيء بحر قزوين. إن روسيا الاتحادية تريد ضمان مرور أنابيب نفط بحر قزوين عبر أراضيها في سبيل الحصول على الرسوم والخدمات الأخرى والأهم أنها تستطيع ممارسة الضغط على الدول من خلال القدرة في التحكم في ضخ النفط إلا أن تلك المساعي الروسية لاتمثل سوى الجانب الظاهري من المهمة الإستراتيجية الأشمل وهي المتمثلة باستعادة روسيا الإتحادية لمكانتها ونفوذها في دول ((الخارج القريب)) [١٠٠]. هذا فضلا عن استعادتها لمكانتها على الصعيد الدولي وهي مشكلة كبيرة في ظل الأوضاع الراهنة. التعاون بين روسيا الإتحادية وإيران لم يكن مهما في البداية، فالثانية كانت تتخوف من انتشار مدّ إيران وتصدير ثورتها الإسلامية لتلك الدول، غير أن تلك المخاوف تلاشت بعد ظهور أزمات ومشكلات مسّت الأمن القومي الروسي ولم يكن لإيران ضلع فيها فإيران تمتلك دوافع سياسية وأهداف أمنية واقتصادية تريد تحقيقها في المنطقة وكسب ودّ روسيا الإتحادية من أجل إنجازها. نلاحظ أن الدور الإيراني كان مساندا لروسيا الإتحادية في قضايا مهمة منها إنهاء الحرب في طاجاكستان حيث أنها لم تتدخل فيها ،وكذلك النزاع في قره باغ بين أذربيجان وأرمينيا والذي قامت ايران بدور الوسيط لحلّه بالطرق السلمية ،وأهم من ذلك هو الحرب في الشيشان. فإيران اعتبرت الحرب في الشيشان مسألة داخلية و شأنا روسيا لا يمكن التدخل فيه [١٠١].

٩٨- ابو الفضل محمود ، الصراع النفطي في اسيا الوسطى ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ، العدد (١٣٢)، يناير ١٩٩٨،ص ٢٧٥-٢٧٦.

٩٩- الجميلي حسن علي ، مستقبل العلاقات الروسية مع الجمهوريات الاسلامية (السوفيتية السابقة) ، المجلة القطرية للعلوم السياسية ، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد ، العدد (٢)، ٢٠٠٢، ص٢٣.

١٠٠- ان مصطلح الخارج القريب يقصد به الجمهوريات السوفيتية السابقة وبدا استعمال هذا المصطلح في روسيا الاتحادية عام ١٩٩٢، للمزيد انظرابراهيم عرفات ، اعادة التعريف الاقليمي في رابطة الدول المستقلة واثره على النظام الاقليمي العربي ، ندوة الوطن العربي وكمنولث الدول المستقلة ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، دار الهلال ، حزيران ، ١٩٩٤ ،ص ٤٦٥.

١٠١- عيسى نديم ، ايران والجمهوريات الاسلامية المستقلة في اسيا الوسطى والقوقاز ، نشرة الدراسات الدولية ، مركز بحوث جريدة الجمهورية ،دار الجماهير للطباعة ،بغداد ، العدد الثاني ، ١٩٩٣،ص ٢٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كلّ تلك الأسباب أدّت إلى تحسين العلاقة بين الطرفين وإزدياد التعاون بينهما ، كما أن ايران لاتريد من تدخلها في اسيا الوسطى والقوقاز أن تسيء لعلاقاتها مع روسيا الإتحادية وأنها تعتمد في تسليحها على روسيا، والأهم أن هناك أسبابا تتعلق بالتقارب والتنسيق بين روسيا الإتحادية وإيران ضد التوجهات التركية في المنطقة(الجمهوريات الاسلامية).

لقد أثّر المتغير الإقليمي في سياسة روسيا الإتحادية اتجاه ايران حيث أن روسيا الإتحادية تعد دول آسيا الوسطى والقوقاز مناطق نفوذ روسية ومن ثم فأنها لن تسمح بتواجد قوى غربية تهدد مصالحها في المنطقة، لذا فأن إيران تمثل الحليف الأقل خطرا والأقرب إلى مصالحها من تركيا، ليس فقط لكون روسيا الإتحادية المصدر الأساس للتسلح الإيراني، بل أن المحاولات الأمريكية على توسيع حلف شمال الأطلسي باتجاه موسكو قد تكون أحد أهم الدوافع الروسية للتأثير في المنطقة ولاسيما القيادة العسكرية الروسية تؤكد على بناء قاعدة للتعاون الدائم مع ايران بما يخدم مصلحة أمنها في الجنوب وعلى المدى البعيدن وكما أن لروسيا الإتحادية وإيران مصلحة مشتركة في الحد من اندفاع تركيا في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز ولاسيما وأن تركيا المدعومة من الغرب تقوم بتنفيذ سياسات تعدها الدولتان مؤذية لمصالحها في المنطقة فمن مصلحة إيران عودة السيطرة والنفوذ الروسي في المنطقة لأجل الحد من نفوذ القوى الغربية فيها.

ولقد تلاقى التوجه الروسي مع الحاجة الإيرانية حيث أن الطرفين يبحثان عن سبيل للخروج من العزلة، روسيا الإتحادية تسعى لإيجاد تحالفات والخروج من التبعية للغرب، ولاسيّما الولايات المتحدة الأمريكية الساعية لعزل روسيا الإتحادية داخل إقليمها والحيلولة دون استعادة مكانتها كقوة منافسة للولايات المتحدة الأمريكية، هذا فضلا عن إنهاء دورها في آسيا الوسطى عن طريق تحالف امريكي تركي يهدف لتحويل روسيا الإتحادية إلى منطقة محاطة بشبه طوق تركي. ومع كل هذه التحركات لعزل روسيا الاتحادية وإنهاء سيطرتها في آسيا الوسطى والتحركات الدولية واشتداد المنافسة الدولية لبسط النفوذ في آسيا الوسطى وجدت روسيا ان أنسب توجه لها نحو الجنوب هو التعاون مع ايران ،سيما أن إيران تتمتع بموقع جغرافي مميز بوصفها الجسر الذي يربط بين آسيا الوسطى والخليج العربي فضلا عن أنها تقع في الجهة الجنوبية لبحر قزوين الغني بالنفط وبمصادر الطاقة ولديها علاقات جيدة أيضا مع الدول المطلة عليه[١٠٢].
ولو نظرنا إلى دول آسيا الوسطى لوجدناها دولا مغلقة وأن روسيا الإتحادية وإيران تشترك بحدود مع هذه الدول والقوقاز وتمتلك إيران طرق المواصلات البرية والبحرية ، تلك الدول لم تستطع الإندماج في الإقتصاد العالمي من دون إيران وذلك لحاجتها لطرق نقل وبهذا فوجد التحالف بين روسيا الإتحادية وايران دورا مهما في هذا الجانب.وبعد أحداث (١١)ايلول/ سبتمبرعام٢٠٠١ م غدت آسيا الوسطى مسرحا وجزءً من خريطة القواعد العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية التي سعت الى إرساء امبراطورية برمائية في جنوب ووسط اسيا، فقامت بإنشاء خمس قواعد لها في قيرغيزستان وطاجكستان وتركمستان، فتغلغلت تلك القواعد في المنطقة بدعوى محاربة الإرهاب ضمن حرب شنتها الولايات المتحدة الأمريكية لتصفية جيوب المقاومة، فهيمنت حينها لتحاول احتواء التركة النووية للسوفيت الموجودة فيها ومنع انتشارها إلى الخارج وخصوصا ايران.

١٠٢- العامري ابتسام محمد ، اسيا الوسطى - مصادر الطاقة وحوض قزوين ودواعي التنافس على النفوذ الاقليمي ، نشرة قضايا دولية . مركز الدراسات الدولية ،بغالعدد(٤٤)، ٢٠٠١، ص ٣٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه التطورات دفعت روسيا الإتحادية لإيجاد المزيد من التعاون بينها وبين إيران ولاسيّما في منطقة بحر قزوين وآسيا الوسطى وهي المجال الحيوي الذي تبلورت فيه مصالحها الإقتصادية لذلك وجدت روسيا الإتحادية في تعاونها مع إيران حاجة ملحة لرد المحاولات الأمريكية الرامية الى السيطرة على آسيا الوسطى وبحر قزوين وخصوصا بعد وجود قوة أمريكية فاعلة في المنطقة. وقد تجسد هذا التعاون في زيارة الرئيس الروسي بوتين الطهران في (١٦) تشرين الأول أكتوبر ٢٠٠٧م وذلك في إطار مؤتمر الدول المطلة على بحر قزوين لبحث كيفية اقتسام ثروات هذا البحر. وقد عقد الرئيس بوتين في إطار زيارته جولة من المفاوضات مع الرئيس الإيراني نجاد تناولت مسألة الملف النووي الإيراني وقضايا أخرى وعُدت هذه الزيارة كأول زيارة لرئيس روسي لإيران منذ الحرب العالمية الثانية، وكانت من نتائج هذه المفاوضات[١٠٣]

١ : ـ التشديد على حق الدول الأعضاء بتطور التكنولوجيا النووية السلمية.

٢ : ـ منع الدول المطلة على بحر قزوين من استخدام أراضيها لضرب بعضها البعض او ان استخدام أراضيها من قبل دولة أجنبية لضرب دول أخرى.

٣ : ـ التأكيد على حق الإستفادة من ثروات البحر بالشكل الذي تتفق عليه الدول الخمس.

٤ : ـ الدعوة لعقد مؤتمر آخر بغية التوصل لحل نهائي. وفي ضوء ذلك نشأت بسبه تحالفات وتحالفات مضادة أبرزها محور روسي صيني تعبر عنه منظمة شنغهاي للتعاون والذي تتفق معه إيران يقابله محور امريكي تتفق معه عدد من دول المنطقة والإتحاد الأوروبي والناتو. وإن التنافس الدولي الجاري في المنطقة يمثل مباراة كبرى تتنافس فيها الدول مع بعضها وفيما بينها وهذا التعاون والتنافس قد يتغير وذلك تبعا للمصلحة وتقديرات اللاعبين للإستراتيجية الأنسب لنجاح محاولاتهم للسيطرة على اسيا الوسطى[١٠٤].
أما على الصعيد الدولي فبعد تفكك الإتحاد السوفيتي وهو الأهم في تطور علاقة روسيا الإتحادية بإيران حيث أنها رأت في تعاونها مع إيران مصلحة لصد نفوذ وهيمنة أمريكا على العالم، أما على الصعيد الإقليمي حيث رأت روسيا الإتحادية أن التقارب مع إيران سيكفل لها مواجهة المنافسة الدولية على آسيا الوسطى وكذلك الإستفادة من موقع إيران الإستراتيجي وقربها من المياه الدافئة في الخليج. وبقدر مايتعلق الأمر بإيران فهي كما استفادت من انهيار الإتحاد السوفيتي الذي كان يشكل تهديدا كبيرا على أمنها القومي من خلال حدوده معها في أذربيجان وبحر قزوين وغيرها من المناطق الحدودية الاأخرى كذلك استفادت بشكل غير متوقع من أزمة الخليج الثانية التي مزقت نسيج التضامن العربي ، واسقطت الكثير من المحرمات التي تأسست على القومية وشكلت سياجا للنظام العربي ولأمنه القومي . فأن تدمير القوة العسكرية العراقية وظهورالجمهوريات الإسلامية المستقلة في آسيا الوسطى قد اتاح فرصة مثالية لتنشيط الدور الإقليمي الإيراني، سواء في إطار محاولة المشاركة في إقامة النظام الأمني الإقليمي في الخليج أو في إطار تكثيف الوجود السياسي والإقتصادي والثقافي الإيراني في آسيا الوسطى ، وانعكس السعي الإيراني الى القيام بهذا الدور في أحد جوانبه في صورة تبني استراتيجية شاملة لإعادة بناء القدرات العسكرية، والإهتمام بصفة خاصة بامتلاك قدرات صاروخية ونووية باعتبار ذلك أداة رئيسية لإكتساب المكانة المستهدفة .

١٠٣ـ انصات قناة الجزيرة ليوم ١٦ـ ١٠ـ ٢٠٠٧، برنامج ماوراء الخبر .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من جانب آخر فانهيار الإتحاد السوفيتي قد حكم مع نظام نجيب الله في افغانستان بالإنهيار بدوره. وسرعان ماتفجرت الحرب الأهلية بين فصائل المجاهدين ، وهو ما أتاح لإيران التدخل العلني والمستتر من خلال القيام بدور الوساطة ودعم الأطراف الأفغانية المرتبطة بها مذهبيا وسياسيا وهذا ماساهم بتعزيز مكانة إيران الإقليمية والدولية .

فيما يتعلق بالسياسة الإيرانية تجاه الدول العربية فيجمع الجانبان اعتبارات سياسية وستراتيجية وإقتصادية وثقافية وتأريخية ودينية ، وتعد اعتبارات حيوية فيما إذا عززتها إرادة الطرفين بالحوار والرغبة في مراعاة المصالح في إطار العلاقات الجوارية الممتدة إلى شاطئ الخليج ، وفي البر مع العراق ومدِّ جسور الصداقة والتعاون لتخفيف الضغوط التي تمارسها الولايات المتحدة واسرائيل ضد الطرفين . بعيدا عن محاولة السيطرة والهيمنة والنزعة التوسعية التي تمارسها إيران والتي تشكل خطراوتهديدا شديدا للأمن القومي العربي. ويرى بعض المحللين أنه لاتوجد وثائق أو دلائل تثبت هذا الزعم لذا فهم لايستطيعون الحكم إن كانت إيران فعلا تتدخل أم لا . الباحثة لاتتفق مع تلك الآراء فهناك الكثير من الدلائل والمؤشرات لتدخل ايران في البلدان العربية ومنها بشكل خاص العراق، فضلا عن ذلك فإيران لم تتخل عن سياسة تصدير الثورة وذاك هو أساسها أساسها الفكري أوالعقائدي. فمسألة تصدير الثورة كانت قائمة خلال عهد الخميني ولاتزال موجودة في رأيهم وستظل مابقيت الجمهورية الإسلامية الإيرانية. أما أسلوب تصدير الثورة فحصل عليه بعض التغيير، ففي فترة الخميني قد غلب عليه طابع القوة والإثارة والتهييج، وفي عهد رفسنجاني استمر بشكل تصديرها كنظام منفتح على العالم الخارجي. ويمكن القول أنّ الإطاحة بنظام الحكم في العراق والصعوبة في التوصل لإستقرار سياسي في مرحلة مابعد الحرب فتحت الباب أمام إيران للتشبث بدعواها المتعلقة بالزعامة الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط وبموجب ذلك صعدت إيران مكاسب هائلة وضعتها في موقع استراتيجي متميز فمنذ نهاية الحرب الباردة حدثت تغييرات جوهرية فيما يتعلق بالأمن القومي ورؤية طهران للأمن القومي. التغييرالكبيرحصل بعد هجمات ١١ ايلول ٢٠٠١ على الولايات المتحدة اذ قام الحلف الذي تتزعمه الولايات المتحدة بغزو افغانستان والإطاحة بحكومة طالبان ، وبعد أقل من عامين على ذلك وتحديدا في آذار ٢٠٠٣قام تحالفآخر بزعامة الولايات المتحدة بالإطاحة بنظام صدام حسين فكانت تلك الإطاحة بهذين النظامين وانتشار القوات الأمريكية في كلا البلدين بالنسبة لإيران سلاحا ذا حدين، فقد ازداد القلق الإيراني أن لا تستهدف بلادهم أيضا لتغيير الأنظمة في الشرق الاوسط .

ومن جهة أخرى فالتحديات التي يواجهها التحالف الدولي في افغانستان والعراق غير ديناميكية الأمن الإقليمي ونتيجة لذلك فإن احتمالات حدوث مواجهة عسكرية بين الولايات المتحدة وايران كانت بعيدة آنذاك وهذا ماساهم في تقوية موقف إيران وإعطائها هامشا متسعا من حرية العمل . وكما يقول مارتن انديك الذي شغل منصب سفير الولايات المتحدة في إسرائيل (بعد ان كان نظام طهران في موقف الدفاع على مدى عقد من الزمان فأنه يشعر حاليا بأن فرصته قد حانت وبناءً على ذلك فقد أصبح الإيرانيون اكثر عدوانية لتأكيد تطلعهم للزعامة الإقليمية بما في ذلك برنامج نووي طموح[١٠٥] .

١٠٤- عرفات ابراهيم ، اسيا الوسطى والتنافس الدولي في منطقة مغلقة ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ، العدد (١٦٧)، كانون ثاني ،٢٠٠٧، ص١٢٤

١٠٥ باهاغات غاورات ، إيران والولايات المتحدة ...نموذج للترتيبات الامنية الجديدة في الشرق الاوسط، ت محمد احمد عمران ، مجلة الملك خالد للدراسات العسكرية ،ع (٩٠) ، ٢٠٠٧، للموقع www.kkmag.gov.sa

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الأهداف الإيرانية والإستراتيجية والإقليمية لاتختلف كثيرا عن أهداف الدول الأخرى في الشرق الأوسط فإيران تسعى لتوسيع مناطق نفوذها في المنطقة وتعزيز روابطها الإقتصادية والأمنية مع الدول المجاورة ولها باستثناء اسرائيل ومواجهة السياسات الأمريكية ووجودها العسكري والسياسي في المنطقة وعموما تتميز السياسة الإيرانية الإقليمية بصفتين رئيسيتين :

أولاهما - منذ حقبة التسعينيات اتسمت السياسة الخارجية عامة وعلاقاتها الإقليمية بصفة خاصة بالتوجهات الواقعية نحو تحقيق المصالح القومية وبقدر أقل نحو الإهتمامات الآيديولوجية .

وثانيهما - المؤثرة على السياسات الإقليمية وعدم الإقتصار على جهة واحدة وإنما تعدد مراكزالقوة داخل السلطة الإيرانية والتي أدّت أدوارا إيجابية في تصميم وتنفيذ السياستين الخارجية والعسكرية لإيران، وكذلك محاولة لإيجاد التوازن في منظومة الشؤون الخارجية والعسكرية لإيران.

الموقف الإيراني من أمن الخليج

نظرت القيادة الإيرانية للغزو العراقي للكويت بوصفه كمخلٍّ صارخ بميزان القوى في الخليج لصالح العراق، وبالتالي فنتائجه خطيرة ومباشرة على الأمن القومي الإيراني. ولذلك لم تكتف إيران بمعارضة الغزو للكويت بل طالبت بإتخاذ عقوبات رادعة للعراق. وفي المقابل رأت أيضا أن التواجد المكثف للقوات الأمريكية في الخليج يعد موجها ضد إيران أيضا لتحجيم دورها وفرض الهيمنة عليها منطلقة من توقع ان أمريكا ربما ستتوجه الى ضرب ايران بعد أن تنتهي من العراق لذلك اختارت ايران لنفسها موقف الحياد من حرب الخليج الثانية ، ففي يناير ١٩٩١ وقبل بدء العمليات العسكرية أوضح الرئيس الايراني رفسنجاني موقف بلاده من أزمة الخليج بقوله (أننا لن نسفك دمائنا لكي تحقق الولايات المتحدة النصر، كما أننا لن نسفك دماءنا لكي يبقى العراقيون في الكويت ففي هذه الحالة سيصبح الخليج الفارسي غدا الخليج العربي اليس ذلك الإنتحار بعينه ؟). وبعد قيام الحرب استمرت ايران بالقيام بالوساطة الدبلوماسية لإيقاف الحرب خشية أن تتطور لتصل لإيران.

وخرجت ايران من أزمة الخليج الثانية محققة العديد من المكاسب والمصالح الإقليمية وهذا ما أنعش آمالها في أداء مهام الدور الإقليمي البارز ، فنهاية تلك الحرب انتجت تحطيما للقوة العسكرية العراقية، وإقرار العراق للإتفاقيات المبرمة مع إيران في الجزائر عام ١٩٧٥، وهذا ما أفضى إلى فسح المجال لإيران كي تمارس دورا نشطا في الخليج سواء اقتصاديا أو أمنيا. وقد دعم هذا الإتجاه رغبة إيران في الإستفادة من تفكك النظام العربي القديم وانهياره، وماترتب عليه من ضعف القوى القومية واليسارية . لقد انتهزت إيران نتائج الحرب لكي تؤدي دورا رياديا في صياغة النظام الإقليمي والترتيبات الأمنية في المنطقة .

بعد انتهاء الحرب طرحت إيران منظورها إزاء الترتيبات الأمنية في الخليج بما ياتي : -

١- إن ترتيبات الأمن الإقليمية في المنطقة ينبغي أن تستند للعلاقات التأريخية والدينية والإقتصادية المشتركة بين دول المنطقة .

٢- رفض التدخل الأجنبي في ترتيبات أمن المنطقة تحت أي شكل من الأشكال.

٣- ضرورة التعاون بين جميع دول المنطقة ، وفي وقت لاحق طالبت إيران صراحة أن يكون لها دورا في الترتيبات الأمنية في المنطقة مع الأخذ في الإعتبار ضمان استقلال دول الخليج وسيادتها على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أراضيها(١٠٦). ملخص القول أن ايران قد استفادت بصفة عامة من تفكك الإتحاد السوفيتي من زاويتين أساسيتين، أولاهما هي تحرير حدودها الشمالية من ضغط دولة عظمى وفتح المجال أمامها لممارسة النفوذ والتأثير والتجارة والسياحة والثقافة فضلا عن الأسلحة الرخيصة . وثانيهما تعزيز مكانتها في مواجهة النفوذ الأمريكي في منطقة الخليج خاصة وأن مبرر الوجود الأمريكي الأساسي كان الخطر السوفيتي ومن ثم فأن الأطروحة الإيرانية حول أمن الخليج تجد مبررا لها. كما أن استمرار فرض العقوبات الإقتصادية والعمل على تشديدها قد يسهم في تراجع مكانة إيران في المنطقة فالولايات المتحدة تسعى لإستصدار قرار جديد من مجلس الأمن أو من خلال اقناع حلفائها الأوروبيين بتبني عقوبات مشدّدة خارج قرار مجلس الأمن، وذلك من أجل إحداث صدمة للإقتصاد الإيراني من خلال تراجع عوائد إيران من النفط والغاز بشكل كبير وإحداث أزمة داخلية للطاقة في إيران عن طريق وقف إمدادها بالبنزين، وممكن أن يؤدي ذلك إلى تردي الأوضاع الإقتصادية في إيران وإلى زيادة المعارضة الداخلية وإسقاط النظام أو على الأقل إجباره لتغيير مواقفه والتجاوب مع المطالب الأمريكية والعالمية، فهي تخصص مايقارب ٧٥ مليون دولار لبرنامج نشر الديمقراطية الذي يدعم تغيير النظام في طهران . وفي وقت لاحق حشّدت واشنطن الدعم لسلسلة قرارات في الأمم المتحدة ضد البرنامج النووي الإيراني وقد نجحت في دفع الدول الفاعلة على هذه الساحة بتبني عقوبات مالية قاسية حرمت إيران من أسواق واستثمارات مالية ودولية فقد صنفت الحرس الثوري الإيراني على أنه من الجهات التي تقوم بنشر أسلحة الدمار الشامل ووضعت جيش القدس على لائحة التنظيمات الإرهابية مما يعطي الولايات المتحدة الحق باستهداف أصول وموارد التنظيمين ومواردهما المادية والإقتصادية وملاحقة اعضائهما الناشطين لاسيما في العراق وتسعى واشنطن للحصول على الدعم من حلفائها في الشرق الاوسط لتحقيق هذه الاهداف(١٠٧) . وترى الباحثة أن احتمال قيام الولايات المتحدة بتوجيه ضربة عسكرية ضد إيران قد تسهم في تراجع مكانة ودور إيران المستقبلية في المنطقة فالولايات المتحدة قد تقود الحرب وذلك من خلال القوات المتمركزة في الخليج العربي وبدعم الحلفاء الأوربيين خاصة بريطانيا وبمساندة من بعض دول المنطقة التي ترى في التوجه الإيراني مساسا بمصالحها وأمنها القوميين وقد تقوم الولايات المتحدة بدعم هجوم عسكري على إيران من خلال إسرائيل واعطائها الضوء الأخضر للقيام بهذا العمل بدعم ومساندة أمريكية سياسية واستخباراتية ومنع الهجمات الصاروخية التي يمكن أن تقوم بها إيران ضد اسرائيل عقب الهجوم من خلال شبكة صواريخ باتريوت وإعطاء تسهيلات لها لإستخدام اجواء حلفائها لشن هذا الهجوم . أما فيما يتعلق بالسياسة التركية فالملاحظ أن تركيا تعود للظهور كقوة إقليمية ذات أهمية. ولكي نفهم السياسة التركية ينبغي أن نتناولها في سياقها التأريخي .

إن نهاية الحرب العالمية الأولى جلبت معها نهاية الإمبراطورية العثمانية وانحسرت أيضا السيادة التركية على آسيا الصغرى وشريط من الجانب الأوروبي على البوسفور. أدى هذا الإنحسار إلى تقليص سيطرة تركيا الواسعة الإمتداد، والتي حاولت الحفاظ عليها كإمبراطورية تمتد من شبه الجزيرة العربية إلى منطقة البلقان إلا أنها أصبحت أقل عرضة للخطر مما كانت عليه أبان الإمبراطورية العثمانية. في الوقت نفسه كان وجد ثمة قاسم مشترك لكلا الفترتين، وهو الخوف من روسيا التي عانت من ضعف استراتيجي رئيسيّ، فكلّ مرافئها كسانت بطرسبرغ فلاديفوستوك مورمانسك وأوديسا لم يمكن الوصول إليها إلّا عن

١٠٦- القرير الاستراتيجي العربي ، مصدر سابق ، ص ١٤٥.

١٠٧- نصر فال و كاي واي ، كلفة احتواء ايران ، سياسة واشنطن الجديدة المظللة في الشرق الاوسط ، مجلة فدرين ايفرز ، يناير ٢٠٠٨، ترجمة مجلة افاق ستراتيجية ، ع (٢٣)، فلسطين ، ٢٠٠٨، للموقع www. alzaytouna.net

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طريق المضايق التي تسيطرعليها القوى التي قد تعتبر معادية، حيث أغلقت بريطانيا عدة مضائق دانماركية، ومنعت اليابان الوصول إلى فلاديفوستوك، وحظر الأتراك الوصول إلى البحر المتوسط. ومن هنا تركزت السياسة الوطنية المتواصلة لروسيا على فرض سيطرتها على مضيق البوسفور وذلك لمنع أي حصار عليه بالإضافة إلى تجسيد قوة لها في البحر المتوسط. وبناء على ذلك كان للروس اهتماماً خاصاً في إعادة تشكيل السيادة التركية. ففي الحرب العالمية الأولى قام العثمانيون بالإنحياز للألمان الذين كانوا يحاربون الروس. وخلال فترة ما بين الحربين وفترة الحرب العالمية الثانية، عندما كان الإتحاد السوفييتي يعاني من الضعف والتشتت بقيت تركيا على الحياد حتى شباط/ فبرايرمن عام ١٩٤٥، عندما أعلنت الحرب على دول المحور. وبعد انتهاء الحرب عندما أصبح السوفييت أقوياء، وقاموا بعدة محاولات سرية بغية تقويض كلاً من تركيا واليونان، قام الترك بالتحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية والإنضمام لحلف شمال الأطلسي (على الرغم من المسافة التي تفصلها عن شمال الأطلسي).

خلال الفترة ما بين عام ١٩٤٥ و ١٩٩١، كانت تركيا في علاقة تبعية مع الولايات المتحدة التي كانت تسعى لوضع استراتيجية لإحتواء الإتحاد السوفييتي على خط يمتد من النرويج إلى باكستان. وكانت تركيا عنصراً أساسياً بسبب سيطرتها على مضيق البوسفور، ولكن أيضاً فمولاة تركيا للإتحاد السوفييتي قد فتحت الباب امام ضغط الأخير مباشرة على غيران والعراق وسوريا. إن السوفيات المتحالف أوالمؤثر بتركيا قد كسر مركز نظام الإحتواء الأمريكي، وبالتالي تغيير موازين القوى. وكانت تركيا إلى جانب ألمانيا النقطة المحورية في استراتيجية الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي.

من وجهة النظر التركية لم يكن هناك خيار آخر، فالسوفييت خرجوا من الحرب العالمية الأولى بوضع قوي للغاية، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا الغربية تعيش في حالة فوضى، والصين أصبحت دولة شيوعية، وبالتالي تمكنت القوة العسكرية الفائقة للسوفييت – على الرغم من الأضرار الجسيمة التي تعرضوا لها في الحرب – من تجريد قدرة الدول الموجودة على حدودها، بما في ذلك تركيا، من أية قدرة على المقاومة. وبالنظر إلى أهمية مضيق البوسفور وآسيا الصغرى للسوفييت، كانت تركيا تعتبر من المصالح الأساسية بالنسبة لها، وكون تركيا غير قادرة على التعامل مع السوفييت وحدها، انتقلت إلى علاقة ضيقة للغاية وذات منفعة متبادلة مع الولايات المتحدة الأمريكية.

خلال الحرب الباردةن كانت تركيا تمثل ضرورة استراتيجية ملحة للولايات المتحدة. إذ انها تقابل السوفييت في الشمال وقوتين مواليتين للسوفييت في الجنوب وهم سوريا والعراق، إلا أن اسرائيل تمكنت من توجيه اهتمام سوريا بعيداً عن تركيا. ولكن هذا المنطق الإستراتيجي حُلَّ في عام ١٩٩١ مع سقوط الإتحاد السوفييتي. حيث بات الإتحاد مجزأً حينها. وانسحبت القوى الروسية من جنوب القوقاز والبلقان، وأدّى قيام الإنتفاضات في شمال القوقاز إلى تقويض قدرات الجيش الروسي[١٠٨]. ونالت كلاً من أرمينيا، جورجيا وأذربيجان استقلالهم، وكذلك الأمر لأوكرانيا التي أصبحت دولة مستقلة، مما جعل وضع أسطول البحر الأسود الروسي في شبه جزيرة القرم غير واضح. وللمرة الأولى منذ السنوات الأولى لقيام الإتحاد السوفييتي، تتمكن تركيا من التحرر من خوفها من روسيا، وبالتالي ذهب العنصر الحاسم في السياسة الخارجية التركية، وذهب معها الإعتماد التركي على الولايات المتحدة.

١٠٨- فريدمان جورج ، استراتيجية تركيا ، موقع المترجمون السوريون الاحرار ، نيسان ٢٠١٢، الصفحة بلا .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى أساس هذا الواقع الجديد رفضت تركيا المشاركة مع الولايات المتحدة في غزو العراق واعتبرته عملا لا لزوم له، خاصة بعد التداعيات التي أعقبت عملية الغزو. بتعبير أوضح كان للمتغيرات الدولية الجديدة التي برزت في أواخر الثمانينات ومطلع التسعينات انعكاسات على السياسة الخارجية التركية ،ولاسيما على المنطقة العربية ، فمثلما كان سقوط جدار برلين قد فتح أوربا الوسطى والشرقية أمام الغرب ، فأن سقوط الإتحاد السوفيتي قد فتح بلاد القوقاز وآسيا الوسطى أمام تركيا . لقد حرر ذلك تركيا من قرنين من الضغط الروسي المتواصل على حدودها ، فهذا التغيير الجيوبولتيكي قد أدّى الى ظهور شرق أوسط جديد. مع أن إن تركيا وايران والمملكة العربية السعودية أكثر فعالية في هذا الشرق الأوسط الجديد . إلّا أنّ التنافس الرئيسي ظلّ قائما بين تركيا وروسيا ، وأن ثمة عثمانية علمانية جديدة آخذة في الظهور تقوم أساسا على التشبث بالصلات الحضارية مع الجمهوريات الإسلامية التركية، وإن كانت أكثر تناغما مع العلاقات الإقتصادية، فتركيا تطور روابطها التجارية والثقافية مع هذه الجمهوريات ويشير التقرير الاستراتيجي ان هناك ثلاث دوائر تشكل مجال السياسة الخارجية التركية[١٠٩]، أولها الدائرة الأوربية حيث تسعى تركيا منذ مطلع السبعينات لتكون عضوا في الجماعة الأوربية لكن هناك ثمة شكوك قوية حول إمكانية حصول تركيا على العضوية الكاملة في الجماعة الأوروبية ويرجع ذلك لعاملين أولهما هو التضخم السكاني حيث يقارب عدد سكان تركيا ٦٠ مليون نسمة ،ويتوقع ان يصل بعدعشرين سنة لمائة مليون ، وهذاالرقم المرتفع يثير قلق أوروبا، إذ ستضطر حينها إلى استيعاب فائض العمالة التركية الكبيرة، وهذا مايتعارض مع رغبة أوروبا في التخلص من مجتمعات المهاجرين الكبيرة فيها وخاصة من الدول الإسلامية .

العامل الثاني هو التباين الحضاري حيث تقتصر عضوية الجماعة الأوربية على دول أوربية مسيحية. وقد رفضت طلبات الدول غير المسيحية التي تقدمت بطلب انضمام الى الجماعة الأوربية (المغرب وتركيا) . ومن الأمثلة البارزة على اختلاف القيم، الموقف التركي من حقوق الأقلية الكردية .

الدائرة الثانية للسياسة الخارجية التركية فهي الدائرة الإسلامية . إن اعتماد العلمانية كأحد أسس النظام السياسي والحقوقي في تركيا أثر سلبيا في العلاقات التركية الإسلامية وساهم في تعميق عزلة تركيا التي اختارها كمال الدين اتاتورك وخلفائه من بعده. وعلى هذا فأن الدول الإسلامية في وضعها الراهن بعيدة أن تكون نقطة جذب تضاهي الأسرة الأوربية او الولايات المتحدة . لذلك لاينتظر هؤلاء أن تدخل تركيا في علاقات وثيقة معها فلا لايوجد في هذه العلاقات ماهو مفيد .

الدائرة الثالثة - لمجال السياسة الخارجية التركية هي الدائرة التركية حيث يوفر ظهور عالم تركي في آسيا الوسطى والقوقاز فرصة نادرة لأحداث تحول إيجابي في مسار علاقات تركيا بالعالم الإسلامي . فالجمهوريات الإسلامية المستقلة حديثا بعد انهيار الإتحاد السوفيتي قادرة ان تكون نقطة جذب للإستثمارات الإقتصادية التركية وتشكل جسرا لعلاقات تركيا بالعالم الإسلامي. وقد تفاعلت هذه الدوائر مع بعضها خلال التسعينات من القرن الماضي على نحو تضمن السعي للتأثير المباشر في الدائرتين الإسلامية والتركية وهو أمر لم يكن بعيدا عن هدف تركيا في التاثير على الموقف الأوربي من طلبها لعضوية الجماعة الأوروبية. أما فيما يتعلق بتركيا فقد دفعت التطورات المتعلقة بأزمة الخليج وانهيار الإتحاد السوفيتي إلى زيادة القيمة الإستراتيجية لتركيا من وجهة النظر الأمريكية ، حيث طرحت في ظل

١٠٩- التقرير الإستراتيجي العربي ، مصدر سابق ، ص ١٥١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه المتغيرات إمكانية مشاركة تركيا في إقامة نظام الأمن الأقليمي في الشرق الأوسط والإسهام في حل مشاكله، كما أصبح أمام تركيا فرصة للتحرك السياسي والإقتصادي في منطقة آسيا الوسطى خاصة وأن هذا التحرك يلقى دعما وقبولا غربيا واسعا لمواجهة التغلغل الايراني في تلك الأنحاء، فضلا عن أن مجمل تلك المتغيرات أفضت إلى تنامي التطلعات التركية في الشرق الأوسط مع تزايد الاهتمام بتنمية القدرات العسكرية التركية للقيام بمثل هذا الدور(١١٠)

فقد اعطت تركيا اهتمامها بهذه المنطقة من خلال المشاركة في حرب الخليج الثانية مستثمرة موقعها الجيوستراتيجي الذي تتمتع به إذ كان لتلك المشاركة آثارها الفاعلة على المكانة التركية في المنطقة العربية والآسيوية على حد سواء خاصة وأن تركيا تعد تقليديا جزءً من المنطقة بحكم واقعها الجغرافي والتأريخي والثقافي . وحيث تدرك تركيا حجم وطبيعة التطورات الإقليمية التي جرت في المنطقة منذ حرب الخليج الثانية فأدركت تركيا أنه بعد هذه الحرب قد تقلصت قدرة العراق العسكرية وكذلك القضية الفلسطينية التي راحت تنزلق إلى جملة من الإتفاقيات غير المتكافئة مع اسرائيل وصارت جامعة الدول العربية حبرا على ورق وخرجت إسرائيل وحدها مستفيدة من كل ذلك(١١١) لقد وضع تفكك الإتحاد السوفيتي تركيا في موضع نقطة الوسط مما يستحيل معه التوقف ولابدّ من التقدم للأمام وبسرعة عبر دور اقليمي واسع، لأن التوقف في ظل التحولات العالمية المتسارعة يعني بذلك التراجع كما يمكن القول أن تفكك الإتحاد السوفيتي قد وضع بدوره تركيا في حالة الدولة الأقوى في محيطها أمام تنامي كتلتها السكانية الكبيرة ومميزاتها الجيوسياسية او لجهة الفرص الكبيرة التي اتاحها هذا التفكك أمام تنامي قوة تركيا اقتصاديا . ومقابل هذا الموقع الإيجابي فأن عوامل سلبية عديدة وخطيرة على الوضع التركي ماكانت لتقع أصلا لولا تفكك الإتحاد السوفيتي ، فلقد أفرز هذا الإنهيار مترافقا مع حرب الخليج الثانية وتطور الأوضاع شمال العراق (إقليم كردستان) فتركيا بقدر ما أسعدها سحق قوة اقليمية مثل العراق بقدر ما شعرت بالقلق جرّاء تطور الأحداث في شمال العراق كما سبب تفكك الإتحاد السوفيتي تشعبا في المسألة الكردية داخل تركيا نفسها فلأول مرة منذ سبعين عاما تقيم موسكو صلات علنية مع الحزب الذي يحارب تركيا وهو حزب العمال الكردستاني (١١٢). وفي مكان آخر من منطقة الشرق الأوسط نجد تأثير تفكك الإتحاد السوفيتي واضحا على العلاقات بين تركيا وسوريا فخسران سوريا للمظلة السوفيتية أفقدها أحد عناصر ممانعتها الأساسية إزاء محيطها الإقليمي وبضمنها العلاقات مع تركيا، كما أن في حال اكتمال المسيرة السلمية في المنطقة قد يدفع بسوريا لإتخاذ مواقف أكثر تصلبا في علاقتها مع تركيا. ومن هنا تبدو تركيا في حالة سباق مع الزمن وتحاول الحصول على أكبر قدرأ ممكنا من المكاسب مع سوريا قبل أن توقع سوريا اتفاق سلام مع اسرائيل. لقد كان لإنعكاس الأحداث في المنطقة أثرها على المنظور التركي الخاص والذي ينطلق في الأساس من اعتبارها دولة إقليمية مجاورة تتمتع بموقع جغرافي هام في السياسة الدولية مما اضفى عليها حضورا وقدرة على التأثير في منطقة الشرق الأوسط خصوصا وأن

١١٠- التقريرالاستراتيجي مصدر سبق ذكره ، ص -١٥٢

١١١-- الكيلاني هيثم ، البعد الامني لمعاهدة السلام الاردنية الاسرائيلية والاتفاقية العسكرية التركية الاسرائيلية ، في مستقبل الترتيبات الاقليمية في منطقة الشرق الاوسط ، اشراف سمعان بطرس الله ، في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ،١٩٩٧، ، ص ١٣٤.

١١٢- روبنسن فيليب ، تركيا والشرق الاوسط ، ترجمة ميخائيل نجم خوري ، دار قرطبة للنشر والتوثيق والابحاث ، دمشق ، ص ٥٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تركيا تحتل المرتبة الرابعة والثلاثين في العالم من حيث المساحة والمرتبة التاسعة عشر في العالم من حيث عدد السكان وتتمتع بقوة عسكرية ضخمة فضلا عن عضويتها في حلف الناتو منذ عام ١٩٥٢ كما أنها تميزت بمقدورها على التعامل مع محيطها الإقليمي (الدول العربية والإسلامية) من خلال انتهاجها لأساليب ومسالك متنوعة دون المساس بارتباطها مع الدول الغربية لتعزيز مصالحها الوطنية العليا على أساس أن جوهر السياسة التركية يرتكز بتوفير الحماية الفعّالة للمصالح القومية التركية والمشاركة في تحقيق السلام في المنطقة والعالم على أساس المبادئ الجوهرية التي تستند اليها والتي أسسها أتاتورك(١١٣).

لقد اصبحت تركيا تدرك الحاجة للعثورعلى التوازن الصحيح بين مصالحها القومية وبين الدور الذي ينبغي أن تقوم به في الشرق الأوسط ويقصد بهذا التوازن أن تذهب تركيا إلى صياغة خياراتها إزاء قضية من القضايا استنادا للدور الذي يجب أن تقوم به وقد تراوحت هذه الخيارات بين دور المراقبة وذلك من خلال موقفها من حرب الخليج الثانية أو دور التورط الكامل من خلال أعمالها العسكرية في شمال العراق. وتراوحت خياراتها المتوسطة فيما يتعلق بمسيرة التسوية للمشكلة الفلسطينية. كما أن تركيا تدرك جيدا ماتملكه من إمكانيات وخصائص فريدة من نوعها. ولعل مجال توظيف إمكانياتها اقليميا يعد الأكثر تطبيقا للواقع نتيجة لوجود جملة من المعطيات تقف في المقدمة منها :

١ ـ غياب العراق كقوة اقتصادية وعسكرية ذات شأن ضمن الإطارين العربي والإقليمي، لذا اتجه التوازن الإستراتيجي للقوى الإقليمية لصالح تركيا ووفر لها ظروفا أفضل .

٢ ـ انطلاق عملية التسوية السلمية من مدريد عام ١٩٩١ إذ أصبحت تركيا عضوا في اللجان متعددة الأطراف.

٣ ـ الجهود الأمريكية في احتواء إيران ضد بيئتها الإقليمية والحد من طموحاتها في الجمهورية الإسلامية التركية .

٤ ـ طرح مشروع النظام الشرق أوسطي بمفاهيمه الإقتصادية والامنية كنظام اقليمي فرعي عن النظام الدولي الراهن وعلى العموم تسعى تركيا لتحقيق هدفين ستراتيجيين في سبيل تعزيز أدائها الإقليمي في المنطقة، وذلك بالحصول على العضوية التامة في الإتحاد الأوربي والسعي لبناء مصالح إقليمية واسعة يجعل من تركيا سلة الغذاء ومركز الإقتصاد لشعوب المنطقة باستخدام المياه والزراعة المتقدمة والمنتجات الصناعية والتجارة الدولية أما على المستوى الدولي فيلاحظ انطلاق تركيا في تلك المرحلة في علاقاتها مع الغرب والولايات المتحدة على المستوى السياسي والإقتصادي والأمني والثقافي. فتقليديا بقيت تركيا مشدودة إلى أوروبا سعيا منها لنيل عضوية الإتحاد الأوربي واستراتيجيا عملت على توطيد علاقتها أكثر فأكثر مع الولايات المتحدة خاصة من الناحية العسكرية معتقدة أن دورها في الإستراتيحية الأطلسية والأمريكية بشكل خاص سيبقى مهما وفعّالا، وإن كان قد تحول في هذه الفترة من دور المراقب للحدود مع إتحاد السوفيتي السابق إلى دور المتصدي للتيارات القومية العربية في المنطقة وكذلك التيارات الإسلامية المتشددة .

١١٣ـ الجميل سيار ، الخيارات الفكرية والسياسية لدى العرب والاتراك في العلاقات العربية التركية حوار مستقبلي ، اورهان كوروغلو واخرون ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٥، ص٢٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولاشكّ أن النهج الإستراتيجي في صنع السياسة الإقليمية قد دفع بتركيا في هذه الفترة بالنظر لمعظم جيرانها كمصدر تهديد محتمل لأمنها وبعبارة أخرى تبقى الرؤية الإقليمية لتركيا غارقة في خطر دائم حيث ازدادت حدته بعد نهاية الحرب الباردة. وبالتأكيد لاينفصل ذلك عن منطقة الشرق الأوسط التي تجد فيها تركيا أنها في موقف حرج لاسيّما وأنها لاتدخل في علاقات ودية مع دول الجوار الجغرافي نتيجة لموروثات تأريخية أو مشكلات مزمنة او آنية فضلا عن أن الحدود المشتركة بين تركيا ودول المنطقة تشكل نحو (٦٠ بالمئة) من إجمالي حدودها فتتميز هذه الدول بخصوصية معينة فلا تملك تركيا ميزة استراتيجية بالنسبة للسكان ولمساحة الأرض حيال إيران وهي أضعف عسكريا من حيث الصواريخ والأسلحة غير التقليدية من سوريا. ومن وجهة النظر التركية فأن لهذه الدول طموحات إقليمية قيادية (باستثناء العراق) فهي منتجة رئيسة للنفط ولها إمكانيات زراعية كبيرة كما أن عدد السكان فيها كبير بالمقياس الاقليمي [114] . وانطلاقا من مسائل الأمن اتجهت تركيا في هذه المرحلة إلى القيام بدور مؤثر في رسم تفاعلات المنطقة في المجالات السياسية والأمنية والإقتصادية، فقد شهدت العلاقات التركية مع عدد من دول الخليج العربي والمغرب العربي ومصر والأردن تطورات إيجابية في مجالات التجارة والنقل والرساميل الصناعية والمشاريع الإقتصادية في حين شهدت العلاقات التركية السعودية والتركية العراقية توترا متزايدا بسبب مشاكل قديمة متجددة فرضها الثابت الجغرافي والحدود المشتركة والإتفاقيات الدولية التي رسمت الحدود بين هذه الدول بعد الحرب العالمية الأولى ، ومن أهم المشاكل المختلف عليها هي [115]، المياه، مشروع الغاب، مشروع مياه أنابيب السلام، قضيتا لواء الأسكندرونة والموصل وأخيرا المشكلة الكردية. أما العلاقات التركية الإيرانية في الفترة موضوع الدراسة فيمكن وصف هذه العلاقة بأنها ليست حميمة وفي نفس الوقت ليست عدائية ويعود ذلك إلى الحساسية التي تحكم العلاقات بينهما لأسباب تأريخية تتعلق بالنظرة المتبادلة إزاء (الصراع العثماني الصفوي) وأسباب معاصرة تتعلق بالآيدولوجية السياسية للبلدين والتنافس الحاصل بينهما على النفوذ في المنطقة وفي الوقت نفسه تتقاسم أنقرة وطهران الهموم الأمنية المشتركة عبر الحدود، فالإتفاق الأمني الموقع بين البلدين في أيلول ١٩٩٢ لم يحقق الثقة الكاملة بشأن المشاكل الأمنية كما أن أنقرة تتهم طهران بتقديم الدعم لحزب العمال الكردستاني وللإسلاميين في تركيا فيما طهران تتهم أنقرة بتقديم الدعم لمنظمة مجاهدي خلق الإيرانية أما بشأن العلاقات التركية الإسرائيلية فقد تميزت بالتحسن المستمر في كافة المجالات إذ تعد تركيا أول دولة إسلامية تعترف بإسرائيل في آذار عام ١٩٤٩فأقامت معها علاقات دبلوماسية عام ١٩٥٠، ورغم أن العلاقات بينهما قد مرّت ببعض المحطات التي شهدت تراجعا شكليا في مجال التمثيل السياسي كما في عام ١٩٥٦ على إثر تعرض مصر للعدوان الثلاثي وعام ١٩٨٠ على أثر اعلان اسرائيل القدس عاصمة ابدية لها فالعلاقات بين الطرفين ظلت متينة وقوية ومنذ مطلع التسعينيات شهدت تلك العلاقات المزيد تحسنا وفي مجالات مختلفة، فعمل الطرفان على تطوير علاقاتهما تجاه التكامل في منطقة الشرق الأوسط على أساس أنهما الحليفان الإستراتيجيان لأمريكا في المنطقة. وتطورالإتفاق العسكري التركي

114- Malik Mufti, daring and caution in turkey policy , Middle east journal vol,52 no 1 , Winter. 1998. pp41-42.

-Kemal krisci, post cold - War Turkish Security and the Middle East , journal of middle East Revicw of international affairs, vol .1, no 2july, 1997, p .4

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

115- الرشيدي أحمد ، ندوه (تركيا والامن القومي العربي) ، مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ع ١٦٩ ، ١٩٩٢، ص ١١٩.

الإسرائيلي ليحمل العديد من المخاطر الأمنية على دول المنطقة لاسيّما سوريا، فالإتفاق سمح للطيران الحربي الإسرائيلي باستخدام الأجواء والقواعد التركية. ورغم ما أثاره هذا الاتفاق من مخاوف فتركيا لم تعطِ للرفض العربي الإسلامي أهمية، فاتجهت نحو توطيد علاقتها العسكرية مع إسرائيل [١١٦]. ولعل الدافع التركي من هذا الإتفاق يقف في المقدمة منه تعزيز الوضع الأمني التركي تجاه دول الجوار حيث سمح لتركيا بتعزيز جيشها وتحديثه ورصد ميزانية قدرها (١٥٠ مليار دولار) لتحديث قواتها العسكرية البالغ عددها نحو (٨٥٠) الف عنصر.

وخلاصة الأمر يلاحظ أنه عقب انتهاء الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتي وحرب الخليج الثانية وعملية التسوية السلمية العربية ـ الاسرائيلية تعرضت السياسة الخارجية التركية لعديد من الإهتزازات، فبعد أن حسمت تركيا خيارها الإستراتيجي لصالح ارتباطها بالغرب ثم عادت تركيا من جديد لتنظر لنفسها بأنها ليست فقط دولة غربية بل دولة شرق أوسطية تابعة لمحيطها الإسلامي ذلك أن الإتحاد الأوربي الذي لايفصل بلا أو نعم حول جهة قبول تركيا كعضو يدفع بالأخيرة إلى توجهها نحو الشرق الأوسط إلا أن تعثر عملية السلام العربية الإسرائيلية وكذلك الخلافات التركية مع دول الجوار العربية بشأن المياه والأقليات كل ذلك يؤخر السعي التركي إلى الشرق الأوسط فضلا عن انعكاسات هذه المشاكل على الثقة المتبادلة بين الأطراف مما انعكست على العلاقات التي تراوحت مابين القلق والتوتر والعداء كما لايخفى الموقف التركي من إسرائيل فمنذ أواسط التسعينيات توجهت تركيا لتعزيز علاقاتها مع اسرائيل الأمر الذي أثار مخاوف العديد من الدول العربية والإسلامية. ومع وجود هذه الأجواء فضلا عن القدرات التركية التي تتراوح مابين قدرات مقيدة من الولايات المتحدة والإتحاد الأوروبي من جهة ومن جهة أخرى تواضع قدراتها العسكرية والإقتصادية، كل ذلك دفع تركيا في دورها داخل المحور الإقليمي يشوبه الحذر مما يجعل من طموحاتها لأداء هذا الدور أقرب للبعد عنه من القرب بسبب ما أسلفنا أعلاه. يستنتج من كل ماتقدم أن تلك المتغيرات تصب في اتجاه اضعاف الموقف العربي جزئيا وكليا في الميزان الإستراتيجي في الشرق الأوسط ، الأمر الذي يضعف المكانة النسبية للدول العربية في منظومة العلاقات الإقليمية ويجعلها عرضة للإبتزاز والإرغام في تعاملاتها مع اسرائيل وتركيا وإيران ، لاسيما فيما يتعلق بتسوية الصراع العربي الإسرائيلي والإتفاق على صيغ التعاون الإقليمي في المجالات الإقتصادية والأمنية والمائية وغيرها.

انهيار الإتحاد السوفيتي وتنامي ظاهرة العنف

بنهاية الحرب الباردة ، تزايدت الآمال في أن تتم تسوية العديد من الصراعات الإقليمية والحروب الدولية والأهلية التي ارتبطت بشكل مباشر بالمواجهة بين المعسكرين وبين القوتين العظميين . ومع هذا برزت مناظرة بين تيارين رئيسيين فيما يخص تأثير انتهاء الحرب الباردة وتراجع الإتحاد السوفيتي على ظاهرة الصراعات الدولية . فمن ناحية راى انصار الإتجاه الأول أن نهاية الحرب الباردة وانتقال العلاقات بين القطبين من مرحلة الصراع لمرحلة التعاون يسمح بفرض كثير من القيود على الصراعات الإقليمية والأهلية . في حين رأى الفريق الآخر أن انتهاء الحرب الباردة وانهيار الإتحاد السوفيتي فأن فرصة اندلاع الصراعات في الجنوب سوف تزداد .

116- دلي خورشيد ، المناورات التركية الاسرائيلية في المتوسط ، مجلة الاوج ، ع ٧ ، ١٩٩٨، للموقع www.islamtoday.net

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ظاهرةالعنف في الشرق الاوسط

إن متابعة دقيقة للأحداث والوقائع توضح أن عدد النزاعات المسلحة في العالم قد زاد في الفترة التي تلت انهيار الإتحاد السوفيتي . ويشير تقرير صادر عن معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام أن عدد النزاعات قد ازداد خلال عام ١٩٩٣ الىحوالي ٣٤ نزاعات داخلية . وحسب التقرير المذكور كانت هناك خمس دول شرق أوسطية من بين ١٣ دولة شهدت النزاعات الأكثر ضراوة حيث زاد عدد القتلى عن ألف شخص خلال ذلك العام . ويستنتج بعض الباحثين أن مصدر هذه الصراعات يكمن في الأساس في الطابع المزدوج للعولمة . فالعولمة كظاهرة هي اتجاه طبيعي في التطور وقد ازداد هذا الإتجاه وتفاقم الجانب السلبي فيه بفعل عاملين - تطور التكنولوجيا في كل عناصرها وميادينها وتحكم الرأسمال المعولم بها، من جهة وانهيار القطب الآخر النقيض للراسمالية الذي كان يمثل المنظومة الإشتراكية من جهة ثانية . فالعالم ذو القطب الواحد هو الذي يعمق اليوم طابع التوحش في النظام الرأسمالي ويزيد من الميل لدى الرأسمال الكبير لتجاوز الحدود القومية ويمهد لإلغاء أو إضعاف دور الدول القومية، حتى في أكثر البلدان تقدما بين البلدان الراسمالية. والمهم في العولمة هو ماتعبر عنه هذه التحولات من ميل موضوعي لتوحيد العالم، هذا من ناحية وماتعبر عنه هذه التحولات من ناحية ثانية من أخطار تهدد البشرية في حاضرها ومستقبلها وتهدد البلدان الضعيفة التطور وتهدد فقراء العالم من كل الفئات من جراء هذه التوحش. ويتجسد هذا التوحش وتتفاقم نتائجه في كون هذا الراسمال المعولم قد افلت زمامه ويسعى لتوحيد العالم بقوة المال والسلاح والتكنولوجيا تحت سيطرته. وتتمثل الأخطار الناجمة عن هذه الظاهرة في (الخطر الأول هو ماتفرزه هذه العولمة من ظواهر تكاد تصبح من سمات الحقبة التي تمتد منذ عقدين وإلى زمن لاحق لايمكن تحديد مداه. أبرز تلك الظواهر هو ما تمثل في تلك الحروب الأهلية المفتعلة لا في آسيا وأفريقيا وحسب، بل حتى في القارة الأوروبية. وأيضا ما تمثل في النزاعات العرقية والدينية والقبلية، التي تخاض وتشجع من خارج البلدان المعنية باسم الدفاع عن الهويات، وهي ظواهر ولدتها الآيدلوجية الجديدة للعولمة المتمثلة ببدعة صراع الحضارات لصاحبها المفكر الأمريكي هنتنغتون . وهي موضوعة إضافة إلى كونها لاتستند لأساس موضوعي وتعبر عن نزعة الهيمنة لدى الرأسمال المعولم. وهي هيمنة لاتتحقق ولاتحقق أغراضها إلّا في ظلّ مثل هذه النوع من الصراع المفتعل بين ثقافات هجينة مبتدعة لاتربطها أية علاقة حقيقية بثقافات الشعوب التي تنتمي إليها .

الخطر الثاني هو ماتقود اليه وتعمقه الفجوة الهائلة بين أغنياء العالم وفقرائه التي تزداد عمقا ، والتي تتمثل اليوم بالديون من جهة وبالفقر والمجاعات وبالنتائج المترتبة على التصحر والجفاف وحالات أخرى مما تفرزه الطبيعة وتستعصي قدرة البشر عموما وقدرة البلدان المتخلفة خصوصا، على التحكم بها من جهة ثانية . الخطر الثالث هو الإستخدام المفرط من قبل أرباب العولمة الرأسمالية المتوحشة للمنجزات العلمية والتكنولوجية في تكديس الربح على حساب كل شيء ولاسيّما مايتعلق منها بمصالح البشر وبخيرات الطبيعة وبالمناخ والبيئة والمحيط الخارجي للكوكب وتكديس الأسلحة وتطويرها كوسائل لقمع نضالات الشعوب من أجل حريتها.

وتدخل في هذا المجال بالذات العملية المنظمة لتشويه القيم الإنسانية وتهميشها وإلغاء المعايير التي تقاس بها الأشياء. وتحويل كل شيء بما في ذلك البشر الى سلع تباع وتشترى في سوق النخاسة. وجميع هذه الأخطار التي كانت تتولد تدريجيا كلما كانت تتراجع قدرة القوى المتضررة منها في التصدي لها، قد بلغت ذروتها في المرحلة التي أعقبت انهيار الإتحاد السوفيتي ومنظومته الإشتراكية برغم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ماكان يسودهما من ضعف ومن عناصر تشويه وفساد) [١١٧] . فغياب البديل العقلاني الديمقراطي،عن الثقافة السياسية يساعد على نمو الحركات الرجعية التي تحتضن هذه الأمراض وتحيا عليها وتستخدمها ببراعة في سبيل أغراضها. وعلى أية حال يمكن لهذه الحركات الرجعية أن تزدهر نتيجة للأزمات المتعددة التي تعجز المجتمعات الراسمالية عن حلها وذلك مهما ارتفعت صيحات النصر التي يطلقها المدافعون عن هذه المجتمعات. مما يجعل الدعوة لنظام اجتماعي مختلف جوهريا أكثر ضرورة من أي وقت مضى .

١١٧- مروه كريم ، كريم مروه يتذكر بما يشبه السيره ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق سوريه و٢٠٠٢،ص ٣٩٠ ٣٩١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

تأثير الإنهيار على النظام الإقليمي العربي

أصبح التحكم بالمنطقة ومنابع وسياسات نفطها أولوية أمريكية ، فكانت حرب الخليج الثانية ١٩٩١. وفي ضوء نتائج هذه الحرب بذلت الولايات المتحدة جهودا ملموسة لتسوية عربية اسرائيلية جاءت في صالح إسرائيل الى حد كبير. قال مارتن انديك نائب رئيس مجلس الأمن القومي الأمريكي السابق وسفير الولايات المتحدة لدى إسرائيل أمام معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى بتاريخ ١٨- ٥- ١٩٩٣ (مايزال التدفق الحر لنفط الشرق بأسعارمعقولة يعتبر من مصالحنا الثابتة ولنا مصلحة ثابتة في تبادل الصداقة مع الذين ينشدون علاقات جيدة مع الولايات المتحدة وما زلنا نملك مصلحة ثابتة في المحافظة على أمن دولة اسرائيل وبقائها ورضاها ولنا مصلحة ثابتة في تشجيع تسوية عادلة ودائمة وشاملة وحقيقية للصراع العربي الاسرائيلي) ويرى أن الوقت قد حان للعمل على ضمان هذه المصالح حيث لم تعد الولايات المتحدة بحاجة للنظر إلى المنطقة من خلال منظور عالمي تنافسي، كما كان الحال خلال الحرب الباردة، فللمرة الأولى تتمكن الولايات المتحدة من الحكم على التطورات هناك من خلال تأثيرها في مصالحها في المنطقة لافي مصالحها العالمية [١١٨]. ومما هو معروف أن التسوية بشكل عام تستند إلى واقع علاقات القوة القائمة بين أطراف الصراع، بعبارة أدق أن معظم التسويات تتم في ظل موازين القوى التي انتهت اليها الامور . من هنا جاءت التسوية العربية الإسرائيلية في ظل اختلال توازن القوى على المستوى الدولي، بتفكك الإتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة . وعلى المستوى الإقليمي المتمثل بوضعية الدول العربية اثر حرب الخليج الثانية ١٩٩١ التي شكّلت نقلة استراتيجية في ظل موازين القوى سواء لمصلحة الولايات المتحدة عن طريق امساكها بأوضاع المنطقة وتحكمها منفردة بها أو لمصلحة إسرائيل من خلال تدمير أحد أبرز الأعماق الإستراتيجية العربية للخريطة الجيوستراتيجية للصراع العربي الإسرائيلي.

المطلب الأول - تأثير الإنهيار على الدول العربية

كما مر بنا تميزت العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ بحالة من الصراع العقائدي بين القوتين العظمتيين في العالم وهما الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي، حيث سخّرت القدرات العسكرية والإقتصادية والدبلوماسية والإعلامية لخدمة الأغراض العقائدية، واستقطبت الدول الموالية وفقا لإسهامات الصراع العقائدي الذي أصبح أساسا للتمحور في ظل امتلاك السلاح النووي لكلا القطبين . وعلى الرغم من حدوث انفراج في العلاقة بين الطرفين في مرحلة الوفاق إلا أن ذلك لم يؤد إلى تغيير جوهر العلاقة القائمة على التناقض بين النظامين الرأسمالي والإشتراكي، لكن المعادلة تغيّرت بفعل انهيار المعسكر الإشتراكي وتفككه وتحول نظام الثنائية القطبية لنظام أحادي القطبية تسيطر الولايات المتحدة على مقدراته. وبهذا يكون قد تم وضع حد لحالة الصراع في القمة وإبدالها بحالة من التعاون بين الولايات المتحدة وروسيا الإتحادية وريثة الإتحاد السوفيتي سابقا [١١٩] .

---

١١٨ - انديك مارتن ، خطاب امام معهد واشنطن اسياسة الشرق الادنى ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، العدد (١٥)، بيروت ،١٩٩٣، ص٣٠٦.

١١٩- توفيق سعد حقي ، النظام الدولي الجديد ، الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان-الاردن ،١٩٩٩،ص ٤٩-٥٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرع الاول - اختلال التوازن الإستراتيجي في المنطقة العربية

إن أبرز نتائج تفكك الكتلة الإشتراكية والإتحاد السوفيتي هي انتهاء عملية توازن الرعب، وتراجع دور العامل العسكري في التأثير في محصلة القوة قياسا إلى زيادة تأثير العوامل الإقتصادية والتكنولوجية، وأخذت الثورة التكنولوجية تشكّل أحد أبرز التحديات التي تجابهها الدول في الوصول إلى سلم القوة، وأن تغطية تكاليف صيانة النظام الدولي أصبحت تعتمد على العوامل الإقتصادية، مع أن روسيا ورثت القوة الصاروخية والنووية للإتحاد السوفيتي بما في ذلك مقعده في مجلس الأمن . إلّا أنها كانت ترزح تحت وقع الأزمات الإقتصادية المتلاحقة التي جعلتها تطلب الدعم الغربي لها التي تغلغلت في نسيج السلطة الروسية، ومارست من خلال ذلك نفوذا قويا كانت نتيجته أن روسيا لم تعد تشكل عامل توازن مع الولايات المتحدة بل توافقت معها على مجموعة من الإستراتيجيات، وترجم ذلك عمليا في وثيقة كامب ديفيد التي وقعها الرئيسان السابقان يلتسين وبوش الأب عام ١٩٩٢. ولم تظهر بعد ذلك روسيا أي دعم لحليفتها السابقة يوغسلافيا إثر الإعتداءات العسكرية التي شنتها عليها دول التحالف الأطلنطي وفي الشرق الأوسط تم تهميش الدور الروسي واحتكرت الولايات المتحدة عمليا عملية التسوية السياسية، وبدأت في عملية حساباتها مع الدول الرافضة للنموذج الأمريكي مثل كوريا الشمالية وليبيا والعراق (قبل احتلاله عام ٢٠٠٣ من قبل الولايات المتحدة) والسودان مستثمرة في ذلك هامش المناورة الواسع الذي تتمتع به بوصفها قوة عظمى وحيدة . وقد شهدت هذه الحقبة السياسية الجديدة تسوية العديد من القضايا الدولية التي كان من الصعب تسويتها في اثناء الحرب الباردة من ذلك الصراع الأفغاني والمشكلة الكمبودية والحرب الأهلية الأنغولية وغيرها التي كانت تعكس المفهوم الأمريكي للتسوية إلى حد كبير. كذلك بدأت بتسوية الصراع العربي الإسرائيلي في إطار مؤتمر مدريد للسلام - تشرين الأول -اكتوبر ١٩٩١. لقد انتهت مرحلة من مراحل تطور النظام الدولي وانتهى نظام دولي له سمات وقواعد سلوك وتوازنات محددة، وعندما انتهت الحرب الباردة مع انتهاء الشرق باعتباره طرفا دوليا رئيسيا انتهى خط التفاعلات مع محور (غرب شرق) وتصاعدت أهمية التفاعلات داخل الغرب ذاته. بدأ التغير في وضع الإتحاد السوفيتي في صورة صدع جذري أصاب النظام التقليدي للمواجهة بين جبهتين ثنائيتين، الولايات المتحدة وإسرائيل في مواجهة السوفيت والعرب. وهكذا ظهر التغير بصورة رئيسية من خلال تطورالعلاقات الإسرائيلية السوفيتية بمضاعفة البعثات التجارية وإعادة الإتصالات الجوية المباشرة بفضل إتفاق أمريكي سوفياتي لصالح المهاجرين الجدد عام ١٩٨٩ أكتوبر/ تشرين الأول من خلال وزيري خارجيتهما السابقين شولتز- شيفرنادزه. ثم إضفاء الطابع الرسمي على علاقات التمثيل الدبلوماسي في بداية عام ١٩٩١ . ومع أن الإتحاد السوفيتي علّق عودة العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل لقبولها للقرارات الصادرة عن مجلس الأمن بشأن الاراضي المحتلة، فأن استمرار العلاقات السوفيتية مع اسرائيل تعني إعادة النظر في توازن الردع الذي ساد الشرق الأوسط ضمنا (منذ عشرات الأعوام) فهذا التوازن كان سوفيتيا اسرائيليا أكثر منه سوفيتي أمريكي، فقيام الطائرات الإسرائيلية بتدمير المفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١ أوضح أن اسرائيل تعتزم المضي قدما في تنفيذ برنامجها النووي فهي القوة النووية الوحيدة في المنطقة، وكان من المسلّم به ضمنيا أن المظلة السوفيتية ينبغي في المقابل أن توفر الحماية للبلدان العربية ولاسيما تلك المرتبطة بموسكو بمعاهدة دفاع كالعراق منذ عام ١٩٧٢ وسوريا منذ عام ١٩٨٠ من الهجوم عليها. (١٢٠)

١٢٠- العابدي زكي وآخرون المعنى والقوة في النظام العالمي الجديد، ترجمة سوزان خليل، سينا للنشر، القاهرة ١٩٩٤ ص١٢٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى العكس مما جاء به بعض الباحثين من أن صدام حسين لم يكن قد رصد الوضع الدولي جيدا عندما أقدم على غزو الكويت والصحيح هو أن العراق حاول الإستفادة من التوزيع الجديد الناتج عن التغيير السوفيتي في إعادة تشكيل العالم العربي تحت زعامتها حيث سعت بجدية للجمع بين الإمكانيات الإقتصادية (أصبحت تمثل المركز الثالث في انتاج النفط) والقوة العسكرية وقد بدأ العراق التلميح بالعواقب الوخيمة التي يمكن أن تلحق بالعرب وبالأمن العربي الشامل بسبب الفراغ الذي خلفه الإتحاد السوفيتي قبل أن يشرع في دعوة شركائه في مجلس التعاون العربي (مصر والأردن واليمن) إلى توحيد الصفوف لدرء الخطر الجديد وقد تمثلت الإستراتيجية العراقية في وضع شروط توازن جديد للردع بمنطقة الشرق الأوسط في مواجهة إسرائيل ولم يكن الربط بين مستقبل الكويت ومستقبل فلسطين نوعا من الجدل القانوني فقط ، وإنما كان عرضا لوجهة نظر شاملة فيما يخص المنطقة الواقعة بين البحر المتوسط والخليج وفي ظل هذا الشكل الإقليمي الجديد الذي أصبح ممكنا كما اعتقد العراق حيث تسيطر اسرائيل أفقيا على الشرق الأدنى، في حين تخضع منطقة الخليج لسيطرة العراق ومن ثم فأن الهدف والنتيجة من وراء عاصفة الصحراء كان يتمثل بوضوح في وضع حد لهذه التطلعات والإظهار أنها غير مقبولة من جانب القوة الأمريكية حتى مع عدم تجاهل الأهداف الأخرى لواشنطن والتحالف الدولي وعلى رأسها إعادة السيادة للكويت فقد حدّدت الولايات المتحدة مصالحها الحيوية في الشرق الأوسط أبان الحرب الباردة في الحفاظ على أمن اسرائي والدفاع عن مخزونها من النفط واستقرار الحكومات الموالية للسياسة الأمريكية في المنطقة ومقاومة عوامل النهوض والإستقلال في الأمة العربية عبر الحصار والضغوط والذلّ والتشويه وحماية الأصول المالية لأنظمة الخليج ، وهو العامل الأساسي في التفوق الأمريكي على مستوى العالم[١٢١]. ولاختلال التوازن الإستراتيجي في المنطقة العربية مظاهر عديدة منها :

١ ـ انعدام قدرة الدول العربية على التحرك السياسي المستقل في النسق الدولي.

مما لاشك فيه أن قدرة الدول الصغيرة والمتوسطة على التحرك السياسي المستقل في النسق الدولي تزداد كلما زاد الطابع التعددي للبنيان الدولي وكلما ازدادت درجة الصراع بين القوى الكبرى في هذا البنيان. فبنيان تعدد الأقطاب أو القطبية الثنائية يؤديان الزيادة قدرة الدول الصغيرة أو المتوسطة على الحركة المستقلة خاصة إذا ارتبط بنيان التعدد أوالثنائية بدرجة الصراع بين الدول التي تحكم البنيان. ولما كانت التطورات التي شهدها الإتحاد السوفيتي والتي بلغت ذروتها عام ١٩٩١ أدّت إلى سقوط القطب السوفيتي الموازن للقطب الأمريكي خاصة مع اتجاه روسيا -الوريث الشرعي للاتحاد السوفيتي - لتبني سياسة موالية للولايات المتحدة والغرب عموما في محاولة لتحقيق مكاسب اقتصادية للخروج من الأزمات التي ورثتها عن الإتحاد المنهار، وأدّى هذا الى تقليل هامش المناورة والحركة المستقلة أمام الدول الصغيرة ومن بينها الدول العربية، فقد كان الإتحاد السوفيتي في عصر التوازن الدولي وفي فترة الحرب الباردة أحد أهم البدائل أمام كثير من الدول العربية لمحاولة الخروج من أسر الهيمنة الأمريكية، فحصلت تلك الدول على السلاح والتكنولوجيا المتقدمة من السوفييت ومن دول شرق أوروبا عموما وخير مثال على ذلك حصول مصر على الدعم السوفيتي المالي والفني في بناء السد العالي بدون أية قيود أو شروط وهو مامكن مصر من بناء المشروع ورفض العرض الأمريكي للمساهمة في المشروع بشروط أمريكية مسبقة كذلك الأمر في صفقة الأسلحة التشيكية التي حصلت عليها مصر من تشيكوسلوفاكيا بوساطة سوفييتية.

١٢١- العابدي زكي واخرون ، مصدر سبق ذكره ،ص ١٢٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالتطورات التي شهدها عام ١٩٩١ تركت آثارا واضحه على النظام الدولي بصورة عامة وعلى النظام الإقليمي العربي بصورة خاصة وأدى لتضييق هامش المناورة أمام العرب وإلى المزيد من الإعتماد على المجموعة الغربية التي لاتزال تتمتع بقدر كبير من التجانس على الأقل حتى الآن وإلى تدهور مكانة الدول العربية في النسق الدولي العالمي من ناحية وفي إطار منظومة العالم الثالث من ناحية أخرى فقلل ذلك من قدرتها على التأثير في المتغيرات الدولية كمل قلّل من أهمية قضاياها في أجندة النسق الدولي.

٢: - الهيمنة الأمريكية من منطلق تأديب المتمردين

ومن النتائج الهامة لانهيارالإتحاد السوفيتي أيضا انفراد دولة عظمى واحدة بالهيمنة على النسق الدولي تقودها عقلية المنتصر واعتقادها بأن الوقت قد حان لتصفية كل بقايا العهد القديم في العالم الثالث. فإذا كان حلّ النزاعات بالطرق السلمية هو أحد مبادئ النظام العالمي الجديد الذي بشرت به الولايات المتحدة بعد التفكك السوفييتي، فذلك الحل يجب أن يتم من المنظور الأمريكي وحده ،هكذا يعتقد القطب المسيطر حاليا. وإذا كان من الضروري تسوية أوضاع دول معينة فتلك التسوية يجب أن تكون تحت إشراف أمريكي أومنفرد، وبدا ذلك جليا من الحملة التي قادتها لتدمير أسلحة العراق الكيمياوية والبيولوجية ورفضها أيضا لأية تسوية مع ليبيا بخصوص قضية لوكربي. كما فرضت الولايات المتحدة مشاركة كبار حلفائها في تسوية القضايا الكبرى المترتبة على الإنهيار السوفيتي. فعندما اقترح الرئيس الفرنسي السابق ميتران لعقد مؤتمر دولي يضم الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وروسيا لمناقشة مستقبل الصواريخ الموجودة في رابطة الدول المستقلة تجاهلت الولايات المتحدة الإقتراح لأنها تريد أن تنفرد بمناقشة القضية مع دول الرابطة[١٢٢].

٣ - تحويل الأمم المتحدة لمؤسسة تابعة

منذ أن بدأت تتأكد مؤشرات الوفاق وامكانيات التعاون بين القوتين العظميين مع نهاية الثمانينات . وبشكل أكثر بعد تصفية الحرب الباردة ومصادرها وصراعاتها بدأت الأنظار تتجه لمنظمة الأمم المتحدة سواء لاستذكار وضعها وأدوارها في قضايا السلم والأمن الدوليين خلال مراحل الحرب الباردة مقارنة بما وعد بها ميثاقها . أو من حيث مايمكن أن تقوم به المنظمة في مرحلة مابعد الحرب الباردة وبشكل تصبح مبادئها وميثاقها وقراراتها بحق أساس النظام الدولي الجديد .

وتعدالأمم المتحدة في عصر التوازن الدولي والحرب الباردة إحدى الأدوات المتاحة للدول الصغرى للتعبير عن وتنفيذ سياستها الخارجية ، والإستفادة من مواردها في أغراض التنمية فاستعمال الإتحاد السوفيتي لحق الفيتو في مجلس الأمن وتاييد الدول الإشتراكية لقضايا العالم الثالث في الجمعية العامة وفر لتلك الدول أداة لتصفية الإستعمار والسعي للقضاء على الفصل العنصري والتركيز على التنمية في العالم الثالث. ومع تحول التوازن الدولي نحو الإختلال الشديد تحولت معادلة الأمم المتحدة، فصار من الميسور للولايات المتحدة أن تستصدر ماتشاء من القرارات من مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة. ومن ذلك إلغاء القرار رقم ٣٣٧٩ الصادر من الجمعية العامة لسنة ١٩٧٤ والذي يساوي بين الصهاينة والعنصرية، وهي سابقة تحدث لأول مرة في المم المتحدة، إذ تلغي الجمعية العامة قرارا لها.

١٢٢- -سليم محمد السيد ، العرب فيما بعد العصر السوفيتي -الفرص والمخاطر ، في طه عبد العليم ، (محرر)، مركز الدراسات الاستراتيجية والسياسية ، القاهرة ،١٩٩٢، ص ٢١٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذلك إصدار القرار رقم ٧٣١من مجلس الأمن المطالب لليبيا بالإذعان لمطالب أمريكا وبريطانيا بتسليم المتهمين الليبيين في حادث سقوط الطائرة الإمريكية عام ١٩٨٨ وذلك كتمهيد لإصدار قرارات أخرى مضادة لليبيا. ومع إصرارالولايات المتحدة على تنفيذ القرار المضاد لليبيا، فلم تصر على تنفيذ القرار الصادر في ٦ يناير سنة ١٩٩٢ بدعوة إسرائيل الى إعادة المطرودين الفلسطينيين إلى اراضيهم .

وبدا كما لو أن هذه المؤسسة الدولية ستدخل كقيمة إضافية في إطار الآليات المعتمدة لإنشاء النظام الدولي الجديد. ولأن هذه الآليات هي في حقيقتها إحدى العوامل المحركة للإستراتيجية الأمريكية بعد الحرب الباردة، فمن الطبيعي أن تشهد منظمة الأمم المتحدة عمليات جدية لإخضاع قراراتها وسياساتها الإجمالية. والواقع أن الدول الكبرى وفي مقدمتها الولايات المتحدة تفضل أن تبقي على الأمم المتحدة كقاطرة جاهزة ومستعدة للحركة حين تقدم لها ماتحتاج اليه من هذا الوقود ومايكفي منه لقطع المسافة المطلوبة [١٢٣]. بعبارة أخرى صار من الواضح أن الدول الكبرى هذه تفضل أن تتعامل مع الأمم المتحدة بالتقسيط أي أن تتعامل مع كل أزمة ومع كل حالة على حدة حتى تصبح حرة طليقة في اختيار الأدوات والأساليب التي تتناسب ومقتضيات ظروفها ومصالحها المتغيرة. ولاشيء سيعصم الأمم المتحدة ومجلسها ومواثيقها وقواعد عملها من التحويل والتاويل خلافا لمقاصدها الأولى. وبعد الحرب الباردة بالذات بدا كما لو أن مشهد التحولات يتجه نحو المزيد من السلبية . فالولايات المتحدة الأمريكية باتت صاحبة الحل والربط في العالم بلا منازع . وإن كان هناك من منافسين في أوروبا وآسيا في الميادين الإقتصادية والمالية أو حالات ممانعة في أفريقيا والشرق الأوسط وبعض مواقع حركات التحرر القومي. إن هذه المنافسة وتلك الممانعة لاتزال غير فعّالة في وقف التدهور الحاصل في المشهد العالمي او في تحويل مساراته على أحسن تقدير. إن الأمم المتحدة في ظل هذا التشكيل المعقد والإنتقالي صارت أكثر قابلية للتاثر بلعبة القوة الأمريكية. لذلك لم يعد الكلام على مواثيقها ومواد عملها القانونية يحمل صفة الفاعلية المجردة ، وإنما اصبحت هي نفسها خاضعة لحركة اتجاه القوة والإستقطاب السياسي والأمني الذي تفرضه . ولذلك نجد أن الأمم المتحدة تدخلت في مجالات عديدة لم تكن تقع ضمن اختصاصاتها بل هي في واقع الأمر مسائل داخلية لايحق لها التدخل فيها وبموجب ميثاقها ومن اهم هذه التحولات :

١- مهام الرقابة والإشراف فقد اضطلعت الأمم المتحدة في عقد التسعينات بمهام الرقابة والإشراف ومراقبة حقوق الإنسان والديمقراطية أو التدخل في المجالات الإنسانية ومشاكل اللاجئين في المناطق التي شهدت صراعات واقتتالا مثل (جورجيا يوغسلافيا السابقة) ومراقبة حقوق الإنسان كما هو الحال في (هاييتي) والنشاطات العسكرية البوليسية كما هو الحال في (موزنبيق)وكانت هذه المهام قبل انتهاء الحرب الباردة من الأمور ذات الإختصاص الداخلي للدول ولايخفى ماصاحب هذاالتدخل من انتقائية وتحقيق مصالح الدول الكبرى.

ب - المساعدات الإنسانية للسكان المدنيين إن فكرة التدخل الانساني التي طرحت في فترة مابعد الحرب الباردة تحتمل الملاحظات التالية :

- إن الدول الكبرى في النظام الدولي الراهن، وفي مقدمتها أمريكا تتعامل مع ملف حقوق الإنسانوفكرة حق التدخل الإنساني عبر منظور سياسي متكامل، الأولوية فيه للمصالح الذاتية ومصالح الحلفاء.

١٢٣- سليم محمد السيد ، العرب فيما بعد العصر السوفيتي -المخاطر والفرص ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، في مجموعة باحثين ، ندوة انهيار الاتحاد السوفيتي واثره على المنطقة العربية ، ١٩٩٢، ص ٢١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- لأن نظام مابعد الحرب الباردة يعطي للدول الرأسمالية وعلى راسها الولايات المتحدة وضع شبه هيمنة فأن إثارة قضايا حقوق الإنسان غالبا ماتنصرف إلى دول كانت تنتمي لدول المعسكرالإشتراكي أو كانت متحالفة معه لاسيما تلك التي لاتزال تحتفظ بهياكل نظم سياسية واقتصادية واجتماعية من قبل العقد التاسع من القرن العشرين .

- إن اثارة قضايا حقوق الانسان وفكرة حق التدخل الإنساني وإن تمت بصفة عامة في وجه الدول التي كانت ولاتزال نظريا تنتمي للمعسكر الذي خسر الحرب الباردة ، فأن الشق الاول - اثارة قضايا حقوق الانسان - ينطبق عليها جميعا، أيْ يشهر في وجه كل هذه الدول. أما الشق الثاني أي فكرة التدخل الإنساني فينصرف للدول الصغيرة منها ولايرد مطلقا في مواجهة القوى المتوسطة ناهيك عن الكبرى منها من هنا كان منطقيا - ان يجري التدخل العسكري تحت مظلة حق التدخل الإنساني ضد يوغسلافيا ولا يطرح البتة في مواجهة العمل العسكري الروسي في الشيشان، ويجري التدخل الإنساني في العراق ولايجري في إسرائيل التي ترتكب المذابح بحق الشعب الفلسطيني ثم تقف منظمة الأمم المتحدة غير آبهة بالتدخل العسكري في لبنان كذلك حاولت التدخل العسكري في سوريا لولا الفيتو الروسي .

- إن ملف حقوق الانسان على أهميته القصوى، بات يستخدم لأغراض سياسية في مواجهة دول العالم الثالث، فالدول التي تتكيف وتتاقلم مع الأجندة الأمريكية لايشهر هذا السلاح في وجهها ، أما تلك التي ترفض التكيف والتأقلم مع تلك الأجندة فسوف تتعرض لإشهار هذا السلاح في وجهها، وتتم الدعوة للإدانة والتهديد بوقف المساعدات ثم التحرك لفرض عقوبات عبر الأمم المتحدة. وإذا ما عجزت عن ذلك فستفرض العقوبات أمريكيا وربما غربيا. وعند درجات محددة يتم اللجوء للتهديد بالتدخل العسكري عبر ترخيص من الأمم المتحدة وربما يتم اللجوء لمثل هذا العمل بشكل فردي أو جماعي - إقليمي - دون الحاجة لمجلس الأمن .

وما يهمنا التأكيد عليه هنا أن مثل هذا الأمر وصل لمرحلة من الخطورة بحيث بات يهدد تماسك المجتمعات الوطنية في عدد من بلدان العالم الثالث المستهدفة ، وذلك عبر تغذية أنشطة عناصر محلية سواء كانت تنتمي لأقلية أو أغلبية السكان من أجل إمداد الخارج بكل مايمكن أن يستخدم في إشهار سلاح ملف حقوق الإنسان .

ج - نزع السلاح وهو يعني التدمير الشامل للأسلحة والتخلص منها، ويعني أيضا التخلي عن الأسلحة وحلّ القوات وعدم الإبقاء على أية قوة ماعدا الضرورية من الجيش والشرطة لحفظ الأمن ويكون نزع السلاح شاملا إذا تطلب الإلغاء الكامل لكل الأسلحة والقوات المسلحة الوطنية. ويشمل كذلك مراكزانتاج الأسلحة بينما يكون نزع الأسلحة جزئيا وهو مرادف لتخفيض السلاح وينطوي على الإجراءات منخفضة للسلاح دون إلغاء للقوات المسلحة فهو يبقى في حوزة الدول ويرادف بذلك مصطلح ضبط السلاح وجاءت مرحلة مابعد الحرب الباردة لتضيف للأمم المتحدة وظيفة جديدة تتمثل بنزع السلاح وتلك ستسمح التدخل في الشؤون الداخلية للدول بحجة نزع السلاح كما حصل في العراق .

د - بناء المؤسسات (إعادة البناء) تعد مهمة بناء المؤسسات من المهمات الجديدة التي اضطلع بها مجلس الأمن والمقصود بهذا الإجراء هوإعادة هيكلة المؤسسات التي انهارت إثر الحروب والصراعات أو تأسيس مؤسسات جديدة مدنية أو عسكرية فضلا عن المؤسسات القائمة هناك وتهيئة الكوادر وتدريب العاملين في هذه المؤسسات. هذا التوسع الجديد أدخل لمجلس الأمن الدولي الكثيرمن الامورالتي تعتبر مهددة للسلم والأمن الدوليين حتى صار فرصة للأمم المتحدة كي تتدخل في شؤون الدول. وفي ظل تراجع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دور اللأمم المتحدة وبروز الدور المنفرد للولايات المتحدة في التأثير على هذه الشرعية الدولية أوبالتحرك المنفرد نلاحظ بعدا آخر لهذا المشهد ألا وهوالتدخل الشديد الذي تقوم به الولايات المتحدة بين التوظيف الإنفرادي للقوة العسكرية وبين التوظيف الدولي للقوة العسكرية ضمن نطاق المنظمة الدولية[١٢٤]. واجهت الأمم المتحدة تحديها الكبير بعدما قامت وتقوم به الولايات المتحدة منذ أحداث ١١ ايلول ٢٠٠١ بخرق واضح للقانون الدولي والشرعية الدولية فمع أن الرئيس بوش كرر في تصريحاته وخطبه أن الولايات المتحدة (سوف تسعى باستمرار للحصول على دعم المجتمع الدولي) إلّا أنه أكد وبعد أحداث ١١ ايلول ٢٠٠١ مباشرة (أن الولايات المتحدة لن تتردد في التصرف لوحدها إذا دعت الضرورة لممارسة حقها في الدفاع عن نفسها من خلال التحرك بشكل استباقي ضد التنظيمات الإرهابية التي تهدد أمريكا لمنعها من إلحاق الضرر بشعبنا أو ببلادنا [١٢٥]. بإختصار يمكن القول أن مابعد الحرب الباردة تزايد حجم استغلال الولايات المتحدة الأمريكية لمنظمة الامم المتحدة وقوانينها لخدمة المصالح الأمريكية ولخدمة نظامها العالمي الجديد أو أنظمة العولمة الموظفة لصالحها وهكذا دخلت الأمم المتحدة في أزمة دائمة نتيجة الإستغلال الدائم لقوانينها العامة والضغط على هذه القوانين غالبا لدى معالجة المعضلات الدولية. وتحت ضغط أحداث ١١ أيلول صدرت ثلاثة قرارات دولية عن مجلس الأمن الدولي منحت الدولة المتنفذة (الحق في شن حرب استباقية) أو حرب وقائية ضد ما تسميه بالإرهاب الدولي ولعل أخطر قرار هو القرار رقم ١٣٦٨ الصادر عام ٢٠٠١ والذي فوض بموجبه مجلس الأمن الدولي الولايات المتحدة لإتخاذ الإجراءات للرد على المعتدين والمسؤولين عن الإعتداء على الولايات المتحدة حيث نجحت في تخطي دور الأمم المتحدة وأقامت تحالفا داعما لهجومها على أفغانستان وتنظيم القاعدة. كذلك القرار رقم ١٣٧٣ في ٢٨ ايلول ٢٠٠١ الذي أوجد إلزامية دولية واقعة على عاتق الدول الأعضاء في مكافحة الإرهاب دون تحديد معايير واضحة للإرهاب تجعل من إمكانية توقيع التدابير الواردة بالفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة من تطبيق الحصار والمقاطعة الجزئية والكلية وصولا إلى استخدام الوسائل العسكرية أمرا واردا في حال عدم تنفيذ القرار خصوصا وأن صدوره كان ضمن الفصل السابع الخاص بالعقوبات وأن حجته القانونية تفترض من جميع الدول الأعضاء الإلتزام به وإلّا فأن مجلس الأمن الدولي بإمكانه تطبيق المادة ٤١ من هذا الفصل الخاص بإتخاذ اجراءات الحصار الإقتصادي وقطع العلاقات الدبلوماسية وغيرها. الشيء الجديد الذي تضمنه القرارات هو اعطاء الحق للدولة وبخاصة المتنفذة وبالتطبيق الحالي (الولايات المتحدة) في إعلان الحرب ساعة تشاء وضد من تشاء إذا (تأكدت) أو اشتبهت أن عدوها (دولة كانت أم جماعة) يعتزم القيام بعمل إرهابي، وذلك من دون اعتماد مرجعية دولية كمجلس الأمن الدولي مثلا وبتعبير أدق فأن ميثاق الأمم المتحدة الذي أعطى الحق للدولة في استعمال القوة العسكرية للدفاع عن النفس حسب المادة ٥١ وهو ماأعتبر (إعلان الحرب) أو كما تعرف الحرب الإستباقية ضد من تعتقد أنه يمارس عملا إرهابيا من دون العودة للمرجعية الدولية التي قررها ميثاق الأمم المتحدة ومن دون الإلتزام بالآليات التي حددها الميثاق، وهذا ماحصل في حرب أفغانستان. وفي الوقت الذي لجأت الولايات المتحدة للمنظمة الدولية للحصول على الدعم الدولي في حربها ضد أفغانستان بعد أحداث ١١ أيلول٢٠٠١

---

١٢٤ مصطفى ناديه محمود، نزع أسلحة العراق بالقوة العسكرية الامريكية ،٢٠٠٣، للموقع twww.islamonline.ne

١٢٥- الهزاط محمد ، الحرب الامريكية- البريطانية على العراق والشرعية الدولية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٢٩٢)، ٢٠٠٣ ، ص ١٠٩- ١١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تجاوزت الولايات المتحدة في غزوها للعراق آذار ٢٠٠٣ المنظمة الدولية والذي انعكست آثاره كنتيجة لذلك على هيكلية النظام الدولي ودور الأمم المتحدة والشرعية الدولية من خلال إصرار الولايات المتحدة للإنفراد بالقرارات السياسية والإستراتيجية بعيدا عن الإرادة الدولية [١٢٦].

٤ - اختلال التوازن العربي الإسرائيلي

كانت المنطقة العربية ساحة للصراعات بين القوى الكبرى في القرن العشرين نتيجة لأهميتها الإستراتيجية ومكانتها الروحية، فكانت بفعل ذلك مفتاح الفوز في الصراع العالمي وذلك ماأدركته القوى الكبرى. فتبنت الولايات المتحدة الأمريكية سياسة تهدف ضمان تفوق إسرائيل عسكريا، لغرض لتحكم في التوازن الإقليمي وأردفت ذلك بجملة من السياسات من أهمها. منع قيام قوة عربية موحدة يمكنها التوازن مع اسرائيل وذلك بأختراق الوطن العربي نفسه وكسب مناطق نفوذ جديدة والسيطرة على مناطق النفوذ التقليدية وأعطت هذا التوازن الإقليمي بعدا أعمق بربطه بسلسلة من التحالفات مع كل من ايران وباكستان وتركيا[١٢٧]. ولم تكتف اسرائيل بالدعم الأمريكي فعملت على تقوية علاقاتها بالدول الأوروبية بل أن الإتحاد السوفيتي نفسه لم يغب عن استراتيجيتها وعملت دائما على كسبه واضعاف تأييده للعرب. ويعرف التوازن العسكري بأنه المعيار الذي يقيس عليه كل طرف من أطراف الصراع قوته وقوة خصمه العسكري وهو ألاساس الذي تبنى عليه مفاهيم الإستراتيجية والخطط العلمية العسكرية [١٢٨] وتجدر الإشارة الى أن القوة هنا تنقسم الى قوة تقليدية أيْ إجمالي القوة البشرية والأسلحة والمعدات والذخائر آخذين في الإعتبار نوعية هذه القوة وكفاءتها القتالية والقوة فوق التقليدية وهي إجمالي الذخائر النووية والكيمياوية والبيولوجية ووسائل إطلاقها ونقلها. ولو نظرنا للتوازن العسكري الإسرائيلي لوجدنا أنه مرّ بمرحلتين أولهما كانت مرحلة التوازن النسبي بين العرب وإسرائيل وهي أيضا مرحلة التوازن النسبي بين الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي. وتمتد هذه المرحلة منذ انشاء الكيان الصهيوني وحتى نهاية عام١٩٧٣. فعلى الرغم من هزيمة العرب عام ١٩٦٧ إلّا أن هذه الهزيمة لم تستطع من الناحية السياسية الإخلال بميزان القوى الإقليمي أو العالمي فقد ظل الإنتصار الإسرائيلي ذا طبيعة عسكرية بحته ولم تنعكس على الأوضاع السياسية بشكل عام. أما المرحلة الثانية والتي تمتد منذ مطلع عام ١٩٧٤ وحتى الان تعتبر مرحلة الخلل في ميزان القوى الإقليمي والعالمي لصالح الكيان الصهيوني والولايات المتحدة. وعلى الرغم من الإنتصار العسكري النسبي الذي حققه العرب في حرب اكتوبر ١٩٧٣ ،الا أن الادوات السياسية كانت عاجزة عن توظيف هذا النصر في تثبيت توازن القوى القائم على الأقل. فاتجهت مصر صوب الطرف الأمريكي واستطاعت الولايات المتحدة أن تحقق نصرا انعكس على وضع اسرائيل التي تحولت إلى قوة إقليمية وخسر الإتحاد السوفيتي خندقا من خنادقه الدفاعية . ومما زاد الأمر سوءً غياب استراتيجية عربية موحدة وتعتبر الإستراتيجية العسكرية للدولة الأساس الذي تبنى عليه القوة العسكرية ومنها تنبعث اتجاهات تطوير الجيش وتحديث تجهيزاته وتبني الإستراتيجية العسكرية على أساس قدرات الدولة في جميع المجالات وعلى أساس أهداف الدولة ومايتوفر لها من قوة عسكرية وقوى رديفه لبلوغ

١٢٦- تركماني عبدالله ، الحرب الوقائية بعد احداث ١١ ايلول من وجهة نظر القانون الدولي وحقو ق الانسان،٢٠٠٤، www.hem .bredband.net

١٢٧ -ابو خزام ابراهيم، العرب وتوازن القوى في القرن الحادي والعشرين ، مكتبة طرابلس ، طرابلس ، ص ،٢٧٠.

١٢٨- المصدر نفسه ص ٢٧٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تلك الأهداف كما تبنى على معطيات علاقات الدولة بدول الجوار وبالبيئتين الإقليمية والدولية [١٢٩] ، وفي واقع الأمر لاتوجد استراتيجية عسكرية عربية موحدة كمثل ما لتركيا وإيران وإسرائيل وحلف الأطلسي، فيمكن القول بأن هناك استراتيجية عسكرية لكل دولة عربية، أما الإستراتيجية العسكرية المشتركة بين دولتين عربيتين أو أكثر قد وجدت (بين مصر وسوريا في حرب ١٩٧٣)، لغرض معين ولفترة محدودة وأن مثل هذه الإستراتيجية العسكرية يمكن أن توجد في المستقبل اذا ماتوافرت لها العوامل والظروف اللازمة. والمتتبع للأدبيات العسكرية للإستراتيجات الإسرائيلية يلاحظ أن هناك إجماعا إزاء المسائل المتعلقة بميزان القوى والأمن الإقليميين جوهره ضرورة الإستمرار في صوغ الإستراتيجية العسكرية الإسرائيلية على أساس الخيار الاسوأ، والوسيلة لبناء تلك الإستراتيجية هي التفوق العسكري بما في ذلك السلاح النووي الذي يوفر عامل الردع . وترى الباحثة أن انهيار الإتحاد السوفيتي قد أعطى فرصة كبيرة لمزيد من التفوق العسكري الإسرائيلي فيما فقدت الدول العربية مصدرا مهما للإمدادات العسكرية الأمر الذي ترتب عليه حدوث خلل الميزان القوى العربي الإسرائيلي لصالح دولة إسرائيل. ومما زاد الأمر تعقيدا بالنسبة للدول العربية حرب الخليج الثانية وماتلاها من إضعاف القدرة العسكرية العراقية والتي كانت تشكل ثقلا في المنطقة فحققت اسرائيل تفوقا نوعيا في القوة التقليدية وفي مجال أسلحة الدمار الشامل وامتلاكها لوسائل إطلاق الأسلحة النووية وإيصالها لأهدافها. كما عملت الولايات المتحدة على ضمان تفوق اسرائيلي واضح على الدول العربية وذلك عن طريق فرض قيود على تسلح الدول العربية وزيادة الدعم العسكري الإسرائيلي في ان معا .

الفرع الثاني - أثر ا لإنهيار على الإقتصاد العربي .

لقد قامت العلاقات السوفيتية في ظروف حصار، أيْ أنّه كان واقعا وسط حصار فرضته الدول الغربية لمواجهة النظام الشيوعي. في الوقت نفسه كانت هذه العلاقات ضرورية لبعض البلدان العربية في محاولتها لتوسيع هامش المناورة أمامها للخروج من الهيمنة الإستعمارية الغربية. أيْ أن هذه العلاقات كانت بنفس درجة الضرورة للطرفين. وساعد على ذلك التغير في المنظورالسوفيتي بعدم اشتراط الجانب الآيديولوجي في العلاقات مع الدول النامية بخصوص نشر الشيوعية لتتحول إلى محاولة لنشر تلك الآيديولوجية عن طريق مساعدة دول الجنوب أو الدول النامية في تسريع عملية التنمية وبناء اقتصادياتها لتخرج من دائرة الهيمنة الإستعمارية من ناحية، ولخلق بيئة مناسبة لنشر الفكر الشيوعي والمباديء الماركسية من ناحية أخرى. ورغم النجاح الذي حققه الإتحاد السوفيتي في بعض دول العالم ككوبا أو الصين مثلا، إلّا أن ذلك النجاح الذي كان الزعماء السوفييت يصبون اليه لم يتحقق في البلدان العربية. فكانت العلاقات العربية السوفيتية تدور حول ثلاث موضوعات وهي التجارة الخارجية والمعونات الإقتصادية ونقل التكنولوجيا السوفيتية إلى الصناعة والزراعة العربية. ويمكن ملاحظة أن قيمة التبادل التجاري السلعي في نهاية الخمسينات وبداية الستينات وماتلاها بين الإتحاد السوفيتي والدول العربية قد زادت بنحو ٣٧ مرة بينما زادت قيمة المبادلات التجارية السوفيتية مع العالم الخارجي كلّه ٤ مرات فقط و٣٤ مع مجموعة الدول النامية حوالي ٧ مرات. وهكذا فالتجارة السوفيتية العربية جسدت أهم التطورات في التجارة الخارجية السوفيتية في فترة مابعد الحرب العالمية الثانية. كما زادت قيمة الصادرات السوفيتية

---

١٢٩ - كيلاني هيثم ، جيوش الشرق الاوسط وتحديات القرن العشرين ، قضايا استراتيجية ، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية ، دمشق ،عدد ٧ يناير ١٩٩٧، ص ١٦-٢٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للوطن العربي بنحو ٤٨,٥ مرة أما قيمة الواردات السوفيتية في الوطن العربي فقد زادت بنحو ٨٢,٢ مرة (١٣٠). وهذا يعكس أوضاعا للميزان التجاري العربي السوفيتي لمصلحة البلدان العربية. وكانت العلاقات الاقتصادية المصرية السوفيتية هي الأهم على صعيد الدول النامية حتى غير العربية منها. وقد مثلت هذه التجارة ٢٣,٥%من إجمالي التجارة السوفيتية مع الدول النامية في عام ١٩٦٠. وكانت النسبة ٢٠,٣%في عام ١٩٧٠.وبعد مصر تأتي سوريا وليبيا والعراق والمغرب والسودان كأهم الشركاء التجاريين العرب للإتحاد السوفيتي السابق. وإلى جانب اتفاقيات التجارة والدفع التي تضمنت التبادل التجاري فاتفاقيات التعاون الإقتصادي والفني التي عقدها الإتحاد السوفيتي مع عدد من الدول العربية مثلت أداة هامة لبناء العلاقات. ومن أهم تلك الاتفاقيات المبكرة مع سوريا في اكتوبر ١٩٥٧ ومع مصر في يناير ١٩٥٨ ومع العراق في مارس ١٩٥٩ وحتى بداية الثمانينات كان الإتحاد السوفيتي قد وقع مثل هذه الإتفاقيات مع ١٣ دولة عربية، وتضمنت تقديم المساعدة السوفيتية وتوسيع ٤٤٥ مشروعا صناعيا وغير صناعي [١٣١]. وشملت المساعدات أيضا أعمال التصميم والتنقيب والبحث العلمي وتقديم الآلات والخبراء والمساعدة الفنية والتدريب وإنشاء المعاهدة التعليمية والتكنولوجية. وفي هذا الإطار قدم السوفيت قروضا ميّسرة طويلة الأجل مثّلت حوالي ٤٠% من إجمالي مساعداته التنموية لدول العالم الثالث [١٣٢].

وقد تضاءل حجم المعونات والمساعدات التكنولوجية السوفيتية للعرب منذ أوائل الثمانينات. أيْ قبل وصول غورباتشوف للسلطة. فلم تتعد حوالي ٢% من تجارة الخارجية في عام ١٩٨٤ بالعام نفسه فلم تتعد صادرات الدول العربية للإتحاد السوفيتي ٥,٤% من إجمالي الصادرات العربية للعالم. وتزايد هذا الإتجاه منذ سنة ١٩٨٥ فتولي غورباتشوف للسلطة واتجاهه للإندماج في النظام الإقتصادي العالمي والسوق الرأسمالي كان إنذارا بإضعاف القدرة التفاوضية للبلدان النامية ومن بينها البلدان العربية من أجل اقامة نظام اقتصادي أكثر عدالة وديمقراطية، إذ حرمت هذه البلدان من المساومة مع الغرب والتوجه للشريك السوفيتي البديل والأهم من ذلك أن الاتحاد السوفيتي بدا منافسا للبلدان النامية العربية أو غير العربية على ماهو متاح من مساعدات انمائية غربية وماهو متاح في الأسواق العالمية كرأس المال سواء للقروض أو الإستثمار وماهو متاح من مواد ومعارف وتكنولوجيا ..الخ.[١٣٣] بالإضافة إلى كل ذلك فتنامي انتاج النفط في حوض بحر قزوين واتجاه الإستثمار العالمي ورؤوس الأموال الى تلك المنطقة وهو ماسيؤثر بشكل أو بآخر على النفط العربي الذي تعتمد عليه أغلب البلدان العربية في اقتصادياتها وتوفير العملة الصعبة. ولايخفى على أحد المشاريع الأخرى التي تقام في تلك الدول الوريثة للإتحاد السوفيتي من مد خطوط النفط والغاز ومشاريع المواصلات كمشروع إحياء طريق الحرير الجديد وآثاره المترتبة على إيرادات مصر الدولة العربية من قناة السويس. يتضح لنا مما سبق أن انتهاء الإتحاد السوفيتي واختفائه كشخصية قانونية دولية في ديسمبر ١٩٩١ قد أحدث كثيرا من التطورات على الساحة الدولية وأثّر على النظام الإقليمي العربي بدرجة معينة من جميع النواحي السياسية والإقتصادية والعسكرية. ولكن ماحدث في

١٣٠- عبد العليم طه ، انهيار الاتحاد السوفيتي وانعكاساته على الوطن العربي ، في طه عبد الحليم (محرر)، مصدر سبق ذكره ،ص٢٧٣.

١٣١- عبد العليم طه . مصدر سبق ذكره ، ص٢٧٦ .

١٣٢- سليم محمد السيد ، العرب فيما بعد العصر السوفيتي، الفرص والمخاطر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢٧,

١٣٣- عبد العليم طه ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ديسمبر ١٩٩١ لايعني نهاية التطورات فتلك سوف تتفاعل وتنتج تطورات جديدة ذات أبعاد أخرى. وإذاا كان بعض العرب والمسلمين قد ابتهجوا لما حدث في الإتحاد السوفيتي باعتباره انتصارا للإسلام في مواجهة الفكر الشيوعي الالحادي وتحرر للشعوب الاسلامية في اسيا الوسطى والقوقاز .فان ذلك ينذر بتحول أنظار الغرب الى العالم العربي والاسلامي من منطلق ايجاد عدو بديل ويكون ذلك باحلال الاسلام الاصولي محل الاتحاد السوفيتي ودول اوروبا الشرقية ومحاولة محاربة ذلك العدو المفترض بدعوى محاربة الارهاب القادم من العالم العربي والاسلامي هو مايحدث الان بالفعل لتحقيق السيطرة وفرض المفاهيم الغربية والامريكية في عالم القطب الواحد .ومايسمى بالنظام العالمي الجديد.

فضلا عما تقدم فان التطورات السوفيتية أفضت إلى نتيجتين هامتين بالنسبة للعرب هما

أولا- تعاظم امكانيات التسوية السلمية للقضية الفلسطينية

إن تفكك الإتحاد السوفيتي وانهيار النظم الشيوعية قد أثرت هذه التطورات عميقا في العلاقات العربية الأمريكية وساهمت في نقل العالم من مناخ لآخر ليسهم بالإنحياز للأنموذج الغربي، وأصبح العالم العربي جزءً من هذا المناخ وكنتيجة طبيعية لتفكك الإتحاد السوفيتي لم يعد ورثته معنيين بمنافسة الولايات المتحدة في المنطقة ، أو بدعم نفوذهم على حساب المصالح الأمريكية مما مهد لإطلاق يد الولايات المتحدة في الشرق الأوسط .وعلى الصعيد الدولي ساهم في تجاوز إحدى أهم العقبات أمام انطلاق عملية التسوية بين العرب واسرائيل. فغياب الإتحاد السوفيتي زاد في الإستعداد الأمريكي للعمل والمجازفة من دون التخوف من ردود الفعل السوفيتية السلبية أو من قدرة السوفيت على استغلال الأوضاع على حساب المصالح الأمريكية[١٣٤]، مما يعني أن المجال أصبح مفتوحا أمام فرص الولايات المتحدة نحو الصراع العربي الإسرائيلي عزز من ذلك تفكك النظام الإقليمي العربي كأحد نتائج حرب الخليج الثانية، مما أتاح ذلك للولايات المتحدة واسرائيل فرصة كبيرة للحصول على أكبر قدر من التنازلات للأخيرة ولاسيما أن الدول العربية أصبحت أكثر استعداد لقبول الرؤية الامريكية للتسوية وفتح المجالات الواسعة للمصالح الامريكية في المنطقة[١٣٥]. وإذا كان الصراع العربي الإسرائيلي قد ارتبط بنمط العلاقات التصارعية الدولية التي سادت في مرحلة الحرب الباردة فقد تأثر بعمق باختلال الموازنة الدولية وانهيار نظام القطبية الثنائية إذ دفع هذا الإنهيار أطراف الصراع لمراجعة فكرية وعملية لجدوى الإستمرار على مواقف واستراتيجيات بدا وكأنه من المتعذر الايفاء بالتزاماتها أو الإنجرار ورائها. وانسجاما مع هذا النهج تخلى الإتحاد السوفيتي عن الكثير من ثوابته حيال الصراع العربي الإسرائيلي واتخذ سلسلة من الخطوات التي مهدت لتقارب السوفيتي الإسرائيلي كالسماح للمنظمات الصهيونية بممارسة نشاطاتها العلنية داخله والإقدام على تطوير علاقاتها الدبلوماسية والثقافية مع إسرائيل. ولقد انعكست المواقف السوفيتية على السبل الكفيلة بتسوية الصراع ،اذ أسقط الإتحاد السوفيتي من حساباته حق العرب في استرداد حقوقهم باللجوء للخيار العسكري. واتخذ العديد من الخطوات التي مهدت لإعادة العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين استعدادا لتقبل أية صيغة لتسوية توافق عليها الأطراف المتصارعة. وبناءً عليه كانت إسرائيل المستفيد الأكثر من مجمل المتغيرات التي طرأت على السياسة السوفيتية وما آلت اليه من نتائج عميقة تمثلت

١٣٤-حتي ناصيف ، الادارة الامريكية للامكانيات الدولية ، العرب ومواجهة اسرائيل احتمالات المستقبل (ندوه مركز دراسات الوحدة)، بيروت ،٢٠٠٠، ص ١١٨

١٣٥- Adam Garfinkle,u.s.Israeli Relations after the Cold War N.4FALL1996P560

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بانهيار النظم السياسية لدول أوروبا الشرقية. والإتحاد السوفيتي إدراكا منه لأهمية البعد الإستراتيجي في دفع سياسته التعاونية الجديدة مع الولايات المتحدة حرصا على مدّ جسور العلاقات مع "اسرائيل" في تشرين الاول ١٩٩١ بعد انقطاع دام ربع قرن وكانت الحلقة الأهم في ذلك الغاء القيود المفروضة على هجرة اليهود السوفيت والسماح لمن يرغب من هؤلاء بالتوجه لإسرائيل. مع أنه حاول التمسك بموقفه الداعي إلى أن يكون له دور فاعل في التسوية ورغم اشتراكه في مؤتمر مدريد إلّا أن تراجعه عن دوره وانسياقه وراء السياسة الأمريكية جعل المشاركة السوفيتية مشاركة هامشية خاصة وأن روسيا الإتحادية وريثة الإتحاد السوفيتي السابق قد استمرت في إتخاذ مواقف اتسمت بالتراخي إزاء تطور عملية التسوية. وفي المقابل فإن انفراد الولايات المتحدة باحتلال موقع القطب المهيمن في السياسة الدولية أفضى لإفراز جملة من المعطيات على مسار الأحداث ذلك فتفككه حفّزها لتأكيد هيمنتها في مواجهة الأزمات والصراعات الإقليمية بخاصة تلك التي من شأنها التأثير سلبا على المصالح الحيوية للولايات الإمريكية [١٣٦]. وشكلت المتغيرات الإقليمية أيضا بيئة مناسبة لدفع عملية التسوية للإمام بعد الحرب على العراق. وكان من أهم نتائجها اختلال التوازن الإقليمي في المنطقة وعودة التوازن النوعي في صالح "اسرئيل " كانت الولايات المتحدة تأمل في أن اتفاقية سلام شاملة بين العرب والإسرائيليين ستؤدي لقيام نظام إقليمي جديد في الشرق الأوسط قائم على التعاون المكثف بين "إسرائيل " ودول المنطقة في مجالات عديدة يعمل على نشر الإعتدال السياسي في كل العالم العربي على وفق حقائق النظام الدولي والعمل على ضمان إطار هذا النظام كما أن انهيار الكتلة الشرقية وتفكك الإتحاد السوفيتي وانتهاء حرب الخليج قد أثار مسألة الحاجة لإسرائيل كحليف استراتيجي في المنطقة[137] . ولقد شكّلت الحرب على العراق الفرصة المناسبة بالنسبة للولايات المتحدة لدفع عملية التسوية للأمام فقد قال الرئيس الامريكي جورج بوش في ١٩٩٢/٩/١٨، أين سيكون الشرق الأوسط وأمن اسرائيل اليوم لو استمعت الى نصائح من انتقدوني خلال أزمة الخليج ولم أواجه الرئيس العراقي "ثم أجاب ، كنا سنواجه عراقا نوويا ومهيمناًفي الشرق الاوسط " [١٣٨]. وأعلن ـ عندما ربط بين حرب الخليج والتسوية في المنطقة ـ بأنه سيحول الإنتباه من جديد إلى ناحية صنع السلام العربي الإسرائيلي بعد أن يفرغ من مواجهة العراق. ويربط برنت سكوكرونت ـمستشار جورج بوش لشؤون الأمن القومي في حرب الخليج ـ بين حرب الخليج وبين نجاح الولايات المتحدة في عقد مؤتمر مدريد الذي يعتبره أحد الثمار المهمة لحرب الخليج وادعى مارتن انديك ـبعد تعينه مسؤولاً عن ملف الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الأمريكية. لقد ساعد النجاح في حرب الخليج على عقد مؤتمر مدريد وكذلك حققت الولايات المتحدة الشطر الثاني من استراتيجيتها لتدمير القوة العسكرية التي كانت تمثل من وجهة نظرها الخطر الأكبر على أمن ووجود إسرائيل وعلى مصالحها في المنطقة [١٣٩]، ونزوع الولايات المتحدة لقيادة العالم كان بحاجة لفعل دوليّ غير اعتيادي يدفع العالم للإنسياق وراء تلك القيادة، ومن هنا ينبع التخطيط للحرب ضد العراق. ويربط مايكل * أ* بالمر هذا الأمر بالميراث الطويل للمصالح الأمريكية في الخليج العربي وللدور الأمريكي هناك.

١٣٦ـ علوي مصطفى ، البيئة الدولية للمفاوضات السياسية الدولية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١١٤ الاهرام ، القاهرة ،١٩٩٣، ص ٨٢

137- MOHAMED MALI, others ,bilateral and multilateral Negotiations rör pease in the Middle East studies 5 middle east studes centre amman , 1995,p8-10.

١٣٨ـ نامق فكرت ، مستقبل القضية الفلسطينية في ضوء مسار التسوية ، مجلة ام المعارك ،العدد (٣٠) وزارة الاعلام ،بغداد ٢٠٠٢، ص ٣٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد كانت الحرب امتداداً للإستراتيجية الأمريكية القاضية بمنع ظهور أيْ بلد عربيّ أو مجموعة عربية مؤيدة تهدد المصالح الحيوية الأمريكية في المنطقة العربية وخصوصا، النفط واسرائيل وعليه فأن من مفردات النظام الدولي الذي سعت الولايات المتحدة لإرساله هو حل الصراعات الإقليمية المؤثرة على مصالح الولايات المتحدة بالطرق السلمية ولكن من منظوراستراتيجية أمريكا، وقد عبّر جورج بوش عن المعاني التي يتضمنها النظام الدولي الجديد في خطابين الأول في ١١/أيلول /١٩٩٠ والثاني في ٢٩/كانون الثاني /١٩٩٠ وقال بأنه "النظام الذي يحل القانون محل حكم الغابة وحيث تعترف الأمم بالمسؤولية المشتركة حول الحرية والعدالة ... وحيث يحترم القوي حقوق الضعيف ... وحيث تلتقي الأمم المختلفة معاً حول قضايا مشتركة للوصول للأماني العالمية للبشرية، السلام والأمن والحرية وحكم القانون". غير أنه رأى أن مثل هذا النظام يمكن أن يتحقق فقط "إذا ماقبلت الولايات المتحدة عبء القيادة التي لاغنى عنها " فأمريكا "هي القوة الوحيدة في هذا العالم التي يمكن أن تجمع قوى السلام " . وشرّعت الولايات المتحدة في استخدام نتائج الحرب للشروع في التسوية برعاية أمريكية كاملة إلى حد كبير وبنت استراتيجيتها على هذا الأساس دون أن تغيّر من أهدافها الإستراتيجية وكأحد النتائج الرئيسية لحرب الخليج الثانية أن اسرائيل هي أكثر الأطراف الإقليمية المستفيدة من معادلة المتغيرات الدولية والإقليمية حيث أدّت هذه المتغيرات إلى[١٤٠] :

١ـ فتح مخزون الإحتياط البشري أمام إسرائيل بعد إطلاق الهجرة المكثفة من الإتحاد السوفيتي السابق.

٢ـ فتح مخزون ترسانة الأسلحة الأمريكية أمام إسرائيل بما يضمن تفوقها على العرب وضمان أمنها وسلامتها في المنطقة.

٣ ـ التوسع الإسرائيلي في مجال التكنلوجيا والتقدم العلمي وعلوم الفضاء بما يضمن تحقيق التفوق على العرب.

٤ ـ أصبح لدى اسرائيل القدرة على تنمية قاعدة صناعاتها الحربية من خلال التكنلوجيا المنقولة من العلماء المهاجرين أو من خلال مشروعات التعاون مع الولايات المتحدة وروسيا بما يضمن تحقيق الإكتفاء الذاتي من الإنتاج الحربي للأسلحة الرئيسية. ومما عزّز من جهود التسوية الأمريكية هو تلك البيئة الولية المؤيدة للتسوية إضافة إلى تأييد الأطراف الإقليمية لجهود أمريكا في هذا المجال.

ثانيا ـ اختفاء الإتحاد السوفيتي سيؤدي إلى ظهور أقطاب دولية موازنة للقطب الأمريكي، فانهيار موازين نظام مابعد الحرب العالمية الثانية نتيجة التحولات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية لم تؤد تلقائيا إلى تكوين نظام عالمي جديد يتسم بسمات جديدة ويحل محل السابق بل أدّ إلى فوضى نتيجة فشل بثلاث مجالات مهمة، وهي كالآتي:

١– في مجال النظام السياسي والإجتماعي، حيث أن المنظومة العالمية لم تتكيف بعد مع احتياجات تجاوز الممارسات الوطنية في إدارة السياسة لكي تلائم هذه الأخيرة مقتضيات عولمة الإقتصاد .

١٣٩ـ بالمر ا مايكل ، حراس الخليج ، ترجمة نبيل زكي ، الاهرام للترجمة والنشر ، القاهره ، ١٩٩٥، ص١٩٣.

١٤٠ـ عتيقه علي احمد ، الوطن العربي والمستجدات الاقليمية والدولية ، في كتاب الواقع العربي وتحديات قرن جديد ، مؤسسة عبد الحميد شومان ، عمان ، ١٩٩٩، ص ٦٩٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- في مجال تنسيق العلاقات الإقتصادية والسياسية بين المراكز القديمة والبلدان الحديثة التصنيع في آسيا وامريكا اللاتينية .

٣- في مجال إقامة علاقات جديدة مع الأطراف التي لم تدخل بعد في مرحلة التصنيع .

ومأزق المشروع الأوربي يضرب مثالا واضحا عن مأزق فكرة العولمة من خلال السوق، ثم هناك بلدان العالم الثالث وبالأخص في المناطق المهمشة وكذلك في العالم الثالث الجديد الناتج عن انهيار نظم شرق أوروبا ، حيث نشاهد تداعيات مدمرة.

وعلى أساس تركيبة القوى المتصارعة في الفوضى رسمت العديد من السيناريوهات قد تناولها العديد من المفكرين والمختصين موضحين عجزها عن تحقيق الإستقرار وبالتالي فهي جميعا سيناريوهات استمرار الفوضى، كمشروع هيمنة ألمانيا على الصعيد الأوروبي ، ومشروع إعادة إنعاش الهيمنة الأمريكية التي سادت بعد الحرب العالمية الثانية، ثم أخذت في التلاشي ، فعادت للمسرح بسبب غياب البديل بخطاب صاخب معلنة عن نهاية التأريخ وسيادة الليبرالية الجديدة كآيدلوجية للرأسمال المعولم في مرحلته التأريخية الراهنة. واستبدلت مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية بمبدأ التدخلات العسكرية واستخدام القوة بهدف تغيير الأنظمة السياسية الإستبدادية بأخرى ديمقراطية. وكذلك وصفات المؤسسات الدولية المالية وشروطها الهادفة إلى تخلي الدول الوطنية عن التزاماتها الإقتصادية الإجتماعية الضامنة لإدامة نسيجها الإجتماعي فضلا عن اعتبارها ـ المؤسسات المالية ـ السوق الحرة محركاً أساسياً للتطور أن الوصفات السياسية / الاقتصادية/ الأيديولوجية المشار إليها وسيادتها طيلة العقدين المنصرمين أنتجت أثاراً أخرى يمكن وصفها بالنتائج الموضوعية للطورالجديد من التوسع الرأسمالي أهمها نشوء مراكز إقليمية رأسمالية إقليمية جديدة نتيجة لتطور قانون التطور المتفاوت الناظم لحركة الرأسمال، ومنها تنامي وتنوع الحركات الإجتماعية المناهضة لنهج الراسمال التخريبي، ومنها تنامي الدعوة لعالم متعدد الأقطاب. كان قد تنبأ بنشوؤها بعض المفكرين ومنهم سمير أمين، وهذا التطور من العولمة سيكون له أشكال عديدة ممكنة منها والأكثر احتمالا نوع من المشاركة وتقسيم عبأ الهيمنة وذلك من خلال أقلمة المسؤوليات في مشروع يربط أمريكا اللاتينية بالولايات المتحدة وأفريقيا بأوروبا (دون أن تشمل هذه المنطقة الخليج النفطي وملحقاته في السوق الأوسطية التي تنتمي إلى منطقة نفوذ مباشر للولايات المتحدة بالإشتراك مع اسرائيل، وكذلك من باب المناظرة تترك آسيا الجنوبية الشرقية للتوسع الياباني، ويلاحظ أن هذا التقسيم الإقليمي غير متكافئ، فدور أمريكا بقي دون منافس. والملاحظ أن آسيا تمثل استثناءً في الأزمة العالمية الراهنة فأسيا الشرقية –الصين الشيوعية) بالأخص، واليابان وكوريا وآسيا الجنوبية الشرقية والهند تكون منطقة لاتزال تحقق معدلات نمو مرتفعة بالمقارنة مع المناطق الأخرى. ولاتزال مستمرة في الصعود في هرمية القدرات التنافسية واختراق الأسواق. والمرجح أن آسيا ستكون أهم إقليم تراكم راس المال في المستقبل ومن الممكن أن تحقق مكاسب كبيرة تؤدي إلى ترقيتها في هرمية النظام العالمي . وهو تحدٍّ مستقبلي خطير للولايات المتحدة. فبإمكان الصين تغيير الموازنات على الصعيد العالمي [١٤١] ويرينا العالم اليوم حجم الصراع الكبير بين قوى العولمة والقوى المناهضة لها، فالدول المتقدمة عملت بجميع مفاصلها على تقليص القدرة الفعلية للدولة الوطنية (القومية) على ممارسة السيادة الكاملة. كما في العراق حيث تمّ لأول مرة تغيير نظامه السياسي بقوة أجنبية، وانتفت سيادة الدول طبقا لما

١٤١- أمين سمير ، في مواجهة ازمة عصرنا ، الانتشار العربي، بيروت ، ١٩٩٧، ص ١٤٠-١٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جرى من أحاديث حول ذلك.لكن سير الأحداث والوقائع أثبت فشل سياسة العسكرة والتوتر التي رفعتها الليبرالية الجديدة وهذا مادفع العقل الإستراتيجي الأمريكي للتفكير في صياغة سياسة دولية جديدة تجسدت في استراتيجية الأمن القومي الأمريكي لعام ٢٠١٠ ، والتي عكست في محتواها تراجعا عن التوجهات الستراتيجية السابقة عبر الأخذ بالمرونة السياسية والدبلوماسية الهادفة لحل النزاعات الدولية بالطرق السلمية قدرالإمكان. ولم يأت هذا التطور بمعزل عن نهوض قوى إقليمية منافسة مما يؤشر لحركة ميزان القوى العالمي باتجاه عالم متعدد الأقطاب وهذا ما تنبأ به العديد من المختصين والباحثين والمراقبين للشأن السياسي الدولي. وإذا تناولنا الأمر على صعيد الشرق الأوسط وعلى الصعيد العربي نجد التطورات الإجتماعية السياسية أعلاه قد أفرزت نهجا سياسيا لدى الأنظمة السياسية العربية يتسم بضرورة التحالف مع الشركات العالمية والتعويل على الحماية الخارجية بكلام آخر أن المواقع التسلطية للأنظمة العربية لن تسمح بظهور قوة وطنية قادرة على أن تكون قاعدة أساسية لشدّ البلدان العربية لرؤية مستقبلية تنطلق من وحدة المصالح العربية وتوازنها مع المصالح الدولية ومن الجديرأن نشيرهنا إلى أن مشروع التبعية والحماية الخارجية يتماشى ومضامين حركة قانون الإستقطاب الناظم للطوّر الجديد من التوسع الرأسمالي المتجسدة بتناقض مسارها ـ الحركة ـ المتمثلة بالتهميش والإندماج وما يشترطه ذلك من تحويل الدول الوطنية إلى دول بوليسية بحماية خارجية عبر تشديد روابط التبعية الإقتصادية العسكرية السياسية مع الشركات الإحتكارية والمراكز الرأسمالية.

ثانياً ـ إن مشروع الموازنة الدولية الإقليمية المرتكز على وجود دول قوية إقليمية ناهضة مثل تركيا وإيران تنطلق من محاولة بناء سياسة اقتصادية إقليمية تستند الى توازن مصالح قواها الإجتماعية الحاكمة مع الدول الخارجية. إن سياسة توازن المصالح يشترطها قانون التطور المتفاوت بين الدول الرأسمالية والذي يسمح بنهوض دول رأسمالية إقليمية قوية، ومن هنا يمكن القول أن النزاعات الإقليمية المتفجرة عبر أغطية مذهبية قومية ليس سوى تجليات لتنازع مشروعي الهيمنة التبعية المساند من المراكز الرأسمالية والمبارك من أغلب الدول القطرية ومشروع الدول الناهضة الهادف لإحتلال مواقع إقليمية عبر علاقات متوازنة مع الخارج الدولي، فتحول العالم نحو بناء التكتلات الإقتصادية والتحالفات السياسية يطرح العديد من التغيرات على كل الأصعدة على المستويات المحلية والإقليمية والدولية، ويمكن ان نجملها بالآتي :

– تحرك النظام السياسي الدولي الأحادي القطبية نحو عالم متعدد الأقطاب ترتكز روابطه على علاقات الشراكة ونبذ التفرد والركون للحلول الدبلوماسية بدلا عن سياسة القوة والعسكرة بما يؤمل من إعادة الإعتبار إلى مبادئ الشرعية الدولية والقانون الدولي في تنظيم الحياة الدولية وتبني الحوار الحضاري بدلا عن موضوعة صراع الحضارات .

-- تبلور ملامح مرحلة انتقالية يمكن تسميتها بإزدواجية السلطة بين المركز الرأسمالي وبين الحليف الحاكم في الدولة الوطنية تمهيدا لبناء المستلزمات الضرورية لتشكيل التكتلات الإقتصادية الإقليمية التابعة)[١٤٢]. بناء على كلّ ماتقدم يبدو أن الأهداف المشتركة لجميع التكتلات الإقتصادية هي الحصول على مزايا اقتصادية أكبر مقارنة بما كانت تحصل عليه عندما كانت خارج التكتل . فضلا عن سعيها لحماية انتاجها المحلي من المنافسة الأجنبية في ظل العولمة وفتح الأسواق. وعليه أصبحت مسألة الإنضمام الى التكتلات الإقليمية أمرا حتميا. فلم يعد هناك أيْ مجال للنجاح في تحقيق أهداف التنمية أو

١٤١ـ أمين سمير ، في مواجهة ازمة عصرنا ، الانتشار العربي، بيروت ، ١٩٩٧، ص ١٤٠ـ١٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدفاع عن المصالح الوطنية اذا بقي البلد منفردا بعد أن أصبح شعار التعامل الإقتصادي الدولي هوالبقاء لمن هو أكثر كفاءة وقوة ومنافسة.

المطلب الثاني _ مشروع الشرق الأوسط الكبير كإفراز لإختلال التوازن الدولي

برزت قضية الديمقراطية في مرحلة مابعد الحرب الباردة وذلك من خلال مبادرة الشراكة الأوربية المتوسطية التي عبّر عنها إعلان برشلونة عام ١٩٩٥ والتي تضمنت مقاربة أوروبية موحدة لتعزيز الإستقرار والنموّ الإقتصادي في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وتشتمل على تقديم برامج المساعدات التنموية وتحرير التجارة وتشجيع القيام بالإصلاحات السياسة واحترام حقوق الإنسان وتوسيع التبادل الثقافي إضافة إلى القيام بدور لتشجيع عملية السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين. وتجدد بروز القضية بعد ذلك في عهد الرئيس كلينتون وأصبحت تقارير الخارجية الأمريكية حول الديمقراطية وحقوق الإنسان ورقة ضغط مهمة في تحديد السياسة الأمريكية خاصة فيما يتعلق بالقضايا التجارية، وركّز الرئيس كلينتون على سياسة التوسع الديمقراطي التي ربطت التحرير السياسي بالتحرير الإقتصادي فيما اطلق عليه بديمقراطيات السوق واستخدام الأدوات الإقتصادية اداة ضغط على الدول المختلفة للقيام بالإصلاحات السياسية. وتوالت المبادرات الأمريكية والأوروبية حول الديمقراطية في الشرق الأوسط . وفي عام ٢٠٠٤ طرحت مبادرة الشرق الاوسط الكبير[١٤٣] .

وقبل الحديث عن مشروع الشرق الأوسط الكبير، لابد من الإشارة أن مشاريع الولايات المتحدة تمتاز بطابعها البراغماتي الذي يبعدها عن الآيديولوجيا والذي يضعها في حالة من التبدل المستمر تجعل من دلالات المصطلح السياسي الأمريكي دلالات متغيرة بحسب الظروف، من هنا فأن الخطأ الأول في التعاطي مع مشاريع الولايات المتحدة هو اعطاؤها دلالات ثابتة ومحددة .

من عادة التأريخ أن يقوم المنتصر بإعادة ترتيب الجغرافيا، من هذه العادة تغيرت خارطة العالم عبر معاهدة فرساي عقب الحرب العالمية الأولى وتم تقاسم أوربا والعالم عقب الحرب العالمية الثانية . وعليه فأن طموح الولايات المتحدة لتغيير الجغرافيا وتحديدا في منطقة الشرق الأوسط ، هو طموح ينسجم مع المنطق التاريخي وهو كان قد بدأ مع سقوط جدار برلين وتعامل معه العالم (أوربا وتنازلاتها السياسية والإقتصادية في حرب كوسفو وغيرها) ودول المنطقة بصورة براغماتية واقعية. واستمر هذا التعامل لغاية إصرار الرئيس الامريكي بوش (الابن) على تحويل الولايات المتحدة إلى دولة مهيمنة على العالم من جميع النواحي مما يعني تحويل حلفاء الولايات المتحدة إلى مجرد زوائد استراتيجية . وهو أمر ينطبق على كافة الحلفاء بدءً بأوروبا وصولا إلى أصدقاء الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط ووصلت فلسفة القوة لدى الولايات المتحدة إلى قمتها عبر الحرب على العراق في أذار ٢٠٠٣ .

والسؤال الذي يمكن أن يطرح هنا ماهو مشروع الشرق ألأوسط الكبير ؟ وما الغاية منه ؟ للإجابة

١٤٢- حاتم لطفي ، موقع الحوار المتمدن .

١٤٣- مقلد اسماعيل صبري ، ندوة النظام العالمي بين الاحادية والتعددية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة٢٠١٠، ص٢١٢-٢٢٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على هذا السؤال لابدّ من معرفة أن مصطلح الشرق الأوسط قصد به كما أسلفنا شمول الدول العربية كافة إلى جانب تركيا وايران واسرائيل وباكستان وافغانستان. بيْد أن إدخال الدولتين الأخيرتين ضمن الحدود الجغرافية لمنطقة الشرق الأوسط يتعارض والممارسة الإدارية السائدة في أروقة وزارة الخارجية للولايات المتحدة والداعية إلى التعريف بالمنطقة على أنها تشمل (مصرالجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربي وتركيا وإيران وإسرائيل). ولعل الأسباب التي أدت لضم هاتين الدولتين للشرق الأ وسط هي أنهما تقعان في قلب نطاق الحرب على الإرهاب كما أن إدارة بوش تربط مابين جذور تنظيم القاعدة والمشكلات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية التي يعاني منها العالم العربي . وهكذا تتضح الفكرة العامة ألا وهي أن أي مسعى للتصدي لظاهرة الإرهاب والحد من نفوذه وتأثيراته، يجب أن يضع في الإعتبار جميع المشكلات التي تشمل المنطقة بأسرها بغية تجفيف منابعه ومصادره أو الحد منها على الاقل. وهكذا طرحت الإدارة الامريكية مشروع الشرق الأوسط الكبير بدعوى إدخال اصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية في هذه المنطقة بناءً على مارصده تقريري التنمية الإنسانية العربية لعامي ٢٠٠٢_ ٢٠٠٣الصادرين عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي الذي وضعه عدد من المثقفين والخبراء العرب كأساس لتحليل أوضاع النظام العربي وكمنطلق لتحديد المناهج والحلول. وذلك في محاولة لإضفاء الشرعية والمصداقية على حتمية التغيير تلبية لحاجات داخلية في هذه الدول . وعلى الرغم من أن المشروع وما ينطوي عليه من أبعاد سياسية واقتصادية وثقافية وتعليمية ، إلا أنه ينطلق من استراتيجية أمنية كانت تعتمد على مبدأ الإستباقية الذي تحول الى مبدأ الوقائية وهومايتطلب ردا أوروبيا عربيا مبنيا على أساس تفكير منهجي في شكل مبادرات او مقترحات وفق استراتيجيات فكرية وأمنية.

الفرع الأول ـ الخلفية التأريخية للمشروع

يعد هذا المشروع بمثابة الموجة الثالثة من المشروعات الشرق أوسطية التي طرحتها الدول الكبرى وكان أولهما حلف بغداد عام ١٩٥٥[١٤٤]، أخفق هذا المشروع في تحقيق أهدافه بسبب تنامي تيار القومية العربية على مستوى الشعوب والنخب الحاكمة. ناصب هذا التيار العداء لهذا الحلف مما أدى إلى تحوله في عام ١٩٥٨ بما يعرف بالحلف المركزي (السنتو). وتولى عبد الكريم قاسم السلطة في العراق وثانيهما مايمكن تسميته بشرق أوسطية أوسلو الذي قدّمه شمعون بيريز في كتابه الشرق الأوسط الجديد، حيث هدف تدمير النسق الإقليمي العربي وإبطال فاعلية مؤسساته وتهميشها[١٤٥]، وقد قاد ذلك إلى نشوء عدة مظاهر أبرزها [١٤٦] :

١ ـ تراجع التوجه القومي وترسيخ القطرية فكرا ومفهوما وسلوكا .

٢ ـ تفكيك وحدات النظام العربي.

١٤٤ـ للمزيد من الاطلاع عن حلف بغداد ١٩٥٥ينظر ، ممدوح محمود مصطفى ، الصراع الامريكي السوفيتي في الشرق الاوسط ، مكتبة مدبولي ، ص١١٥ـ١٣٠.

١٤٥ـ للمزيد من الاطلاع عن الشرق الاوسط الجديد ينظر شمعون بيريز ، الشرق الاوسط الجديد ، ترجمة ، محمد حلمي عبد الحافظ ،عمان ، الاهالي للنشر والتوزيع ,١٩٩٤

١٤٦ـ ـ محمد ثامر كامل و والمشهداني ياسر علي، العولمة وفجوة الامن في الوطن العربي ، عمان ، دار مجدلاوي للنشر ، ٢٠٠٤، ص,١٣٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣ ـ تراكم الأزمات العربية البيئية .

٤ ـ ضياع القدرة الجماعية على الإستجابة والتغيير.

ولكن هذا المشروع لم ير النور نظرا لفقدانه الحلول الجدية واقتصاره على تحقيق المصالح الأمريكية والإسرائيلية علاوة على عدم توافق منطلقات هذا المشروع ،وتوجهات اليمين المتطرف الإسرائيلي في أعقاب وصول بنيامين ناتنياهو للحكم في إسرائيل وهو ماعبّر عنه في زيارته لآسيا (علينا أن ننسى الشرق الأوسط الجديد [١٤٧]. وثالثهما بما يسمى بالشرق الأوسط الكبير الذي ارتبط مفهومه برؤية أمريكية خاصة لمستقبل هذه المنطقة وبلدانها للمصالح الأمريكية فيها فهو مصطلح مضلل ومريح تعود جذوره لمهندسي إدارة من أدبيات الحرب الباردة في النسق المعروف بنظرية الدومينو في حقبة الستينات أبان الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالي والإشتراكي، والخوف الأمريكي من وقوع عدد كبيرمن الدول تحت الحكم الشيوعي ولاسيما في آسيا، (وتحديدا فيتنام) وامتداده للدول المجاورة بما في ذلك الهند، مما أدّى إلى خوض حرب خاسرة في فيتنام، وقد استصحب ذلك في الحالة العراقية إذ تصورت إدارة بوش أن إزالة نظام صدام حسين عن السلطة باستخدام القوة العسكرية وإقامة نظام ديمقراطي في العراق، يكفي فقط بإحداث تغييرات في دول الجوار. فتتهاوى باقي الأنظمة الواحدة تلو الأخرى كما تسقط أحجار الدومينو، إنطلاقا من إقامة عراق حر في قلب الشرق الأوسط ماهو إلا حدثا مفصليا في الثورة الديمقراطية العالمية. والواقع أن النموذج العراقي قد أثار هلعا في نفوس الأنظمة العربية التي أدركت أن المخطط لم يعد مقصورا على العراق فحسب، بل أنه بات قاب قوسين أو أدنى منها. إن إعادة ترتيب المنطقة حسب المصالح الأميركية لايعني إلا هيمنة مطلقة على نفط العرب جميعه وتطويقا كاملا له وهيمنة مطلقة لإسرائيل على مقدرات كامل المنطقة وتحويل الشرق الأوسط إلى قاعدة لإنطلاق مشروعات الهيمنة الامريكية؛ لذا فهو نسخه معدّلة من مشروع بيريز الذي انطلق في أوائل التسعينات. إذ أن من أسباب تدمير العراق والعدوان عليه هو تحقيق هذا الهدف بالذات لتصبح إسرائيل هي الدولة المهيمنة والمسيطرة على مقدرات المنطقة. ومما يجدر الإشارة اليه هو أن طرح مشروع الشرق الأوسط الكبير من قبل إدارة الولايات المتحدة كان في حقيقته قد اعتمد على جملة من التقارير التي نشرت من قبل والتي مهدت للإعلان عن هذا المشروع ولعل من أهمها :

- اللجنة الأمريكية للأمن القومي في القرن الواحد والعشرين وهي لجنة استشارية فيدرالية تعرف باسم لجنة (هارت - رودمان) والتي شكلت تحت إشراف وزير الدفاع، وتحظى برعاية مباشرة من الرئيس الأمريكي والكونغرس انتهت من وضع تقرير كبير في شباط ٢٠٠١ بعنوان البيئة الأمنية الكونية الجديدة في الربع الأول من القرن الحادي والعشرين، وقد تضمن التقرير عددا من الدراسات والبحوث عن المناطق المختلفة من العالم ومن بينها مايسميه التقرير، وثيقة الشرق الأوسط الكبير [١٤٨]. وسنأتي على ذكرها بشكل مفصل.

١٤٧-الكيلاني هيثم ، الامن القومي العربي في اطار العلاقات العربية الاقليمية ، مجلة شؤون عربية ، العدد ٨٠ القاهرة ، الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، ١٩٩٤، ص ١٢٧,١٤٧-البرصان احمد سليم ، مبادرة الشرق الاوسط الكبير ، الابعاد السياسية والاستراتيجية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٥٨، القاهرة ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ٢٠٠٤ ص ٤٣-

١٤٨- مجلة السياسة الدولية ، عدد ١٣٩، كانون ثاني ، ٢٠٠٠، وثائق دولية)، ص ٢٩٦-٣٠٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- في العاشر من تموز سنة ٢٠٠٢ قدمت مؤسسة (راند) للدراسات تقريرا يتكون من أربع وعشرين نقطة خصص لدراسة الوضع في المنطق العربية، وضعه (لوران مورافيتش) المحلل الإستراتيجي فيها، قدم هذا التقرير لهيئة السياسة الدفاعية في وزارة الدفاع الأمريكية. وتضمن اقتراحا ما وصف بأنه الإستراتيجية الكبرى للشرق الأوسط . ونصّ بالآتي:

١- العراق هو المحور التكتيكي

٢- السعودية هي المحور الإستراتيجي

٣- مصر هي الجائزة

ولايقول كيف ولا بأية طريقة ولا متى إلا أنه رسم صورة للأوضاع في العالم العربي تدل بما لايدع مجالا للشك على أن الولايات المتحدة عازمة على إجراء تغييرات جوهرية في هذه البلدان، ويظهر التقرير صعوبة اجراء التغييرات ويقدم صورة قاتمة جدا بل هي موصدة الابواب على أي نوع من التغيير لا الان ولافي المستقبل اذا لم تتول الولايات المتحدة بنفسها ومن خلال أساليب وطرق مختلفة، مسؤولية العمل على إحداث التغيير. وينقل الأستاذ فاروق البربير عن هذا التقرير ماجاء عن أوضاع العالم العربي -فيقول ماذا في التقرير عن اوضاع العالم العربي ؟ في السطور التالية ترجمة شبه حرفية لبعض العبارات الواردة فيه، نوردها كمسلمات من وجهة نظر واضعه :

- لامكان في العالم العربي للإجتماع أو التجمع ولامساحة شعبية عامة للقاء من أجل تبادل الأفكار ومناقشة المصالح والسياسات. إن التأمر والشغب والقتل والانقلابات هي الطريق الوحيد المتوافر عمليا في المنطقة لإحداث تغيير سياسي في العالم العربي، العنف يس استمرارا للسياسة بأساليب أخر، بل هو السياسة والسياسة هي العنف. ثقافة العنف هذه هي العامل الأساسي في إشاعة الإرهاب وفي ممارسته إن الارهاب كأسلوب مقبول وشرعي لممارسة العمل السياسي، بات مسألة سائدة طيلة الأعوام الثلاثين الماضية [١٤٩] ، وضم التقرير تحت عنوان(ماذا أنتج العالم العربي ؟) مجموعة من النقاط أبرزها : -

- إن المشكلات الديموغرافية والإقتصادية باتت مستعصية بسبب الفشل في تأسيس سياسات تضع الإزدهار والرخاء هدفا لها.

- الدول العربية كلها هي إما دول فاشلة أو دولة مهددة بالفشل .

- إن التوترات بين العالم العربي والعالم الحديث بلغت ذروتها.

- إن مشكلات العالم العربي هي مشكلات مصنوعة محليا تهيمن عليه وتمنع عمليا تأقلمه مع الخارج ويضم التقرير تحت عنوان (ماذا انتج العالم العربي ؟) مجموعة من النقاط أبرزها

- إن التوترات بين العالم العربي والعالم الحديث بلغت ذروتها.

١٤٩- البربير فاروق ، عن ازمة العالم العربي وتقرير راند كوربوريشن)، مجلة التاريخ العرب والعالم ، السنة ٢٢، ع(٢٠)، تشرين الثاني - كانون الاول ٢٠٠٢، ص٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- إن أزمة العالم العربي نتيجة ذلك كله تتعرض للتصدير لبقية العالم. ويعلق الأستاذ البربير على ذلك بقوله (أن التقرير يتجاهل حقائق الأوضاع في العالم العربي وأبرزها اسباب العنف في المنطقة الذي ولّده الوجود الإسرائيلي واحتلاله الأراضي العربية).

- صدور استراتيجية الأمن القومي الأمريكي في ايلول ٢٠٠٣ والتي جاءت في ديباجتها على اعتماد وثيقتها على تعاون كوني يعكس مزجا بين قيم الولايات المتحدة من جهة و مصالحها من جهة أخرى

- بدأ الحديث في الولايات المتحدة وفي ضوء تداعيات أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ والمتمثلة بسلسلة الهجمات التي تعرضت لها مراكز القرار السياسي والإقتصادي والأمني للولايات المتحدة يتجه نحو مطالبة الدول العربية والإسلامية بتغيير وتعديل المناهج الدراسية بحيث لاتتعارض مع القيم والمفاهيم التي تنطوي عليها ثقافة الولايات المتحدة والغرب ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل دعت الولايات المتحدة لإلغاء المدارس الدينية كونها تشكل من وجهة نظر الولايات المتحدة الرسمية معامل لتفريخ العناصرالمعادية للحضارة الغربية وذهبوا كذلك للمطالبة بفرض الرقابة على نشاط الحجاج [١٥٠].

في السابع من آب ٢٠٠٣ بدأت كونداليزا رايس تتحدث عن مشروع الولايات المتحدة الخاص بالتغيير في الشرق الأوسط وذلك عبر مقال لها في صحيفة واشنطن بوست بعنوان (تأملات في التحول المنتظر بالشرق الأوسط). وأكدت رايس ماسبق أن اكّده باول حينما قالت بأن (هذه المنطقة المكونة من ٢٢ بلدا مع سكان يبلغ عددهم ٣٠٠ مليون نسمة لديها مجتمعة اجمالي ناتج محلي أدنى من اجمالي الناتج لأسبانيا التي لايتجاوز عدد سكانها ٤٠ مليون نسمة، وتعاني تخلفا مردّه إلى مايسميه أبرز المثقفين العرب الإفتقار للحرية السياسية والإقتصادية حيث يتحول الإحساس باليأس لدى فئات كثيرة لأرض خصبة بالنسبة للآيديولوجيات التي تقنع الناس بترك التعليم والعمل والعائلة كي يفجروا أنفسهم آخذين معهم أكبرعدداً من الأرواح. هذه العناصر تعد سببا مهما لعدم الإستقرار الإقليمي وتطرح تهديدا متواصلا لأمن الولايات المتحدة. وتضيف رايس إلى ذلك قولها أن مهمة الولايات المتحدة الجديدة هي العمل مع قادة الشرق الأوسط الساعين للتقدم باتجاه ديمقراطية أكبر إضافة للتسامح والإزدهاروالحرية. وتربط رايس بين حرب العراق الأخيرة وظهور فرص التقدم من أجل بلوغ أجندة إيجابية بالنسبة للشرق الأوسط قادرة على تعزيز الأمن في المنطقة وفي العالم وتقول [١٥١] لقد بدأنا نشهد التزاما جديدا من أجل تحقيق السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين)، وأضافت أن الحل يكمن في نشوء دولتي إسرائيل وفلسطين المتعايشتين جنبا إلى جنب في سلام وأمن). وفيما يتعلق بالعراق تقول أن الطريقة التي حولت المانيا الديمقراطية إلى عنصر أساسي في اوروبا يمكن لعراق متحول إلى محور مهم في شرق أوسط مختلف .

الفرع الثاني : ـ الإطار الفكري للمشروع بدأ مشروع الشرق الأوسط الكبير سريا كرد فعل لليمين الأمريكي المتطرف على الهزيمة في فيتنام مستهدفا فرض هيمنة أمريكية مطلقة على العالم. وعليه فأن

١٥٠ـ العلاف ابراهيم خليل ، أمريكا والشراكة مع الوطن العربي ، جريدة الثورة البغدادية ، ٢٨ كانون الثاني ٢٠٠٣.

١٥١ـرايس كونداليزا ، تأملات في التحول المنتظر بالشرق الأوسط، عرض مصطفى العبدالله. جريدة الزمان ٢٨ اب ٢٠٠٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المتأمل في مدى إخلاص المشروع الإمريكي للإصلاح في النظام الإقليمي العربي لسرعان مايدرك أن هذا المشروع لايعدو كونه تعبيرا واضحا (شكلاوموضوعا) عن أيديولوجية الإئتلاف اليميني الحاكم في الولايات المتحدة المتمثل في التيار المحافظ الجديد الجمهوري المشهور بتطرفه ونظرته الآيديولوجية للقضايا المختلفة. والذي يهتم بالمصالح الإقتصادية العالمية التي تتناقض مع العناصر اليمينية الأمريكية التي تروج للميل للحروب وعسكرة السياسة الخارجية [١٥٢] وهذا ناتج بحقيقته من التقارب بين اليمين الديني واليمين المسيحي، إذ تجمعهما رؤية واحدة لآمريكا والعالم فأمريكا في قناعتهم وطن استثنائي تأريخي لابد ان يسود ويهيمن[١٥٣]. إن هذا المشروع يتلاقى مع الميول الأخلاقية لكثير من الأمريكيين بما فيهم اليمين التقليدي الذي يهمه الإقتصاد الحر والحريات الفردية والقيم الديمقراطية بشكل يلبي حاجتهم للشعور بأنهم يؤدون رساله للعالم مفادها أن الشعب الأمريكي هو الشعب المختار الجديد الذي عاهد الرب على بسط سلطته على العالم[١٥٤]. ومن هذا المنطلق فقد اختار اليمين الأمريكي الصهيوني أسلوب هجومه المضاد من خلال قضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان في هذه المنطقة لأنها من أضعف جوانب الحياة العربية وأكثرها انكشافا أمام الضغط والتشهير الذي يكون الحجة الرئيسية التي يوظفها اليمين الأمريكي الأوروبي لتبريرالتدخل العسكري. على عكس ماتمليه اعتبارات القانون الدولي بحجة أن التطرف يهدد الأمن العالمي وبالتالي يؤسس اليمين الأمريكي تحالفا عالميا لفرض الإصلاحات الديمقراطية على العالم العربي ومن ثم فالساسة الامريكان عازمون على تطبيق الديمقراطية في هذه المنطقة الحساسة من العالم وستصبح بداية لإرساء السلام، ،فالدول الديمقراطية لاتتحارب فيما بينها وهذا ما دحضته الوقائع والتأريخ. والتأريخ القريب شهد على ما حصل للإتحاد اليوغسلافي .

- أما أبرز أولويات مشروع الشرق الأوسط الكبير من وجهة نظر الولايات المتحدة فتلخصه في تسوية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وإعادة بناء نظام حكم شرعي في العراق والإستمرار في خوض الحرب ضد الإرهاب وتنظيم القاعدة والتنظيمات الإرهابية الأخرى. وعندما تطرح الولايات المتحدة الإسلام كعدوّ حضاري فأن الغرب يفسره عبر دلالاته الخاصة، إذ يعتبر أن كلّ دولة إسلامية هي دولة عربية. بما يعادل القول بأن صدام الحضارة الغربية سيكون مع قوميات دينية، بهذا يحتفظ هذا الطرح عضوية دول الشرق الأوسط في نادي العداء للولاياة المتحدة (باستثناء اسرائيل) والغرب عموما. وهكذا فأن عضوية النادي تضم بالإضافة للدول العربية كلا من تركيا وايران وافغانستان وباكستان وصولا الى حدود الصين. دون إهمال الحزام الأوراسي المسلم (جمهوريات سوفيتية مسلمة) . وهكذا فأن مقولة الصدام مع الإسلام تنعكس أولاً بتغيير الدلالة الديموغرافية لمصطلح الشرق الأوسط لتحوله إلى دلالة الشرق المسلم بما في ذلك من توسيع لرقعته الجغرافية وهو توسيع يجد تبريره في تغيير جغرافية المصالح الإستراتيجية لدول المنطقة في حقبة مابعد الحرب الباردة حيث نلاحظ رغبة كل دولة في تأمين مصالحها الإستراتيجية في هذا الفراغ، ولكن الملاحظ أن لغة الخطاب المعادي للإسلام قد تغيرت في استراتيجية الأمن القومي الأمريكي في مرحلة الرئيس الجديد للولايات المتحدة السيد أوباما. ففي أبرز خطاب رئاسي أمريكي موجه

١٥٢-فرجاني نادر ، احتلال العراق بين ادعاءات التحرير ومطامع الاستعمار ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٩٣، بيروت مركز الدراسات الوحدة العربية ،٢٠٠٣، ص١١

١٥٣- سعيد محمد السيد ، الازمة العامة للخطاب العربي ، صحيفة الاهرام المصرية في ٨-٣-٢٠٠٤.

١٥٤- هلال رضا ، المسيح واليهودية ونهاية العالم ، المسيحية السياسية والاصولية في امريكا ، كولامبور ، مكتبة الشرروق ، ٢٠٠٤،ص ١٥٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خصيصا للعرب والمسلمين أورد أوباما فقرة لم يتم تسليط الضوء الكافي عليها أو تفكيكها لأنها جاءت في سياق الإنبهار بخطاب لرئيس امريكي اتسم بمرونة غير معهودة في خطب من سبقوه، حيث نثر فيه بإتقان واختيار مدروسين آيات من القرآن الكريم وغلّفه بعبارة غير مسبوقة زعم فيها أنه يعتبر التصدي للإساءة إلى الإسلام هو جزء من مسؤوليته ولكنه أردفها بعبارة أخرى تقول ولكن المبدا نفسه يجب أن ينطبق على صورة أمريكا لدى المسلمين. ومثلما لا تنطبق الصورة النمطية على المسلمين، فتلك الصورة البدائية للإمبراطورية التي لا تهتم إلا بمصالحها لا تنطبق على أمريكا.

لقد حاول رئيس الولايات المتحدة السيد أوباما تكريس معادلة لاتستقيم لا في الواقع ولا في التجربة العملية، حيث أنه ساوى بين أمريكا والصورة المشوهة التي لاتتبدل عن الإسلام، والأدهى في مطالعته هو محاولة تمرير الإيحاء بإنكار حقيقة أن الولايات المتحدة إمبراطورية جاعلا الوصف في موقع الإتهام المغرض وصولا إلى تقديم أمريكا كضحية للصورة المشوهة المضاعفة في سلبيتها أيْ أن أمريكا مظلومة عندما تتهم بأنها إمبراطورية ومظلومة أيضا عندما تتهم بأنها مهتمة فقط بالدفاع عن مصالحها الذاتية[١٥٥]

.

١٥٥- الشوربجي منار ، أوباما والعالم الاسلامي ، السياسة الدولية، العدد ١٧٨ اكتوبر ٢٠٠٩ ، ص ٨-١٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرع الثالث

الأهداف السرية والعلنية للمشروع

وتتمثل بالآتي [١٥٦].-

١ ـ تغيير جميع أنظمة الحكم القائمة

كما حدث في العراق وأفغانسان مع ضرورة إحلال قادة جدد يتبنون الآيديولوجية الأمريكية في المنطقة، وقد فسّر البعض أن مصطلح الشرق الأوسط الكبير هو إدماج اسرائيل للمنطقة رغم أنف الأنظمة العربية وشعوبها.

٢ ـ إرغام الدول العربية على توطيد أواصر السلام مع اسرائيل دون اية تنازلات منها نظير هذا التقارب.

٣ ـ ضمان أمن أسرائيل من خلال التخلص من جماعات حماس والجهاد وكل القوى الفلسطينية المناوئة لاسرائيل والرافضة للتنازلات مع الكيان الصهيوني والقضاء على حزب الله في لبنان لتوفير الأمن الاسرائيلي .

٤ ـ محاصرة ايران ومحاولة خنقها عن طريق العراق وسوريا لإنهاء النظام الديني في طهران .

٥ ـ تفتيت وتمزيق الدول العربية إلى عدة دويلات كما جرى في السودان وتحاول تفعيلها في العراق ثم بعد ذلك سوريا ليمتد طريقها للسعودية ومصرعبر فصل شمالها عن جنوبها لتأسيس دولة قبطية في صعيد مصرعلى غرارالأنموذج السوداني.

٦ ـ تأمين منابع البترول حتى لايتكررماحدث في حرب اكتوبر ١٩٧٣بشأن الأزمة النفطية بعد أن توحدت الدول العربية في قطع البترول عن الغرب .

٧ ـ تدمير العرب والمسلمين من خلال إحلال نظام علماني في جميع الدول الإسلامية كبديل له على غرارالأنموذج التركي الذي لاهم له سوى الاستخفاف بالاسلام وتعاليمه.

٨ ـ فرض الثقافة الغربية بما تحمله من شرور وآثام وعادات وسلوكيات وقيم وتتنافى تماما مع القيم الإسلامية.

٩ ـ ضرب القواعد العسكرية والتخلص من الأسلحة الهجومية المنتشرة في جميع أنحاء النظام العربي والتي تمثل تهديدا مباشرا وغير مباشر لإسرائيل ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة.

١٠ ـ إذكاء الخلافات والمشاكل بين أقليات الوطن العربي كما حدث في مصر وسوريا والسودان والعراق .. الخ.

١٥٦ـمكي ساندرا ، الملفات السرية للحكام العرب ، عرض وتحليل وتقديم ، هشام خضر ، القاهرة ، ٢٠٠٤، ١٧١ـ ١٧٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١١ ـ رفع شعارالديمقراطية وحقوق الإنسان بهدف زعزعة الإستقرار لجميع أنظمة الحكم العربية.

أما من حيث موضوعية طرح الولايات المتحدة لمشروع الشرق الأوسط الكبير، فلدى مراجعة نص المشروع نجد أنه قد قام على مخالفات منطقية يُستدعى التظر بها،

أولا ـ أن المجتمع يتطوّر ويتبدل عبر التأريخ. والمجتمع الديمقراطي بكل أشكاله الإيجابية والسلبية ما هو إلّا تحولات تأريخية طويلة تمربها المجتمعات البشرية وهو نتاج آلية عمل كل البنى الإقتصادية والإجتماعية والسياسية والثقافية وتعقيداتها، إذن المجتمع لا يتحقق بالمحصلة بناءً على رغبات إنسانسة متعالية على الواقع، بل أن عملية تحققه تقوم على إرادات إنسانسة مشخّصة مؤمنة بمسألتين أساسيتين هما :

١ ـ تقوم على الإيمان بأن هناك قوانين موضوعية تتحكم بالواقع وهي تعمل في الواقع وتؤثر فيه خارج إرادة الانسان.

٢ ـ وجود إرادة صلبة قادرة على امتلاك المعرفة العلمية وممارستها والمقترنة بحس المسؤولية تجاه الفرد والمجتمع. لكن هذا لا يعني أن علينا انتظار التأريخ وقوانينه، وهي تأخذ مجراها وحركتها بشكل عفوي لتحقق بذاتها المجتمع الديمقراطي بل أن لدينا دورا فاعلا في التأثير على القوانين وحركتها وبالتالي القدرة على صياغة وتشكيل تأريخنا من جديد وفق مانطمح اليه وبعد أن نكون قد اكتشفنا آلية عمل هذه القوانين وتسلحنا بها)[١٥٧]. هذا يعني أن الديمقراطية تستوجب توفر الظروف الموضوعية والذاتية لتحقيقها وبعكس ذلك تعد ضربا من الوهم. من هذا نستنتج أن الديمقراطية والإصلاح السياسي هما قضيتان داخليتان ولايمكن أن تفرضا بضغوط خارجية وأن النخب الأمريكية الحاكمة قد وضفت قضايا الديمقراطية وحقوق الشعوب لصالح الخطة الأمريكية الرامية للهيمنة على منطقتنا مستغلة رغبة الشعوب العربية على مدى عقود للإصلاح والديمقراطية .

إن ممارسات النخبة الأمريكية الحاكمة تجاه شعوبنا العربية وعلى مدى التأريخ تلغي كل مصداقية للخطاب من أجل الديمقراطية والإصلاح فيتم ذلك على حساب الديمقراطية الحقيقية المطلوبة. وعلى هذا الأساس يقتضي النضال من أجل الديمقراطية محاربة الهيمنة الأمريكية.

ثانيا ـ استناد المشروع لتقارير التنمية العربية وهي نتاج عقول عربية أسيرة بتوجيهات أمريكية خالصة حيث توضع الأرقام استنادا لعوامل غير متجانسة ومثال ذلك تساوي علامات استعمال الإنترنيت مع متوسط الأعمار ومع تأمين مياه الشرب، إذ يتم تجاهل عوامل نسبة الإنتحار ونسبة إدمان الكحول والمخدرات وكأنها خارج إطار مؤشرات السعادة البشرية .

ثالثا ـ دخوله في إطار دمقرطة الشرق الأوسط وهو مشروع يستند بدوره لتقارير التنمية العربية إذ نشر ديمقراطية الولايات المتحدة يمر بشن حروب تصل ضحاياها المئات والآلاف لتبقى الديمقراطية الموعودة من نصيب الناجين من تلك الحروب.

ولو عدنا للأنموذج العراقي لوجدنا أن أوج هذه الديمقراطية تجلى في إصرار بوش على اجراء انتخابات

---

١٥٧ – عويد عدنان ، المجتمع المدني ودول ماقبل الدول ، مجلة الثقافة الجديدة ،(العدد ٦٢)،٢٠٠١، ص ٢٣٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لايمكن له مجرد الإدعاء بديمقراطيتها، وإنما هي تحدد لها هدفا مسبقا هو انتاج وتصنيع شبيه بما جرى في أفغانستان .

رابعا ـ تفجير التناقضات الداخلية يبدو أن طموح الولايات المتحدة في نشر الديمقراطية والتأسيس للشرق الأوسط الكبير مرتبطان بصورة عضوية في تفجير التناقضات الداخلية في البلدان المستهدفة، وذلك دون خجل من توظيف المخابرات الأمريكية في عمليات قذرة تستهدف هذه التفجيرات .

خامسا ـ تهديد التوازنات الإقليمية وهو إصرار الولايات المتحدة على إلغاء المؤسسات الإقليمية وإصابة القوى الأساسية بالشلل وتشجيع الصغار على تجاوز حدود فعاليتهم الإقليمية. وصولا إلى نشر الفوضى الإستراتيجية بغية إعادة تركيب المنطقة وفق تصورات الولايات المتحدة .

سادسا ـ تجاهل التناقضات الإقليمية تحاول الولايات المتحدة تطبيق مشروعها في منطقة عابقة بالتراث وبالتالي بتأريخ من الاحقاد الدينية فيصبح من الحماقة التفكير في جمع تلك الأحقاد التأريخية في تصور موّحد. فالتأريخ لم ينته ولم يات بالمصادفة. إذ تتوزع دول وشعوب المنطقة وفق نسيج حضاري يضم ملامح التأريخ المشترك لكنه يحتوي أيضا على تأريخ الخلافات بين المكونات الحضارية للمنطقة .

سابعا ـ إن المراجعة التأريخية لمحاولات تغيير الجغرافية غير مشجعة فالعديد من حروب القرن العشرين انطلقت من ظلم معاهدة فرساي بما في ذلك الحرب العالمية الثانية والحروب العربية الإسرائيلية .

ثامنا ـ إن معارضة الأمركة المتحولة إلى الفاشية هي معارضة عالمية . بدليل اضطرار بوش لخوض حرب العراق بدون موافقة مجلس الأمن الدولي وحتى حلف الأطلسي .

تاسعا ـ إعلان الولايات المتحدة الصريح عن رفض هيكلية الأمم المتحدة وذلك عبر تجاوزها والدعوة لإعادة هيكاتها..

عاشرا ـ الخطأ القاتل بتحويل دلالة الشرق الأوسط المسلّم عبرإعلان الصدام مع الإسلام (هنتنغتون) واستخدام مصطلح الحرب الصليبية. والأهم بطرح الشرق الأوسط الكبير بشعوب إسلامية وشراكة يهودية.

ملخص القول أن الديمقراطية والإصلاح السياسي قضيتان استراتيجيتان لذا كان لابد من فضح وتعرية النوايا الحقيقية الأمريكية وراء شعار الديمقراطية والإصلاح السياسي للعالم العربي. فالمطلوب العمل من خلال شعارات الديمقراطية والإصلاح السياسي باعتبارها قضية مصيرية واساسية وذلك بسبب المأزق المأساوي التي تعيشه بلداننا العربية اليوم. ولايمكن لأي إصلاح داخلي في الظروف الراهنة أن يتجاوز بعض مظاهر هذا المأزق المتمثلة بـ :

- استتباب سلطات كومبرادورية في الحكم وخضوعها لسياسة تكيف وحيد الجانب إزاء الرأسمال المعولم من دون قدرة على ممارسة أي ضغط يسمح بتخفيف حدة التبعية ويضع شروطا مقبولة لعملية التكيف المفروضة.

- ضعف القاعدة الإجتماعية للأنظمة واستنادها للأمنية والبيروقراطية لتثبيت دعائم سيطرتها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- استمرارالتقاليد السلطوية والمفاهيم المتخلفة لفكرة الدولة وعلاقة السلطة بالمجتمع مضافا إليها فساد منظم ومنفلت من رأس الهرم نزولا حتى أبسط خلايا المجتمع.

- انهيار مشاريع التنمية واستفحال التخلف التكنولوجي وتراجع معدلات النمو والديون والإستقطاب الإجتماعي والبطالة والتهميش وهجرة الريف وأحزمة البؤس[١٥٨] . كما أن مستقبل الديمقراطية يستوجب بالتأكيد النظر في خصوصيات واقعنا العربي لا للحفاظ على هذا الواقع وتكريسه كما تهدف لذلك الأنظمة العربية الحاكمة بتعكزها على موضوع الخصوصية بل لنكون أكثر قدرة على مواكبة حركة المتغيرات في عصرنا بما يمكننا من خلق مقومات النهوض بواقعنا وفق حاجاتنا وامكانياتنا. وعلى أساس ماتقدم نرى :

- أن المهمة الأولى في مجال تحقيق الديمقراطية وتعميمها، هي مهمة بناء الدولة الحديثة بمؤسساتها الديمقراطية وأهمها المؤسسات التمثيلية التي توفر تداولا ديمقراطيا للسلطة.وبدونها لن تتوفر شروط تحقيق الديمقراطية وتعميمها في المجتمع. وهنا تبرز أهمية تحرّك الأحزاب الوطنية والديمقراطية في عملية التحول الديمقراطي في داخلها وفي علاقاتها مع بعضها البعض، وبما يمكنها من التوصل لتسوية تأريخية تشكل مدخلا لضمان الإنتقال السلمي المتدرج إلى المجتمع الديموقراطي. كما أن قوى اليسارمطالبة بتجديد يطال كل بناها الفكرية والسياسية والتنظيمية وتوحيد صفوفها لترتفع إلى مستوى المهمات التأريخية الموضوعة أمامها وبما يمكنها من إستعادة ثقة الجماهير بها.

- تحقيق الديمقراطية وإحداث التغييرفي بنية التخلف الإجتماعي والسياسي والثقافي وفسح المجال أمام الإرتقاء بحقوق الإنسان وتحقيق العدالة الإجتماعية يتطلب تحقيق التوازن في مسيرتها بالعلاقة مع مسيرة الفروع الإقتصادية والإجتماعية. ويرتبط ذلك بثلاثة امور:

أولا - إدارة عملية التحول الديمقراطي، فتلك العملية ربما تكون الأكثر صعوبة مقارنة بإدارة أشكال أنظمة الحكم الأخرى حيث تتطلب منذ البداية بناء التناسب بين تنمية الكفاءات الإدارية وفق مفاهيم وأساليب تتفق والقيم الجديدة، وبين التوسع في العملية الديمقراطية حتى لاتتحول إلى حالات من الفوضى وتنمية الإنحرافات والصراعات التناحرية والإنفصالية السياسية والطائفية والمذهبية والاثنية .

ثانيا- إحداث التوازن بين العملية السياسية (التحول الديمقراطي) من جهة وتنمية الفروع الإقتصادية والإجتماعية من جهة أخرى وذلك في سياق تنمية شاملة وبما يؤدي إلى ولادة قيم جديدة وانتشارها وتجذرها في كافة حقول المجتمع من أجل تخفيف حدة الصراع مع قيم التراث القديم وحسمه لصالح القادم الجديد.

ثالثا- تأكيد الإستقلال الإقتصادي من أجل تعزيز الإستقلال السياسي. فطالما كانت عملية التحول الديمقراطي طريقة منهجية للتنمية الحضارية فهي تتطلب ربطها بهدف الإستقلال السياسي والإستقلال الاقتصادي، أي بالتحرر والعدالة في سياق تقليص الإستغلال الإقتصادي والخارجي [١٥٩].

١٥٨- مجموعة مؤلفين ، نحو تجديد المشروع الإشتراكي ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٩٧، ص ١٩٦.

١٥٩- الثقافة الجديدة ، (العدد ٢٩٤)، ص ٦٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة والإستخلاصات

لقد تحفّظ بعض الباحثين حول اختياري موضوع دراستي تلك، لقدمه، فمن وجهة نظرهم الأجدى أن يدور البحث حول روسيا الحديثة مثلا . لكن اعتقادنا أن أي انسان اعتيادي طبيعي لايستطيع ان يبني للمستقبل قبل أن يفهم كيف أمكن لمثل هذا الماضي ان يحصل ؟ فسائر عمليات التجديد لن تحقق أيْ نجاح إلّا بعد التوصل لأجوبة واضحة كيف حصل هذا الماضي ؟ وكيف تحولت ثورة أكتوبر الإشتراكية لنظام شمولي مغلق يتمتع بالإمتيازات يرأسه بطبيعة الحال سيد كلي الصلاحية والجبروت نظام يسيطر سيطرة محكمة على البراغي البشرية عبر استخدام أبشع واقسى أشكال العنف . وبالتالي فأن هذا لم يكن انحرافا ثانويا بسيطا عن ماركس وانجلس بل خروجا كاملا عن أطر الخطّة الاصلية. لقد كانت بايجاز خطة أخرى مختلفة تماما كما ذهب الى ذلك .

ومن السهل والمريح أيضا إلقاء التبعة على بعض الشخصيات القيادية ستالين مثلا، لكن الإستعانة بالمنهج العلمي الجدلي توضح أن أي تحليل حق لجذورالنظام السياسي الشمولي الستاليني ينبغي أن توضح أولا العلاقات القائمة بين أهم المجموعات والفئات . فلم تكن مهارة ستالين مؤهلة لأن تضمن له مثل ذلك النجاح الطويل لو لم تتوفر في الوقت نفسه البيئة الإجتماعية الحاضنة لمصالح وأمزجة لقوى اجتماعية محددة قد اصبح الظرف التاريخي مهيئا لتحقيقها.

ولم يكن هدف الدراسة إظهار مثالب النظام السياسي السوفيتي بقدرما كان مهما المساهمة في صياغة المشروع المستقبلي البديل. من هذا المنطلق سعت هذه الدراسة لتحليل طبيعة النظام السياسي السوفيتي وتحديد خصائصه ومعطياته وعلاقاته وتفاعلاته وإشكالياته وتحدياته ومصادر قوته وضعفه بما في ذلك أزمته العامة الشاملة التي أفضت في نهاية المطاف إلى انهياره وتفككه .

كما حاولنا عبر الصفحات السابقة تحليل السياسات الخارجية للقطبين تجاه دول العالم الثالث ومنطقة الشرق الأوسط بشكل خاص خلال الفترة من الخمسينات وحتى نهاية الحرب الباردة. وكما اتضح أن تلك المحاولة لم تكن يسيرة لأسباب عديدة أهمها أن السياسات الخارجية للدولتين القطبيتين تجاه المنطقة تحكمها وتؤثر بها اعتبارات عدة منها [١٦٠] :

أولا - حقائق البيئة العالمية ومؤثراتها .

ثانيا - الأوضاع والمؤثرات الإقليمية والمحلية .

ثالثا - طبيعة العلاقة الثنائية المباشرة بين القطبين ومدى مايعتريها من توتر أو يسودها من انفراج .

رابعا - طبيعة وأهداف السياسات الخارجية للدولتين القطبيتين في المنطقة .

خامسا - طبيعة عملية صنع السياسة الخارجية في كل من الدولتين القطبيتين .

١٦٠- للمزيد حول هذا الموضوع ينظر ممدوح محمود ، الصراع الامريكي السوفيتي في الشرق الاوسط ، مصدر سبق ذكره ،ص ٩٦-١٠٢

سادسا - طبيعة الأدوات والوسائل التي يلجأ اليها كل من القطبين لتحقيق أهدافه في المنطقة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وانطلاقا مما تقدم فأن الدراسة لم تكتف بتوضيح العلاقات الدولية في منطقة الشرق الأوسط من منظور أُحادي أيْ من خلال علاقة التنافس بين القطبين وحدها دون غيرها من الإعتبارات الأخرى السابق ذكرها، والتي تؤثر بصورة لايمكن التقليل من شأنها في مجرى تلك التفاعلات .

فقد شكّلت منطقة الشرق الأوسط أهمية تأريخية واستراتيجية عظمى على مدى التأريخ، وازدادت أهمية هذه المنطقة بعد اكتشاف النفط وماتحويه من احتياطيات كبيرة فصار هدف السيطرة على هذه المنطقة حلما يراود صناع القرار في القوى العظمى لما تعطيه ميزة السيطرة على هذه المنطقة من ضمان استمرار هيمنة القوة المسيطرة على باقي دول العالم .

ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ارتبطت منطقة الشرق الأوسط بظاهرة الصراع الدولي بين القوتين العظميين - الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي - والتي كانت السمة البارزة في النظام الدولي في هذه المرحلة. اذ كانت هذه المنطقة إحدى ساحات الصراع بين هاتين القوتين بهدف السيطرة عليها أو ضمها لمناطق النفوذ وبوسائل مختلفة تمثلت بعقد اتفاقيات الصداقة والتعاون تارة وعقد الصفقات التجارية والعسكرية تارة أخرى ومحاولة التواجد العسكري حول هذه المنطقة تارة ثالثة .

إلا أن أهمية هذه المنطقة في المدرك الإستراتيجي السوفيتي تأثرت بالمتغيرات التي طرأت على الإتحاد السوفيتي، فمع بروز مؤشرات الضعف السوفيتي في النصف الثاني من عقد الثمانينات من القرن الماضي تراجعت أهمية هذه المنطقة لصالح أولويات أخرى تمثلت بمحاولة إيجاد حلول للمشكلات التي كان يعاني منها الإتحاد السوفيتي وصولا إلى حد الإستسلام للسياسات الأمريكية في هذه المنطقة، وخير مثال على ذلك حرب الخليج الثانية. وقد حاول الإتحاد السوفيتي التغطية على هذه السياسة الإستسلامية بخطاب سياسي مظلل أسماه (التفكير السياسي الجديد). وقد رافق هذا الخطاب المظلل عملية البيروسترويكا التي استهدفت إخراج الإتحاد السوفيتي من أزمته العامة والشاملة التي كان يعيشها آنذاك .

وأوضحت الدراسة أن سياسة إعادة البناء في الإتحاد السوفيتي التي قادها ميخائيل غورباتشوف بين عامي ١٩٨٥-١٩٩١ لم تكن وليدة الصدفة بل تظافرت العوامل الداخلية والخارجية معا من أجل تطبيق البيروسترويكا، واستخدم غورباتشوف أسلوبا مظللا لإقناع الشعب من خلال طرح الشعارات السياسية والإقتصادية، فكان يؤكد دائما (على مواصلة السير في الطريق الذي بدأناه عام ١٩١٧). وأكّد ايضا بالقول (لم تكن لدينا رغبة في تغيير النظام السوفيتي (سلطة السوفيتات) فنحن على ثقة بأن الإشتراكية أكثر فاعلية من الراسمالية، ولكنه صرّح في آخر اجتماع له (بأن الإشتراكية فرضها ستالين علينا). أدّى نهج غورباتشوف إلى زوال الجزء الهام من المعسكر الإشتراكي (دول أوروبا الشرقية والإتحاد السوفيتي)، واختفاء مجلس التعاضد الإشتراكي وحلف وارشو. وأفضى إلى مايسمى بالنظام العالمي الجديد بقيادة الولايات المتحدة، أما أولى بدايات وثمار النظام الجديد فهي حرب الخليج الثانية التي قادتها أمريكا ضد العراق. وتم تكرارذلك ضد يوغسلافيا، ولم يكن ذلك إلّا بداية الخطرالمحدّق بالشعوب والأنظمة التي ترفض هيمنة القطب الواحد. حيث أن انهيار الإتحاد السوفيتي كان نقطة تحول في تأريخ العالم، فأدّى إلى تغيير جذري في موازين القوى العالمية وأصبحت علاقة غير متكافئة بين الطرفين، وهذا الأمر بدا واضحا في وثيقة التعاون الموقعة بين البلدين في كامب ديفيد في شباط عام ١٩٩٢. وكذلك في الميثاق الروسي الأمريكي للشراكة والصداقة في حزيران عام ١٩٩٢.

لقد أثّر تفكك الإتحاد السوفيتي في كانون الأول ١٩٩١ على السلوك السياسي الروسي تجاه تلك المنطقة، فتراجعت أولويتها، وبدأ التركيز على إنجاح عملية التغيير السياسي والإقتصادي التي شهدتها روسيا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإتحادية - وريثة الإتحاد السوفيتي - وما ترافق مع هذه العملية من ارتباط السياسة الخارجية الروسية بالغرب من أجل الحصول على المساعدات اللازمة للقضاءعلى الأزمات التي كانت تعاني منها روسيا الإتحادية، وكانت نتيجة هذا الإرتباط هو توافق السياسة الروسية مع السياسات الغربية تجاه هذه المنطقة وتقديم الكثير من التنازلات من أجل ضمان المساعدة الكافية . وتصب هذه المتغيرات في اتجاه إضعاف الموقف العربي جزئيا وكليا في الميزان الإستراتيجي في الشرق الأوسط ، الأمر الذي أضعف المكانة النسبية للدول العربية في منظومة التفاعلات الإقليمية في المنطقة . وجعلها أكثر قابلية للإبتزاز والإرغام في تعاملاتها مع كل من إسرائيل وتركيا وإيران، لاسيما خلال التعاملات المتعلقة بتسوية الصراع العربي الإسرائيلي والإتفاق على صيغ التعاون الإقليمي في المجالات الإقتصادية والأمنية وغيرها.

إلّا أن نقض الغرب لوعوده في إخراج روسيا من أزمتها أفضى في نهاية المطاف إلى إعادة تقييم السياسة الخارجية الروسية ومن زاوية المصالح القومية فعاد التركيز على أهمية هذه المنطقة في السياسة الخارجية الروسية ولكن افتقار روسيا لأدوات التاثير في السياسة الخارجية أضعف هذه السياسة ولم يعطها طابعا حيويا فظل الإهتمام الروسي بهذه المنطقة مرتبطا بالمكانة الدولية لروسيا .

ومع بداية العقد الحالي تغير المشهد السياسي الروسي، إذ أن رحيل الرئيس السابق بوريس يلتسن عن السلطة أخرج معه عوامل ضعف الدولة الروسية ثم بدأ الرئيس فلاديمير بوتين رحلة البحث عن مصادر قوة الدولة وتعزيزها ، فأبتدأ بانتهاج سياسة برغماتية قائمة على تحقيق الدورالمؤثر لروسيا على الصعيد الدولي ، وبالفعل تمكن الرئيس فلاديمير بوتين من تحقيق العديد من الأهداف التي رسمها على الصعيد الداخلي إذ تجاوزت روسيا أزمتها الإقتصادية التي قادتها في تلك المرحلة للضعف مستغلة بذلك امتلاكها لكثير من الموارد الطبيعية، فهي تملك ثامن احتياطي نفطي في العالم ويقدر بحوالي ٤٨ مليار برميل، وزادت روسيا من قدراتها الإنتاجية إذ أنها تعد ثاني أكبرمنتج للنفط في العالم بعد المملكة العربية السعودية بنسبة إنتاج تصل إلى ٧٥٠٠٠٠٠ برميل يوميا ، كما انها تمتلك أكبراحتياطي من الغاز الطبيعي عالميا ، ومثل هدف إنهاء الإعتماد على ماتحصل عليه من مساعدات خارجية الهدف الأعلى للسياسة الخارجية الروسية منذ مطلع العقد الحالي وذلك بزيادة الناتج المحلي الإجمالي و وبالفعل تمكنت البلاد من تحقيق نسب نمو عالية تراوحت بين ٤-٩ بالمئة منذ عام ٢٠٠٠ .

لقد تمكنت روسيا بفضل تلك المتغيرات من استعادة مكانتها الدولية بعد ان أدخلت مقومات القوة هذه (مساحة جغرافية شاسعة، قوة عسكرية تحتل المرتبة الثانية على مستوى العالم، معدل نمو اقتصادي عال و مقعد دائم في مجلس الأمن) مرحلة التوظيف .

إن امتلاك روسيا لمقومات الدولة العظمى ووجود رغبة في أداء دور فعال في السياسة الدولية انعكس على سياستها الخارجية حيال المنطقة العربية، فحرصت روسيا منذ مجيء الرئيس فلاديمير بوتين على استعادة مكانتها في المنطقة وأداء الدورالفاعل فيها، وقد تجلى هذا في الكثير من المواقف الملموسة ومنها الفيتو الروسي ضد التدخل الأمريكي في الأزمة السورية . وإضافة لما تقدم هناك بعض الإستنتاجات التي سنذكرها كالآتي :

- أصبح واضحا أننا نعيش اليوم في عالم تسيره المصالح و تفرض إرادتها على المعنيين بها رسم سياسات ووضع استراتيجيات لتحقيقها، سواء أكانت لأفراد أم لمجموعات أم لدول كبرى أو صغرى. فقد أدّى سقوط الآيديولوجيات والعقائد التي كانت تسير الدول وتوجهها، وتراجع مفاهيم القيم والأخلاق والعقائد التي سادت سابقا تحول العلاقات الدولية عن بعض قيمها السابقة لتصبح في خدمة مصالح مواقع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القوة والسيطرة في العالم، وبدأت الدول الكبرى تسعى لتحافظ على نفسها وأسباب قوتها وتعمل على استخدام علاقتها لتحقيق مصالحها عبر وسياتين، القوة الناعمة والقوة الصلبة أيُ استخدام دبلوماسية العلاقات الإنسانية والثقافية وغيرها جنبا إلى جنب مع القوة العسكرية.

- لم تعد الثورة كتغيير جذري وسريع وشامل في المجتمع والنظام السياسي تنتقل بمقتضاه السلطة السياسية من طبقة لأخرى، وهي الصيغة الأمثل للتغيير الإجتماعي وأن التطور التدريجي من وجهة نظر الباحثة هو الأفضل. خصوصا إذا أخذنا في الإعتبارالتكلفة البشرية التي تحدث أثناء الثورات والتي تكون احيانا أكبر من الإنجازات.

- إنّ دراسة التجربة أوضحت أن الحكم يكون دائما لنخبة، فالحديث عن حكم الجماهير يعد ضربا من الوهم لحد الآن. والسؤال هنا كيف ينبغي تفادي حكم النخبة؟ وماهي الوسائل والأدوات الكفيلة بتحقيق ذلك؟ باعتقادنا أن هذه القضية ينبغي أن تأخذ حيزا كبيرا لدى كل الطامحين للحرية والتقدم .

- كان للإنهيار أثر بالغ على الوطن العربي حيث أدّى إلى انعدام هامش المناورة المستقلة أمام الدول العربية وأفضى إلى تدهور مكانة الدول العربية في النسق الدولي وتراجع أهمية قضاياها، وأدى بالتالي إلى هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية واختلال التوازن الإقليمي في صالح إسرائيل وبعض القوى الإقليمية (إيران، تركيا) .

- كثيرا مايصادفنا منذ انهيار التجربة الإشتراكية، القول أن كل مقاربة لتلك التجربة التي انهارت بفعل تناقضاتها الداخلية دون أدنى شك، لايمكن أن تستوي إذا لم تأخذ في الإعتبار أثرها في تطور البشرية. وهي ضرورية أيْ النظر في إنجازاتها الإيجابية. في حين اثبتت التجربة المنهارة والكثير من وقائع التأريخ أن العبرة في أيْ نظام سياسي واقتصادي ليس فيما يمكن أن يحققه من انجازات هامة سرعان ما تتأكل ويجري التراجع عنها، وإنما العبرة بتحقيق إنجازات معقولة، ولكن بشكل تراكمي متصاعد وراسخ غير معرض للإنتكاس او الإنهيار .

- تجربة الحياة أثبتت أن الرأسمال أصبح عالميا ولديه أمميته ومراكزه القيادية العالمية . وهذا يتطلب من فصائل الطبقة العاملة حلّا لمشاكلها العالمية بمواجهتها للرأسمال العالمي. وانطلاقا من ذلك فقط تستطيع أن تحل مشاكلها الوطنية والمحلية، فالمشاكل المحلية والوطنية ليست مجردة عن مشاكل العالم ،بل هي جزء وحلقة منها. والخاصية الأولى اليوم للظرف الجديد هي اشتداد عالمية الظواهر وبالتالي اشتداد الصراع نفسه. كما أن توازن القوى العالمية هام جدا فيما يتعلق بصيرورة الإشتراكية نفسها، بمعنى أخر لايمكن فصل تطور الإشتراكية في بلد واحد فقط عن تطور العملية الثورية بمجملها.

- أخيرا بقدر مايتعلق الأمر بمستقبل الإشتراكية فيمكن رصده كما يقول ميليباند (من خلال واقع وجوهرالرأسمالية، فالقضايا التي تدينها والنظام الإجتماعي التي يحتضنها تشكل جزءً جوهريا من نظامها، وبذلك مهما بلغت التحسينات التي يمكن تحقيقها فتعد فكرة (رأسمالية ذات وجه إنساني) فكرة مشكوك فيها . فمن الممكن بالتأكيد تخفيف أشدّ مساوئ ومظالم النظام الرأسمالي ولكن من غير الممكن إزالة ألا إنسانية المتأصلة فيه [١٦١]. لأن لا إنسانيته تكمن في جوهره فالنظام الرأسمالي يتحدد ويتسم بثلاثة تناقضات أساسية هي باختصار :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١- علاقة إنتاج أساسية (العلاقة الرأسمالية) تحدد وضعية معينة لإستلاب العامل ووضعية القوانين الإقتصادية الرأسمالية.
٢- استقطاب عالمي لاسابق له في التأريخ.
٣- عجز عن الحد من تدمير الموارد الطبيعية مما يهدد مستقبل البشرية.

لايمكن كما يقول بوبيو، أن نغمض أعيننا عن رؤية ثلثي أو أربعة أخماس أو تسعة أعشار سكان العالم يعيشون في حالة فقر . لهذا مازال تحدي الشيوعية قائما رغم سقوط نظمها، لأن جوهر الصراع الذي يدور حول العدالة الإجتماعية أعمق بكثير من جولات التأريخ والسياسة في مواجهة هذه الحقيقة، يخلص بوبيو إلى أن مثال المساواة هو النجم القطبي الذي يهدي اليسار في مهمته التي لم ينجزها بعد ويكاد لم يباشر به [١٦٢] .

١٦١- ميليباند رالف، الاشتراكية لعصر شكاك ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢.

١٦٢- الثقافة الجديدة ، (العدد ٢٩٣)، ص ٥٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر

أولا ـ الوثائق

١ـ الدستور ، القانون الأساسي لإتحاد جمهوريات السوفيت الإشتراكية ، دار سعد ، بغداد ١٩٩٥.

٢ـ دستور اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية (القانون الاساسي)، مجلس السوفيت الاعلى في الاتحاد السوفيتي ، تشرين اول ١٩٧٧، دار التقدم ،موسكو ,١٩٨٠

٣ـ النظام الداخلي للحزب الشيوعي السوفيتي ١٩٨٦، دار وكالة نوفوستي ، موسكو .

٤ـ الوثيقة الفكرية الصادرة عن المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي العراقي .

٥ـ وثائق المؤتمر الوطني الثامن للحزب الشيوعي العراقي .

ثانيا ـ الكتب العربية والمترجمة

١ـ أ ابادوري ـ ترجمة عبدالله حسين ـ استخدام القوة في العلاقات الدولية ـ الدار القومية ـ القاهرة ـ السنة بلا .

٢_ايمانويل تود_مابعد الامبراطورية ،دراسة في تفكك النظام الامريكي_ترجمة محمد زكريا اسماعيل _دار الساقي _بيروت ٣_٢٠.

٣. اسكندر غطاس ـ التنظيم السياسي في الدول الاشتراكية ـ دراسة تأهيلية مقارنة دار الهنا للطباعة ـ القاهرة ١٩٧٢ ٤ـ أندرو روستاين ـ ترجمة سعدية غنيم ـ العالم الثالث والتعايش السلمي ـ الدار القومية ـ القاهرة ـ السنة بلا.

٥_ أنور عبد الملك ـ تغير العالم ـ سلسلة علم المعرفة ـ الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ـ ١٩٨٥ .

٦_ايزال دويتشر ـ ترجمة محمد خليل مصطفى ـ الصراع بين روسيا والغرب ـ الدار القومية ـ القاهرة .

٧ـ امين السيد شلبي ـ الوفاق الامريكي السوفيتي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٩٦٣ـ١٩٧٦ـ١٩٨١.

٨_اسماعيل صبري مقلد ـ تحركات العملاقين على طريق الوفاق السياسة الدولية السنة بلا .

٩ـ اندريه امالريك ـ هل يبقى الاتحاد السوفيتي حتى عام ١٩٨٤ دار النهار للنشر ـ بيروت ١٩٧٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠- الفرد اكسنفلدت ـ النظم الاقتصادية عند التطبيق ترجمة شكران العبد ـ الدار القومية للطباعة والنشر السنة بلا . ٤٨- سعد حقي توفيق ـ تاريخ العلاقات الدولية ـ مكتبة السنهوري السنة بلا .

١١- ايمان يحي ـ مستقبل الجمهوريات السوفيتية ـ مستقبل العالم الاسلامي ـ مركز دراسات العالم الاسلامي ـ مالطا ـ السنة الثالثة شتاء ,١٩٩٢

١٢_أنور معيث_الفكر العربي وتحولات العصر_دار الفارابي بيروت_٢٠٠٦._سمير.

١٣ امين_من نقد الدولة السوفيتية الى نقد الدولة الوطنية مركز البحوث العربية_القاهرة ,١٩٩٢

١٤ _اسماعيل صبري مقلد_الاستراتيجية الامريكية في العصر النووي_مجلة السياسة الدولية.عدد(٣)١٩٦٦. ١٥_اسماعيل صبري مقلد_أمن الخليج وتحديدات الصراع الدولي شركة الربيعان للنشر_الكويت_السنة بلا. ١٦_ اسماعيل صبري مقلد_الاستراتيجية الدولية في عالم متغير قضايا ومشكلات _شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع الكويت ١٩٨٣.
١٧_السيد أمين شلبي_الوفاق الامريكي السوفيتي_الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٨٩ ١٨ _الفريد هاليري_نهاية الحرب الباردة والعالم الثالث ترجمة عبد الله النعيمي_صحارى للصحافة والنشر بودابست _,١٩٩٣

١٩_ابراهيم ابو خزام_العرب وتوازنات القوى في القرن الحادي والعشرين _مكتبة طرابلس_طرابلس.١٩٩٧

٢_احمد علي عتيقة _الوطن العربي والمستجدات الاقليمية والدولية من كتاب الواقع العربي وتحديات قرن جديد مؤسسة عبد الحميد شومان عمان١٩٩١.

٢١_اليكس اسلييف_روسيا في الشرقي الادنى والاوسط من الرسولية الى البراغماتية.ترجمة المركز العربي للصحافة والنشر مكتبة مدبولي_١٩٩٨

٢٢_أوجين كامنكا_الاسس الاخلاقية للماركسية _ترجمة مجاهد عبد المنعم _المركز القومي للترجمة.٢٠١١.

٢٣_امل محمد ثامر وياسر علي المشهداني_العولمة وفجوة الامن في الوطن العربي_عمان _مجدلاوي للنشر ٢٠٠٤ ٢٤ـ بيرغين – الاتحاد السوفيتي والطبيعة الارض والسكان ـ دار التقدم – موسكو.

٢٥- بيير سويزي ـ الماركسية بعد ماركس ـ ترجمة جورج طرابيشي سلسلة الثقافة المعاصرة ـ دار الطليعة ـ بيروت ,١٩٧٥

٢٦_ بول كنيدي_نشوء وسقوط القوى العظمى_ترجمة مالك البديري_الاهلية للنشر والتوزيع _لبنان بيروت٢٠٠٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٧- تروفسكي ـ رسالة الى اللجنة المركزية ، في جورج لوكاش واخرون في التنظيم الثوري ـ ترجمة جورج طرابيشي ـ دار الطليعة بيروت ١٩٧٢ .

٢٨- تشارلس او ليرش ـ الحرب الباردة وما بعدها تعريب فاضل زكي محمد ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٩٧٦ .٢٩_جان بروها_تاريخ الاتحاد السوفيتي _ترجمة وليم فوري_مؤسسة النوري للنشر والتوزيع_دمشق_السنة بلا. ٣٠_جلبير الاشقر_الشرق الملتهب_دار الساقي_بيروت لبنان ٢٠٠٤.

٣١ _ جورج طرابيشي ـ الماركسية والمسألة القومية ـ دار الاداب بيروت ١٩٩٦

٣٢- جورج لوكاش ـ التاريخ والوعي التطبيقي ـ ترجمة حنا الشاعر ـ دار الاندلس ـ بيروت,١٩٧٩

٣٣ - جوزيف ستالين ـ حول مسائل اللينينية ـ سلسلة المكتبة الاشتراكية ـ دار دمشق ـ السنة بلا .

٣٤- جوزيف ستالين ـ النظرية الماركسية اللينينية ـ دار الفارابي ـ بغداد ١٩٥٩

٣٥ _ حميد رشيد عبد الوهاب ـ العراق المعاصر ـ دار الهدى للثقافة والنشر ـ سورية ـ دمشق ٢٠٠٢_

٣٦ ـ حسان محمد شفيق العاني ـ الانظمة السياسية والدستورية المقارنة ـ جامعة بغداد ـ ١٩٨٨

٣٧_حسام سويلم_التوجه الايراني الجديد في الخليج العربي_المضامين والاحتمالات _مختارات ايرانية_مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ٤٨٤ سنة٢٠٠٤

٣٨_خضر سعيد الشفيع ـ الفكر العربي وتحولات العصر ـ دار الفارابي بيروت لبنان ـ ٢٠٠٦ .

٣٩_دانيال كولار ـ العلاقات الدولية ـ ترجمة خضر خضر ـ بيروت ـ دار الطليعة للطباعة والنشر ١٩٨٥ .٤٠_رفعت السعيد _ماركسية ماركس_الاهالي للطباعة والنشر سورية _دمشق.,١٩٩٨

٤١ _رفعت السعيد_ماركسية المستقبل_الاهالي للطباعة والنشر دمشق,١٩٩٥

٤٢ _رالف ميليباند_الاشتراكية لعصر فحاك_ترجمة نوال لايقة دار المدى للثقافة والنشر _سورية دمشق_,١٩٩٨

٤٣ _روبرت غيلبن_الحرب والتغيير في السياسة العالمية_ترجمة عمر سعيد الايوبي_دار الكتاب العربي_بيروت لبنان ٢٠٠٩

٤٤_رضا هلال _المسيح واليهودية ونهاية العالم المسيحية السياسية والاصولية في امريكا _كولامبور مكتبة الشروق٢٠٠٤

٤٥- روزا لوسمبرغ ـ كتابات مختاره ـ دار الطليعة ـ بروت ١٩٧١

٤٦- روجيه غارودي ـ في سبيل نموذج وطني للاشتراكية ترجمة فؤاد ايوب ـ دار دمشق ـ السنة بلا

٤٧- روبرت ماكنمارا ـ مابعد الحرب الباردة ـ ترجمة محمد حسين يونس ـ دار الشروق للنشر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤٨- راشد البراوي ـ المذاهب الاشتراكية المعاصرة ـ دراسة مقاربة مكتبة الانجلو مصرية ـ القاهرة ـ السنة بلا.

٤٩_روبرت ماكنمارا ـ مابعد الحرب الباردة ـ ترجمة محمد حسين يونس ـ دار الشروق للنشر ١٩٩١

٥٠_زكي العابدين واخرون_المعنى والقوة في النظام العالمي الجديد _ترجمة سوزان خليل_سينا للنشر القاهرة ١٩٩٤ ٥١_س.غ.لوزانين_عودة روسيا الى الشرق الكبير _ترجمة هاشم حمادي دار المدى للثقافة والنشر _,٢٠١٢

٥٢ _ساندرا مكي_الملفات السرية للحكام العرب_عرض وتحليل وتقديم هشام خضر القاهرة ٢٠٠٤.

٥٣_سويم العزي_دراسات في علم السياسة_الثراء للنشر والتوزيع ٢٠٠٩

٥٤_سمير امين _في مواجهة ازمة عصرنا _الانتشار العربي ١٩٩٧.

٥٥ _ سمير امين امبراطورية الفوضى_ترجمة أبو شقرا دار الفارابي_بيروت ,١٩٩١

٥٦ ـ سعد حقي توفيق ـ مبادئ العلاقات الدولية ـ الاكاديمية العربية في الدانمارك ـ السنة بلا

٥٧- سويم العزي ـ الدكتاتورية الاستبدادية ـ والديمقراطية والعالم الثالث المركز الثقافي العربي ـ ١٩٨٧

٥٨_سعد حقي توفيق_النظام الدولي الجديد _الاهلية للنشر واتوزيع _عمان الاردن_,١٩٩٩

٥٩_سيار الجميل_الخيارات الفكرية والسياسية لدى العرب والاتراك في العلاقات العربية التركية ،حوار مستقبلي او رهان كوروغلو واخرون _مركز دراسات الوحدة العربية _بيروت ,١٩٩٥

٦٠ _سعد حقي توفيق_العوامل المؤثرة في سباق التسلح السوفيتي _المجلة العربية للعلوم السياسية_العددان(٣_٤)جامعة القاهرة _مصر_١٩٨٩.

٦١_ستيفن اميروز_الارتقاء نحو العالمية_السياسة الخارجية الامريكية منذ ١٩٣٨ ترجمة نادية الحسني_المكتبة الاكاديمية للنشر_القاهرة ١٩٩٤

٦٢- ستانسلاف منشيكوف ـ ثقافة جديدة ـ عدد ٢٨٤ .السنة .

٦٣_سعد حقي توفيق ـ علاقات العرب الدولية في مطلع القرن الحادي والعشرين ـ عمان ـ دار وائل للطباعة والنشر_٢٠٠٣

٦٤ _ ساتاكويف وكابتشنكو ـ السياسة الخارجية الاشتراكية في النظرية والتطبيق ـ دار التقدم ـ موسكو ١٩٧٥ .٦٥_شمعون بيريز _الشرق الاوسط الجديد _ترجمة محمد حلمي عبد الحافظ _عمان _الاهالي للنشر والتوزيع ١٩٩٤ ٦٦- صعب حسن ـ علم السياسة ـ دار العلم للملايين ـ السنة بلا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦٧ـ صالح جواد الكاظم وعلي غالب العاني ـ الانظمة السياسية ـ جامعة بغداد ١٩٩٠ـ١٩٩١ .

٦٨ _عدنان سليمان الاحمد وعدنان المسجاني_قضايا معاصرة.دار وائل للنشر والتوزيع _الاردن _عمان ,٢٠٠٥

٦٩ ـ عبد الحميد البطريق ـ التيارات السياسية المعاصرة دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٧٤ .

٧٠ _عبد الناصر جندلي_اثر الحرب الباردة على الاتجاهات الكبرى والنظام الدولي_مكتبة مدبولي _القاهرة _ ٢٠١١ ٧١ـ عبد الخالق عبدالله ـ العالم المعاصر والصراعات الدولية ـ سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ١٩٨٩ .

٧٢ ـ علي عودة العقابي ـ العلاقات الدولية ـ دار الرواد ـ ٢٠١٠

٧٣ـ عبد القادر محمد فهمي ـ المدخل لدراسة الاستراتيجية ـ بغداد ٢٠٠٤

٧٤ـ علاء أبو عامر ـ العلاقات الدولية ـ دار الشروق ـ الاردن عمان ٢٠٠٤ ٧

٧٥ـ غوسيموف ونعيموف ـ الاتحاد السوفيتي ـ لمحة تاريخية موجزة ـ دار التقدم ـ موسكو ١٩٧٧

٧٦ـ غريغوري فودولازوف ـ مجلة النهج ـ عدد ٣٥ ـ ٣٦ .

٧٧ _غيوث غييف.الاتحاد السوفيتي.دار التقدم .موسكو_,١٩٧١

٧٨ _فيليب روبنسن _تركيا والشرق الاوسط_ترجمة ميخائيل نجم خوري_دار قرطبة للنشر والتوثيق والالحاد السنة بلا.

٧٩ _فاروق حامد بدر_تاريخ افغانستان _مكتبة الاسكندرية السنة بلا.

٨٠ _فرنسيس فوكوياما_نهاية التاريخ _ترجمة حسن الشيخ دار العلوم _بيروت_١٩٩٣.

٨١ _ فلاديمير كورويدوف ـ الاديان في الدولة السوفيتية دار التقدم ـ موسكو ١٩٨٤ .

٨٢ـ فلاديمير ايلتش لينين ـنصوص حول المسألة القومية ـ مختارات جديدة ترجمة جورج طرابيشي ـ دار الطليعة ـ بيروت . ١٩٧٢

٨٣ـ فلاديمير ايلتش لينين ـ مرض اليسارية الطفولي في الشيوعية ـ سلسلة المكتبة الاشتراكية العلمية ـ دار التقدم ـ موسكو ١٩٧٠ .

٨٤ـ فلاديمير ايلتش لينبن ـ الرسائل والمقالات الاخيرة ـ دار التقدم ـ موسكو ـ ١٩٦٨ .

٨٥ـفانتيس اندرياس ـ الامن الاوربي واعداء قبرص دراسات اشتراكية ـ القاهرة ـ دار الهلال ـ عدد٥ ـ ١٩٧٨ .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

٨٦-*فروتشوف ـ تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي مكتبة المطبوعات الشعبية ـ دمشق ـ بيروت ١٩٥٦* ٨٧-كارن ابو الخير ـ السياسة الدولية ـ العدد التاسع والثمانون بعد المئة ـ يوليو ٢٠١٢ .

٨٨_كاتا ميدزه فياتشيسلاف _كامب ديفيد من الذي كسب ومن الذي خسر_وكالة نوفوستي

٨٩_كريم مروه_كريم مروه يتذكر بما يشبه السيره_دار المدى للثقافة والنشر_دمشق سورية_,٢٠٠٢

٩٠_كريم مروه_حوار الايديولوجيات_دار الفارابي_بيروت لبنان ١٩٩٧

٩١_ليونيد ميسين_تاريخ روسيا الحديثة ترجمة طه الولي_دار علاء الدير_السنة بلا.

٩٢_لطفي حاتم_اراء حول التوسع الرأسمالي_فيشون ميديا _فكشو السويد ,٢٠٠٧

٩٣- لطفي الخولي ـ الصراع على السلطة في روسيا الاتحادية ـ السياسة الدولية ـ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاصرام القاهرة (عدد١٠٨) ابريل ١٩٩٢

٩٤- ليونيل بريجنيف ـ تقرير اللجنة المركزية المقدم الى المؤتمر ٢٤ للحزب الشيوعي السوفيتي ٣٠ مارس ١٩٧١ وكالة نوفوستي للانباء .

٩٥_لويس دولو ـ التاريخ الدبلوماسي ـ ترجمة سموحي فوق العادة ـ بيروت ـ منشورات ـ عويدات ١٩٨٢ .

٩٦- ليونيل بريجنيف ـ تقرير اللجنة المركزية المقدم الى المؤتمر ٢٤ للحزب الشيوعي السوفيتي ٣٠ مارس ١٩٧١ وكالة نوفوستي للانباء .

٩٧ - *ل غريغوريان ـ مبادئ الدستور السوفيتي ـخيري الضامن دار التقدم ـ موسكو ١٩٩٠* ٢٦- وليد عبد الحي ـ الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية الجزائر ـ شركة شهاب ١٩٩١ . ٢٧- كولن باون وبيتر مونيـ من الحرب الباردة حتى الوفاق ١٩٤٥ ـ ١٩٨٠ ـ تعريب صادق ابراهيم عودة دار الشروق للنشر ـ ١٩٩٥

٩٨_ميشال لوساج – النظام السياسي والاداري في الاتحاد السوفيتي - منشورات عويدات – بيروت ١٩٨٣ .

٩٩- مارسيل ميرل ـ سوسيولوجيا العلاقات الدولية ـ ترجمة حسن نافعة دار المستقبل العربي ـ القاهرة ـ ١٩٨٦ .

١٠٠_ محمد اسامة عبد العزيز ـ السياسة الدفاعية الروسية في بداية القرن الواحد والعشرين ـ مجلة السياسة الدولية ـ العدد ١٤٢ ـ ,٢٠٠٠

١٠١ - محمد حرب ـ المسلمون في اسيا الوسطى والبلقان ـ المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي ـ القاهرة ـ ١٩٩٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠٢ـ محمد منذر ـ مبادئ في العلاقات الدولية ـ مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ٢٠٠٢.

١٠٣ـ ملفين جودمان ـ موسكو والشرق الاوسط خلال السبعينات ـ ترجمة عبدالله جمعة

ـ مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ـ ابو ظبي ١٩٩٦ .

١٠٤ـ مجموعة من الباحثين ـ حال الامة العربية ٢٠١٠ ـ ٢٠١١ رياح التغيير ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ ٢٠١١ .

١٠٥ـ مارتن نيكولاس ـ اعادة الرأسمالية في الاتحاد السوفيتي ترجمة احمد سليم ـ حركة العمال الاشتراكية بيروت ١٩٧٧ .

١٠٦ـ ميخائيل غورباتشوف ـ البيروسترويكا ـ ترجمة عباس خلف شركة المعرفة ـ بغداد,١٩٩١

١٠٧ـ مازن البندل ـ هكذا انهارت الدولة السوفيتية مجلةالجبل ـ العدد ١٥ المجلد ١٢ مؤسسة الجبل للصحافة بيروت ١٩٩١

١٠٨ـ مجموعة مؤلفين ـ ما بعد الماركسية ـ دار المدى للثقافة والنشر ١٩٩٨

١٠٩ـ مازن اسماعيل الرمضاني ـ القوى الدولية الجديدة والعرب في ظل النظام العالمي الجديد ومخاضاته ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ١٩٩٢

١١٠_محمد ابراهيم فضة_مشكلات العلاقات الدولية _شركة المطابع النموذجية _عمان _,١٩٨٢

١١١_محمد علي سبتي_دراسات في الحرب العراقية الايرانية دار الحرية للطباعة بغداد ,١٩٨٧

١١٢ _مايكل ابالمر_حراس الخليج _ترجمة نبيل زكي الاهرام للترجمة والنشر .القاهرة,١٩٩٥

١١٣ _ممدوح محمود مصطفى منصور_الصراع الامريكي السوفيتي في الشرق الاوسط_مكتبة مدبولي _السنة بلا.

١١٤_محمد علي حوات_مفهوم الشرق أوسطية وتأثيراتها على الامن القومي العربي_مكتبة مدبولي_,٢٠٠٢

١١٥ _مجموعة مؤلفين_انهيار الاتحاد السوفيتي وتأثيراته على الوطن العربي_مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية_القاهرة ,١٩٩٢

١١٦ _مجموعة باحثين_نحو تجديد المشروع الاشتراكي_دار الفارابي_بيروت ,١٩٩٧

١١٧ _مجموعة مؤلفين_مابعد الماركسية _المدى للثقافة والنشر سورية_دمشق,١٩٩٨

١١٨ _محمد عوض الهزايمة_قضايا دولية_جامعة العلوم التطبيقية عمان ٢٠٠٥

١١٩_ناصيف متي_الادارة الامريكية للامكانيات الدولية _العرب ومواجهة اسرائيل احتمالات المستقبل (ندوة مركز دراسات الوحدة_بيروت ,٢٠٠٠

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

١٢٠ _نعوم تشومسكي_روبيرت فيسك واخرون_الحرب الامريكية على العراق_ترجمة ناصر ونوس_دار البلد للنشر والتوزيع _سورية _دمشق ,٢٠٠٣

١٢١ _نورهان الشيخ ـ دور النخبة الحاكمة في هيكلة السياسة الخارجية القاهرة ـ ٢٠٠٠

١٢٢- هنري حاماني ـ منطق الذئب ـ مباحث سياسية ـ بيروت ـ ٢٠٠١

١٢٣- هيلين كارلير داكلوس ـ القوميات والدولة الروسية ـ ترجمة هنري عبود ـ ١٩٧٩ .

١٢٤- هيلين كارير داكلوس ـ نهاية الامبراطورية الروسية ـ مستقبل العالم العربي ـ ١٩٩٢ .

١٢٥ _هيثم كيلاني _ جيوش الشرق الاوسط وتحديات القرن العشرين _قضايا استراتيجية _المركز العربي للدراسات الاستراتيجية _دمشق عدد ٧ يناير,١٩٩٧

١٢٦ _هيثم الكيلاني.البعد الامني لمعاهدة السلام الاردنية الاسرائيلية والاتفاقية العسكرية التركية الاسرائيلية في مستقبل الترتيبات الاقليمية في منطقة الشرق الاوسط_اشراف سمعان بطرس الله في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم_معهد البحوث والدراسات العربية.القاهرة _١٩٩٧.

١٢٧ _يليام بلوم_دولة الاشرار _ترجمة مازن المغربي_دار الرأي _دمشق_السنة

١٢٨ _يوسف ناصيف_القوة الخمس الكبرى والوطن العربي مركز دراسات الوحدة العربية١٩٨٧.

ثالثا - الاطاريح والرسائل الجامعية

١- لمى مضر الامارة ، الاستراتيجية الروسية وانعكاساتها على المنطقة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،٢٠٠٩،اطروحة دكتوراه منشوره

٢- نورهان الشيخ ، دور النخبة الحاكمة في اعادة هيكلة السياسة الخارجية ، جامعة القاهرة ، القاهرة ،٢٠٠٠.

رابعا _البحوث والدراسات العربية والمترجمة

١ _أحمد الرشيدي _تركيا والامن القومي العربي_مجلة المستقبل العربي_مركز دراسات الوحدة العربية بيروت عدد (١٦٩)١٩٩٢.

٢ _أحمد عبد الحليم_القوى النتوية في الشرق الاوسط في القرن الحادي والعشرين حقائقها واحتمالات تطورها مجلة المستقبل العربي_مركز دراسات الوحدة العربية بيروت.العدد(٢٦١),.٢٠٠١

٣ _أحمد منيسي_الاستراتيجية الامريكية_نزوع امبراطوري ينذر بفوضى دولية_٢٠٠٢

٤ _أحمد ثابت_الحد من التسلح والاستراتيجية الامنية العامة في المنطقة_ورقة قدمت الى ندوة مستقبل الترتيبات الاقليمية في منطقة الشرق الاوسط وتأثيراتها على الوطن العربي القاهرة كانون الاول١٩٩٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥_ابراهيم عرفان_اسيا الوسطى والتنافس الدولي في منطقة مغلقة_مجلةالسياسة الدولية _مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية _العدد(١٦٧).يناير كانون الثاني.٢٠٠٧م

٦_اسماعيل صبري مقلد_مبدأكارتر_مجلة اتجاهات الاعلامية مجلة اتجاهات اعلامية الكويت _العدد الاول.المجلد الاول .,١٩٨١

٧_أحمد طه محمد.ايران بين التكتلات الاقليمية والتحولات الدولية مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية _العدد (١٢٧)_سنة (٣٣)يناير كانون الثاني.١٩٩٧م

٨_.باري بلتشمان _من الزاوية الافغانية_مجلة السياسة الدولية ترجمة سوسن حسين.

٩_جاسر الشاهد_تأثيرات استراتيجيات السياسة على حلف الناتو مجلة السياسة الدولية _العدد(١٢٩).١٩٩٧

١٠_جعفر ضياء جفعر _نعمان النعيمي_الاعتراف الاخير (حقيقة البرنامج النووي العراقي)،مركز دراسات الوحدة العربية لبنان بيروت _ايار ٢٠٠٥م.

١١_جون جونيور رشتيار_تاريخ الحزب الشيوعي السوفيتي تعريب فوزي قيلان.

١٢_حسين عبد الرزاق _النهج العدد (٦٣)_,٢٠٠١

١٣_حسام سويلم_التوجه الايراني الجديد في الخليج المضامين والاحتمالات مختارات ايرانية_مركز الاهرام للدراسات الاستراتيجية العدد (٤٨).

١٤_حسن براري_أمن اسرائيل (صراع الايديولوجية والسياسة كراسات ستراتيجية .السنة

١٥_العدد (١٤٣).٢٠٠٤.القاهرة.الاهرام.

١٦_حسين علي الجميلي_مستقبل العلاقات الروسية مع الجمهوريات الاسلامية (السوفيتية سابقا)الفرص والتحديات _المجلة القطرية للعلوم السياسية_جامعة بغداد _العدد(٢).٢٠٠٢م.

١٧_خليل ابراهيم العزاوي وفؤاد عوني.النظام الشرق أوسطي (الاهداف السيناريو والتصورات)بحث منشور في مجلة مركز دراسات الشرق الاوسط_الجامعة المستنصرية _العدد(٢)كانون أول١٨,١٩٩٦

١٨- .دوغلاس كلنر_الماركسية الغربية_ترجمة كامل شياع مجلة الثقافة الجديدة _العدد(٣٢٩)_بغداد٢٠٠٩

١٩-رئيس الحزب الشيوعي السوفيتي(اتحاد الاحزاب الشيوعية)_جريدة نضال الشعب_العدد(٦٨٧).١١_١_٢٠٠٢

٢٠_سعيد مضية.مجلة الطريق _العدد السادس_٢٠٠٢

٢١_.سلمان هاني سلمان_المجلة السياسية والدولية_الجامعة المستنصرية .السنة بلا_,٢٠٠٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٢_.سالم عبد الجبار العبد الرحمن_السياسة العسكرية النووية لاسرائيل بين التسعينات ومطلع الحادي والعشرين مجلة الدفاع _العدد (١٣٠).١٠_٤_,٢٠٠٣

٢٣._شبلي تلحمي_السياسة الامريكية في الشرق الاوسط والصراع العربي الاسرائيلي _مركز الامارات للدراسات والبحوث ابو ظبي_١٩٩٧م.

٢٤_.عارف العارف_النكبة(نكبة بيت المقدس المفقود (١٩٤٧_١٩٥٢)_منشورات المكتبة المصرية للطباعة والنشر بيروت (صيدا)_١٩٥٦م.

٢٥._علي الدين هلال_الموقف الامريكي والسوفيتي اثناء حرب اكتوبر ١٩٧٣_الندوة الاستراتيجية (حرب اكتوبر بعد ٢٥ عاما)المحور السياسي_تشرين الاول ,١٩٩٨

٢٦_.عبد القادر محمد فهمي_الصراع الدولي وانعكاساته على الصراعات الاقليمية_مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر _بغداد.١٩٩٠م.

٢٧_.عبد المنعم السيد علي_البعد الاقتصادي للنظام الشرق أوسطي مجلة أفاق عربية_السنة(١٩)تموز_اب ١٩٩٤.

٢٨ _عامر عبد الله _مقوضات الاشتراكية _الثقافية الجديدة العدد(٢٩٢)

٢٩._عاطف عبد الحميد _أبعاد الصراع على نفط اسيا الوسطى وبحر قزوين مجلة السياسة الدولية_مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية العدد (١٦٤)_ابريل _نيسان,٢٠٠٦

٣٠_ عبد العزيز سعيد _ماوراء الجغرافية السياسية_انهاء الصراع العرقي والمذهبي في الشرق الاوسط وشمال افريقيا _من كتاب امتطاء النمر وتحدي الشرق الاوسط بعد الحرب الباردة _تحرير قبي ماروليم لويس_ترجمة عبد الله الحاج _ابو ظبي مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ١٩٩٦م.

٣١_.فكرت نامق_مستقبل القضية الفلسطينية في ضوء مسار التسوية_مجلة ام المعارك_العدد(٣٠)وزارة الاعلام بغداد_,٢٠٠٢

٣٢_.فاروق البربير_عن أزمة العالم العربي وتقرير راند وريوريس _مجلة التاريخ العربي العالم السنة ٢٢العدد(٢٠)_تشرين ثاني_كانون اول ,٢٠٠٢

٣٣_.فوزي حماد وعادل محمد أحمد _مشكلات منطقة خالية من الاسلحة النووية وغيرها من اسلحة التدمير الشامل

٣٤_.فريد هاليدي.الازمة في الاتحاد السوفيتي والعالم العربي مجلة الباحث العربي.العدد (٢٣)لندن.نيسان حزيران ١٩٩٠.

٣٥_.مركز البحوث والمعومات _سلسلة الدراسات الاقتصادية _بغداد _١٩٨٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٦_.محمدنبيل فؤاد_الحد من التسلح والاستراتيجية الامنية العامة في المنطقة_ورقة قدمت الى ندوة مستقبل الترتيبات الاقليمية في منطقة الشرق الاوسط وتأثيراتها على الوطن العربي القاهرة كانون الاول,١٩٩٧

٣٧- الثقافة الجديدة ، العدد ٢٩٣، اصدارات الحزب الشيوعي ، بغداد

٣٨_.منار الشوربجي_اوباما والعالم الاسلامي_السياسة الدولية العدد(١٧٨)اكتوبر٢٠٠٩.

٣٩_مصطفى علوي_البيئة الدولية للمفاوضات السياسية الدولية مجلة السياسة الدولية_العدد(١١٤)_الاهرام_القاهرة١٩٩٣.

٤٠_.محمد الهزاط_الحرب الامريكية_البريطانية على العراق والشرعية الدولية_مجلة المستقبل العربي_العدد (٢٩٢).,٢٠٠٣

٤١_.محمد جواد علي_الخط النووي الصهيوني.اوراق فلسطينية_مركز الدراسات الدولية جامعة بغداد العدد(٤١٤)تموز

٤٢._منعم صاحي العمار_رغم سعيها الحثيث لاحتلال القدرة النووية_هل يملك ايران استراتيجية نووية.مرز الدراسات الدولية_جامعة بغداد_عدد(٣٠).١٩٩٩.

٤٣_.معتز محمد سلامة.مستقبل الدور الروسي في الكومنولث الجديد_مجلة السياسة الدولية_مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية_العدد (١١٢)نيسان ,١٩٩٣

٤٤._محمد السيد سليم_التحولات العلمية والتنافس الدولي على اسيا الوسطى_في كتاب اسيا والتحولات العلمية.مركز الدراسات الاسيوية في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ,١٩٩٨

٤٥_.محسن عوض_الاستراتيجية الاسرائيلية لتطبيع العلاقات العربية مركز دراسات الوحدة العربية (سلسلة الثقافة القومية_١٦)بيروت_,١٩٨٨

٤٦_.مصطفى أمين_مجلة الطريق اللبنانية_العدد(٢),٢٠٠١

٤٧._ميشيل شوسودوفسكي_عولمة الفقر_ت رزق الله هيلان مجلة النهج عدد(٢٢).ربيع ,٢٠٠٠

٤٨_.مفكرون كاثوليك يناقشون (ماذا بعد الماركسية)عن مجلة الاكودو الكاثوليكية في مدريد اعداد وترجمة ميشيل_نشرة الفكر السياسي .

٤٩_.محمود أبو الفضل_الصراع النفطي في اسيا الوسطى_مجلة السياسة الدولية_مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية_العدد (١٣١)_يناير كانون الثاني_١٩٩٨

٥٠_.محمد ذياب_اللعبة الكبرى في حوض قزوين وحرب الانابيب وعودة الاستقطاب_مجلة شؤون الاوسط_بيروت العدد(٧٩).كانون ثاني.١٩٩٩م.

٥١_.مالك عوني_الاستراتيجية العسكرية الامريكية وموقعها في السياسة الخارجية الامريكية_مجلة السياسة الدولية العدد(١٢٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥٢- مجموعة مؤلفين _الفكر العربي وتحولات العصر. دار الفارابي ، بيروت ٢٠٠٦.

٥٣- مفيناز محمد احمد_ثروات قزوين والتنافس الدولي في وسط اسيا _مجلة السياسة الدولية_مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية العدد(١٥٩)_يناير _كانون الثاني ٢٠٠٥م.

٥٤_.نبيل شبيب_شبح الاتحاد السوفيتي_مجلة قضايا دولية اسلام أباد_معهد الدراسات السياسية.العدد(٣٢٦)ابريل ١٩٩٦.

٥٥_.نزار اسماعيل عبد اللطيف الحيالي_روسيا وخيار نظام أمني اقليمي.نشرة قضايا دولية_نشرة متخصصة بالشؤون الروسية ودول القوقاز_بغداد_مركز الدراسات الدولية_العدد(٤٠)_٢٠٠٠م.

٥٦._نفين عبد الخالق_أزمة تفكك الكومنولث_انعكاسات التنافس الدولي والاقليمي_مجلة السياسة الدولية_مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية _العدد(١٢٠)_شباط

١٩٩٥,

٥٧_.نادر فرجاني_احتلال العراق بين ادعاءات التحرير ومطامح الاستعمار _مجلة المستقبل العربي_العدد (٢٩٣)بيروت_مركز دراسات الوحدة العربية_٢٠٠٣.

٥٨_.نقد ابراهيم نقد_مجلة النهج_العدد(٦٢)دمشق ٢٠٠١.

٥٩ _.نادية المختار_المشروع الامريكي الشامل للمنطقة العربية مجلة شؤون سياسية _مركز الجمهورية للدراسات الدولية العدد (٤),١٩٩٥

٦٠_.نورهان الشيخ_العلاقات الروسية _الاورانية بين أزمات الماضي وافاق المستقبل_مجلة السياسة الدولية.مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية_العدد(١٢٠).ابريل_١٩٩٥.

٦١_. نديم عيسى _ايران والجمهوريات الاسلامية المستقلة في اسيا الوسطى والقوقاز _نشرة الدراسات الدولية .مركز بحوث جريدة الجمهورية _دار الجماهير للطباعة _بغداد العدد الثاني_اذار ١٩٩٣

٦٢-هالة محمد احمد _ثروات بحر قزوين والتنافس الدولي في وسط اسيا مجلة السياسة الدولية_مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية العدد (١٥٩)_يناير_كانون الثاني ٢٠٠٥م.

٦٣.هيلين كارير_السياسة السوفيتية في الشرق الاوسط(١٩٥٥_١٩٧٥)ترجمة عبد الله اسكندر_بيروت _دار الكلمة للنشر _,١٩٨١

٦٤._هيثم الكيلاني_الامن القومي العربي في اطار العلاقات العربية الاقليمية _مجلة شؤون عربية العدد ٨٠ القاهرة_الامانة العامة لجامعة الدول العربية ١٩٩٤.

٦٥._هيثم غالب الناهي_السياسة الدولية واثرها على منطقة الشرق الاوسط_عن قراءة للعالم العراقي(قماد قدوري)_مجلة المستقبل العربي_بيروت_العدد(٣٢١)_٢٠٠٥م.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

٦٦_.وليد محمود عبد الناصر_العامل الاسلامي والدور الايراني في الجمهوريات الاسلامية المستقلة_مجلة السياسة الدولية_مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية _العدد (١٢٠)ابريل١٩٩٥.

خامسا- الصحف

٢-صحيفة هارس الاسرائيلية باللغة العربية ، ١٢-٣- ١٩٩٢.

٣-جريدة نضال الشعب ، العدد (٦٨٧)، ١١-١ ,٢٠٠٠

٤- جريدة النور ، عدد ٥-٢٠٠٣.

سادسا - الانترنيت

١- حماد كمال.من حلف بغداد الى الشرق الاوسط الكبير_مجلة شؤون الشرق الاوسط _العدد ١١٥_بيروت مركز الدراسات الاستراتيجية للبحوث والتوثيق ٢٠٠٤. وليد_ضع القرار في السياسة الخارجية لجمهورية ايران الاسلامية ٢٧٠٠_الموقع .

www.alwatan voice.com

٢-ريتشارد هاس_من المبكر الحديث عن مهاجمة ايران ٢٠٠٦

Bbcarabice.com

٣- سيوم براون.وهم التحكم(القوة السياسية الخارجية في القرن الحادي والعشرين)٢٠٠٥ للموقع.

www.reagar.com

٤-.ضيف شرقاوي_امريكا والشرق الاوسط(الانحسار)،٢٠٠٧

www.2525.com

٥-.ضيف شرقاوي_امريكا والشرق الاوسط(الانحسار)،٢٠٠٧

www.2525.com

٦-.طه عبد العليم_الدور الروسي في النظام العالمي الجديد _ورقة مقدمة الى ندوة اليات النظام العالمي الجديد_مركز البحوث والدراسات السياسية _القاهرة _كانون الاول _١٩٩٢ للموقع .

www,ahram.org,eg

٧- عاطف معتمد عبد الحميد .روسيا والبحر الاسود جغرافية سياسية جديدة للموقع

www.aljazeara,net

٨._علي المليجي علي_البرنامج النووي المصري_مجلة كلية الملك خالد العسكرية _العدد(٨٠)_١_٣_٢٠٠٥ الموقع.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

www.khaled.com

٩-_.عباس قاسم خضير_مصداقية النظام الدولي الجديد _دار الاضواء ١٩٩٦_موقع

www.alhramin.com

١٠_ريتشارد هاس_من المبكر الحديث عن مهاجمة ايران ٢٠٠٦

Bbcarabice.com

١١-رئيس الحزب الشيوعي السوفيتي(اتحاد الاحزاب الشيوعية)_جريدة نضال الشعب_العدد(٦٨٧).١١_١_٢٠٠٢

١٢- سيوم براون.وهم التحكم(القوة السياسية الخارجية في القرن الحادي والعشرين)٢٠٠٥ للموقع.

www.reagar.com

١٣- .غاورات باهاغات_ايران والولايات المتحدة المتحدة نموذج للترتيبات الامنية الجديدة في الشرق الاوسط .ترجمة محمد أحمد عمران _مجلة الملك خالد للدراسات العسكرية العدد(٩٠).٢٠٠٧الموقع.

www.kkmag.gov.sa

١٤-.فال نصر واي كاي_كلفة احتواء ايران سياسة واشنطن الجديدة المظلة في الشرق الاوسط.مجلة قدرين ايفرز يناير ٢٠٠٨ ترجمة مجلة افاق استراتيجية العدد (٢٣)فلسطين.

www.alzaytouna.net

١٥- .فالح عبد الجبار _الثورة المنسية _الحوار المتمدن العدد (٢٨٢٢)سنة ٢٠٠٩.

www.ahewar.org

١٦-مجدي رياض_الشرق الاوسط من الاستعمار التقليدي الى التعريف الامريكي١٧_٤_٢٠٠٤.موقع

www.islamonline.com

١٧-.منير الحمش_الاقتصاد السياسي والعولمة والحرب ٢٠٠٤ _

www.iraqcp.org

١٨-محمد عبد الفتاح الحمراوي_تداعيات أيلول على ا لنظام العالمي الجديد ٢٠٠٧ موقع.

www.ankido.as

١٩-.محمد عبد الفتاح الحمراوي_تداعيات أيلول على ا لنظام العالمي الجديد ٢٠٠٧ موقع.

www.ankido.as

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

٢٠- نادية محمود مصطفى_نزع اسلحة العراق بالقوة العسرية الامريكية_٢٠٠٣ الموقع

www.islamonline.net

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المصادر الأجنبية

-1Alexander l . George.et al .us + soviet. Security cooperation.new York -oxford unversity .press1988

2- Abtheny Lake,confronting Backlash State,forign Affairs,Vol.73.NOC, march-Aprol,1994,.

3- Adam Grafinkle,u-S Relations after Cold War,ORBIS,VOL-4NO FALL

١٩٩٦

4- Chantal de Jonge oudraat- Editor-, conference of Research Lnstitutions in the M,iddle EAST PROCEEDING of the cairo conference- 18-20 April 1993 Newyork and Geneva uited Nations institute for Disarmament Research Document unidir 94+16, 1994,.

٥-Fred Wehling - Editor , Workshop on arms Control and Security in the Middle East 111, 1GCC , polisy paper 23, June 1996,.

٦- Ready to move in , Time , December 2 , 2002, - report,

٧ -Malik Mufti, daring and caution in turkey policy , Middle east journal vol,52 no 1 , Winter. 1998.

٨ - -Kemal krisci, post cold - War Turkish Security and the Middle East , journal of middle East Revicw of international affairs, vol .1, no 2july, 1997,

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

٩-john cox ,overkill. The story of modern weapons Middlesex:

penguin books,1998

١٠-History of the Cold War New York-Oxford university press,1987

١١ -MOHAMED MALI, + others ,bilateral and multilateral Negotiations rör pease in the Middle East studies 5 middle east studes centre amman , 1995,.

١٢-Webber,Mark the international politics of russia and the successor states new york manchster university press 1996

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com